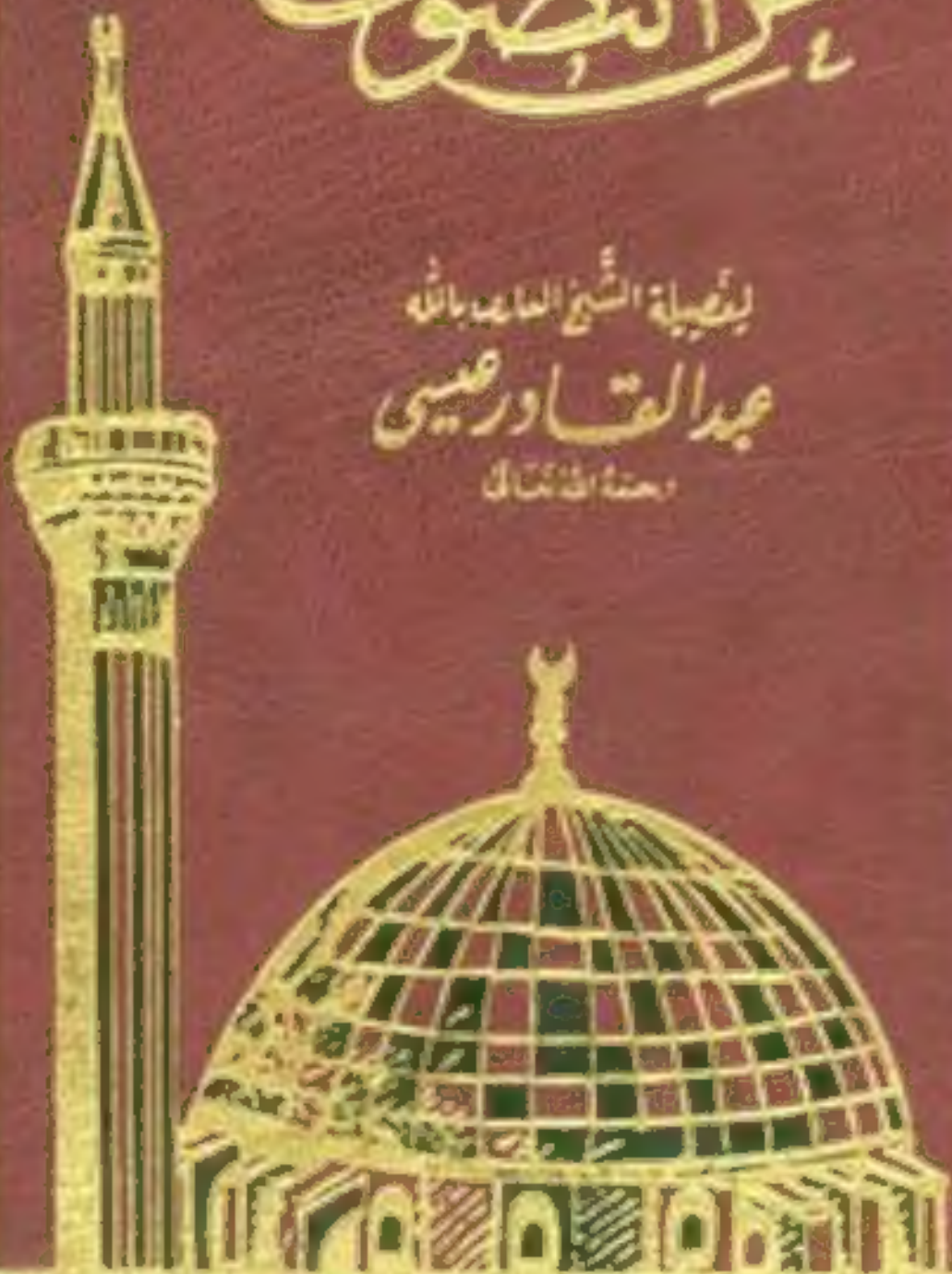


حسان عزالصوف

لنصيحة الشيخ العابد بالله
عبدالفتاح عيسى
رحمة الله تعالى



لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الْعَارِفِ بِاللَّهِ
عَبْدِ الْقَادِرِ عِيسَى
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى



حقائق عَنِ الصُّوفِیِّ

«الصُّوفُوفُ كُلُّهُ أَخْلَاقٌ فَمَنْ زَادَ عَلَيْكَ
بِالْأَخْلَاقِ زَادَ عَلَيْكَ بِالصُّوفِیِّ»

منشورات دار العرفان بحلب

جميع الحقوق محفوظة لورثة المؤلف

موافقة وزارة الإعلام رقم : ٢١٦٨١

تاريخ : ١٩٩٣/٧/٧

الطبعة السادسة عشر

مصححة ومنقحة

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

دار العرفان

سورية - حلب

سيف الدولة ، جانب جامع الشيط

هاتف وفاكس ٥٧٤٦١٩٠ - ص . ب / ١٨٠٢٤

E.mail : sayyd @ gawab . com

هذا الكتاب

- * يُعرفُ التصوفُ بفهمه الصحيح الواضح المستقى من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة الأعلام .
- * يوضح الطرق العملية المشروعة التي سلكها رجال التصوف للوصول إلى مقام الإحسان .
- * يستعرض المقامات والمراتب التي يجتازها السالكون للتحلي بالخلق النبوي الكريم .
- * يبين الثمرات البانعة التي يجنيها المتحققون بالتصوف .
- * يصحح ما قام في الأذهان عن التصوف من تُرّهات وأباطيل دسها المستشرقون ، وافتراها المفرضون .
- * ينقي التصوف مما علق به من زيغ وانحراف من قِبَل أدعياء التصوف والدخلاء عليه .
- * يُمحص ما أثير حول التصوف من شبهات على ضوء الشريعة الغراء .
- * ينقل مقتطفات من أقوال علماء الأمة الإسلامية من سلفها إلى خَلَفها حول التصوف ورجاله .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .
وله الحمد تبارك وتعالى أن حفظ لنا هذا الدين بأن جعل العلماء ورثة الأنبياء ، وجعل هذا الإرث لا ينقطع إلى يوم الدين ، كما أخبرنا حبيب رب العالمين بقوله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون » .
وإنه ليسرنا أن نقدم لأحد هؤلاء الورثات الكُمَّل الذين نقلوا لنا هذي رسول الله ﷺ قولاً وفعلاً وحالاً ، فجزاه الله عنا وعن المسلمين كل خير .

لمحة موجزة عن حياة المؤلف رحمه الله

هو العارف بالله ، المربي الكبير ، سيدي الشيخ عبد القادر بن عبد الله بن قاسم بن محمد بن عيسى عزيزي الحلبي الشاذلي ؛ يصل نسبه إلى الشيخ عمر البعاج إلى سبط رسول الله ﷺ الحسين بن علي رضي الله عنهما .

ولد في مدينة حلب سنة / ١٢٣٨ / هجرية الموافق / ١٩٢٠ / ميلادية

لأبوين صالحين عاش بينهما طفولة سعيدة ؛ وفي مرحلة شبابه المبكر عاش عدة نشاطات دينية ودنيوية ، تعرّف خلالها على بعض رجال التصوف من أهل الشريعة والحقيقة ، وتقلّب بين عدة أعمال دنيوية ، ولكنه لم يجد طموحه في عمل تجاري أو مهنة من المهن ، ولا في صحة من عُرف من المتسبين إلى التصوف ؛ فصرف همّته إلى طلب العلم فصاحب العلماء منهم الشيخ محمد زمار ، والشيخ أحمد معوّذ ، ثم صاحب الشيخ حسن حسّاني شيخ الطريق القادرية ؛ فسلك على يديه ثم أذن له الشيخ بالطريقة القادرية ، وخلال صحبته للشيخ حسن حسّاني درس العلوم الشرعية في المدرسة الشعبانية الشرعية ، وأخذ العلوم الشرعية عن كبار العلماء الأجلاء في حلب أمثال الشيخ عبد الله سراج الدين والشيخ أحمد الكردي ، والشيخ أحمد معوّذ ، والشيخ محمد ملاح ، والشيخ عبد الوهاب التونجي رحمهم الله تعالى ؛ وبدأ خلال دراسته أولى مراحل حياته المعصية بالدعوة إلى الله تعالى ، فكان إماماً لمسجد ساحة حمّد في أحد أحياء حلب ، واستطاع في فترة قصيرة تحويله إلى جامع تقام فيه صلاة الجمعة ، ويضم أعداداً من المقبلين على الله ، ويلتقي فيه المؤمنون في الجمعة والجماعات .

وبدأت ملامح شخصية الشيخ الجذابة الآسرة تتألق في هذه الفترة حتى تعشقه عدد من زملائه في الدراسة ، ورغبوا في صحبته والتزام مجالسه ، فكان مجلس الشيخ مقصداً للطامحين لطبقة واسعة من الشباب ، الذين رأوا في حسن مظهره ومظهر محبيه صورة محببة للتدخين الذي لا يجعل تدخينهم سبباً لانصرافهم عن حياتهم وانزوائهم كما يرون من بعض الصور القاصرة لبعض المتدينين .

ولم يكن طموح الشيخ رحمه الله ليقف عند هذا الحد مما وصل إليه

في صحبة الشيخ حسن حساني ؛ فراح يبحث عمّا يوصله إلى حقائق التصوف التي كان يشده إليها أمثال كتاب « إيقاظ الهمم في شرح الحكيم » ، الذي شرح فيه الصوفي الكبير ابن عجيبة حكيم ابن عطاء الله السكندري رحمه الله ؛ وقد عبر عن ذلك بقوله : « كنت أقرأ كتاب إيقاظ الهمم فأرى فيه من حقائق التصوف وعلومه ما لا أراه في نفسي ، فعرفت أنه لا بد لي من صحبه مرشد كامل يقف على أمثال هذه الحقائق » .

ولم يجد الشيخ بُغيته في حلب ، فسافر إلى دمشق والتقى بكثير من مشاهير علمائها ، وكان كثيراً ما يتردد إلى زيارة الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي رحمه الله لعلّ الله أن يجمعه بأحد الشيوخ أو يهديه إلى أحدهم ، فألهم صحبة الشيخ محمد الهاشمي شيخ الطريقة الشاذلية الذي التقى به في الجامع الأموي الكبير وهو يشرح بعض مباحث علم التوحيد ؛ فحضر المجلس وأقبل على الشيخ وتعرّف إليه ، فقال له الشيخ : « جئت آخر الناس وتكون أولهم بإذن الله تبارك وتعالى ، فأنا أنتظرك من زمن طويل » .

فتم للشيخ مبتغاه ، فصحب هذا العالم الكبير وأخذ عنه ما كان يصبو إليه من العلم والمعرفة ، ولمّا رأى الشيخ الهاشمي رحمه الله استعداد الشيخ وأهليته أذنه بالورد العام والخاص ، كما أذنه بتربية المريدين وإرشادهم ، كما أوضح ذلك في إجازته له الموجود نصّها آخر هذا الكتاب وذلك سنة / ١٣٧٧ هجرية / ١٩٥٨ ميلادية .

وقد استمر الشيخ رحمه الله إماماً وخطيباً في جامع ساحة حمّد حتى هبّا له الله جامع العادلية سنة / ١٣٨٢ هجرية / ١٩٦٣ ميلادية ، وهكذا بعد أن قدّر الله تعالى للشيخ دراسة العلوم الشرعية وأوصله إلى الحقائق العرفانية هبّا له الجامع الواسع جامع العادلية الذي قضى فيه أهمّ مراحل

حياته في الدعوة والتوجيه ، فقام بتجديد الجامع حتى أصبح الجامع في أزهى حلة وغدا مقصداً لطلاب العلم وأهل الطريق ، وعُمِّر بمجالس العلم خلال أيام الأسبوع ، وبمجالس للصلاة على رسول الله ﷺ والذكر والموعظة بعد صلاة العشاء من يوم الخميس وبعد الظهر من كل يوم جمعة .

واتسعت شهرة الشيخ فأقبل الناس عليه بمختلف فئاتهم ، وكان صدق الشيخ وإخلاصه ، مع ما امتاز به من شخصية أسرة وصبر في الدعوة إلى الله تعالى ، سبباً في انجذاب أعداد كبيرة من طلاب العلم والتجار والأطباء والمهندسين وطلبة الجامعات ، حتى أصبح الجامع منارة تشع بالعلم والنور ، وانتشر التصوف بعد أن أخرجته الشيخ رحمه الله بأبهى حلة على قواعد العقيدة السليمة والشريعة السمحة والآداب المرضية عند أهل مقام الإحسان ثالث أركان الدين ، حيث كان كتابه « حقائق عن التصوف » الذي أنجزه قبل استلامه جامع العادلة بسنتين فتحاً مييناً لهذا العلم الذي أضحي كتاب الحقائق خير ما يُعبر عنه ، بما حواه من أدلة واضحة من كتاب الله تبارك وتعالى ، وسنة نبيه ﷺ ، وبما تضمنه من أقوال ثقات العلماء ، وبالمنهج العلمي الذي يمكن عن طريقه الوصول إلى حقائق هذا الركن الهام من أركان الدين .

وانشرت طريقة الشيخ في جميع أنحاء سورية ، فلا تكاد تجد مدينة أو قرية إلا وللشيخ فيها أحبة ومريدون ، بل جاوز ذلك إلى البلاد المجاورة كالأردن وتركيا ولبنان والعراق ، وقد كان لكتاب الشيخ - الذي تقدم له - الدور الكبير في فهم حقائق التصوف حتى عمّ نفعه أكثر البلاد العربية ، ووصل إلى الهند وباكستان ، وعدد من الدول الأوروبية والأمريكية وغيرها من دول العالم ، مما يدل على باع الشيخ الطويل في المعرفة والتربية الإرشاد .

وقد كان لثردد الشيخ إلى البيت الحرام في أكثر الأعوام لأداء فريضة الحج ، مع ما حباه الله من صبر في الدعوة ، وقوة في الحال ، وحسن تأليف للناس ، دور كبير في نقل الدعوة إلى مشاهير العلماء .

يُعدُّ الشيخ رحمه الله في طليعة المجددين للطرق الصوفية عامة ؛ وللطريقة الشاذلية خاصة ، يشهد لذلك كتابه « الحقائق » الذي طبع مرات عديدة وترجم إلى اللغة الإنكليزية والتركية ، كما يشهد لعلو مقام الشيخ كثرة إخوانه على اختلاف فئاتهم من جميع طبقات الناس في كل بقاع الأرض ، الذين يُعتبرون بحق كتباً ناطقة عن الشيخ الذي لم يخلف من الثروة العلمية إلا هذا الكتاب ، وذلك بسبب واجبات الدعوة التي حملها على كاهله بدأب وثبات لنشر الطريق الصحيح القائم على الكتاب والسنة .

إن خلاصة منهاجه وما أراد نقله للناس قد أودعه ويئته في هذا الكتاب ، الذي كان بحق فتحاً في علم الشريعة والطريقة والحقيقة ، فتلقَّاه الناس بالقبول والانتفاع على مختلف طبقاتهم ومشاربهم ، واستفاد منه خلق كثير .

كان للشيخ كرامات كثيرة وكشوفات واضحة ؛ ولكنه كان يُعرض عن ذكرها أو السماح لأحد بالتحدث عنها ، ويحذر إخوانه من الركون إلى الكشف والكرامة ، ويقرر أن أعظم الكرامات الاستقامة على شرع الله عز وجل ، ومن أعظم كرامات الشيخ قلبُ الشخصيات المنحرفة الضالة إلى شخصيات مثالية مستقيمة على الشرع ، وكان يُعرف الطريقة فيقول : « الطريقة هي العمل بالشريعة » ، ويؤكد على تعريف الشيخ أحمد زروق رحمه الله للتصوف فيقول : « التصوف كله أخلاق فمن زاد عليك بالأخلاق زاد عليك بالتصوف » .

أَكْرَم - رحمه الله تعالى - بمجاورة النبي المصطفى عليه الصلاة والسلام في المدينة المنورة قرابة خمس سنوات ، ثم أقام في الأردن بعمّان يدعو إلى الله تعالى كما هو شأن الصادقين حيثما حلّوا ونزلوا ، فاستفاد منه خلق كثير من علمه وحاله ودعوته .

وفي سنة / ١٤١٢ / هجري الموافق / ١٩٩١ / ميلادي سافر إلى تركيا لزيارة إخوانه فاشتد عليه المرض هناك فأدخل المشفى في مدينة مرّعش ثم نُقل بعد ذلك إلى مدينة اسطنبول ودخل أحد مشافيها ، وكان في مشفاه محل العَجَب من الأطباء والمختصين لما وجدوا من صبره على شدة الألم ، وهو يتحمل بجلد دونما شكوى ، وقد استغرق بذكره وفكره مع الله تبارك وتعالى ، وقد مثّعه الله رغم مرضه الشديد بكامل وعيه وحضوره مع ربه حتى آخر أنفاسه ؛ وقد أراد أحد أولاده أن يطمئن عن إدراكه بعد غيبوبة طويلة ، وكان بينه وبين والده ملاطفة قديمة ، فسأله عن بيت من الشعر كان قد سمعه منه رحمه الله ليتأكد من كامل وعيه ، وبأن صمته ليس إلا استغراق المؤمن الصابر والعارف الراضي ، فذكره بهذا البيت من الشعر :

يا سائلي عن رسول الله كيف سها والسهو

ثم سكّت وقال له : يا سيدي من فضلك أكمل لي هذا البيت . فالتفت إليه مترجهاً وقال :

... والسهو من كلّ قلب غافل لا هي
قد غاب عن كل شيء سرّه فسها عمّا سوى الله فالتعظيم لله

وأعاد شطر البيت مراراً : « والسهو من كلّ قلب غافل لا هي » ثم دمعت عيناه رحمه الله وبكى ولم يُكلم أحداً بعدها .

﴿ رَبِّ ارْزُقْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ مَسْجِدًا لِّرِضْوَنِهِ وَأَدْخُنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [البقرة: ١٠٩]

اللهم احشرنا معه تحت لواء سيد المرسلين سيدنا محمد، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

٢٣ شوال ١٤٢٩

٢٠٠٩/١/١٨

ورثة المؤلف

الإهداء

إلى المرشد الكبير ، مربّي العارفين ، ودليل
السالكين ، سيدي وأستاذي محمد الهاشمي
رحمه الله تعالى .

وإلى تلك الفئة المؤمنة ، الذين تحابوا في الله
على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها ،
لا يحاقون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن
الناس ، وأولئك هم الأولياء حقاً :
أقدم هذا الكتاب

المؤلف

عبد القادر عيسى

(رحمه الله تعالى)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الرابعة

حمداً لله مسبح اسع ، ومتمم الفصل ، ومحبي القلوب
 وصلاة وسلاماً على انبياء المحبوب ، والمبعوث رحمة
 للعالمين ، ومشاراً للساكنين ، وقدرة للعارفين
 وبعد : فقد من الله علينا بأن وقفنا لإصدار كتاب « حقائق عن
 التصوف » الذي كنت نهدف به لمساهمة في تصحيح الأفكار عن
 التصوف ، ورد أشبه عنه ، وبيان أهميته وقيمه وحاجة الناس إليه .
 وقد بقي هذا الكتاب المتواضع - بحمد الله - ترحيلاً واستحساناً عند
 كثير من العلماء لمخلصين ، ولباحثين المنصفين ، والمسترشدين
 الصديقين ، الذين أعربوا عن أثر هذا الكتاب في توضيح فكرة التصوف
 للأذهان خصوصاً وقد تعرض بحملات عنيفة . واقتراءت مغرضة
 ودسائس باطلة .

وقد وردت لرسائل عديدة ولرجاءات لمصلحة بإعادة طبعه تعميماً
 للنفع وتعميماً للفائدة ، بعد أن نفذت طبعات الكتاب السابقة .
 فنزولاً عند رغبة هؤلاء الإخوة عمدنا إلى طبعه مع بعض الزيادات

المفيدة سائلس المولى أن يجعله حلاً لوجهه الكريم ، وأن يرفع به كل
من يقرأه بصدق وإخلاص ، إله سميع مجيب ، وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم

٢٣ رمضان ١٤٠١ هـ

عبد القادر عيسى

(رحمه الله تعالى)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الكتاب

حمدك اللهم أن وفقنا سواء اسبيل ، فأنب نعم لمولى ونعم النصير ، وبصلي وسلم على حبيبك الأعظم لمبعوث رحمة للعالمين ، ومقداً للإنسانية ، وهادياً للبشرية سهدنا محمد ﷺ القدوة الممشى والأسوة الحسنة ، وعلى آله وأصحابه الذين ركوا أنفسهم فأفصحوا ، ونصحوا ، خواتهم ففعلوا ، اللهم أكرمنا بكرامتهم ، ووفقنا لهديتهم ، وألحقنا بهم ، واجمعنا معهم تحت نواء سيدنا محمد ﷺ ، فإليك أكرم مسؤول وخير مأمول .

وبعد فلقد شئنا الإسلام منذ انشق فجره بحصوم الأداء ، حاولوا تهديم أركانه ، وتقويض سبانه ، شئنا الأساليب ومختلف الوسائل ، ونحن اليوم نعاني موجات الحادية ، وتيارات إباحية ، ترد علينا من انشرق والعرب ، تضلل شمسنا ، وتفسد أجالنا ، وتهدد مستقبلنا الفكري العقائدي بمصير أسود قائم . ونشد أمت بتدهور حظير ، وشر مستطير ، ولا يسعنا في هذا الحو لمئج بالصراع الفكري ، إلا أن نعتصم بحبل الله المتين ، ونشد الخلافات الفرعية الاحتشادية وربط القلوب بالله تعالى ، لنستمد منه القوة والطمأنينة والعة ولكرمة

وإذا كانت مهمة دعوة الإسلام المخصصين أن يعيدوا لهذا الدين روحه ، وأن يفتحوا له مغاليق اقلوب ، فما قصد الصوفية في كل عصر وزمان إلا العودة بالمسلمين إلى ضلال أنس بالله تعالى . وبعيم مساجاته ، وسعادة قربه ، بإرجاع روحانية الإسلام إليه

وإذا كان خصوم الإسلام قد عملوا على تشويه معالمه ، فوصموه بالجمود والقصور ، واتهموا أتباعه بالرجعية والتأخر ، ومن ثم صبوا عليه حملاتهم المعرضة بأساسهم لمدرسة مستكره ، فتارة يشككون لناس في المذاهب الفقهية المعتمدة ، وتارة أخرى يطعنون في بعض رواة الحديث من صحابة رسول الله ﷺ فيقصو دعائم الإسلام ، وحيناً يثرون أشبهت حول المسائل الإيمانية ، ليمسكوا عمائد لأمه

إذا كنا نرى كل هذا في شين ~~المقصود~~ ، فإن لدى بشر الاتهام ، ويلفت الأنظار الطعن ~~المقصود~~ ، والتهجوم العنيف على التصوف الإسلامي ، وما ذلك إلا لأنه ~~تجوهر الإسلام~~ وروحه الناصية ، وحيويته الفعالة ، فلقد أراد المبطلون تشويه معالمه ، وتصويره سبجاً فلسفياً خيالياً ، وضعفاً ورهداً وانعزالاً ، وبتداعاً خرافياً ، وهرباً من وقع الحباه وبصالتها ولكن الله تعالى قد أدن لدينه بالحفظ والبقاء ، فتحطمت أقلامهم ، ودهبت الريح بدعواهم ، وبقي التصوف منارة السالكين إلى الله تعالى ، ومنهجاً إيجابياً لنشر الإسلام ، وتدعيم بنيانه .

لهذا الذي ذكرت ، أقدم كتابي عن التصوف ، دفاعاً عنه ، وتمييزاً لبلبه من قشره ، ولحقائقه مما علق به ، وإطهاراً للحق ، ودمعاً للباطل ، مستنداً إلى كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ ، وأقوال الأئمة الأربعة رضي الله عنهم ، وأبياعهم من أعلام الفقهاء ، والأصوليين والمحدثين ، وأئمة الصوفية ، ورجال الفكر الذين خدموا لإسلام خدمات حسنة

وفقنا الله تعالى جميعاً لخدمة الإسلام ولم يحبه ويرضاه ، ونسأه
التوفيق والسداد . فمه المبدأ ، وإليه المتهى ، وم توفيقى إلا الله
تعالى ، عليه توكلت وإليه أنيب .

عبد القادر عيسى (رحمه الله تعالى)

حلب فى ٢٤ رمضان ١٣٨١ هـ

الموافق ١٧ شباط ١٩٦١ م

الباب الأول

التعريف بالتصوف

- ١- تعريفه .
- ٢- اشتقاقه .
- ٣- نشأته .
- ٤- أهميته .

تعريف التصوف

قال القاضي شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله تعالى :
(التصوف علم تعرف به أحوال تزكية النفوس ، وتصفية الأخلاق
وتعمير الظاهر وابتاطن لنيل السعادة الأبدية)^(١)
ويقول الشيخ أحمد دروي رحمه الله .

(التصوف علم قصد لإصلاح القلوب ، وإفرداها لله تعالى عما
سواه . والفقه لإصلاح العمل ، وحفظ النظم ، وظهر الحكمة
بالأحكام . والأصول « غيصة التوجيه » لتحقيق لمقدمات بالبرهين .
وتحلية الإيمان بالإيقن ، كالصالح بحفظ الأبدن ، وكانحو لإصلاح
اللسان إلى غير ذلك)^(٢) .

قال سيد الطائفتين الإمام الجنيد رحمه الله :
(التصوف استعمال كل حق سني ، ونوك كل حلق دني)^(٣)

(١) عن هاشم « الرسالة المشيرة » ص ١ توفي شيخ الإسلام زكريا الأنصاري سنة ٩٢٩هـ .

(٢) « قواعد التصوف » قاعدة ١٣ ص ٦ لأبي انعام أحمد الشيرازي توفي سنة ٨٩٩هـ في طرابلس الغرب . ولد سنة ٨٤٦هـ بمدينة فاس ، وتوفي سنة ٩٢٩هـ في طرابلس الغرب .

(٣) « النصرة النبوية » لشيخنا مصطفى لماني ص ٢٢ توفي الإمام الجنيد سنة ٢٩٧هـ .

وقال بعضهم :

(التصوف كله أخلاق ، فمن راد عليك بالأخلاق رد عليك بالتصوف)^(١) .

وقال أبو الحسن الشاذلي رحمه الله .

(التصوف تدريب النفس على العبودية ، وردها لأحكام الربوبية)^(٢) .

وقال ابن عجيبة رحمه الله :

(التصوف : هو علم يعرف به كيفية السلوك إلى حصرة ملك الملوك ، وتصفية أسوأ من الرذائل ، وتحسينها بأنواع لمصائل ، وأوله علم ، ووسطه عمل ، وآخره ~~موجبة~~ ^{موجبة})^(٣) .

وقال صاحب « كشف الظنون » :

(هو علم يعرف به كيفية ترقى أهل لكامل من النوع الإنساني في مدارج سعاداتهم) إلى أن قال :

علم التصوف علمٌ ليس يعرفه إلا أحو فطرية بأحق معروف وليس يعرفه من ليس بشهده وكيف يشهد صرء الشمس مكهوف^(٤)

(١) « البصرة السبوية » لشيخ مصطفى الحدي ص ٢٢ ، توفي الإمام الجند منه ٢٩٧هـ

(٢) « نور التحقيق » للعلامة حامد صفر ص ٩٣ توفي أبو الحسن سنة ٦٥٦هـ في مصر

(٣) « معراج الشرف إلى حقائق التصوف » لأحمد بن عجيبة الحسي ص ١

(٤) « كشف الظنون » للعلامة حسي حيفة ج ١ / ص ٤١٣ - ٤١٤

وقد اشيع زروق في قواعد التصوف :

(وقد حُدَّ التصوف ورسم وفسر بوجوه تبلغ نحو الألفين ، مرجع كلها لصدق الوحي إلى الله تعالى ، وإنما هي وجوه فيه)^(١) .

وعماد التصوف تصفية القلب من أوصار لماده ، وقوامه صفة الإنسان بالخلق العظيم ، والصوفي من صف قلبه لله ، وصفت لله معاملته ، فصفت له من الله تعالى كرامته .

(١) « قواعد التصوف » ص ٢

اشتقاق التصوف

كثرت الأقوال في اشتقاق التصوف ، فمنهم من قال . (من الصوفة ، لأن لصوفي مع الله تعالى كالصوفة المطروحة ، لاستسلامه لله تعالى)^(١)

ومنهم من قال : (إنه من الصُّفَّة ، إذ حملته اتصافاً بالمحسن ، وترك الأوصاف المذمومة)^(٢) .

ومنهم من قال (من الصفاء) ، حتى قال أبو الفتح السبي رحمه الله تعالى .

تنارع اندس في الصوفي واجتلموا وطبه لبعض مشتقاً من الصوف ولست أمنح هذا الاسم غير فتى صفا فصوفي حتى سمي الصوفي^(٣)

ومنهم من قال : (من الصُّفَّة ، لأن صاحبه تابع لأهلها فيما أثبت الله لهم من الوصف) حيث قال تعالى : ﴿ وَأَصِيرَ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾ [الكهف ٢٨٠] .

وأهل الصُّفَّة هم الرعيل لأول من رحال التصوف ، فقد كانت حياتهم التعبدية الخلصة انمش الأعلى الذي استهدفه رحال التصوف في العصور الإسلامية المتتالية .

وقيل (من الصُّفوة) كما قال الإمام الفشيري

(٣.١) «إيقاظ الهمم في شرح الحكم» للعلامة ابن عجيبة المتوفى سنة ١٢٦٦هـ ص ٦.

وقيل : (من الصِّف) فكأنهم في الصِّف الأول بقيوبهم من حيث حضورهم مع الله تعالى ، وتسابقهم في سائر الطاعات

ومنهم من قال (إن التصوف نسبة إلى لبس الصوف الخشن ، لأن الصوفية كانوا يؤثرون لسه للتقشف والاختيشان)

ومهما يكن من أمر ، فإن التصوف أشهر من أن يحتاج في تعريفه إلى قياس لفظ ، واحتياج اشتقاق

ويذكر بعض الناس على هذا اللفظ بأنه لم يسمع في عهد الصحابة والتابعين مردود ، إذ كثير من الاصطلاحات أحدثت بعد زمان اصحابه ، واستعملت ولم تُنكر ، كالنحو والفقه والمنطق

وعلى كل فيما لا يهتم بالتعابير والإلفاظ ، بمقدّر اهتمامنا بالحقائق والأسس ونحن إذ ندعو إلى التصوف إنما بقصد به تزكية القوس وصفاء القلوب ، وإصلاح الأخلاق ، والوصول إلى مرتبة الإحسان ، نحن نسمي ذلك تصوفاً وإن شئت فسمه احباب لروحي في الإسلام ، أو احباب الإحساني ، أو احباب لأخلاقي ، أو سمه ما شئت مما يتفق مع حقيقته وجوهره ؛ إلا أن علماء الأمة قد توارثوا سم لتصوف وحقيقته عن أسلافهم من المرشدين منذ صدر الإسلام حتى يومنا هذا ، فصار عُرفاً فيهم .

نشأة علم التصوف

يقول الدكتور أحمد علوش : (قد يتساءل الكثيرون عن السبب في عدم انتشار الدعوة إلى التصوف في صدر الإسلام ، وعدم ظهور هذه الدعوة ، لا بعد عهد لصحابة والتابعين ؛ وانجواب عن هذا إنه لم تكن من حاجة إليها في العصر الأول ، لأن أهل هذا العصر كانوا أهل تقوى وورع ، وأرياب مجاهدة وإقبال على العادة بطبيعتهم ، وبحكم قرب اتصالهم برسول الله ﷺ ، فكانوا يستنبطون ويسادون في الاقتداء به في ذلك كله ، فلم يكن ثمة ما يدعو إلى تلقسهم علماً يرشدهم إلى أمرهم فائثون به فعلاً ، وبما مثلهم في ذلك كله كمثل العربي الفصح ، يعرف لغة عربية بانتوارث كابرأ عن كابر ؛ حتى إنه ليقرص الشعر البليغ بالسلفقة وانقطرة ، دون أن يعرف شيئاً من قواعد اللغة والإعراب وانظم والقرص ، فمثل هذا لا يلزمه أب يتعلم النحو ودروس البلاغة ، ولكن عدم النحو وقواعد اللغة واشعر يصبح لازمة وضرورية على تفشي الدخن ، وضعف التعبير ، أو لمن يريد من الأجانب أن يفهمهم ويتعرف عليها ، أو عندما يصبح هذا العلم ضرورة من ضرورات الاجتماع كبقية العلوم التي نشأت ودأبت على نوالي العصور في أوقاتها المناسبة

فلسحابة والتابعين - وإن لم يسموا باسم المتصوفين - كانوا صوفيين فعلاً وإن لم يكونوا كذلك سماً ، ومذا يراد بالتصوف أكثر من أن يعيش المرء لربه لا لنفسه ، ويتحلى بمرهد وملازمة العبودية ، والإقبال

على الله بالروح و لقلب في جميع الأوقات ، و سائر الكمالات التي وصل
بها الصحابة و لتابعون من حيث الرقي الروحي إلى أسمى لدرجات فهم
لم يكتفوا بالإقرار في عقد الإيمان ، و لقيام بفروض الإسلام ، بل
قرنوا لإقرار بالتدقيق و لوجدان ، و رادوا على الفروض الإتيان بكل
ما استحبه الرسول ﷺ من نوافل العبادات ، و ابتعدوا عن المكروهات
فضلاً عن المحرمات ، حتى استدرت بصائرهم . و تفجرت ينبوع
لحكمة من قلوبهم ، و فاضت الأسرار الربانية على جوانحهم . و كذلك
كان شأن التابعين و تابعي التابعين ، و هذه العصور الثلاثة كانت أروع
عصور الإسلام و خرمها على الإطلاق ، و قد جاء عن رسول الله ﷺ
قوله . « خير لقرون قرني هذا فالذي يسره و لذي يليه »^(١)

فلم تقادم العهد ، و دخل في خطيرة الإسلام أمم شتى ، و أجناس
عديدة ، و اتسعت دائرة العلوم و تقسمت و تورعت بين أرباب
الاختصاص ؛ قام كل فريق بتدوين إلهام و العلم الذي يُجيده أكثر من
غيره ، فشأ - بعد تدوين الحق في الصدر الأول - علم انطقه ، و علم
التوحيد ، و علوم الحديث ، و أصول الدين ، و التفسير ، و المنطق ،
و مصطلح الحديث ، و علم لأصول ، و الفرائض « الميراث » و غيرها . .
و حدث بعد هذه الفترة أن أخذ التأثير الروحي يتصاعل شيئاً فشيئاً .
و أخذ الناس يتناسون ضرورة الإقبال على الله بالعبودية ، و بالقلب
و الهمة ، مما دعا أرباب الرياضة و الزهد إلى أن يعملوا هم من ناحيتهم
أيضاً على تدوين علم لتصوف ، و إثبت شرقه و جلاله و فصله على سائر

(١) « خير الناس قرني هذا ثم الدين يلوهم » أخرجه بخاري في صحيحه في كتاب
الشهادات . و في « صحيح مسلم » في فضائل الصحابة عن ابن مسعود رضي الله

العلوم ، ولم يكن ذلك منهم احتجاجاً على انصراف الصوائف الأخرى إلى تدوين علومهم - كما يظن ذلك خطأ بعض المستشرقين - بل كان يجب أن يكون سداً للنقص ، واستكمالاً لحاجات الدين في جميع نواحي النشاط ، مما لا بد منه لحصون التعاون على تمهيد أسباب ابر والتقوى»^(١) .

وقد سى أئمة الصوفية الأوود أصرو صريفتهم على ما ثبت في تاريخ الإسلام نقلاً عن الثقات الأعلام .

أما تاريخ التصوف فيظهر في فتوى للإمام الحافظ السيد محمد صديق الغماري رحمه الله ، فقد سنل عن أول من أسس التصوف ؟ وهل هو بوحي سماوي ؟ فأجاب :

(أما أول من أسس الطريقة ، فليعلم أن الطريقة أسسها لوشي السماوي في جملة ما أسس من الدين المحمدي ، إذ هي بلا شك مقدم الإحسان الذي هو أحد أركان الدين الثلاثة التي جعلها النبي ﷺ بعد ما بينها واحداً واحداً ديناً بقوله : « هذ جبرين عليه السلام أناكم يعلمكم دينكم »^(٢) وهو الإسلام والإيمان والإحسان .

فالإسلام طاعة وعبادة ، ولإيمان نور وعقيدة ، والإحسان مقام

(١) «المسلم مجلة العشيرة المحمديه» عدد محرم ١٣٧٦ هـ من بحث - التصوف من الوجهة التاريخية للدكتور أحمد عموش . وهو من إراء الأوائ الدين نفلو ، حقائق لتصوف الإسلامي إلى لعب لأجنبه ، وقد ألف قصيبته كتاباً بالدعة الإكليليه عن التصوف الإسلامي . كان له أكبر الأثر في تصحيح الأفكار والرد على المستشرقين كما ألف كتابه «الجامع» عن الإسلام الذي رد فيه على لهم لمصراة على دين الله ، وكان له أثره البعيد في خدمة هذا الدين .

(٢) جزء من حديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

مراقبة ومشاهدة : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فمن لم تكن تراه فإنه يراك » . . .

ثم قال السيد محمد صديق العماري في رسالته تلت (فإنه كما في الحديث عبارة عن الأركان الثلاثة ، فمن أحسن بهذا المقدم (الإحسان) الذي هو الطريقة ، فدينه ناقص بلا شك لتركة ركناً من أركانه فغاية ما تدعو إليه الطريقة وتشير إليه هو مقام الإحسان ؛ بعد تصحيح الإسلام والإيمان ^(١) .

قال ابن خلدون في مقدمته :

(وهذا لعلم - يعني التصوف - من العلوم لشرعية أحداثه في الأمة ، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية ، وأصلها العكوف على عباده ، والاقطاع إلى الله تعالى ، وإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، والزهد في ما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه ، والافراد عن الحلق ، ولخلوة للعبادة ، وكان ذلك عاماً في الصحابة والسلف فلما قف لإقبال على الدين في القرن الثاني وما بعده ، وجنح الناس إلى محالطة الدنيا ، احتص المقلدون على العبادة باسم الصوفية ^(٢) .

ويعني من عبارة ابن خلدون الفقرة الأخيرة ، لي يقرر فيها أن ظهور التصوف والصوفية كان نتيجة حيوح الناس إلى مخالطة الدنيا وأهلها في القرن الثاني للهجرة ، فإن ذلك من شأنه أن يحاذ المقلدون على العبادة

(١) لا انتصار لطريق الصوفية ، ص ٦ لمحدث محمد صديق العماري .

(٢) مقدمة ابن خلدون ، علم لتصوف ص ٣٢٩

اسماً يميزهم عن عامة الناس ليسين ألهتهم الحياة الدنيا الفانية
يقول أبو عبد الله محمد صديق الغماري (١) ويغصّد ما ذكره ابن
خلدون في تاريخ ظهور اسم للصوف ما ذكره الكندي - وكان من أهل
القرن الرابع - في كتاب «ولاه مصر» في حوادث سنة المائتين إنه طهر
بالاسكندرية طائفة يسمّون بالصوفية يأمرؤن بالمعروف وكذلك ما ذكره
المسعودي في «مروج الذهب» حاكياً عن يحيى بن أكنم فقال : إن
المأمون يوماً لجلس ، إذ دخل عليه علي بن صالح الحاسب ، فقال
يا أمير المؤمنين ! رحن واقفٌ باب ، عليه ثياب بيض غلاط ، يطلب
البحر للمنطرة ، فعلمت أنه حضر الصوفية فهتد الحكائن
شهران لكلام ابن خلدون في تاريخ نشأة لتصوف وذكر في «كشف
الظنون» أن أول من سمي بالصوفي أبو هاشم الصوفي المتوفى سنة
خمسين ومئة (٢)

وأورد صاحب «كشف الظنون» في حديثه عن علم التصوف كلاماً
للإمام القشيري قال فيه (اعلموا أن لمسمين بعد رسول الله ﷺ لم
تسم أفاضلهم في عصرهم بتسميه علم سوى صحبة الرسول عليه الصلاة
والسلام ، إذ لا أفصلية فوقها . ففيل بهم لصحابة ، ثم احتف لناس
وتبايت المراب ، وفيل لحرص لناس - ممن لهم شدة عناية بأمر الدين -
الزهاد ولعباد ، ثم ظهرت ابدعه ، وحصل التداعي بين الفرق ، فكل فريق
ادعوا أن فيهم زهاداً ، فانفرد نحو من أهل السنة لمراعون أنفسهم مع لله
سبحانه وبعالى ، الحافظون قلوبهم عن صوارق الغمة باسم التصوف ،
واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكار من المائتين من الهجرة (٣)

(١) «الانتصار لطريق الصوفية» للمحدث الغماري ص ٦ - ١٨ .

(٢) «كشف الظنون» عن أسماء الكتب والنسب ، حاجي خليفة ج ١ ص ٤١٤

من هذه النصوص السابقة ، يتبين لنا أن لتصوف ليس أمراً مستحدثاً
جديداً ؛ ولكنه مأخوذ من سيرة الرسول ﷺ وحياة أصحابه الكرام ، كما
أنه ليس مستقفاً من أصول لا نمس إلى الإسلام بصحة ، كما يزعم أعداء
الإسلام من المستشرقين وبلا مدنيهم الذين استدعوا أسماء مسكرة ، فأطلقوا
اسم التصوف على لاهية البودية ، والكهانة الصراية ، والشعوذة
الهندية فقالوا : هناك تصوف بوذي وهندي وصراي وفدسي . .

يريدون بذلك تشويه اسم التصوف من جهة ، واتهام التصوف بأنه
يرجع في شأنه إلى هذه الأصول القديمة ، لمسفات الضلالة من جهة
أخرى ، ولكن الإساء لمؤمن لا يساق بسد تهم لفكرية ، ولا يقع
بأحاديثهم الماكرة ، ويتبين الأمور ، وتثبت في لبحث عن الحقيقة ،
فيري أن التصوف هو النصيف العملي للإسلام ، وأنه ليس هناك إلا
التصوف الإسلامي فحسب

أهمية التصوف

إن الكلف الشرعية لتي أمر بها لإسان هي حصة نفسه ترجع إلى قسمين : أحكام تتعلق بالأعمال الظاهرة ، وأحكام تتعلق بالأعمال الباطنية ، أو عبارة أخرى أحكام تتعلق بدار لإسان وجسمه . وأعمال تتعلق بقلبه .

فالأعمال الجسمية بوعان . أوامر ونواه ؛ فالأوامر الإلهية هي كالصلاة ولركاة ولحج . . . وأما النواهي فهي كالقتل ولونى والسرقة وشرب الخمر

وأما الأعمال لقلبية فهي أيضاً أوامر ونواه ؛ أما الأوامر فكلايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله . . . وكالإحلاص ولرصا والصدق والخشوع والتوكل . . . وأما النواهي . فكالكفر والفساق والكبر ولعجب والرياء والغرور ولالحقد والحسد . وهذا القسم الثاني المتعلق بالقلب أهم من القسم الأول عند الشارع . وإن كان الكل مهمّاً . لأن الباطن أساس الظاهر ومصدره ، وأعماله مبدأ أعمال الظاهر ، ففي فسادة إحلال بقيمة لأعمال الظاهرة ، وفي ذلك قال تعالى :

﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ إِنَّهُ كَانَ يُخَافُ الْعَذَابَ ﴾

[الكهف ١١٠] .

ولهذا كان رسول الله ﷺ يوجه اهتمام الصحابة لإصلاح قلوبهم ، ويبين لهم أن صلاح الإنسان متوقف على صلاح قلبه وشعائه من

الأمراض الخفية والعلل الكامنة، وهو الذي يقول : « ألا وإن في الجسد مضعة إذا صححت صلاح لجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب »^(١)

كما كان عليه الصلاة والسلام يعلمهم أن محل خطر الله إلى عباده إنما هو القلب « إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم »^(٢)

فما دم صلاح الإنسان مربوطاً بصلاح قلبه الذي هو مصدر أعماله لظاهرة ، نعين عليه العمل على إصلاحه بنحلته من الصفات المذمومة التي يهتد بها عنها ، ونحويه بالصفات الحسنة التي أمر الله بها ، وعدائ يكون القلب سليماً صحيحاً ، ويكون صاحبه من الفائزين الناجين ﴿ يَوْمَ لَا يَمْنَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ [الأنعام ٨٨-٨٩] .

قال لإمام حلال الدين السيوطي رحمه الله (وأما عدم انقلب ومعرفة أمراضه من الحسد والتعجب والبربرية ونحوها ، فقد الغزالي إنه فرض عن)^(٣) .

وتتفقه القلب ، وتهذيب النفس ، من أهم المرائض العسة وأوجب الأوامر الإلهية ، بسين ما ورد في الكتب والسنة وأقول لعلماء .
آ- فمن الكتاب :

١- قوله تعالى . ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ﴾

[الأعراف ، ٣٣]

(١) دوه البحري في كتاب الإيمان . ومسلم في كتاب لمساناة عن الحسن بن بشير رضي الله عنهما

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة عن أبي هريرة رضي الله عنه

(٣) « الأنبياء والنظر » للسيوطي ص ٥٠٤

٢- وقوله تعالى ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطُنَ﴾

[الأعام : ١٥١] .

ولفواحش أب منه كما قل المصرون هي : الحقد والرياء والحسد والنفاق

ب- ومن السنة :

١- كل الأحاديث التي وردت في السهي عن الحقد والكبر والرياء والحسد . وأيضاً الأحاديث الأمرة بالتحلي بالأحلاق الحسنة والمعاملة الطيبة فلتراجع في مواضعها .

٢ والحديث « الإيمان ضَعَّ وسعون شعة فأعلاها قور لا إله إلا الله ، وأدناها إمطة الأدنى عن الطريق ، ولحياء شعبة من الإيمان »^(١) .

فكمال الإيمان بكمال هذه الشعيب والتحي بها ، وزيادته بزيادة هذه لصفات ، ونقصه بنقصها ، وإن الأمراض الباطنة كافية لإحباط أعمال الإنسان، ولو كانت كثيرة

ج- وأما أقوال العلماء :

لقد عدَّ العلماء الأمراض القلبية من الكائنات التي تحتاج إلى توبة مستتقة ، قل صاحب « جوهرة التوحيد » :

وأمرٌ يعرف واجتنب نائمة وغيبة وحصلة دميمة
كلعجب ، لكبر وداء الحسد وكلمراء والعجمل فعتمة

(١) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما في كتاب الإيمان عن أبي هريرة رضي الله عنه .

يقول شرحها عند قوله - وخصلة ذميمة - : أي واجتنبت كل خصلة ذميمة شرعاً، وإنما خصص لمصنف ما ذكره؛ يعده اهتماماً بعيوب النفس، فإن بقاءه مع إصلاح الظاهر كلس ثياب حسنة على جسم ملطخ بالقاذورات، ويكون أيضاً كلعجب وهو رؤية العادة واسعطؤها، كما يعجب العابد بعبادته والعام بعلمه، فهذا حرام، وكذلك لرياء فهو حرام ومثل لعجب الظلم والبغي والكبر وداء الحسد والمراء والجدل^(١)

ويقول الفقيه الكبير العلامة ابن عابدين في حاشيته الشهيرة : (إن علم الإخلاص والعجب والحسد والرياء فرض عين، ومثلها غيرها من آفات النفوس، كالكبر والشح والحقد والنشر والعضب والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والبطر والخيلاء والخيانة والمداهمة، والاستكثار عن الحق والمكر والمجادلة ونفسوة وطول الأمل، ونحوها مما هو مبس في ربع المهلكات من الإحياء » قال فيه ولا ينفك عنها بشر، فيلزمه أن يتعلم منها ما يرى نفسه محتاجاً إليه.

وإزالتها فرض عين، ولا يمكن إلا بمعرفة حدودها وأسبابها وعلاماتها وعلاجها، فإن من لا يعرف الشريقع فيه^(٢)

ويقول صاحب « الهدية العلائية ». (وقد تظاهرت بصوص الشرع والإجماع على تحريم الحسد، واحتقار المستمين، وإرادة المكروه بهم، ولكر والعجب والرياء، ونفاق، وحملة الحباثت من أعمال

(١) « شرح الوجومرة » للبا جوري من ١٢٠ - ١٢٢ توفي سنة ١٢٧٧ هـ

(٢) « حاشية ابن عابدين » المسماة رد المحتار على تبرا المختار شرح توير الأبرار،

لقلوب ، بل السمع والبصر والفتاد ، كل ذلك كان عنه مسؤولاً ، مما يدخل تحت الاحتير^(١)

ويقول صاحب «مراقي الفلاح» : لا تنزع الطهارة الباهرة إلا مع طهارة الناطقة . بالإخلاص ، وإسراة عن الغل والغش والحق والحسد ، وتطهير القلب عما سوى الله من الكوين ، فيعبده بذاته لا لعدة ، مفتقراً إليه ، وهو يتفصل بالمر بقضاء حوائجه المصطر بها عطفاً عليه ، فتكون عبداً فرداً للملك ، لأحد الفرد ، لا بستر فك شيء من الأشياء سواه ، ولا يستمدك هوائك عن خدمتك إليه

قال الحسن البصري رحمه الله :

زُبَّ مسترٍ سببه شهوة قد عري من ستره وأنهنكا
صاحب شهوة عبد فبادر منك الشهوة أصحى ملكا
فإذا أحلص لله ، وجا كلفه به وارثاء ، فام فأذاه ، حفته لعبه
حيثما توجه وتيمم ، وعلمه ما لم يكن يعلم

قال لطحطاوي في «لحاشيه» : ديله قوله تعالى

﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾^(٢) [سفره ٢٨٢]

فكما لا يحسن بالمرء أن يظهر أمام أسر شاب ملطحة بالأقدار والأدور ، لا يليق به أن يترك قسه مريضاً لدعلل الحمية ، وهو محن نظر الله سبحانه وتعالى .

تطبيب جسمك انساني ليقى وتترك قلست الباقى مريضاً
لأن الأمراض العلوية سبب بعد العبد عن الله تعالى ، وعده عن حنته

(١) لهذه العلامة «علاء الدين عيسى» ص ٣١٥

(٢) حاشيه الصطحاوي على «مراقي الفلاح» شرح مور الإصحاح ص ٧١ - ٧١

الخالدة ؛ قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة مَنْ كَدَّ في قلبه مثقالُ ذرة مِنْ كِبَرٍ »^(١) .

وعلى هذا فسلامة الإنسان في آخرته هي في سلامة قلبه ، ونجاته في نجاته من أمراضه المذكورة

وقد تخفى على الإنسان بعض عيوب نفسه ، وقدق عليه علل قلبه ، فيعتقد في نفسه الكمال ، وهو بُعد ما يكون عنه ، فما أنسى إلى اكتشاف أمراضه ، وأعرف على دقائق علل قلبه ؟ وما الطريق العملي إلى معالجة هذه الأمراض ، ولتحلص منها ؟

إن التصوف هو الذي اختص بمعالجة الأمراض القلبية ، وتركبة النفس والتحخلص من صفاتها الناقصة

قل ابن زكون في فائدة التصوف وأهميته :

علمٌ به تصفية لرواظن من كدورات النفس في المواطن
 قل لعلامة لمجوري في شرح هذا البيت : (التصوف علم يعرف به
 كيمية تصفية الباطن من كدورات النفس ، أي عيوبها وصفاتها المذمومة
 كاخل والحقد والحسد والغش وحب الثناء والكبر والرياء والغضب والطمع
 وابخل وتعطية لأغنياء ولاستهانة بالفقراء ، لأن علم التصوف يطلع على
 أعيب ولعلاج وكيميته ، فبعلم التصوف يتوصل إلى قمع عقات النفس
 واشتره عن أحلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة ، حتى يتوصل بذلك إلى
 تخلية القلب عن غير الله تعالى ، وتحليته بذكر الله سبحانه وتعالى »^(٢) .

(١) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان عن ابن مسعود رضي الله عنه .

(٢) « البصرة السوية » لشيخ مصطفى سمعيل لمدي عن هاشم شرح الرتبة للعاسي

أما تحلية النفس باصناف الكملة ، كالتوبة والتقوى والاستقامة والصدق والإخلاص والبرهد والنورع و التوكل والرضى و التسليم والأدب والمحبة والذكر والمرقة . فللصوفية بذلك لحظ لأوفر من الورثة السوية ، في العلم والعمل

قد رفضوا لأثام و لعبوب وطهّروا الأبدان والقلوب وبلغوا حقيقة الإيمان و انتهجوا منهج الإحسان^(١)

فالتصوف هو الذي اهتم بهذا الجانب القبيي بالإضافة إلى ما يقابله من العبادات الدنية والمالية ، ورسّخ الطريق العملي الذي يوصل لمسيب إلى أعلى درجات الكمال لإيماني ولخُلُقِي ، ورسّخ كما ينظر بعض الناس - قراءة أورداد وخلق أدكار فحسب ، فقد عاب عن أذهن الكثيرين ، أن الصوف منهج عميق كمال ، يحقق انقلاب الإنسان من شخصية منحرفة إلى شخصية مسلمة مثالية متكاملة . وذلك من الناحية الإيمانية السليمة ، وأعبده الحائصة ، والمعاملة الصحيحة الحسنة ، والأخلاق الفاضلة .

ومن هنا تظهر أهمية الصوف وقائده ، ويحى لنا بوضوح ، أنه روح الإسلام وقلبه النابض ، إذ ليس هذا الدين أعمالاً ظاهرية وأموراً شكلية فحسب لا روح فيها ولا حياه .

وما وصل لمسيبون إلى هذا الدرك من الاحتطاط ، لصعف إلا حس فقدوا روح الإسلام وحوهره ، ولم يبق منهم إلا شبحه ومظاهره

() «صوحات الإلهية في شرح المباحث الأعليّة» العلامة ابن عجيبة على هامش شرح
الحكم لابن عجيبة ج ١ / ص ١٠٥

لهذا يرى العلماء العاملين ، والمرشدين المغيورين ، ينصحون الناس بالدخول مع الصوفية والتزام صحتهم ، كي يجمعوا بين جسم الإسلام وروحه ، وليتذوقوا معاني الصفاء القلبي ، ولسمو الخُقي ، ولتحققوا ما تعرفه على الله تعالى لمعرفة انفسه ، فدخلوا بحبه ومراقبته وودوم ذكره .

قال حجة الإسلام الإمام الغزالي بعد أن احتبر طريق التصوف ، وبمسئلاته ، وذاق ثمراته : (الدخول مع الصوفية فرض عين ، إذ لا يحلو أحد من عيب إلا الأنبياء عليهم نصلة والسلام)^(١)

وقال أبو الحسن لشذلي رضي الله عنه (من سم يتعمل في علما هذا مات مصراً على لكائر وهو لا يشعر) . وفي هذا القول يقول ابن علان لصديقي (ولقد صدق فيما قال - يعني أنا احسن الشذلي - فأي شخص يا أخي بصوم ولا يعجب بصومه ؟ وأي شخص بصي ولا يعجب بصلاته ؟ وهكذا سائر الطاعات)^(٢)

ولم يكن هذا الطريق صعب المسالك على النفوس لناقصة ، وعلى الإنسان أن يجتأه بعزم وصر ومجاهدة حتى يقب نفسه من بعد الله وعصيه .

قال الفصيل بن عياض رضي الله عنه : (عليك بطريق الحق ، ولا ستوحش لفلة السالكين ، وبيك وطريق الباطل ، ولا تعتر بكثرة لهالكين وكما استوحشت من يردك فاصبر إلى الرفيق الساق ،

(١) « لنصرة السوية » على هامش شرح الرثية للهامي ص ٢٦

(٢) « يفاظ الهمم في شرح الحكم » لابن عحسة ص ٧

واحرص على لحيق بهم ، وعض الطرف عن سواهم ، فإنهم لن يغفوا
عنك من الله تعالى شيئاً ، وإذا صاحوا بك في طريق سيرك فلا تلتفت
إيهم فإنك متى التفت إليهم أخذوك وعاقبك ^(١) .

* * *

(١) « المشككي » بلشدراني ج ١ ، ص ٤

الباب الثاني

المنهج العملي في التصوف

- مقدمة
- ١- الصَّحْبَةُ
- ٢- الوارث المحمدي
- ٣- أخذ العهد
- ٤- العلم
- ٥- مجاهدة النفس
- ٦- الذكر
- ٧- المبدأكرة
- ٨- الحلاوة

مقدمة

تبين لنا في باب السابق أهمية التصوف ومكانته في تكوين الشخصية المسلمة متكاملة ، وأنه التطبيق العملي للإسلام ، وأنه يهتم بإصلاح ظاهر العبد وعمارة بطنه ، وتفويض حقيقته ، وتصحيح عباداته ومعاملاته .

ورد السادة الصوفية لا يكتفون بأن يوضحوا لباس أحكام الشرع وآدائه بمجرد الكلام النظري ، ولكنهم بالإضافة إلى ذلك يأخذون سد تميمهم ويسيروا به في هذا المارج الترقى ويرافقونه في جميع مراحل سيره إلى الله تعالى ، يحيطونه برعايتهم وعنايتهم ، ويشملونه بعطفهم وحنانهم ، ويوجهونه بحالهم وقالهم ، وينهضون به بعلو هممتهم وعظيم صدقهم ، يذكرونه إذا نسي ، ويقومونه إذا انحرف ، ويتفقدونه إذا غاب ، وينشطونه إذا فتر . وهكذا يرسمون له المنهج العملي الذي يمكنه به أن يتحقق بأركان الديس الثلاثة : الإيمان والإسلام والإحسان

إن الصوفية أرباب أعمال وأحوال لا أرباب دعاوي وأقوال ، مما أسهل الكلام والعلم ، وما أصعب العمل والتطبيق !

وما نحن نعرض في هذا الباب أهم الطرق العملية التي يطبقها رجال التصوف للوصول إلى رضا الله تعالى ومعرفته ، وما هذا المنهج العملي

إلا تطبيقاً لكتاب الله تعالى ، واقتداء برسول الله ﷺ وبأصحابه الكرام
رضوان الله عليهم .

إن الصوفية لم يتدعوا مهجاً ، لم يتكروا أسوباً ، ولكم سددوا
متبعين لرسول الله ﷺ قولاً وعملاً وأخلاقاً .

* * *

الصحبة

أهميتها وفائدتها وأثارها - الدليل عليها من الكتاب - الدليل عليها من السنة -
أقوال لعلماء ولحديثين في أهمية الصحبة - أقوال العارفين بالله

١- أهميتها وفائدتها وأثارها :

إن للصحبة أثراً عميقاً في شخصية المرء وأخلاقه وسوكه .
والصاحب يكتسب صفات صاحبه بالأثر الروحي والاقتداء العملي .
والإنسان اجتماعي بالطبع لا بد أن يختلط بالناس ويكون له منهم خلاء
وأصدقاء ، فإن اختارهم من أهل الفساد ولشر وفسوق وامحور
انحدرت أخلاقه ، وانحطبت صفاته ^{تسويجاً} حتى دون أن يشعر ، حتى يصل
إلى حضيضهم ويهوي إلى دركهم

أما إذا اختار صحبة أهل الإيمان والتقوى والاستقامة والمعرفة بالله
نعلنى فلا يلبث أن يرتفع إلى أوج علاهم ، ويكتسب منهم الخلق
القويم ، والإيمان لراسخ ، والصفات العالية ، والمعارف الإلهية ،
ويتحرر من عيوب نفسه ، ودعوات خلقه . ولهذا تُعرف أخلاق الرجل
بمعرفة أصحابه وحلسائه

إذا كنت في نوم مصاحب حيارهم ولا تصحب الأردى فتزدي مع أردى
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقسي
وما نال لصحابة رضوان الله عليهم هذا المقدم السامي والدرجة
الرفيعة بعد أن كنوا في ظلمات الجهلية إلا بمصاحبتهم برسول الله ﷺ

ومحالتهم به وما أحرز لتابعون من لشرف العظم إلا باجتماعهم بأصحاب رسول الله ﷺ .

وبما أن رسالة سيدنا محمد عليه السلام عامة حالته إلى قيام الساعة ، فإن رسول الله ﷺ وُرائاً من العلماء العا من الله تعالى ، ورثوا عن بيهم العلم والخلق والإيمان وانتقوا ، فكانوا حلفاء عنه في الهداية والإرشاد والدعوة إلى الله ، يقتسون من بوره ليصيؤوا للإسايه طريق الحق والرشاد ، فمن جالسهم سرى إليه من حالهم لدي اقتسوه من رسول الله ﷺ . ومن نصرهم فقد نصر الدين ، ومن ربط حبله بحصاهم فقد اتصل برسول الله ﷺ .

ومن استقى من هدايتهم ورشادهم فقد استقى من نبع رسول الله ﷺ .

وهؤلاء الوداث هم الذين يقلون لباس الدين ، مُمثلاً في سلوكهم ، حياً في أحوالهم ، و صحاً في حركاتهم وسكناتهم ، هم من لدي عناهم رسول الله ﷺ بقوله .

« لا تزال طائفة من أمتي طاهرين عسى الحق لا يصبرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك » (١) .

لا ينقطع أثرهم على مر الزمان ، ولا يحلو منهم قطر

وهؤلاء الوداث المرشدون صحتهم تزيق محتر ، ولعل عنهم سم

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإمامة وأخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة بلفظ آخر ، وأخرجه الترمذي في كتاب السنن ، وابن ماجه في كتاب السنة

قاتل ، هم انقوم لا يشقى بهم حليتهم ، مرفعتهم هي العلاج العملي
الفعال لإصلاح النفوس ، وتهذيب الأخلاق ، وعرس العقيدة ، ورسوخ
الإيمان ، لأن هذه أمور لا تُنال بقراءة الكتب ، ومطالعة لكراريس ،
إنما هي تحصل عمدة وجدنية ، تُقتبس بالافتداء ، وتُنال بالاستقاء
القلبي والتأثر الروحي ،

ومن ناحية أخرى ، فكأن نرسد لا يخو من أمراض قلبية ، وعلل
حفية لا يدركها نفسه ، كالرياء والتناق ولغور ولحسد ، والأنية
وحب الشهرة والظهور ، ولعجب والكبر والحرص . . بل قد يعتقد أنه
كامل الناس حُلماً ، وأقومهم ديناً ، وهذا هو الجهل المركب ، والصلال
لمبين

قال تعالى .

﴿ قُلْ هَلْ مَنِّتُمْ بِالْأَحْسَنِ أَتَنْتَلَوْنَ ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ سَلَ سَعِيهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّه
تَحْسِبُونَ ضَعْفًا ﴾ [كهف ١٠٣-١٠٤]

فكما أن المرء لا يرى عيوب وجهه ، لا بمראה صافية مستوية ، تكشف
له عن حقيقة حاله ، فكذلك لا بد للمؤمن من أخ مؤمن مخلص ناصح
صادق ، أحسن منه حالاً ، وأقوم خلقاً ، وأقوى إيماناً ، يصاحبه
وبلازمه ، فيريه عيوبه النفسية ، ويكشف له عن خفي أمراضه القلبية إما
بقوله أو بحاله .

وبهذا فان عليه الصلاة والسلام : « المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ » (١)

(١) رواه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه . رواه البخاري في « الأدب المفرد »
وقال الرين العراقي : مساده حسن . « قصص الغدير » ج ٦ / ص ٢٥٢ .

وعينا أن نلاحظ أن المرابا أنواع وأشكال ؛ فمهما اصابه المستوية . ومهما الجردء ابي تشوّه حمل الوحه ، ومهما التي كُبر أو تُصغر .

وهكذا لأصحاب ؛ فمهم لدي لا يريك نفسك على حقيقتها ، فمدحك حتى تض في نفسك الكمال ، ويدخل عليك العرور والعجب ، أو يدمك حتى تياس وتقط من إصلاح نفسك أما المؤمن لكمل فهو المرشد الصدوق الذي صلت مرآته بصحبة مرشد كمل ، ورث عن مرشد قبله وهكذا حتى يتصل برسول الله ﷺ ، وهو المرآة التي جعلها الله تعالى المثل الأعلى للإنسانية الفاضلة ؛ قال تعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب ٢١]

هنا طريق العمى الموصل لشركة النفوس ولتحلي بالكمالات الحقيقية هو صحبة لوارث المحمدي ﷺ والمرشد الصادق الذي تر داد بصحته إيماناً وتقوى وأخلاقاً ، ونشفي بملارمته وحضور مجالسه من أمراضك القلبية وعبوبك النفسية ، وتناثر شخصيتك شخصته التي هي صورة عن الشخصية امثالية ، شخصية رسول الله ﷺ

ومن هنا يتبين خفاً من يظن أنه يستطيع بنفسه أن يعالج أمراضه القلبية ، وأن يتخلص من علله النفسية بمجرد قراءة القرآن الكريم ، والاطلاع على أحاديث الرسول ﷺ . وذلك لأن الكتاب والسنة قد جمعا أنواع الأدوية بمختلف العنل النفسية والقلبية ، فلا بد معها من طبيب يصف لكل داء دواؤه ولكن علة علاجها^(١) .

(١) تسرع بعض القراء ففهم هذه العبارة على غير مرادها ، وظن أب نقصاً من أهمية =

وقد كان رسول الله ﷺ يطب قلوب لصحبة ويزكي نفوسهم بحاله وقاله

فمن ذلك ما حدث مع الصحابي الجليل أبي بن كعب رضي الله عنه قال : (كنت في المسجد ، فدخل رجل فصلني ، فقرأ قراءة أنكرتها عليه ، ثم دخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه ، فلما قضيت الصلاة دحنا جميعاً على رسول الله ﷺ ، فقلت : إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ، فدخل آخر فقرأ قراءه سوى قراءة صاحبه . فأمرهما رسول الله ﷺ فقرأ ، فحسرت أنبيي شأنهما . فسقط في نفسي من الكذب ولا إذ كنت في الحاهلية ، فما رأي رسول الله ﷺ ما قد غشيبي ضرب في صدري ، فمضت عرفاً ، وكأني أطر إلى الله عز وجل قرناً ^(١) .

ولهذا لم يستطع أصحاب رسول الله ﷺ أن يصبوا نفوسهم بمجرد قراءة القرآن الكريم ، ولكنهم لازموا مستشفى رسول الله ﷺ ، فكان هو المزكي لهم والمشرف على تربيتهم ، كما وصفه الله تعالى بقوله :

= لقرا القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وزهد في تلاوتهما ، واحقيقه أن حال لتصوف هم أكثر الناس تعظيماً لهما وتمسكاً بهما .

ففي عبارة (بمجرد قراءة القرآن الكريم) يعني إلى أنه لا يكفي لاقتصار على قراءة القرآن الكريم والسنة الشريفة بل لا بد أيضاً من الفهم والعمل ، ومن لعلوم أن الكتاب والسنة يدعوان للصحة الصالحة كما سنوضحه في بحث (الدليل على أهمية الصحة من الكتاب والسنة) .

وفي عبارة : (فلا بد منهما) تصريح واضح يلزم قراءة القرآن الكريم والسنة الشريفة ، ثم يضاف إلى ذلك صحة المرشدين الذين يزكون النفوس ويحضون الناس على قراءة وتطبيق الكتاب والسنة .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في باب بيان القرآن عن مبعده أحرف

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة ٢] .

فالتركية شيء ، وعليه القرآن شيء آخر ، إذ لمراء من قوله تعالى : ﴿يُزَكِّيهِمْ﴾ يعطيهم حاة لتركية ، ففرق كبير بين علم التزكية وحالة التزكية كما هو انفرق بين علم الصحة وحاة الصحة ، والجمع بينهما هو الكمال

وكم نسمع عن أناس متحيرين يقرأون لقران الكريم ، ويطلعون على العلوم الإسلامية الكثيرة ، ويتحدثون عن لوسوس الشيطانية ، وهم مع ذلك لا يستطيعون أن يتخلصوا منها في صلاتهم!

وإذ ثبت في الطب الحديث أن الإنسان لا يستطيع أن يطب نفسه بنفسه ولو قرأ كتب الطب ، بل لا بد له من طب يكشف خفايا عليه ، ويطب على م عمي عليه من دقائق مرضه ، فإن الأمراض لقلبية ، والعلل النفسية أشد احياحاً للطب المركبي ، لأنها أعظم خطراً ، وأشد خفاء وأكثر دقة .

ولهذا كان من المفيد عمياً توكية النفس والسخن من عللها على يد مرشد كامل مأذون بالإرشاد ، قد ورت عن رسول الله ﷺ العزم ولتعوى وأهلية التزكية والتوجيه .

وها نحن نورد لك يا أخي من كتاب الله تعالى ، وستة رسوبه ﷺ ، ومن أقوال علماء الشريعة من المحدثين ، ولفقهاء ، وإهداء المرشدين لعرفين بالله ما يشب أهمية صحة ابدانين على الله الوارثين عن رسوبه ﷺ ، وما في ذلك من الاثا الحسنة ، والسائج الطيبة

٢- الدليل على أهمية الصحبة من كتاب الله تعالى

١- قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾
[التوبة ١١٩] . والصادقون هم لصفوة من المؤمنين الذين عناهم الله
بقوله : ﴿ مِنْ آمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [الأحراب ٢٣]

٢- قال تعالى : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَنَى
يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلَ قَلْبُهُ
عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف ٢٨]

الخطاب هنا لرسول الله ﷺ من قبيل تعليم أمته وإرشادها

٣- قال تعالى : ﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ [سعد ١٥] أناب :

رجع

٤- قال تعالى : ﴿ وَتَوَمَّنْ يَعْصِ الطَّيْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ يَكْفُلُ يَلَيْتَنِي أَنَّمَا دُتْ مَعَ
الرَّسُولِ مَسِيلًا ﴿٢٧﴾ يَتَوَلَّوْا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا حَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَصَلَّنِي عَنِ ابْنِ صَرْجٍ فَلَمْ
يَدْعُنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾ [المرقان ٢٧-٢٨] .

٥- قال تعالى ﴿ أَلَا جَلَاءَ يَوْمَ يُعْصَفُ عَنْهُمْ قُدُورُهُمْ إِلَّا الْمُنْقِبُونَ ﴾

[الرحر ١٧]

٦- قال تعالى ﴿ ثُمَّ أُنشِرَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَشَنَّى بِهِ خَبِيرًا ﴾

[المرقان ٥٩] .

٧- قال تعالى حاكياً على لسان سيدنا موسى عليه السلام حين التقى

بالخضر عليه السلام بعد عزم صادق ، وعناء طويل ، وسفر شاق :

﴿ هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴿١٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾

[الكهف ٦٦-٦٧] .

٣- الدليل على أهمية الصحبة من الأحاديث الشريفة :

١- قال رسول الله ﷺ « إِمَّا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَحِيسِ اسْوَاءِ كَحَامِلِ لِمَسِّهِ ، وَدَفْعِ الْكَبِيرِ ، فَحَامِلُ الْمَسِّ إِمَّا أَنْ يُخْدِثَكَ (يعصيت) وَإِمَّا أَنْ نَبْتَاعَ مِنْهُ ، وَإِمَّا أَنْ تَحْدِثَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً ، وَدَفْعُ الْكَبِيرِ إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ فِيهِ رِيحاً مُسْتَنَةً » (١)

٢- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قيل يا رسول الله أيُّ جلسائنا خير ؟ قال « مَنْ ذَكَرَكُمْ اللَّهَ رُؤْيَتْهُ ، وَرَادَ فِي عِلْمِكُمْ مَنْطِقُهُ ، وَذَكَرَكُمْ فِي الْآخِرَةِ عَمَلُهُ » (٢)

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ . « الرَّجُلُ عَلَى دَيْرٍ حَيْثُ ، فَيَسْطَرُ أَحَدَكُمْ مِنْ بَحَائِلِ » (٣)

٤- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ . « مَنْ عَبْدَ اللَّهِ لِأَنَابٍ مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ ، يَغْنَصُهُمُ الْاَنْبِيَاءُ وَاشْهَدَاءُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ ، قُلُوبًا . يَا رَسُولَ اللَّهِ فَحُزْنَا مِنْ هُمْ ؟ قَالَ هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا نُزُوحَ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَبُونَهَا ، فَوَاللَّهِ إِنْ وَجَّهَهُمْ لِنُورٍ ، وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ ، وَلَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ . وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزَنَ النَّاسُ ، وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ . ﴿ أَلَّا يَأْتِيَ اللَّهُ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يس ١٦٦] » (٤)

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتب الاستيعاب ومسلم في كتاب البر والصلة عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه

(٢) رواه أبو يعنى ورجاله رجال صحيح كتاب في « مجمع الروائد » ج ١٠ / ص ٢٢٦ .

(٣) رواه أبو داود والترمذي في كتاب البرهدة وقال حديث حسن غريب .

(٤) رواه أبو داود

٥- عن أبي ذر رضي الله عنه قلت : يا رسول الله ؛ ارجل يحب لقوم ولا يستطيع أن يعمل عملهم ؟ قل : « أنت يا أبا ذر مع من أحببت »^(١)

٦- عن حنظلة رضي الله عنه قال . لقيني أبو بكر رضي الله عنه ، فقال كيف أنت يا حنظلة ؟ قلت . نافع حنظلة . قال : سبحان الله ، ما تقول ؟ قلت . نكون عند رسول الله ﷺ نذكرنا بالجنة والباركأ رأي العين ، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات سينا كثيراً قال أبو بكر رضي الله عنه « فوالله إن لنلقى مثل هذا » فاطلعت أنا وأبو بكر حتى دحبت على رسول الله ﷺ . فقلت نافع حنظلة يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ . « وما ذاك ؟ » قلت : يا رسول الله نكون عندك تكرم بالبار والجنة كأننا رأي العين ، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والضيعات ، سينا كثيراً . فقال رسول الله ﷺ : « ولدي بفتي بيده ليريدون على ما تكونون عدي وفي الذكر لصفحتكم لملائكة على فرشكم وفي طرْفكم ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة - ثلاث مرات - »^(٢)

إن هذه الأحاديث اسالمة الذكر وكثيراً غيرها تبين بمجموعها أهمية الصلحة ، وأثرها في انفس ، وأنها السيل العملي للإصلاح والتربية . ولا سيما حديث حنظلة الذي يظهر بوضوح كيف كانت محالسة رسول الله ﷺ تشع في القلوب أنوار اليقين ، وتُركي هي النفوس جذوه

(١) رواه أبو داود .

(٢) رواه مسلم في صحيحه في كتاب التوبة رمي عافساً . عابج رلاء ، والضيعات : جمع صيغة وهو معاش الرخص من مال أو حرفه أو صناعة

لإيمان ، وترتفع بالأرواح إلى مستوى ملائكي أقدس ، وتطهر القلوب من أدران المادة ، ونسمو بالإيمان إلى مستوى المرافقة والشهود وهكذا مجالسة وُزَّات رسول الله ﷺ وصحبهم . تُركي اسموس ، وتزيد الإيمان ، وتوقظ القلوب وتدرك بالله تعالى ، والبعد عنهم يورث العملة ، واشغال القلب بالدنيا ، وميله إلى مع الحياه لرائلة

٤- أقوال الفقهاء والمحدثين في أهمية الصحبة وأدائها :

ابن حجر الهيثمي :

يقول الشيخ الفقيه المحدث أحمد شهاب الدين بن حجر الهيثمي المكي في كتابه « لفتاوى الحديثية » . (والحاصل أن الأوسى بالسالك قبل الوصول إلى هذه المعارف أن يكون هديماً بما يأمره به أمساده لحامع لطرفي الشريعة والحقيقة ، فإنه هو الطيب الأعظم ، فمقتضى معارفه الدوقية وحكمه الرنة ، يُعطي كل بدنة وحقق ما يراه هو اللاتق بشفائها والمصلح لغذائها)^(١) .

الإمام فخر الدين الرازي :

قال الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره المسهور عند تفسيره سورة الفاتحة (الباب الثالث في الأسرار العقبية المستسطة من هذه لسورة (الفاتحة) فيه مسائل . اللطيفة الثالثة قال بعضهم إنه لما قال ﴿ هَذِهِ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ لم يقصر عليه بل قال ، ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة ١٠] وهذا يدل على أن المرید لا سبيل له إلى

(١) « لفتاوى الحديثية » ص ٥٥ لمحدث أحمد بن حجر الهيثمي المكي توفي سنة ٩١٤هـ

الوصول إلى مقامات إهداية والمكاشفة إلا إذا اقتضى شيخ يهديه إلى سواء السبيل ، ويجنبه عن مواقع الأعاليط ولأصايل ، وذلك لأن النقص غالب على أكثر الخلق ، وعقولهم غير رؤية بإدراك الحق وتمييز الصواب عن الغلط ، فلا مد من كامل يقتدي به انتقص حتى يتقوى عقل ذلك الناقص نور عقل لكامل ، فحينئذ يصل إلى مدرج السعادات ومدرج الكمالات (١) .

الشيخ إبراهيم الباجوري .

قال شيخ الإسلام إبراهيم الباجوري لشافعي عند شرحه كلام لشيخ إبراهيم اللقني صاحب « جوهرة التوحيد »

وكن كم كد خير الخلق (٢) خليف جلم ناع بلحق

(أي كن منصفاً بأخلاق مثل الأخلاق) كان عليها خير الحق
إني أن قل : وإذا كانت المحاودة على يد شيخ من لعارفين كانت أرفع ،
لقولهم حال رجل في كف رجل أنعم من وعظ أهب رجل في رجل
فيسبغ لشيخ أن يلزم شيخاً عرفاً على الكتب والسنة ، أن يزمه قبل
الأخذ عنه فإن وجد على الكتاب والسنة لازمه ، وتأدب معه ، فعساه
يكتسب من حاله ما يكون به صفاء باطنه ، والله يتولى هذه (٣)

(١) تفسير مفاتيح الحب : أشهر التفسير لكسر الإمام محمد بن العربي
ج ١ / ص ١٤٢ .

(٢) شرح لجوهرة : الباجوري ص ١٣٣ . والشيخ إبراهيم الباجوري شيخ الأهر في
عصره وهو من العلماء الأعلام ومن المحققين في المذهب لشافعي توفي عام
١٢٧١ هـ .

ابن أبي جمرة .

شرح الإمام الحافظ المحدث أبو محمد عبد الله بن أبي حمزة الأزدي الأندلسي حديث رسول الله ﷺ . عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال . (جاء رجل إلى النبي ﷺ ، فاستأذنه في لجهاد فقال : « أخى ولدك ؟ » قال نعم ، قال ففيمهما فجاهد) وبعد أن شرحه بين عشرة وجوه له ، قال في الوجه العاشر :

(فيه دليل على أن الدخول في السبوك ولمجاهدات ، أسئة فيه أن يكون على يد عارف به ، فيرشد إلى ما هو الأصلح فيه ، والأسد بالسببة إلى حال السالك لأن هذا لصحابي رضي الله عنه لما أن أورد الحروح إلى الجهاد لم يسد رأي نفسه في ذلك حتى استشار من هو أعلم منه وأعرف ، هذا ما هو في الجهاد الأصغر فكيف به في الجهاد الأكبر ؟)^(١)

ابن قيم الجوزية

قال الحافظ أبو عبد الله محمد الشهير بابن القيم (فإذا أراد العبد أن يفتدي برجل ، فليصبر هل هو من أهل الذكر أو من العافلين ، وهل الحاكم عليه الهوى أو الوحي ؟ فإذا كان لحاكم عليه هو الهوى ، وهو من أهل عمله كان أمره قرطاً إلى أن قال : فينبغي للرجل أن يصبر في شيخه وفسوته ومتبوعه ، فإن وحده كذلك فليبعد منه . وإن وجدته ممن علب عليه ذكر الله تعالى ، واتبع السنة ، وأمره غير مفروط عليه ، بل هو حارم في أمره ، فليستمسك بعززه)^(٢)

(١) « بهجة النفوس » شرح مختصر صحيح البخاري لابن أبي حمزة الهروي سنة ٦٩٩ هـ . ج ٣ / ص ١٤٦

(٢) « الواسع الصب من الكلم الصب » ص ٥٣ لابن قيم الجوزية ج ١ ص ٧٥١ هـ

عبد الواحد بن عاشر :

قال الفقيه المالكي عبد الواحد بن عاشر في منظومة العقائد وعبادات
فقه مالك المسمدة « المرشد المعين » مبيهاً ضرورة صحبة الشيخ المرشد
وما تنتج من آثار طيبة :

يُصَحِّبُ شَبِيحاً عَارَفَ الْمَسَالِكِ	تَقْبِيهِ فِي صَرِيقِهِ لَمَهَابِلِكِ
يُذَكِّرُهُ لِسَهْ إِذَا رَأَاهُ	وَيُوصِلُ الْعَسَدَ إِلَى مَوْلَاهُ
يُحَسِبُ النَّفْسَ عَلَى الْأَنْفَاسِ	وَيَزِنُ الْخَاطِرَ بِالْقِسْطَاسِ
وَيَحْفَظُ الْمَهْرُومَ رَأْسَ الْمَالِ	وَالثَّمَلَ رِجْلَهُ بِهَيُولِي
وَيُكْثِرُ الذِّكْرَ بِصَفْوِ لُبِّهِ	وَالْعُودَ فِي جَمِيعِ ذُرْبَتِهِ
يَجْهَدُ أَنْفُسَ لَرَبِّ الْعَالَمِينَ	وَيَتَحَنَّى حَفَامَاتِ الْيَمِينِ
يَصِيرُ عِنْدَكَ عَارِفٌ لَهُ	خَيْرًا ، وَغَيْرُهُ خَلَا مِنْ قَبْهِ
فَحَبَّاهُ الْإِلَهَ وَاصْطَفَاهُ	مَحْصِرَةَ الْقُدُوسِ وَخَتَبَاهُ

قال شارح هذه المنظومة لشيخ محمد بن يوسف المعروف بالكافي
في كتابه « النور لمعين على المرشد المعين » : (إن من نتائج صحبة
الشيخ لسالك ، ما يحصل لمريده من أنه يذكره الله ، أي يكون سبباً قريباً
هي ذكر المريد له إذا رأى الشيخ لم عليه من امهانة التي ألبسه الله
إياها ، ويشهد لذلك ما أخرجه الحاكم عن أس رضي الله عنه (أفصلكم
الدين إذا رؤوا ذكركم الله تعالى لرؤيتهم)

ومن ثمرة صحبة هذا الشيخ لسالك أيضاً أنه يوصل لعبد إلى موله
سبب ما يريه من عيوب نفسه ، ونصحه بالنهروب من غير الله إلى الله
تعالى ، فلا يرى لنفسه ولا لمخلوق نفعاً ولا ضرراً ، ولا يركن لمخلوق في

دفع أو جلب ، بل يرى جميع الانقلابات وانتصرفت في الحركات
والسكنات لله تعالى ، وهذا معنى الوصول إلى الله تعالى

فائدة لشح مع المريد هي :ظهار العيوب القصة عن الله تعالى
للمريد ، ويشخصها له ، ويريه دواءها ، ولا يتم هذا إلا مع مريد صادق
ألقى مقاليد نفسه لشيخه ، وألزم نفسه ألا يكتب خاطراً ما عن شيخه ، وما
إذا كتبه ولو واحداً فلا ينتفع بشيخه البتة ^(١)

الطبي صاحب « حاشية الكشف » :

قال الطبي . (لا يسغي بلعلم - ولو تبخر في العلم حتى صار واحداً
أهل زمانه - أن يقنع بما علمه ، وإسا لوجب عليه الاجتماع بأهل
الطريق ليدلوه على الطريق المستقيم ، حتى يكون ممن يحدثهم الحق في
سرائرهم من شدة صفاء باطنهم ، ويخلص من الأدناس ، وأن يحتسب
ما شاب علمه من كدورت الهوى وخطوط نفسه الأماراة بالسوء ، حتى
يستعد فيصال العلوم المذكية على قلبه ، ولاقتباس من مشكاة أنوار
النبوة ، ولا يتيسر ذلك عدة إلا على يد شيخ كامل عالم بعلاج أمراض
النفوس ، وتطهيره من الجاسات المعوية ، وحكمة معاملاتها علماً
ودوقاً ، ليخرجه من رعونات نفسه الأثارة بالسوء ودسائسها الخفية .
فقد أجمع أهل الطريق على وجوب اتخاذ الإنسان شيخاً له ، يرشده إلى
زوال تلك الصفات التي تمنعه من دخول حضرة الله بقلبه ، ليصح
حضرده وحشوعه في سائر العادات ، من رب ما لا يتم لواحد إلا به
فهو واجب ، ولا شك أن علاج أمراض اساطن وجب ، فوجب على كل من

(١) « النور لمبين على المرشد المعين » ص ١٧٨

علبت عليه الأمراض أن يطلب شيخاً يُحرّجه من كل ورطة ، وإن لم يجد في بلده أو إقيمه وجب عليه السفر إليه ^(١) .

٥- أقوال العارفين بالله من رجال التصوف في فائدة الصحة وآدابها

إن السادة لصوفية هم أحرص الناس على حياة عبدة حلصة ، تقوم أسسها على السمع والطاعة ، والإذعان للصيحة بأصح ، أو بوحية مرشد ، فنشأت بينهم تلك المدرس لروحية لني قامت على أعظم أساليب التربية والتقويم ، وأقوى صلوات الروح بين الشيخ وامريد

ولد يوصي العارفون بالله تعالى كل من أراد سلوك صريّة الحق لموصل إلى معرفة الله ورضاه بالصّحية ، وروحها الاعتقاد والتصديق هؤلاء المرشدين لـالذين على الله تعالى ، الموصولين إلى حصرنه لـقدوسية

أبو حامد لغزالي :

قال الإمام حجة الإسلام أبو حامد لـعراني رحمه الله تعالى .
(الدخول مع لصوفية فرص عين ، إدا لا يحلو أحد من عيب أو مرض إلا لأبياء عليهم السلام) ^(٢)

وقال رحمه الله : (كنت في مدأ أمرى منكراً لأحوال الصالحين ، ومقامات اعباس ، حتى صحت شيخني (يوسف النـساح) فلم يزل بصقلني بالمجاهدة حتى خضيت باواردات ، فرأيت الله تعالى في لـسام ، فقال لي . يا أبا حامد ، دع شواعلك ، واصحب أقواماً جعلتهم

(١) « توير القلوب » لـعلامة اشيخ أمير الكردى الشافى ص ٤٤ - ٤٥

(٢) « شرح الحكم » لـابن عجيبة ج ١ ص ٧

في أرضي محل بصري ، وهم ليس بأعداء الدارين حبيبي ، قلت : بعزتك
إلا أذنتني بزدة خشن الظن بهم ، قال : قد فعلت ، ولقاطع بيك وسهم
تشاعلك بحب الدنيا ، فاخرج منها محتاراً قبل أن تخرج منها صاغراً .
فقد أفصت عليك أنوراً من جوار قدسي . فاستقظت فرحاً مسروراً
وحثت إني شيعي (يوسف السباعي) فقصصت عليه المسم ، فتبسم
وقل : يا أبا حامد هذه الواحد في البداية ، بل إن صحبتني ستكحل
بصيرتك بإحمد التأيد . . الخ (١) .

وقال أيضاً (مما يجب في حق سالك طريق الحق أن يكون له مرشد
ومربٍ ليدله على الصريق ، ويرفع عنه الأحلاق المذمومة ، ويضع مكانها
الأحلاق المحمودة ، ومعنى التربية أن يكون المربي كالأرض الذي يربي
الزروع ، فكلما رأى حجراً أو نباتاً متصبراً بالزروع قلعه وطرحه خارجاً ،
ويسقي الزرع مرراً إلى أن ينمو ويتربى ، سيكون أحسن من غيره ؛ إذ
علمت أن الزرع محتاج للمربي ، علمت أنه لا بد للسالك من مرشد
الشيء ، لأن الله تعالى أرسل الرسل عليهم الصلاة والسلام لخلق ليكونوا
دليلاً لهم ، ويرشدوهم إلى الطريق المستقيم ؛ وقبل انقضاء المصطفى
عليه الصلاة والسلام إلى الدار الآخرة قد جعل الخلفاء الراشدين نواباً عنه
ليدوا لخلق إلى طريق الله ؛ وهكذا إلى يوم القيمة ، فالسالك
لا يستغني عن المرشد البتة (٢) .

ومن قوله : (يحتاج امرئ إلى شيخ وأستاذ يقتدي به لا محالة

(١) « شخصيات صوفية » لطلح عبد الباقي سرور ص ١٥٤ . توفي سنة ١٣٨٢ هـ بمصر .

(٢) « خلاصة التصنيف في انصاف » لحجة الإسلام العراقي ص ١٨ . توفي سنة

٥٠٥ هـ في طوس .

ليهديه إلى سواء السبيل ، فب سبيل الدين عامض ، وسبل لشيطان كثيرة طهرة فمن لم يكر نه شيخ يهديه ، قدده الشيطان إلى طرفه لا محالة فمن سلك سبيل ابودي لمهلكة بعير خمبر فقد حصر نفسه وأهلكه ، ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي تنبت بنفسها فإنها تحف على القرب ، وإن بقيت مدة وأورفت سم ثمر ، فمعتصم المريد شيخه ، فلمسك به (١) .

ويقول الغرالي : (إن الله عز وجل إذا أرد بعد حيراً بضره عيوب نفسه ، فمن كانت بصيرته نافذة لم تحف عيه عيوبه ، فإذا عرف العيوب تمكه العلاج . ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدهم لقذئ في عين أخيه ولا يرى الحذع في عين نفسه ، فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربعة طرق :

الأول أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفي آفات ، ويحكمه في نفسه . ويتبع بشاراته في محادثاته ، وهذا شأن المريد مع شيخه ، والتلميذ مع أستاذه ، فيعرفه أستاذه وشيخه عيوب نفسه ، ويعرفه طريق علاجها . . . الخ) (٢) .

الأمير عبد القادر الجزائري .

قال الأمير اعرف بالله عبد القادر الجزائري في كتابه « المواقف » :

(لموقف له لله والواحد واحمسون قال الله تعالى حاكياً قول موسى لخصر عليهما السلام : ﴿ هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَعْلَمِينَ مِمَّا عَلَّمْتُ (شَدَا) ﴾ [الكهف ٦٦] اعلم أن امرئ لا يتنفع بعلوم الشيخ وأحواله ، لا إذا اتقاه

(١) « الإحياء » ج ٣ / ص ٦٥

(٢) « الإحياء » ج ٣ / ص ٥٥

به الانبياء لهم ، ووقف عند أمره وبهيه . مع اعتقاده لأفضلية
والأكملية ، ولا يعني أحدهم عن الآخر ، كحال بعض الناس يعتمد في
الشيخ عاية الكمال ويظن أن ذلك يكفيه في نيل عرصه ، وحصول
مصلبه ، وهو غير ممثّل ولا فاعل بما بأمره الشيخ به ، أو يبهه عنه
فهذا موسى عليه السلام ، مع حلالة قدره وفحامة أمره ، طلب لقاء
الحضر عليه السلام وسأل لسبيل إلى لقيه . وبجشم مشاف ومتاعب في
سفره ، كما قال ﴿ لَقَدْ لَبِيتُ مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾ [الكهف ٦٢] ومع هذا
كله لما لم يمثل بهياً واحداً ، وهو قوله ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُخْبِرَ
لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ [الكهف ٧٠] ما اتمع بعلوم الحضر عليه السلام ، مع بقر
موسى عليه السلام الجارم أن الخضر أعلم منه بشهادة الله تعالى ، لقوله
تعالى عندما قال موسى عليه السلام لا أعلم أحداً أعلم مني . [بلى .
عبد الحضر] وما حصن علماً بدور علم ، بل عنه

وكان موسى عليه السلام أولاً ما علم أن استعداده لا يقل شيئاً من
علوم خضر عليه السلام ، وأما خضر عليه السلام ، فإنه علم ذلك أول
وهله فقال : ﴿ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ [الكهف ٦٧] . وهذا من شواهد
علمية الحضر عليه السلام فليظن العاقل إلى أدب هدير السدين

قال موسى عليه السلام : ﴿ هَلْ أَتَعَبَكَ عَنِّي أَنْ تُعَلِّمَ مِنِّي مِمَّا تُرِشِدُنِي ﴾
[الكهف ٦٦] أي هل تأدب في اتباعك ، لا تعلم منك ؟ فهي هذه
الكلمات من حلالة لأدب ما يدور فيها كسليم الذوق

وقال حضر عليه السلام ﴿ فَإِنْ أَسْعَفَتْنِي فَلَا تَشْكُنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُخْبِرَ لَكَ
مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ [الكهف ٧٧] وما قل فلا تسألني ، وسكت ، فيقضي موسى
عليه السلام حيران متعطشاً ، بل وعده أنه يحدث له ذكراً . أي علماً
بالحكمة فيما فعل ، أو ذكراً بمعنى . تذكر

وأكمليّة الشيخ في لعدم لمطلوب منه المقصود لأجله لا تعني عن
أمره شيئاً ، إذا لم يكن معشياً لأوامر لشيخ ، محضاً لسواهيه
وما يقع الأصل من هاشم إذا كانت النفس من ناحية
وإذا تمتع أكمليه شيخ من حيث دلالة الموصية إلى المقصود ،
والأفشيخ لا يعطي لمريد إلا ما أعطاه به استعداد ، واستعداده مُنْطَوِّ
فيه وفي أعماله ، كالطبيب الماهر إذا حضر لمريض وأمره بأدوية فلم
يستعملها المريض ، فما عسى أن تعني عنه مهارة الطبيب ؟ وعدم امتثال
لمريض دليل على أن الله تعالى ما أراد شفائه من علته ، فإن الله إذا أراد
أمراً هيأ له أسبابه .

وإذا وحب على لمريد طلب لأكمل الأفضل من المشيخ حشبه أن
يلقي قيادته بيد جاهل بالعريق الموصى به المقصود ، فيكون ذلك عوناً
على هلاكه (١) .

(١) « المونف » ج ١ ص ٣٠٥ والأمير عبد القادر الحرثي لمجاهد الكبير الذي حارب
الأفراسيين الطغاة ، ووقف بدأ مبغياً دم الاستعمار الفرنسي صعدة عشر عاماً
مجاهداً ومناصباً أشهر من أن تعرف

ورنه عرب على الأسجاع فولما بتصوف الأمير عبد القادر الحرثي ، مع أنه من
صمونيهم ، وكنانه « موانف » يشهد له بذلك ، له ديوان عرس لحجم أطوار
قصيده فيه لوائه وعوايدها أسادي الصوفي ، اخبرنا القاري بعض أبياتها
ومثلت جيوش انحصار ليس لها ذكر
يحدثني عنكم ، فبعثني استخراً
بعيد ، ألا فاذن فعلي بك الدهر
جراح شتياق ، ليس يُحسنى له كسر
أحصى به دحمي ومة لها البشر
ولا عجب ، فاشأ أن أصحني له أمر =
مُسعود جاء لسعد والخيبر والسر
سائل ذكر الحلو ، هر من مُحبر
إلي أن دعيتي همة الشيخ من مدي
فشفرت عن ديني الأطار وطار بي
في أن أنكب بالهضاح كسا
ثاني مؤتي لمبارين بهمه

ابن عطاء الله السكندري

يقول بن عطاء الله السكندري رضي الله عنه (ويستغي من عرم على الاسترشاد ، وسلوك طريق الرشاد ، أن يبحث عن شيخ من أهل التحقيق ، سالك بطريق ، يدرك لهُوه ، رشح القدم في خدمة مولاه فإذا وحده فليمثل ما أمر ، وليتبه عما نهى عنه ورحر)^(١) .

وقال أيضاً (ليس شيخك مَنْ سمعت منه ، وإنما شيخك من أخذت عنه ، وليس شيخك من واحببت عبارته ، وإنما شيخك الذي سَوَّتَ فبك إشارته ، وليس شيخك من دعاك إلى الباب ، وإنما الذي رَفَعَ بينك وبينه الحجاب ، وليس شيخك من واحببت مقالته ، وإنما شيخك الذي بهض بك حانه .

وقال في منتهى أعيان البحيرة - لمنظر لفيك ، يا به السدر
فأت شني . مد « ألبت بريكم »
وخلدك ند أعطك من قديم لا
مقلت من أقدمه وساطه
والهي عن صفري^(١) بركسر سر
محمد انفا سي ، له من محمد
عيب صلاة الله م قد نائل

ولد الأمير سنة ١٢٢٢ هـ الموافق ١٨٠٧ م بقرية قيطنة في الجزائر .
وموت في سنة ١٢٠٠ هـ الموافق ١٨٨٣ م ودفن بجوار الشيخ الأكبر محي
الدين بن عربي داخل القبة رحمة الله تعالى عليهما . ثم نقل رقاته إلى بلدة انجرات
عام ١٣٨٦ هـ الموافق ١٩٦٦ م .

(١) الصغر هو الخمس

(١) « منتهى إصلاح » ص ٣٠ .

شبحك هو الذي أخرجك من سجن الهوى ، ودخل بك على لمولئ .

شبحك هو الذي ما زال يجلو مرآة قلبك ، حتى تجلّت فيها أنوار ربك ، أنهضك إلى الله فنهضت إليه ، وسار بك حتى وصلت إليه ، وما راى محاذياً لك حتى لقاك بين يديه ، فرح بك في نور الحضرة وقال : ها أنت وربك ^(١) .

وقال أيضاً : (لا تصحب من لا يُهضك حاله ، ولا يدلك على الله مقالته) ^(٢) .

الشيخ عبد القادر الجيلاني :

ويقول صاحب العبيدة سيدي عبد القادر الجيلاني قدس الله سره :

وإن ساعد المقدور أو ساقط لقض	إلي شيخ حق ، في الحقيقة نارغ
فقم في رصده . واثع لمراده	ودع كل ما من قل كنت تسارع
ولا تعترض فيما جهل من مره	عليه ، فإن الاعرض تسارع
فهي قصة لخصر الكريم كمدية	بقتل غلام ، ولكيم يدافع
فما أضاء الصبح عن ليل سره	وسل حساماً لمعياهب قاطع
أقام له العذر لكيم وإنه	كذلك عم القوم فيه بدائع ^(٣)

(١) « لطائف المص » ص ١٦٧ .

(٢) « إيضاح الهمم » في شرح حكم ابن عطاء الله لسكسري المتوفى سنة ٦٠٩ هـ لأحمد بن عجيبة الحسيني ح ١ / ص ٧٤

(٣) « فوج الغيب » لجيلاني ، من قصيدة تسمى « أبو در لعبيدة في الوارد الغيبة » في ٥٢٤ بيتاً ص ٢٠١ ، وبوف في رصي لله عنه سنة ٥٦٦ هـ في بغداد

الشيخ عبد الوهاب الشعراني

قال العارم الرباعي الشيخ عبد الوهاب الشعراني في كتابه «العهد
المحمدية» :

(أُجِدُّ عَلِيًّا لِعَهْدِ الْعَمِّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَطْبَقَ عَلَى الرُّكْعَتَيْنِ
بَعْدَ كُلِّ وَصْوَةٍ ، بِشَرَطِ الْأَلَّا حَدَّثَ فِيهِمَا أَحَدُنَا بِشَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا ، أَوْ
شَيْءٍ لَمْ يُشْرَعْ لَنَا فِي صَلَاةٍ . وَيَحْتَاجُ مَنْ يَرِيدُ لِعَمَلِ بِهِمَا لِعَهْدِ إِلَى
شَيْخٍ يَسْلُكُ بِهِ . حَتَّى يَقْطَعَ عَنْهُ اخْتِصَارَ الْمُشْعَلَةِ عَنْ حُطَابِ اللَّهِ تَعَالَى .
ثُمَّ قَالَ

فَاسْتَكْ يَا أَحْيَى عَلَى يَدِ شَيْخٍ صَاحِبٍ ، يَشْعَلُكَ اللَّهُ تَعَالَى ، حَتَّى يَقْطَعَ
عَنْكَ حَدِيثَ انْتِخَافِ فِي الصَّلَاةِ كَقَوْلِكَ : «رُوحُكَ كَذَا ، أُنْفُسُكَ كَذَا ، أَقُولُ
كَذَا ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ ، وَإِلَّا فَمِنْ لَزِمِكَ حَدِيثُ انْتِخَافِ فِي الصَّلَاةِ ،
وَلَا يَكَادُ يَسْلُكُ لَكَ مِنْهُ صَلَاةٌ وَاحِدَةٌ . لَا فَرَصَ وَلَا مَعْرَ ، فَاعْلَمْ ذَلِكَ ،
وَأَيْدِيكَ أَنْ تَرِيدَ أَوْصُولَ إِلَى ذَلِكَ بِعَبْرِ شَيْخٍ ، كَمَا عَلَيْهِ طَائِفَةُ الْمُحَادِثِينَ
بِغَيْرِ عَمٍّ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَصِحُّ لَكَ أَبَدًا»^(١) .

وقال الشيخ الشعراني أيضاً : (وكنت صور مجاهداني نفسي من
غير شيخ أبي كنت أطلع كتب القوم في «رسالة الصفيري» ، و«عوارف
المعارف» و«انقوت» لأبي طالب المكي و«الإحياء» للبرالي ، ونحو
ذلك ، وأعمل بما ينقدح لي من طريق أهم ، ثم بعد مدة يدولي خلاف
ذلك فأترك الأمر لأول وأعمل ما شئت . وهكذا . فكنت كأني يدحل
درباً لا يدري من ينهد أم لا ؟ فإن رآه نادياً أخرج منه ، وإلا رجعت ، ولو

(١) «نوافح الأنوار القدسية في جلال العهد للمحمدية» للمعارف والله عبد الوهاب
الشعراني ح ١ / ص ٥١ توفي رضي الله عنه سنة ٩٧٣ هـ في مصر .

أبه اجمع ممن يُعرِّفه أمر الدرب قبل دخوله لكان يئس له أمره وأراحه من التعب ، فهذا مثال من لا شيخ له . فإن فائدة الشيخ إنما هي اختصار الطريق للمريد ، ومن سلك من غير شيخ تاه ، وقطع عمره ولم يصل إلى مقصوده ، لأن مثال الشيخ مثال دليل الحجاج إلى مكة في اللبالي المظلمة ^(١) .

وقال أيضاً : (و هو أن طريق القوم يوصل إليها بلصم من غير شيخ بسر الطالب فيها لما احتج مثل حجة الإسلام الإمام الغرلي واشيخ عر الدين بن عبد السلام أحد أدبهما عن شيخ مع أنهما كانا يقولان قبل دخولهما طريق لقوم كل من قال : إن ثمَّ طريقاً للعلم غير ما بأيدينا فقد افترى على الله عروحل . فلما دخلا صريق اقوم كانا يقولان : قد صيغنا عمرنا في البطالة والاحتجاب وأثبتنا طريق لقوم ومدحها ^(٢)) .

ثم قال (وكفى شرفاً لأهل الطريق قول السيد موسى عليه السلام لسخنر ﴿ هُنَّ تَبِعُكَ عَلَى أَنَّهُ تَعَلَّيْنِ مِمَّنْ شَدَّ الشَّدَا ﴾ [الكهف ٦٦])

واعتراف الإمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه وأرضاه لأبي حمزة أبعدي بالفصل عليه ، و عتراف الإمام أحمد بن سريج رحمه الله لأبي لهاسم لحيد ، و طلب الإمام لغرلي له شيخاً يدلّه على الطريق مع كونه من حجة الإسلام ، وكذلك طلب اششيخ عر لسين بن عبد السلام له شيخاً مع أنه لُقِّبَ بسطان العنماء . . . كان رضي الله عنه يقول : ما عرفت الإسلام الكامل إلا بعد اجتماعي على الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه وأرضاه . فإذا كان هذان اششخان قد احسنا إلى

(١) « طائف المر والأخلاق » للإمام الشعري ج ١ / ص ٤٨ - ٤٩ .

(٢) « طائف المر والأخلاق » للإمام الشعري ج ١ / ص ٢٥ .

الشيخ مع سعة علمهما بالشرعة فغيرهم من أمثال من باب أولي (١)

أبو علي الثقفي

قال أبو علي الثقفي : (لو أن رجلاً جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ مؤدب نصح ومن لم يأخذ أدبه عن من له وناه ، يربه عيوب أعماله ، ورعونات نفسه ، لا يجوز الافتداء به في تصحيح المعاملات) (٢)

أبو مدين

قال أبو مدين رضي الله عنه :

(من لم يأخذ الآداب من المنادين ، أقصد من تبعه) (٣)

الشيخ أحمد زروق :

قال الشيخ أحمد زروق رحمه الله في قواعده (أخذ العلم والعمل عن المشايخ أتم من أخذه ذويهم) ﴿ نَلْهُوَ أَيْسَتْ يَنْتُ فِي حُدُورِ الْبَيْتِ أُتُوا الْعِلْمُ ﴾ [السكوت ٤٩] ، ﴿ وَتَبِعَ سَبِيلَ مَنْ آدَبَ إِلَيَّ ﴾ [لقمان ١٥] ، فلرمت المشيخة ، سيما والصحابة أخذوا عنه عليه الصلاة والسلام ، وقد أخذ هو عن جبريل ، وتابع إشارته في أن يكون عبداً نساءً ، وأخذ التابعون عن الصحابة .

فكان لكل أتاع يختصون به كاس سيرين وبن المسيب والأعرج في أبي هريرة ، وصاروس وروهب ومحاهد لابن عباس ، إلى غير ذلك .

(١) لطائف المشن والأخلاق ، للإمام الشيرازي ج ١ / ص ٥٠ .

(٢) طبقات الصوفية ، للسلمي ص ٣٦٥

(٣) البصرة لولية ، ص ١٣

فأب العلم والعمل فأخذه جلياً فيما ذكروا كما ذكروا
وأما لإفادة بالهمة والمجاهد ، فقد أشار إليه أنس بقوله : (ما نقصنا
التراب عن أيدينا من دفعه عليه الصلاة والسلام حتى أنكرت قلوبنا)^(١) .
فأبان أن رؤية شخصه الكريم كانت نفعه لهم في قلوبهم ، إذ من
تحقق بحالة سم يخل حاصروه منها ، فذلك أمر يصححه الصالحين ،
ونهي عن صحبة الفاسقين)^(٢) .

علي الخواص

وقال سيدي علي الخواص رضي الله عنه .
لا نُسَكِّرُ طَرِيقاً نُسِتَ تَعْرِفُهَا لا دليل فتَهْوِي فِي مَهَاوِيهَا^(٣)
لأن الدين والمرشد يوصل أسالك إلى س حل الأمل ويحببه مرأق
الأقدم ومخاطر الطريق ، وذلك لأن هذا الدليل المرشد قد سبق له سلوكه
انصوب على يد دليس عارضة بخفايا السير ، يطلع على محامده ومآمنه ،
فلم يرل مرافقاً له ، حتى أوصله إلى لغية المشودة ، ثم أدركه بإرشاد
غيره ، وإلى هذا أشار ابن اسنا في منظومته
وإِذَا الْمَرْمُ مُسْفِرُوا لِحَصْرَةِ الْحَقِّ وَطَاعُونَا
فَفَتَقَرُّوا فِيهِ إِلَى دَلِيلِي ذِي بَصِيرٍ بِالسَّيْرِ وَالْمَقْلِي

(١) رواه الإمام أحمد وابن ماجه والترمذي وابن خلدون حديث حسن صحيح غريب ، لفظه
عن أنس رضي الله عنه قال : (لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة ،
أضاء منها كل شيء ، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء) ، وما يعصب
عن لبي ﷺ (لا يدي حتى أنكرت قلوبنا)

(٢) « قواعد التصوف » لأحمد رزوق القاعدة ٦٥

(٣) « المنى » للشعراني ج ١ / ص ٥١ .

قَدْ سَلَكَ الطَّرِيقَ ثُمَّ عَادَ يُجْبِرُ الْقَوْمَ بِمَا اسْتَفَادَ (١)

الشيخ محمد الهاشمي :

قل شجحا كبيرا مري العارفين ولعل على الله سيدي محمد
الهاشمي رحمه الله تعالى .

(فسلك يا أخي علما يدشح حتى عارف بالله ، صادق دصيح ، له
علم صحيح ، وذوق صريح ، وهمة عالية . وحالة مَرَصِيَّة ، سلك
الطريق على يد المرشدين ، وأخذ أدبه عن المتأدين ، عارف
بالمسالك ، سفيك في طريقك المهلك ويدلك على الجمع على الله .
وبعلمك الفرار من سوز الله ، ويسايرك في طريقك حتى تصل إلى الله .
توفيك على إساءة نفسك ، ويعرفك بإحسان الله إليك ، فإذا عرفته
أحسه ، وإذا أحببته جاهدت فيه ، وإذا جاهدت فيه هداك لطريقه ،
واصطفك لحضرته ، قال تعالى ﴿ وَأَدْبِرْ جَهْدُ وَإِلَّا لَتَهَيَّيَنَّكَ سُبُلًا ﴾
[العنكبوت ٦٩] فصحة الشيخ والافتاء واجب ، والأصل فيه قوله
تعالى ﴿ وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ نَدَبَ إِلَيَّ ﴾ [المداد ١٥] وقوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا
الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ رَكُوتًا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [سورة ١١٩]

ومن شرطه أيضا أن يكون له الإلمام في تربية الخلق من مرشد كمال ذي
بصيرة نافذة ، ولا يقال لمن هذا وصفه ؟ لأن بقوله كما قال ابن
عطاء الله السكندري في « لطائف المس » (لا يغورك وجود الدالين ،
وهم يعوزك وجود المصدق في طيهم) حد صدق نحد مرشدا

(١) أحمد بن محمد لمجي المعروف بابن الد... الفتوحات الإلهية « شرح إمامه
الأصليه ج ١ / ص ١٤٢

لَكِنَّ سِرَّ اللَّهِ فِي صِدْقِ طُوبَى كَمْ رِيءٌ^(١) فِي أَصْحَابِهِ مِنَ الْعَجَبِ
 وَهُوَ لَمْ يَكُنْ فِي «لطائف المتن» أَيْضاً (بِمَا يَكُونُ لِقَائِهِ بُولِي دَلِيلُ اللَّهِ
 عَلَيْهِ ، وَأُطْلِعَكَ عَلَى مَا أَوْدَعَهُ مِنْ اِخْصَاصِيهِ لَهُ ، فَطَوَى عَنْكَ شُهُودُ
 بَشَرِيَّتِهِ فِي وَجُودِ خُصُوصِيَّتِهِ ، فَالْقَبْتُ إِلَيْهِ اَلْقِيَادَ ، فَسَلَكْتُ بِكَ سَبِيلَ
 الرِّشَادِ . . . الخ) .

وَقَدْ أَسْرَعَ عَطَاءُ اللَّهِ فِي حِكْمِهِ سَحَابٌ مِمَّنْ لَمْ يَجْعَلِ اَلدَّلِيلَ عَلَى
 أَوْيَاتِهِ إِلَّا مِنْ حَيْثُ الدَّلِيلُ عَلَيْهِ ، وَمِنْ يَوْصِلُ إِلَيْهِمْ إِلَّا مِنْ رُودِ أَنْ يَوْصِلَهُ
 إِلَيْهِ^(٢) .



(١) عني ورن [بيل] مكي لمسجهور

(٢) «شرح شطر رح لعارفين» للشيخ محمد الهاسمي النحاسي ص ١٤ وعني آخر
 كتاباً هذا سذكر شيئاً من ترجمه شيخنا الهاشمي رحمه الله عليه .

البحث عن الهارث المحمدي

مما سبق يتبين أهمية صحبه الورث المحمدي لترقي في مدارج الكمال ، وتلقي دروس الآداب والمصائب ، واكتشاف لعبوب الخفية والأمراض القلبية

ولكن قد يسأل سائل : كيف الاهتداء إليه ؟ وأوصول إلى معرفته ؟ وما هي شروطه وأوصافه ؟ فنقول

١- حين يشعر لطالب بجماعته إليه كشعور المريض بحاجته إلى الطب ، عليه أن يصدق لعزم ، ويضجح الية ، ويتجه إلى الله تعالى نقب ضارع مكسر ، مادي في خوف الليل ، ويدعوه في سجوده وأعقاب صلاته . (اللهم دلني على من يديني إليك ، وأوصلني إلى من يوصلني إليك) .

٢- عليه أن يبحث في بلده ، ويفتش ويسأل عن لمرشد بدقة وانتباه غير منتهم بما يشيعه بعضهم من فقه المرشد الرببي في هذا الزمن ^(١)

() هؤلاء اشجية (و ناس في إثبات انصوصيه رعيها على ثلاثة أقسام

١- قسم أثبتوها بلمتقدمين وبعوها عن المتأخرين ؛ وهم أقبح العوم

٢- وقسم أقروها قديماً وحديثاً ، وناولوهم أحبياء في ربابهم ، فحرمهم الله

بركتهم

٣- وقوم أقروا انصوصية في أهل ربابهم ، مع قراهم بخصوصيه ، سلب

وعرفوهم ، وظهروا بهم وعظمهم ، وهم السعداء الذين أود الله أب ير حبيبهم إنييه

وبقرهم إلى حصرتهم ، وهي انحكم (سبحانه من لم يجعل الدليل على وليه إلا

فإذا لم يجد أحداً في مدينته فليبحث عنه في مدن أخرى ، ألا ترى المريض يسهر إلى بلدة ثبية للتداوي إذا لم يجد لطيب المختص ، أو حين يعجز أطباء مدينته عن شخيص دائه ، ومعرفة دوائه ومداواة الأرواح تحتاج إلى أطباء أمهر من أطباء الأجسام

وللمرشد شروط لا بد منها حتى يتأهل لإرشاد الناس وهي أربعة .

١- أن يكون عالماً بالفرائض العينية .

٢- أن يكون عارفاً بالله تعالى

٣- أن يكون حبيباً بطرائق تركية النفوس ووسائل ترسها .

٤- أن يكون مأذوناً بالإرشاد من شيوخه .

١- أما الشرط الأول فيبقي أن يكون المرشد عالماً بالفرائض العينية . كأحكام الصلاة والصوم والزكاة إن كن مالكا للصاب ، وأحكام المعاملات والبيع إن كن ممن يتعاطى التجارة . . . إلخ . وأن يكون عارفاً بعقيدة أهل السنة والجماعة في التوحيد ، فيعرف ما يحب لله

= من حيث لئلا عليه : ولم يوصل إليهم ، لا من أراد أن يوصله إليه) وبهذا يراد على من رعم أن شح الثرية يقطع ، فإن فطرة الله تدعى عامة . ومنك الله قائم ، والأرض لا تحلو ممن يقوم بانحجته حتى يأتي أمر الله) « اسحر لمديد في نصير القرآن لمجيد » لاس عجبة ح ١ / ص ٧٧

وبحضري في هذا لموضوع آيات لعصم يراد فيهم على من يدعي أن المرشدين قد عدموا في هذا لعصر أرقوا ، قال

يقول قوم عن هداهم صلوا هدا عدموا في عصر أو قسوا
فقلت : كلا إما قد خلوا عن أن تراهم أعين الجهن

وفد أدركنا والحمد لله في زمن هدا رجالاً عذفين مرشدين قد بوهرت فيهم
شروط لبرية على اكمل ، ذري همة وحد ومقد ، تحرج على أيديهم خلق
كثير ، وانتفع بهم حم عصر ، ولكن الحفاظ لا يستطيع أن نصير النور

تعالى ، وما يحور وما يستحيل إجمالاً وتفصيلاً ، وكذلك هي حق الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وهكذا سائر أركان الإيمان

٢- وأما الشرط الثاني فيبغى أن يتحقق المرشد بحقيدة أهل السنة عملاً وادِّعاً أن عرفها علماً ودراية ، فيشهد في قلبه وروحه صحتها ، ويشهد أن الله تعالى واحد في ذاته ، واحد في صفاته ، واحد في فعله ، ويتعرف على حصرات أسماء الله تعالى دوقاً وشهداً ، ويرجعها إلى الحضرة الجامعة ، ولا يشته عليه تعدد الحصرات ، إذ تعدد الحصرات لا يدل على تعدد الذات

٣- وأما الشرط الثالث - فلا بد أن يكون قد دُكِّنَ نفسه على يد مربٍّ ومرشد ، فخرَّ مراتب النفس وأمراسها ووساوسها ، وعرف أساليب الشيطان ومداخيلها ، وآفات كل مرحلة من مراحل السير ، وطرق معالجه كل ذلك بما يلائم حالة كل شخص وأوصاعه

٤- وأما الشرط الرابع فلا بد للمرشد من أن يكون قد أُجيز من شيوخه بهذه الطريقة وهذا السير ، فمن لم يشهد له الاحتصاصيون بعدم يدَّعيه لا يحق له أن يتصدر فيه ، فالإحارة هي شهادة أهليه الإرشاد وحيارة صفاته وعليها أُسِّسَت الآن فكره المدارس والجامعات ، فكما لا يجوز لمن لا يحمل شهادة الطب أن يفتح عيادة مداواة المرضى ، ولا يصح لعبير لمجار في الهندسة أن يرسم مخططاً لبناء ، وكما لا يجوز للذي لا يحمل شهادة أهلية التعليم أن يدرِّس في المدارس والجامعات ، فكذلك لا يجوز أن يدَّعي الإرشاد غير مأدون به من قبل مرشدين مأدوسين مؤهلين ، يتصل سندهم ، تسلسل إلى رسول الله ﷺ^(١)

(١) عن عرا عمدة الحديث ابن تيمية ، حديث رسول الله ﷺ بالسنة رجلاً عن رجل =

وكما أنه لا يصح من لعاف أن يتدنوى عند جاهل بالطب ، كذلك لا يجوز للمرء أن يركن إلى غير المرشد المأدود المحتص باعتوجه والإرشاد ، وكل من درس اوضع العمي في اساصي يعرف قيمة الإجاره من الأشيخ وأهمية التقى عندهم ، حتى أنهم أطقوا على من سم يأخذ عنه من العلماء سم (الصحفي) ، لأنه أخذ علمه من الصحف والمطلعة الخاصة ، قال ابن سيرين رحمه الله :

(إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم)^(١) .

وقد أوصى رسول الله ﷺ ابن عمر رضي الله عنهما بذلك فقال :

(يا ابن عمر دينك دينك إما هو لحمتك ودمك فاحضر عمن تأخذ ، خذ الدين عن الذين استقموا ، ولا تأخذ عن الذين مالوا)^(٢)



وفال بعض العارفين

(العلم روح تُفح لا تُسائل فُتسبحه فلتسبه المتعلمون عمن يأخذون ، وليتبه العالمون من يُعطون) .

ثم اعلم أن من علامات ألم شد أموراً يمكن ملاحظتها :

- منها ، أنك إذا جلسته تشعر بصحة إيمانية ، ونشوة روحية ، لا يتكلم إلا لله ، ولا يصق إلا بخير ، ولا يتحدث إلا بموعظة أو نصيحة ، تستفيد من صحبته كما تستفيد من كلامه ، تستفح من قرب كما

= إلى رسول الله ﷺ ، وعتروا السد أساساً لحفظ السنة اسوية من لسان والتحرير ولهذا قال ابن المبارك (الإسناد من الدين ، ونولا الإسناد بقول من شاء ما شاء)

(١) رواه مسلم في مقدمة صحيحه عن محمد بن سيرين

(٢) أخرجه لحافظ ابن عدي عن ابن عمر كذا في " كم لعمال " ح ٢ / ص ١٥٢ .

تستفيع من بعده ، نستفيد من لحظه كما تستفيد من لحظه

- ومنها : أن تلاحظ في إخوته ومريديه صور الإيمان والإخلاص والتقوى والتواضع ، وتذكر وأنت تحالطهم المثل العليا من احب ، والصدق والإيثار والأخوة لخالصة ، وهكذا يُعرف الطبيب الماهر بآثاره ونتائج جهوده ، حيث ترى المرضى الذي شفو على يديه ، وتخرجوا من مصعبه بأوفر قوة ، وأتم عافية .

علماً أن كثرة لمريدين والتلاميذ وقلنتهم ليست مقبلاً وحيداً ، وإنما العبرة بصلاح هؤلاء المريدين وتقواهم . وتخلصهم من العيوب والأمراض واستقامتهم على شرع الله تعالى .

- ومنها أنك ترى بلامذه يمثلون مختلف طبقات الأمة ، وهكذا كان أصحاب رسول الله ﷺ

فلطمر به يدفع الطاب للأجديده ، والترم مجالسه ، والندب معه ، والعمل بنصحه ورشاده ، في سبيل القور بسعادة الدارين .

أخذ العهد

مما سبق ثبت أنه ينبغي لمريد انكماش أن يلتحق بمرشد يتعهده بالتوجيه ويرشده إلى الطريق الحق ، ويضيء له ما أظلم من جوانب نفسه ، حتى يعبد الله تعالى على بصيرة وهدى ويقين .

يباع المرشد ، ويعاهده على السير معه في طريق التحلي عن العيوب واتحلي بالصمات لحسنه ، والتحقق بركن الإحسان ، ولترقي في مقاماته

وأخذ العهد ثابت في القرآن سورة البقرة وسيرة الصحابة .

فمن القرآن :

قول الله تعالى : ﴿ الَّذِي يَبْعُوكَ إِنَّمَا يُبْعُوكَ اللَّهُ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَكُفُّ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيزَتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [المع . ١٠]

ولم كانت البيعة في الواقع لله تعالى ، حذر الله من نقضها حذيراً ، فقال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَيْدًا ﴾ [سحر . ٩١]

وقوله أيضاً : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَتْ مَشْؤَلًا ﴾ [الإسراء : ٣٤] .

ومن السنة :

فإن أحد العهد والبيعة في لسته لمظهرة ما كان يتخذ صورة واحدة

من لتلقن أو يحتصر جماعة من لمسلمين ، وإنما كان أخذ العهد في أسنة جمعاً بين بيعة الرحا ، وسهين الجماعات والأفراد ، ومبايعة النساء ، بل وحتى من لم يحتلم

فأما بيعة الرحا فقد أخرج البحاري في صحيحه عن عادة من الصائم أن رسول الله ﷺ قال : « يا عوي علي أن لا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تسرقوا ، ولا تروا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا بيهتان تقترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا عصوا في معروف ، فس وقى منكم فأجره علي الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعرف في الدنيا فهو كفرة له ، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله ، إيا شاء عفا عنه ، وإن شاء عافه فبايعاه علي ذلك »^(١)

وأما التلقين جماعة :

فعن يعلى بن شداد قال : حدثني أبي شداد بن أوس رضي الله عنه ؛ وعادة من الصائم حاضراً يصديه قال : كنت عند رسول الله ﷺ فقال : « هل فيكم عريب ؟ » - يعني من أهل الكتاب - فقلنا لا يا رسول الله ، فأمر بغلق ابواب ففان « ارفعوا أيديكم وقولوا لا إله إلا الله » ، فرفعنا أيدينا وقلنا لا إله إلا الله ، ثم قال ﷺ « الحمد لله ؛ لبهم إنك بعثني بهذه الكلمة ، وأمرني بها ، ووعدني عبيها الجنة ، وإنك لا تحلف الميعاد » ، ثم قال ﷺ : « ألا أبشروا فإن الله قد غفر لكم »^(٢)

(١) أخرجه البحاري في صحيحه في كتاب الإيمان ، وأخرجه مسلم ، والترمذي ، والنسائي

كما في « لترعيب والترهيب » ج ٢ ص ٤١٥

(٢) أخرجه الإمام أحمد والطرطبي وإسبرار ورحله مؤثرون كما في « مجمع

لروايد » ج ١ / ص ١٩ .

وأما التلقين الإفرادي

فإن علياً كرم الله وجهه سأل النبي ﷺ بقوله : (يا رسول الله دنني عني قرب اضرق إلى الله ، وأسهل عليّ عبده ، وأفضلها عنده تعالى) ، فقال النبي ﷺ : « عليك بمداومة ذكر الله سرّاً وجهراً » ، فقال عبي (كلُّ اندسذكرون فحصى بشيء) ، قال رسول الله ﷺ : « أفضل ما فته أنا ولنبيون من في لا إله إلا الله ، ولو أن السموات والأرضين في كفة ولا إله إلا الله في كفة لرجحت بهم ، ولا يقوم القيامة وعني وجه الأرض من يقول : لا إله إلا الله » ، ثم قال علي (فكيف أذكر ؟ قل لبي ﷺ) : « غمّض عينيك واسمع مني لا إله إلا الله ثلاث مرات ، ثم قلبها ثلاثاً وأنا أسمع ، ثم فعل ذلك برفع لصوت »^(١)

ومن التلقين الإفرادي ما أخرج لطبراني في « الأوسط » وأبو نعيم والحاكم والبيهقي وابن عساکر عن بشير بن الخصاصة رضي الله عنه قل (أتيت رسول الله ﷺ لأبيعه فقلت : علام يُبايعني يا رسول الله ؟ فمد رسول الله ﷺ يده ، وقال : « شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وبصلي الصلوات الخمس لوقتها ، وتؤدي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان ، وبحج البيت ، وتجاهد في سبيل الله » قلت : يا رسول الله كلاً بطيئاً لا شتين فلا أصيقهما الزكاة ، والله مالي إلا عشر ذؤاد^(٢) هن رسل^(٣) أهلي وخمُولهن^(٤) ، وأما الجهاد : فإني رجل جبان ، ويزعمون أن من

(١) روه الطبراني وابن عساکر بسند حسن

(٢) اندود من الإبل ، ما بين الثنتين إلى التسع ، وقبل ما بين اثلاث إلى العشر

(٣) بالكسر ثم السكون السلس

(٤) بالفتح ما يعتمد عليه من مدواب سوء أكاكيت عليها لأحمال ثم لم تكن =

وَلَمْ يَفْقَدْ بَاءَ بَعْصٍ مِنْ اللَّهِ ، وَأَحَافَ إِذَا حَصَرَ الْقَتْلَ أَنْ أَحْشَعَ نَفْسِي فَأَوْزَّ فَأَبْوءُ بِعَصَبٍ مِنْ اللَّهِ . فَقَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ ثُمَّ حَرَّكَهَا ثُمَّ قَالَ . « يَا بَشِيرُ ! لَا صَدَقَةَ وَلَا جِهَادًا ! إِنْ إِدَا تَدَحَّى الْجَعَةُ ! » قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! ابْسُطْ يَدَيْكَ أَبَايَعُكَ فَبَسَطَ يَدَهُ ، فَبَايَعَنَّهُ عَلَيْهِنَ (١) .

وروي عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال . قلت يا رسول الله اشترط عليّ فأنت أعلم بالشرط . قال : (أبَايَعُكَ عَلِيٌّ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ . وَلَا تَشْرِكَ بِهِ شَيْئًا . وَتَقِيمَ الصَّلَاةَ . وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَنْصَحَ الْمُسْلِمَ ، وَتَبْرَأَ مِنَ الشِّرْكِ) (٢)

وعن جرير أيضاً قال (بايعت رسول الله ﷺ عليّ إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم) (٣) .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : كنا إذ سابعنا رسول الله ﷺ عليّ السمع والطاعة يقول لنا رسول الله ﷺ « فيما استطعتم » (٤) .

وأمابيعة النساء . فعن سلمى بنت قيس رضي الله عنها . وكانت إحدى خالات رسول الله ﷺ وقد صلت معه الفلتين ، وكانت إحدى نساء بني عدي بن النجر . قالت : (جثت رسول الله ﷺ فبايَعته في نسوة من الأنصار ، فما شرط علينا عليّ أن لا أشرك بالله شيئاً ، ولا أسرق

= وبانضم . لأعمال

(١) أخرجه الإمام أحمد ، وقال الهيثمي في « مجمع الروايات » رجاله موثوقون ج ١ / ص ٤٢

(٢) رواه الإمام أحمد والنسائي في باب البيعة عليّ النصح لكل مسلم .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في باب البيعة عليّ إدام الصلاة

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأحكام ، ومسلم في كتاب الإمارة .

ولا غزني ، ولا تقتل أولادك ، ولا تأتي بهتاناً تقتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف ، قال : « ولا تعششن أزواجكن » قالت فبايعناه ثم انصرفنا ، فقلتُ لامرأة منهن ارحمني فسلمي رسول الله ﷺ ما حُرِّم علينا من ما أزواجنا ؟ قالت فسأته فقال « تأخذ منه فتُحايي به غيره » (١) .

وعن أميمة بنت زُفَّة قالت (أتيت رسول الله ﷺ في نسوة يبأيمنه فقس . تابعك يا رسول الله على أن لا تشرك بالله شيئاً ، ولا تسرق ، ولا تزن ، ولا تقبل أولادنا ، ولا تأتي بهتاناً تقتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيك في معروف فقال رسول الله ﷺ « فما استطعتم وأطقن » . فقلن . الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا ، هُمُّ تابعك يا رسول الله ، فقال . « إني لأصافح النساء ، ثم قولي لمئة امرأة كقولي لامرأة واحدة » (٢) .

وجاءت أميمة بنت زُفَّة رضي الله عنها إلى رسول الله ﷺ تبايعه على الإسلام ، فقال (أبايك على أن لا تشركي بالله شيئاً ، ولا تسرقي ولا تزني ، ولا تقتني ولدك ، ولا تأتي بهتاناً تقتريه بين يديك ورجليك ، ولا تنوحي ، ولا تبرحي بهرج الحاهية الأولى) (٣) .

وعن عرة بنت حائل رضي الله عنها أنها أتت النبي ﷺ فدعها : « أن لا تزني ، ولا تسرقين ، ولا تتدبين فتدبين أو تخفين » . قلت أما الولد

(١) رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني . ودخاله ثقات كما في « مجمع الزوائد » ج ٦ / ص ٣٨

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب لُصِيْرَ بَابِ بَيْعَةِ نِسَاء ، رَوَاهُ ابْنُ أَبِي بَيْبَةَ لِنِسَاء . وإسناده حسن .

(٣) أخرجه لُصَانِي ومصححه الترمذي كما في « حياه الصحابة » ج ١ / ص ٢٣١

المدي فقد عرفته . أما لو أد الخفي فلم أسأ رسول الله ﷺ ، وسم بخبري ، وقد وقع في نمسي أنه فساد الولد ، فر الله لا أفسد لي ولداً أبداً^(١)

وأما بيعة من لم يحتلم فقد أخرج الطبراني عن محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم ، أن أنبي ﷺ بايع الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم وهم صغار ولم يثقلوا^(٢) ولم يسعوا ، ولم يبايع صغيراً إلا مأ^(٣)

وأخرج لطبراني أيضاً عن عبد الله بن الزبير وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهما أنهما بايعا رسول الله ﷺ وهما ابنا سبع سنين ، فلما رأهما رسول الله ﷺ بسم وسط يديه ، فبايعهما^(٤) .

والخلاصة : إن الصحابة الكرام صون الله عليهم كانوا يبايعون رسول الله ﷺ على حالات مختلفة منها بيعتهم على الإسلام ، وبيعتهم على أعمال الإسلام ، وبيعتهم على الهجرة وعلى النصرة والجهاد ، وبيعتهم على الموت ، وبيعتهم على السمع والطاعة . . .

وأما بيعة الصحابة رضي الله عنهم لحلفاء رسول الله ﷺ فقد أخرج ابن شهاب في الصحابة عن إبراهيم بن المنتشر عن أبيه عن حده قال : (كنت بيعة أنبي ﷺ حين أنزل الله عليه ﴿ إِنَّ أَوْلَىٰ لَكَ بِبَيْعَتِكَ لِمَا يُبَيعُونَكَ ﴾ [الفتح ١٠] لني بايع الناس عيها البيعة لله والطاعة للحق ،

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» ١٠٠ الكبير «كما في» مجمع الروائد «ج ٦/ ص ٣٩ .

(٢) يقال : أصغر وجهه ، إذا بيتت لحينه

(٣) قال الهيثمي في «مجمع الروائد» ج ٦/ ص ١٤٠ : هو مرسل ، ورجاله ثقات

(٤) «مجمع الروائد» ج ٩/ ص ٢٨٥ .

وكانت بيعة أبي بكر رضي الله عنه (تدايعوني ما أطعت الله) ، وكانت بيعة عمر رضي الله عنه ومن بعده كبيعة النبي ﷺ (١)

وعن أسر رضي الله عنه قال : (قدمت المدينة وقد مات أبو بكر رضي الله عنه واستخف عمر رضي الله عنه ، فملت لعمر ارفع يدك أبايعت على ما بايعت عليه صاحبك قبلك ، على السمع والطاعة فيما استطعت) (٢)

عن سقيم أبي عامر رضي الله عنه : (نٌ وفد الحمراء أتوا عثمان رضي الله عنه فبايعوه على ألا يشركوا الله شيئاً ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، ويصوموا رمضان ، ويدعوا عيد المجوس ، فلم قالوا نعم ، بايعهم) (٣)

ثم بهج الوراثة من مرشدي الصوفاة من أئمة التصوف في أحد البيعة في كل عصر ، فقد ذكر الأستاذ النوري في كتابه « رجال الفكر والدعوة في الإسلام » : (أن الشيخ عبد القادر الجيلاني فتح باب البيعة والتوبة على مصراعيه ، يدخل فيه المسلمون من كل ناحية من نواحي العالم الإسلامي ، يجددون العهد والmithaq مع الله ، ويعهدون على ألا يشركوا ولا يكفروا ، ولا يفسقوا ، ولا يبتدعوا ، ولا يظلموا ، ولا يستحقوا ما حرّم الله ، ولا يشركوا ما فرض الله ، ولا يتهاوا في الدين ، ولا يتنسوا الآخرة وقد دخل في هذا الباب - وقد فتحه الله على يد الشيخ عبد القادر الجيلاني - خلق لا يحصيهم إلا الله ، وصلحت

(١) « الإصابة » ج ٣ / ص ٤٥٨

(٢) « حياة النصحاة » ج ١ / ص ٢٣٧ .

(٣) رواه الإمام أحمد كما في نفس المرجع

أحوالهم ، وحسن إسلامهم ، وظل لشح يرسهم وبحاسبتهم ، ويشرف عليهم ، وعلى تقدمهم ، فأصبح هؤلاء استلاميد الروحانيون يشعرون بالمسؤولية بعد البيعة والنوبة وتجديد الإيمان^(١)

فكان هذه المعاهدات وبيععات من الأثر في التزكية والإصلاح الفردي والجماعي أقوى شأن وأوفر نصيب .

* * *

(١) « رجال الفكر والدعوة في الإسلام » ص ٢٤٨

تناقل الإذن

منذ عهد الرسول ﷺ إلى يومنا هذا تناقل هذا الإذن وانتبين والعهد رجالاً عن رجال ، فوصلت إلى محققاً مسلسلاً مسجلاً ، والصوفية يُسمون البيعة والإذن والتلقين باسم « لقبضة » ، يتلقاه واحد عن واحد ، يقص كل منهما يد الآخر ، فكأنما التقى السالب بالموجب فارتبط التيار وتصل السند ، وهذه التأثير الروحي المحسوس المعجرب .

وما هؤلاء المرشدون المجددون على تولي العصور والأزمان الذين يربطون قلوب الناس بهم حتى يوصلوه نور سيدنا محمد ﷺ إلا كالمراكز لكهربائية التي توصل في الأماكن البعيدة عن المولد الكهربائي فتأخذ انور من مركز التوليد لتعطيه لمن حولها قوياً ومُحاجاً ؛ فهذه المراكز ليست مصدر لنور ولكنها موزعة له وبافلة ، ولكن لبعده المسافة يضعف نور الشريط المتصل بالمولد ، فاحتج الأمر إلى هذه المراكز التي تعيد لهذا النور قوته وحيويته

وهكذا فإن المرشدين يحددون اشواط الإيمان في عصرهم ، ويعيدون النور المحمدي إلى ضيائه وبريقه بعد نظاير الرمن وتعاقب القرون ، وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام : « أعلماء ورثة الأنبياء »^(١) .

(١) فخره من حديث رواه الترمذي في كتاب العلم عن أبي الدرداء رضي الله عنه .

واتجربة العملية هي الدليل الأكر على ما شمره أحد العهد من نتائج
طيبة وآثار حميدة ، ولهذا اعتصم به لسلف ، وورثه صالحوا الخلف ،
وسار عليه جمهور الأمة

* * *

أدب المريـد

مع شيخه وإخوانه

بعد أن عرفت فائدة الصـحية وأهميتها ، وبصورة خاصة صحة الورث المحمدي ؛ وهو الشيخ المرشد المـدوون بالتربية الذي ترقى في مقامات ارجان الكمل على يد مرشد كامل مسلسلاً إلى لبي ﷺ ، وجمع بين اشريعة والحقيقة ، ثم تبين معنا أهمية بيعته وأخذ العهد عنه وملازمته ، نذكر هنا بعضاً من الآداب التي تطلب من المريـد اصادق كي يتحقق له الوصول إلى مطلوبه ، فقد اتفق أهل الله فاطبة على أن من لا أدب له لا سير له ، ومن لا سير له لا وصول له ، وأن صاحب الأدب يسبق في قبيل من الرمن مبلغ الرحا ، وهذا نحن نورد بعض داب المريـد مع شيخه وإخوانه

١- آداب المريـد مع شيخه :

وهي نوعان : آداب باطنة ، وآداب طاهرة

فأما الآداب الباطنة فهي :

١- الاستسلام لشيخه وطاعته في جميع أوامره وصائحه ، وليس هذا من باب الانقياد الأعمى الذي بهمن فيه المرء عقله وبنخى عن شخصيته ، ولكنه من باب التسليم لذي الاختصاص والحرمة ؛ بعد الإيمان الجارم بمقدمات فكرية أساسية ، منها التصديق الراسخ بإذنه وأهيته واحتصاصه وحكمه ورحمته ، وأنه جمع بين لشرعية

والحقيقة . الخ . وهذا يشبه تماماً استسلام المريض لطبيبته استسلاماً كلياً في جميع معالجاته وتوصياته ، ولا يُعَدُّ لمريض في هذا الحال مهماً عقده متحلياً عن كونه وشخصيه ، بل يُعْتَرُ منصفاً عاقلاً لأنه سلمَ لذي الاختصاص ، وكان صادقاً في طلب الشفاء

٢- عدم الاعتراض على شيخه في طريقة تربية مرديبه ، لأنه مجتهد في هذا الباب من عدم اختصاص وخبرة ، كما لا ينبغي أن يفتح المرید على نفسه باب النقد لكل تصرف من تصرفات شيخه ؛ فهذا من شأنه أن يُضْعِفَ ثقته به ويَحْبُتْ عنه خيراً كثيراً ، ويقطعَ لصلة القسبة والحمد للروحي بينه وبين شيخه

قال العلامة ابن حجر الهيتمي : (ومن فتح باب الاعتراض على المشايخ والنظر في أحوالهم وأفعالهم والبحث عنها فإن ذلك علامة حرمانه وسوء عاقبته ، وأنه لا يَشُحُّ قط ، ومن ثم قالوا : من قال لشيخه لم ؟ لم يفلح أبداً ^(١) أي لشيخه في السلوك والتربية) ^(٢)

وإذا أورد الشيطان على قلب المرید إشكالاً شرعياً حول تصرفاً من تصرفات شيخه بغية قطع الصلة ونزع الثقة فما على المرید إلا أن يحسن الظن بشيخه ويلتزم له تأويلاً شرعياً ومخرجاً فقهياً ، فإن لم يستطع ذلك فعليه أن يسأل شيخه مستفسراً بأدب و احترام ، كما سيأتي في بحث مذاكرة المرید لمرشده

(١) المفصود بهذا الأدب هو مرید التربية ولكمان والوصول إلى الله تعالى ، أما التلميذ الذي يأخذ علمه عن العلماء فيسفي له مناقشتهم وسؤالهم حتى يتحقق به اهتداده العلمية .

(٢) «مناوئ الحديث» ص ٥٥ للمحدث بن حجر الهيتمي السكي لمتروني سنة ٩٧٤هـ

قال العلامة ابن حجر الهيتمي : (ومن فتح باب التأويل بلمشايع ، وغص عن أحوالهم ، ووكّل أمورهم إلى الله تعالى ، وعنى بحول نفسه وجهدا بحسب طاقته ، فإنه يُوحى له الوصوب إلى مقاصده ، واظفر بمراده في أسرع زمن)^(١) .

٣- أن لا يعتقد في شيخه العصمة ، فإن الشيخ وإن كان على أكرم الحالات هيس بمعصوم . إذ قد تصدر منه انهفوت وانزلات ، ولكنه لا يصر عليها ولا تتعلق همته أبداً بغير الله تعالى ، لأنه إذ عتقد المريـد في شـيخه العصمة ، ثم رأى منه ما يخالف ذلك ، وقع في الاعتراض ، ولاضطرب مما يسبب له القطيعة والحرمان .

ولكن لا ينبغي للمريد حين يعتقد في شيخه عدم العصمة أن يضع سر عينه دائماً احتمال خطأ شيخه ، في كل أمر من أوامره أو توجيهه من توجيهاته ، لأنه بذلك يجمع عن نفسه الاستفاده ، كمثـل المريـض الذي يدخل إلى طبيبه وليس في قلبه إلا فكرة احتمال خطأ الطبيب في معـالـجته فهذا من شأنه أن يضعف لثقه ويحدث لشك ولاضطرب في نفسه .

٤- أن يعتقد كمال شيخه وتسام أهليته للتربية والإرشاد ، وإنما كوّن هذا الاعتقاد بعد أن فتش ودقّق باديء أمره ؛ هو جد شروط الوارث المحمدي التي سبق ذكرها قد تحققت في شيخه ، ووجد أن ليس بصحبه يتقدمون في إيمانهم وعباداتهم وعلمهم وأخلاقهم ومعارفهم الإلهية^(٢) .

(١) « الفتاوى الحديثية » ص ٥٥ .

(٢) لا ينبغي للمرء أن يكون عاطفياً تمره المظاهر ؛ فيقع في صحبه دعاء التصوف دون أن يكون له ميراث شرعي صحيح ومكبر عقلي سليم ، إذ ليس كل من دعى التصوف صار صوفياً ومريباً ، وو تراب نزي المرشدين كما أنه ليس كل من ليس ثوب =

٥- اتصافه بالصدق والإخلاص في صحبته لشيعته ، فيكون حاداً في طلبه ، منزهاً عن الأغراض والمصالح .

٦- تعظيمه وحفظ حرمة حاضراً وغائباً قال إبراهيم بن شسبان القرميسيني : (من ترك حرمة المشايخ اتى بالدعاوي الكاذبة ، ففصح بها)^(١) .

وقال محمد بن حامد الترمذي رضي الله عنه : (إذا أوصلك الله إلى مقام ومنعك حرمة أهله والاشتد بما أوصلك إليه ، فاعلم أنك مغرور مستدرج) .

وقال أيضاً :

(من لم يُرَصد أوامر المشايخ وتأديتهم فيه لا يتأدب بكتاب ولا سنة)^(٢) .

وقال أبو العباس المرسي رحمه الله :

(تَنَكَّبَ أحوال القوم بما رأينا أحداً أكرم عليهم ومات بخير)^(٣)

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني

(من وقع في عرص ولي ابتلاه الله بموت القلب)^(٤)

٧- أن يحب شيوخه محبة فائقة شريطة أن لا ينقص من قدر بقية

= لأصحاء في المستشفى صار طبيباً لأن هذه التباديل يلبسها لمرضى والآدون وغيرهم

(١) « طبقات الصوفية » ص ١٠٥ .

(٢) « طبقات الصوفية » ص ٢٨٣ .

(٣) « مدارج اسلوكة إلى ملك الملوك » ص ١٢ الشيخ أبو بكر بن محمد ساني الشاذلي
لمتوفى سنة ١٢٨٤ هـ

لشيوخ ، وأن لا يصل غلوه في المحبة إلى حد فاسد ، بأن يُخرج شيخه عن طور الشريعة ، وإنما تقوى محبة امريد لشيخه بموافقته له أمراً ونهياً ، ومعرفة الله تعالى في سيره وسوكة ، فالمرید كلما كبرت شخصيته بانموافقة ازدادت معرفته ، وكلما ازدادت معرفته ازدادت محبته

١- عدم تطلعه إلى غير شيخه ثلاً بتشتت قلبه بين شيخين ، ومثل المرید في ذلك كمثل المريض الذي يطبب جسمه عند طبيبين في وقت واحد فيقع في الحيرة والتردد^(١) .

وأما الآداب الظاهرة فهي :

- ١- أن يوافق شيخه أمراً ونهياً ، بموافقة المريض لطيبه .
- ٢- أن يلتزم السكينة والوقار في مجلسه ، فلا يتكلم على شيء يعتمد عليه ، ولا يتشاءم ولا ينام ، ولا يصحّث بلا سبب ، ولا يرفع صوته عليه ، ولا يتكلم حتى يستأذنه لأن ذلك من عدم المسالة بالشيخ وعدم الاحرم له . ومن صحب لمشايخ بغير أدب واحترام حرم مددهم وثمرات الحاطهم وبركاتهم .

٣- المبادرة إلى خدمته بقدر الإمكان ، فمن حَافَ حُذِمَ

٤- دوام حضور مجلسه ، فإن كان في بلد بعيد فعليه أن يكرر زيارته بقدر المستطاع ، ولذلك قيل : (ريادة امربي ترقى وتربي)

وإن السادة الصوفية سوا سيرهم على ثلاثة أصول : الاجتماع

(١) ينبغي الملاحظة أن المقصود بالشيخ هنا هو شيخ اتربية لا شيخ التعليم ؛ إذ يمكن لأستاذ لعلم أن يكون له عدة تلاميذ ، ويمكن للمريد أن يكون له أساتذة في العلم لأن ارتباطهم بهم ارتباط عملي . بينما صفة المرید شيخ لتربية صفة قلبية وتربوية .

والاستماع والانباع * وبذلك يحصل الانتفاع

٥- النصر على مواقفه اتربية كجهوته وإعراضه . الخ ، التي يقصد بها تخلص المرء من رغوباته السسية وأمراسه القبية

قال ابن حجر الهيثمي (كثير من النفوس التي يراد لها عدم اتوفيق إذا رأت من أستاذ شدة في التربية تنفر عنه ، وترميها بالقبائح والنقائص مما هو عنه بريء . فليحذر الموفق من ذلك ، لأن النفس لا تريد إلا هلاك صاحبها ، فلا يطعمها في الإعراض عن شيخه)^(١)

٦- أن لا سفل من كلام لشيخ إلى الناس إلا بقدر أفهامهم وعقولهم لئلا يسيء إلى نفسه وشيخه . وقد قال سيدنا علي رضي الله عنه : (حدثوا الناس بما يعرفون ، أحبب أن يكذب الله ورسوله)^(٢)

وهذه الآداب كلها إما تطلب من المريد الحقيقي الذي يريد الوصول للحصرة الإلهية ، وأما أسريد المحاري فهو الذي ليس قصده من الدخول مع الصوفية إلا للتزيي بزيهم ، والانتقام في سلك عقدهم ، وهذا لا يلزم بشروط الصحة ولا بدائها . ومثل هذا له أن ينتقل إلى طريق أخرى ولا حرج عليه ، كما أن طريق التبرك لا حرج في الانتقال منها إلى غيرها كما هو معروف عند المرين المرشدين .

٢- آداب المرید مع إخوانه :

١- حفظ حرمتهم عائس أو حاضرين . فلا يعتب أحداً منهم . ولا ينقص أحداً ، لأن نهم مسمومة كلحوم العلماء والصالحين .

(١) المتأوى الحديثية ص ٥٥ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العلم

٢- نصيحتهم بتعليم جاهلهم وإرشاد ضالهم ، وتقوية ضعيفهم
وللنصيحة شروط ينبغي التزامها ، وهي ثلاثة للنصح ، وثلاثة
للمنصوح .

شروط الناصح :

١- أن تكون لنصيحة سراً

٢- أن تكون بلطف .

٣- أن تكون بلا استعلاء .

وشروط المنصوح :

١- أن يقلل النصيحة .

٢- أن يشكر الناصح .

٣- أن يطبق النصيحة .

٣- التواضع لهم والإصاف معهم وخدمتهم بقدر الإمكان إذ « سيد
القوم خادمهم »^(١)

٤- حسن الظن بهم وعدم الانشغال بعيوبهم ووكل أمورهم إلى الله
تعالى :

ولا تر أعيب ، لا فيك معتقداً عيساً بدا شأ لكنه استتر
٥- قبول عذرهم إذا اعتذروا .

٦- صلاح ذات بينهم إذا اختلفوا واختصموا .

٧- الدفاع عنهم إذا أذوا أو انتهكت حرماتهم .

(١) أخرجه ابن ماجه والترمذي عن أبي قتادة رضي الله عنه ، كما في « فيض القدير »

« شرح الجامع الصغير » لمباوي ح ٤ ، ص ١٢٢

٨- أد لا يصلب لرئاسة و لتقدم عليهم لأن صائب اولاية لا يؤلّن
فهذه حممة من الآداب التي يجب على السالك مراعاتها والمحافظة
عليها من الطريق كلها آداب ، حتى قل بعضهم (اجعل عملك ملحاً
وأدبك دميماً)

وقال أبو حفص النيسابوري رضي الله عنه (انتصوف كله آداب ،
لكل وقت آداب ، ولكل حال آداب ، ولكل مقام آداب ، فمن لزم الأرب
يلع مبلغ الرجال ، ومن حُرم الأدب فهو بعيد من حيث يطر اقرب ،
مردود من حيث يظن انقبول)^(١) .

ودلجملته فأدب المريد لا نهاية له مع شيخه ولا مع إخوانه ولا مع
عمدة لرحود ، وقد أفرده لمربوب ، تأليف ، وألف فيه ابن عربي
لحاتمي ، والشعراني ، وأحمد درويش ، وابن عجيبة ، والسهروردي ،
وغيرهم .



العلم

العلم "أسس الأعمار وإمامها ومصحتها ، فكما أنه لا فائدة للعلم
بلا عمل ، كذلك لا ينفع عمل بلا علم . .

وعاشم بعلمه لم يعملن معدب من قل عُدَّ الوثر
بذ كن من بعير علم يعمل أعماله مردودة لا تُقبل

فبالعلم والعمل نوأمان لا يتفكأنه بعض بعضهم ، والسالك في طريق
الإيمان والتعرف على الله تعالى وَالْوَصُولُ إلى رضاه لا يستعني عن نعم
في أية مرحلة من مراحل سلوكه

وهي ابتداء سيره لا بد له من علم لعقائد وتصحيح العبادات واستقامة

(١) لم يتطرق لبحث العلم في الطبعة الأولى لأن كتابنا يعدلح بشكل خاص بوصيحه معلّم
التصوف وبيان حقائقه ورد لشبهات عنه ، وذلك أم بحث في موضوعات لعقائد
والعبادات والمعاملات . . ومن ناحية أخرى فإن المسلم حين يعمل على تركية يصم
وتصهر قلبه وتصحيح طهره وباطنه لا بد قبل ذلك أن يكون قد صحح إيمانه ، وقم
بجميع عباداته المعروضة وستقام في معاملاته ولا يتحقق ذلك إلا بالعلم
الصحيح وهذا أمر سهي وأصح لأن فصل العلم من ظاهر ، وشرائطه في تصحيح
الأعمال أمر متفق عليه

وإننا نثبت بحث العلم في هذه الطبعة تأكيداً لبيان مركزه وشرعه ورد على كثير
من المتسرعين الذين يتوهمون أن رجلاً يتصرف بقلوب من شأن العلم ولا يعطونه
ما يستحق من الأهتمام والعناية .

المعاملات ، وفي أثناء سلوكه لا يستعني عن علم أحوال القلب وحس الأخلاق وتركية النفس . . .

ولهذا اعتبر اكتساب العلم الضروري من أهم النقاط الأساسية في اسنح العملي للتصوف ، إذ ليس التصوف إلا التطبيق العملي للإسلام كاملاً غير منقوص في جميع جوانبه الظاهرة والباطنة .

ولأهمية العلم وفضله نذكر بسة من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث السرية الشريفة التي تشير إلى علو منزلته وعظم شأنه

فضل العلم في القرآن الكريم :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [طاهر : ٢٨] .

وقل أيضاً . ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر : ٩]

وقال تعالى : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾

[المجادلة : ١١] .

فضل العلم في السنة الشريفة :

عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَصْغُرُ أَجْجَحْنَهَا لَطَلِبِ الْعِلْمِ رِصاً بِمَا يَصْنَعُ ، وَرَدَّ الْعِلْمَ لِيَسْتَعْفِرَ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْحَيْثَانِ فِي الْمَاءِ ، وَفَضَلَ الْعَالِمُ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْهَمْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ ، وَإِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ »^(١) .

(١) رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه في كتاب العلم .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يا أبا ذر لأن تعدو فتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة ، ولأن تغدو فتعلم بابا من العلم غملا به أو لم يُعمن به خير لك من أن تصلي ألف ركعة »^(١)

وعن عثمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « يسمع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء »^(٢)

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أراد الله بعبد خيرا فقهه في الدين وألهمه رشده »^(٣)

وعن أبي بكره رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « أُعِدُّ عالما أو متعلما أو مستمعا أو محبا ولا تكن الخامسة فتهلك » ، قال عطاء : قال لي ابن مسعود « أردتني خامسة ثم بكر عندنا ، والخامسة أن تبغض العلم وأهله »^(٤)

حكم تعلم العلم :

ينقسم العلم من حيث حكمه الشرعي إلى ثلاثة أقسام

١- مأمور به . ٢- منهي عنه . ٣- مندوب إليه

(١) رواه ابن ماجه بإسناد حسن في أبواب السنة وله شاهدان أخرجهما الترمذي

(٢) رواه ابن ماجه في كتاب الرهد .

(٣) رواه البزار والطبراني في (الكبير) ورجاله موثوقون .

(٤) رواه الطبراني في الثلاثة ولبزار ورجاله موثقون ، كذا في «مجمع الروائد»

أ- العلوم المأمور بها .

وهي صنفان :

الصنف الأول : فرض عين ، وهو ما لا يسقط عن المكلف إلا بقيامه به بنفسه

لا بد قبل تعداد العلوم المفروضة على المكلف فرض عين من أن نشأت بعض لقواعد الأساسية في هذا الموضوع منها قاعدة (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب) .

ومنها قاعدة : (لعلم تابع لمعلوم) . فالعلم الذي يتوصل به إلى إقامة الفرض يكون فرضاً والعلم الذي يتوصل به إلى إقامة الواجب يكون واجباً ، والعلم الذي يتوصل به إلى إقامة السنة يكون سنة . وساء على هذه لقواعد تعدد بعض العلوم لمفروضة فرض عين على كل مكلف .

١- نعلم عقيدة أهل السنة والجماعة مع الاستدلال الإجمالي على كل مسألة من مسائل الإيمانيات ، للخروج من رتبة التقييد ، ولحفاظ على إيمانه أمام تشكيك الملحدين ومعاينات الضالين .

٢- تعلم ما يستطيع به المكلف أداء المفروض عليه من العبادات كالصلاة والزكاة والحج والصوم . .

٣- من تعاطى شيئاً من السماعات كالبيع والإحارة والكاح والطلاق . يفترض عليه تعلم ما يتمكّن معه من تجنب الحرام والنرم حدود الشرع .

٤- تعلم أحوال لقلب من لتوكل والحشية والرصد لأن المسمم وقع طيلة عمره في جميع الأحوال القلبية .

٥- نعلم جميع الأحلاق لحسنة والسيرة كي يطق الحسنة كالنوكر

على الله والرضا عنه وتسليم له ولتواضع والحلم الخ ، ويحتسب
 السيئة كالكبر والغرور والحل والحسد والحقد والرياء . الخ^(١) ومن
 ثم يجاهد نفسه على تركها ، إذ إن المجاهدة فرص على كل مكلف
 ولا يمكن حصولها إلا بمعرفة الأخلاق المذمومة والممدوحة ، ومعرفة
 طرق المجاهدات التي اشتغل بها السادة الصوفية ، ولهذا قال أبو الحسن
 الشاذلي : (من مات ولم يتعلل في علمه هذا مات مصرأً على الكبائر
 وهو لا يشعر) مع العلم أن لكبائر الفواحش منها صاهرة كالزنا وشرب
 الخمر ، ومنها بائنة قلبية كالكر والنفاق ولهذا بهانا الله عهما
 جميعاً بقوله . ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطُنَ ﴾ [الأنعام
 ١٥١] ويتوب مرتكب الفواحش الظاهرة لاصلاعه على ضررها ، وأما
 الفواحش الباطنة فقد يعيش دمرأً طويلاً ولا يخطر بباله بالتوبة منها لجهله
 بحكمها أو لعدم شعوره بها .

الصفت الثاني : فرض كفاية ، وهو ما إذا قام به البعض سقط
 التكليف عن الباقي ، وإذا لم يقم به أحد فلكن آثمون .

والعلوم المفروضة كفايً هي ما يتوقف عليه صلاح الأمة ، كاتعمق
 في علم الفقه زيادة على مقدار الحاجة^(٢) ، وكذلك علم التفسير
 والحديث ، وأصول الفقه . وأصول الاعتقاد وكذلك علم الحساب
 والطب والصناعة وعدم السلاح لإعداد العدة . الخ

(١) نظري بحث أهمية لتصوف ص ٢٨ .

(٢) وكذلك لا في كل بلد من عفت يكون مرجعاً للناس في أمور دينهم يقوم بهذا
 لفرض الكفاية ويسقط الإثم عن الناس .

ب- العلوم المنهي عنها :

١- فمنها الحوص في دراسة المذاهب الضالة و لأفكار المشككة والعقائد الرائغة لا سية الرد عليها ودفع حطرها أما تعميمها لبيان زيغها ورد شبهاتها تصحيحاً للعقائد وذوداً عن الدين فهو فرص كهاية

٢- علم التنجيم لمعرفة مكان المسروق ومواضع الكنوز ومكان الصالة ونحو ذلك مما يرمونه ، وهو من الكهانة ، وقد كذبهم الشرع وحرّم تصديقهم . أما علم علم الحوم للدراسات العلمية ولمعرفة مواعيت الصلاة والقبلة فلا بأس به .

٣- علم السحر ، إذا تعلمه للاحتراز عنه فيجوز ذلك كما قيل :
عرفت اشتر لا لشر لكن لتوقيه .
هم من لم يعرف الشر فإنه يقع فيه

ج- العلوم المندوب إليها

ومنها معرفة فضائل الأعمال الندية و لقلبية ، ومعرفة الشراف والنسب والمكروهاات ، ومعرفة فروض الكفاية ، والتعمق في علوم لفظه وفروعها والعقائد وأدلتها التفصيلية . . . إلخ^(١) .

خاتمة :

تبين مما سبق حكم العلم وأهميته في دين الله تعالى ، وأن موقف السادة الصوفية من العلم أمر واضح لا نحتاج إلى تدليل ، فهم أهل

(١) انظر بمصبل هذا الموضع في كتاب « بصريقة محمدية » للإمام البركوي ، وكتب « إحياء علوم الدين » لمحجة الإسلام الإمام القراني وغيرهما

العلوم والمعارف وأرياب القلوب المشرقة والأرواح المنطلقة ، وأهل التحقق بالإيمان والإسلام والإحسان . فعد أن حصلوا العلوم العينية عمدوا إلى تطبيق العلم على العمل ، وقاموا بإصلاح القلب وتركيب النفس وصدق التوجه إلى الله تعالى ، ولهد أكرمهم الله تعالى بالرضا والرصوان والمعرفة والخفزان .

* * *

مجاهدة النفس وتركيتها

تمهيد

سبق أن بسا في بحث أهمية التصوف أن للنفس صفات خبيثة وأخلاقاً مذمومة ، وأن زالتها فرص عيس . كما نص على ذلك عامة لمقهاء . ولكن صفات النفس الباقصة لا تزول بالأدبي ولا بمجرد الإطلاع على حكم تركيتها أو قراءة كتب الأخلاق والتصوف ، بل لا بد لها بالإضافة إلى ذلك من مجاهدته وتركية عجمية ، ثم قطعه لثرواتها الحاصلة وشهواتها العارمة

والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرصع وإن فطمه يقطم

تعريف المجاهدة :

قل لراغب الأصفهاني في « مفردات غريب القرآن » :

(انجهاذ والمجاهدة : استمرار اتوسع في مدافعة العدو ، والمجاهدة ثلاثة أصرب : محاهدة العدو الظاهر ، ومجاهدة الشيطان ، ومجاهدة النفس ، وتدخل ثلاثتها في قوله تعالى : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ [الحج ١٧٨] وقوله : ﴿ وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [البقرة ٤١] وقال ﷺ « جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم » (١)

(١) « المفردات في غريب القرآن » مادة جهاد ص ١٠١

فمجاهدة النفس فطمها وحملها على خلاف هوها المدموم ، ولزامها تطبيق شرع الله تعالى أمراً ونهياً

دليلها من الكتب والسنة .

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلًا ﴾ ^(١) [النكوت

. [٦٩

وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ .
« المجاهد من جاهد نفسه في الله » ^(٢) وفي رواية لله .

حكمها :

بركية النفس فرص عين كما سبق أن بينا ذلك ^(٣) ولا تسم إلا بالمجاهدة ومن هنا كانت المجاهدة فرص عين من باب (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)

قال الشيخ عبد العبي النيسبي رحمه الله : (لمجاهدة في النفس

(١) وهي آية مكية ، ومن المعلوم أن جهاد الكافرين قد شرح في المدينة المنورة وهذا يدل على أن المراد من الجهاد هنا جهاد النفس .

وقال العلامة لمعسر بن جري في تفسير هذه الآية : (يعني جهاد النفس)
ومما للعلامة المفسر القرطبي في تفسيره لهذه الآية (قال السدي وغيره إن هذه الآية نزلت قبل فرض القتال)

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب فضائل الجهاد وقال حديث حسن صحيح ، وراء لبيهقي في (شعب الإيمان) برواية فضالة « والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله ، ولمهاجر من هجر لخطايا وأثوب » « مشكاة المصابيح للخبزيري » كتاب الإيمان رقم ٣٤

(٣) انظر بحث أهمية لتصوف ص ٢٨

عبادة ولا تحصل لأحد إلا بالعلم ، وهي فرص عين على كل مكلف^(١) .

قابلية صفات النفس للتغيير :

لا شك أن النفس الإنسانية قابلة لتغيير صفاتها النقصية وتعديل عاداتها المدمومة ، وإلا لم يكن هناك فائدة من بعثة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، ولا ضرورة لمن بعده من ورثته العلماء العاملين والمرشدين المصلحين .

وإذا كان كثير من سماع الطيور ولسانها قد أمكن ترويضها وتعديل كثير من صفاتها، فالإنسان الذي كرمه الله تعالى وخلق في أحسن تقويم ، من باب أولى .

وليس المراد من مجاهدة النفس استئصال صفاتها ؛ بل المراد تصعيدها من سيئ إلى حسن ، وتسييرها على مراد الله تعالى واستغناء مرضاته .

فصفة الغضب مذمومة حين يغضب المرء لنفسه ، أما إذا غضب لله تعالى فعنده بصح الغضب ممدوحاً كما كان رسول الله ﷺ يغضب إذا انتهكت حرمة الله أو عطل حد من حدوده ، ولكنه حين أُوذي في الله وصُرب وأدْمى عقبه يوم لطائف لم يغضب لنفسه ؛ بل دعا لمن آذوه بالهداية والتمس لهم العذر فقال : « اليهم اهد قومي فمنهم ^(٢) لا يعلمون »

(١) « شرح الطريقة المحمدية » لسانسي ج ١ / ص ٣٢٣ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء .

وكذلك صفة لكر فهي مذمومة حين يتكر المسم على إخوانه المسلمين ، أما حين ينكر على المنكرين الكافرين فتصح هذه لصفة محموددة لأهل في سبيل الله وضمن حدود شرعه .

وهكذا معظم الصفات المذمومة تحوّل للمجاهدة وتُضَعَّد لى صفات ممدوحة

طريقة المجاهدة :

وأول مرحلة في المجاهدة عدم رضى المرء عن نفسه ، وإيمانه بوصفها لى أخير عنه حالها ومدعها . ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾

[يوسف ٥٣٠]

وعلمه أن النفس أكر قاطع عن الله تعالى (١) . كما أنها أعظم موصل إسه وذلك أن النفس حينما تكون أمارة بالسوء لا تلتذ إلا بالمعاصي والمحالقات ، ولكه بعد مخاضتها وركبتها تصبح راضية مرصية لا تسر إلا باللطعات والموافقات والاستئناس بالله تعالى

وردا اكتشف المسم عيوب نفسه وصدق في طيب نهذيبها لم يعد

(١) والقواطع عن الله تعالى أربعة : النفس ، ولديا ، والشيطان ، والحلق أم عداوة النفس ولشيطان فظاهرة ، وأم الحلق فملاحظة مدحهم ، دمهم تفرق سبب لسانك إى ربه ، وأما لى فالاغتم بها واشتعل لى تقديها فاطع كبر عن الله تعالى ، فهي حالة النفس تكثر هموم المرء فتشعله عن الله ، وفي حال لى يشعل برسها ورحوقها عن الله تعالى ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَطَافٌ ﴾ ﴿ أَلَمْ يَكُنْ أَتَقَى ﴾ [العو ٧٠-١]

أما إذا أخرج حبها مر فيه فليها لا تصرفه ، كما قال شيخ لصوفيه سيدي عبد القادر الجيلاني رحمه الله . (أخرج الدنيا من قلبك ، وصحبها في جيبك أو في يدك فيها لا تصرفك) وراجع بحث الرهد في هذا الكتاب .

عنده متسع من الوقت للانشغال بعيوب الناس وإضاعة العمر في تعداد أخطائهم ، وإذا رأيت أحداً من ادس قد صرف وقته في إحصاء أخطاء الآخرين غافلاً عن عيوب نفسه فاعلم أنه أحقق جاهل قال أبو مدين .

ولا تر لعيب إلا فيك معتقداً عيباً بداً ثيباً لكنه استترا وقال بعضهم :

لا نسم لمرء على فعله وأنت منسوب إلى مثله
من دم شيئاً أتى مثله فإنيما دل على جهله
ولذا قالوا : (لا تر عيب غيرك) دام فيك عيب ، والعب لا يخو من عيب أدأ)

فيذا عرف المسم ذلك أقبل على نفسه عظمها عن شهواتها لمحرقة وعاداتها الناقصة ، ويلزمها يتصو لطاعات و تقربت .

ويتدرج في المجاهدة على ^{التي} ^{تسمى} ^{سبعة} ^{سبع} ، فهو في بدى الأمر يتخلى عن المعاصي التي تتعلق بجوارحه السبعة ، وهي :

اللسان ولأذن ولعين وليدان والرجلان والبطن والفرج ^(١) ، ثم يحلي هذه الجوارح السبعة باطاعات المناسه لكل منها ^(٢) فهذه الجوارح

(١) لكن جارحة من الجوارح السبعة معاصي تتعلق بها ، فمن معاصي اللسان : لعيبه والنميمة والكذب والفحش ومن معاصي الأذنين : سماع النميمة والنميمة ولأعني الفاحشة وآلات اللهو ومن معاصي العينين : لطم للساء الأحسان وعورت الرجل ومن معاصي اليدين : إيذاء المسلمين وقتلهم ، وأخذ أموالهم بالباطل ، ومصافحة النساء لأجنبيات ومن معاصي الرجلين : المشي إلى محلات المنكرات والفجور ومن معاصي البطن : أكل المال الحرام ، وأكل لحم الخنزير ، وشرب الخمر ومن معاصي الفرج : الرنا والنراطة

(٢) فمن صاحب اللسان : قراءة القرآن الكريم ، وذكر الله تعالى ، والأمر بالمعروف -

السبعة ماض على القلب إما أن تصب عنه خدمات المعاصي فتكدره وتمرصه ، وإما أن تدخل عليه أنوار الضاعات فتشفيه وتوره .

ثم يتقل في المجاهدة إلى الصفات البصنة فيبدى صفاته النافسة كالكبر والريء والغضب . . . بصفات كاملة كالتواضع والإخلاص والحلم .

وبما أن طريق لمجاهدة وعمر المسالك متشعب اجواب ، يصعب على السالك أن يلجئه مفرداً كان من المعيد عملياً صحبة مرشد خبير بعيوبها ، عالم بصرق معالجاتها ومجاهدتها ، يستمد المرید من صحبته خبرة عملية بأساليب تزكية نفسه ، كما يكتسب من روحانيته نفحات قدسية تدفع المرید إلى تكميل نفسه وشخصيته ، وترفعه فوق مستوى انقائص والمنكرات فقد كان رسول الله ﷺ امرئاً الأول والمركي لأعظم الذي رتب أصحابه انكرام ورثى نفوسهم بقاءه وحاله ، كما وصفه الله تعالى بقوله : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَیْ سَاطِلٍ مُبِينٍ ﴾ ^(١) [الحج ١٢] .

= راسي عن لمترك . ومن طاعات الأديس سماع القرآن الكريم ولأحاديث سوية والصائغ والمواظع ومن طاعات العيس النظر إلى وجود العلماء والصالحين ، النظر إلى الكعبة المشرفة ، والنظر بأمني لايت لله في الكون ومن طاعات اليلدين مصافحة المؤمنين ، وعطاء الصدقات . ومن طاعات المرجين . انمشي إلى المسجد وإلى مجلس اهدم ، وعدة لمريض ، والإصلاح بين الناس ومن طاعات ابظر مارول الطعام لحلال سية التقوي عن طاعة الله تعالى ومن طاعات المرح الكاح المشروع بعية لإحصاء وتكثير لسل .

(١) من ها نجد أن التركية شيء وتعليم الكتب والحكمة شيء آخر ، لذا قال الله تعالى : ﴿ رِ كَثِيرٌ وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ ففرق كبير بين علم لتركية وحالة لتركية ، كما يلاحظ الفرق الواضح بين عدم اصحة وحالة الصحة ، إذ قد يكون -

والذي يحقق النفع للمريد هو استقامته على صحبه مرشده و استسلامه له كاستسلام المريض للصيب . فإذا ما أدخل الشيطان على قلب المريد داء الغرور والاكتفاء الذاتي فأعجب بنفسه واستعنى عن ملازمة شيخه بقاء بالنفس ووقف وهو يظن أنه سائر ، وقُطِعَ وهو يظن أنه موصول .

قال الشيخ إسماعيل حقي رحمه الله في تفسيره (وإن كثيراً من متوسطي هذه لطائفة « الصوفية » تعثر بهم الآفات في أثناء السبوك عند سائمة النفس من المجاهدات وملا تهم من كثرة الرياضات ، فيوسوس لهم الشيطان ، وتسول لهم أنفسهم أنهم قد بلغوا في السلوك رتبة قد استغفوا بها عن صحبة الشيخ وتسليم تصرفاته ، فيخرجون من عبده ، ويشرعون في الطلب على وفق أنفسهم ، فيقعون في ورطة الخذلان وسخرة الشيطان)^(١) .

أقوال العارفين والمربين المرشدين في المجاهدة .

قال أبو عثمان المغربي رحمه الله : (من ص أنهُ يُفتح له بهذه الطريقة أو يكشف له عن شيء منها لا يلزوم المجاهدة فهو في علط)^(٢) .

وقال الإمام الحفيد رحمه الله تعالى : (سمعت السري السقطي

نفس الماهر الذي عنده علم الصحة وقدأ حابة الصحة ومصاباً بالأمراض والعلل لكثيرة

وكذلك اعرق طاهر بين علم الرهد وحالة الزهد ، كالمسلم الذي عنده علم واسع بالآيات والأحاديث والشواهد المتممة بالرهد ولكنه يفقد حالة الرهد ونصف بالطمع والشهوة والكباب على الدنيا العنية .

(١) « تفسير روح البیان » للشيخ إسماعيل حقي ج ٢ / ص ١٤٩ .

(٢) « الرسالة القشيرية » ص ٤٨ - ٥٠ .

يقول : يا معشر أنشأب حثوا قلوبكم أن تبلغوا مبلغنا فتصحبوا وتقصروا
كما ضعمت وقصرت وكان في ذلك الوقت لا يلحقه الشاب في
العبادة (١) .

وقال أبو عثمان لمغربي رحمه الله : (لا يرى أحد عيب نفسه وهو
مستحسن من نفسه شيئاً ، وإنما يرى عيوب نفسه من يتهمها في جميع
الأحوال) (٢) .

وقال أبو علي الدقاق رحمه الله تعالى : (من زين طاهره باسمجاهدة
حسن الله سرائره بالمشاهدة ، قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا
لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [المكيات ٦٩] واعلم أنه من لم يكن في بدايته صاحب
مجاهدة لم يجد من هذه الطريقة شمة) (٣) .

وقال الإمام البركوي رحمه الله تعالى (ما أسرع هلاك من لا يعرف
عينه ، فإن المعاصي بريد الكفر) (٤)
وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله تعالى (إن نجاة
النفس أن يخلف العبد هواه ، ويحملك على ما طلب منها ربها) (٥)

وقال الإمام البركوي رحمه الله تعالى . (المجاهدة . وهي فطم
النفس وحملها على خلاف هواه في عموم الأوقات ، فهي بضعة العبد
ورأس مال الزهد ، ومدار صلاح النفوس وتذليلها ، وملاك تقوية
الأرواح وتصفيتها ووصولها إلى حضرة ذي الجلال والإكرام . فعليك
أيها السالك بالتشمير في مع النفس عن الهوى وحملها على المجاهدة إن

(١) «الرسالة القشيرية» ص ٤٨ - ٥٠

(٢) «الرسالة القشيرية» ص ٤٨ - ٥٠

(٣) «الرسالة القشيرية» ص ٤٨ - ٥٠ .

(٤) «تعليمات على الرسالة القشيرية» للشيخ كرم الأنصاري

شئت من الله الهدى ، قال الله تعالى ﴿ وَلَدِينِ جَهْدٌ وَإِيسَاءُ لَهْدِيَّتِهِمْ
سُبُلًا ﴾ [العنكبوت ٦٩٠] . وقال أيضاً :

﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ﴾^(١) [العنكبوت ٦٠] .

وقال ابن عجيبة رحمه الله تعالى : (لا بد للمريد في أول دخوله
الطريق من مجاهدة ومكابدة وصدوق وتصديق ، وهي مظهر ومجلاة
لنهييات ، فمن أشرقت بديته أشرقت نهايته ، فمن رأته جادة في طلب
الحق بدلاً نفسه وقلبه وروحه وعمره وجأه استغناء الوصول إلى الحق
بالعبودية والقيم بوظائف الربوبية ؛ علمنا إشراق نهايته بالوصول إلى
محبوبه ، وإدراكه مقصراً علمنا قصوره عما هناك)^(٢)

قال محي الدين بن عربي رحمه الله (من كتب « الفتوحات لمكية »
الرياضات والحلوات والمجاهدات وأثرها) :

« ولم أر أن عقول أهل الإسلام بالله تعالى أن الله تعالى قد طيب منها
أن تعرفه بعد أن عرفته بأدلتها النظرية ، علمت أن ثمَّ عنماً آخر بالله
لا نص إلى من طريق لسكر ، فاستعملت الرياضات والحلوات
والمجاهدات وقطع العلائق ، والانسداد والحبوس مع الله بتفريغ السحر ،
وتقديس النفس عن شوائب الأفكار ، إذ كان متعلق الأفكار الأكوان ،
وتخذت هذه الطريقة من الأنبياء والرسل ، وسمعت أن الحق جل
جلاله^(٣) ينزل إلى عبادته ويستعظمهم فعلمت أن لطريق إليه من جهته
أقرب إليه من الطريق من فكرها

(١) لحدِيثِ التَّنْذِيرِ شرح الطريقه المحمديه ج ١ ، ص ٤٥٥

(٢) « يفاظ المهم في شرح الحكم » ج ٢ / ص ٣٧٠

(٣) حديث « يزل الله إلى السماء ليدنا » ج ١ ، واه اندام في باب اتصاله

ولا بد لأهل الإيمان وقد عرفوا قوله تعالى ^(١) «مَنْ أَنَانِي بَسَعِي أَتَيْتَهُ هَرُولَةً» وأن قلبه (أي قلب المؤمن) وسع جلاله وعظمته .

فتوحه العسل إليه تعالى بكله وانقطع من كل ما يأخذ عنه من هذه الهوى ، فعند هذا التوجه (أفاض الله عليه من بوره علماً إلهياً عرفه بألله تعالى من طريق المشاهدة والتحلي ، لا بقلبه كون ولا يرده كون) ودلت قول الله تعالى ﴿لَنْ يَكْفُرَ لَكُمْ كَذَانُكُمْ قَلْبٌ﴾ [و ٢٧] يشير إلى انعدام بالله من حيث المشاهدة ﴿لَنْ يَكْفُرَ لَكُمْ كَذَانُكُمْ قَلْبٌ﴾ [و ٢٧] ولم يقن غير ذلك القوة كقوة وراء صور العقل تصل العبد بالرب

فإن القلب معوم بانتقبت في الأحوال دائماً فهو لا يبقى على حال واحد فكذلك التحليات لإلهية ، فمن لم يشهد لتحليات بقلبه يكرها بعقله ، فإن العقل يقيّد غيره من القوى إلا القلب فإنه لا يقيّد وهو سريع التقلب في كل حال ولذا قال الشارع «إن القلب من أصعب من أصابع الرحمن يهله كيف يشاء»

فهو يتقلب بتقلب التجليات ، والعقل ليس كذلك ، والقلب هو القوة التي وراء طور لعقل ، ولو أراد لحق في هذه الآية بالعبء أنه العقل ما قل ﴿لَمْ يَكُنْ كَذَانُكُمْ قَلْبٌ﴾ [و ٢٧] ، فإن كان إسان له عقل وما كل إنسان يُعطى هذه القوى التي وراء طور لعقل ، المسمدة قلباً في هذه الآية ، فدللت قال ﴿لَمْ يَكُنْ كَذَانُكُمْ قَلْبٌ﴾ ^(٢) [و ٢٧]

١) حديث ١ د. نقرب إلي بعد شراً تقرت به راعاً ١ رواء لبحري عن أس

رأبي هريرة وأبي عوان وانطري عن سيمان .

٢) «الفتوحات المكية» ص ٤٤٣ .

رد الشبهات حول المجاهدة :

إن قال قائل : إن رجال التصوف يُحَرِّمون ما أحل الله من أنواع اللذائذ والمتع ، وقد قال الله تعالى ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَاطَّيَّبَتْ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [الأعراف ٣٢]

وقال تعالى : ﴿ يَكَايُنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا صَيِّبَتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [المائدة ٨٧]

فقول إن رجال التصوف لم يجعلوا الحلال حراماً ، إذ أسمى مقصدهم هو التقيد بشرع الله ، ولكمهم حين عرفوا أن تزكية النفس فرضٌ عين ، وأن لنفس أحلاماً سيئة وتعلقت شهوانية ، توحي صاحبها إلى الردى ، ونعيقه عن الترفي في مدارج الكمال ، وجدوا لزماً عليهم أن يهذبو نفوسهم ويحرروها من سجن الهوى

وبهذا المعنى يقول الصوفي الكبير الحكيم الترمذي رحمه الله رداً على هذه الشبهة ، وحبوا لمن احتج بالآية الكريمة ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ ﴾ [الأعراف ٣٢] بهذا الاحتجاج تعنيف ، ومن أقول تحريف لأننا لم نرد بهذا ، التحريم ، ولكنا أردنا تأديب النفس حتى تأخذ الأدب وتعلم كيف ينبغي أن تعمل في ذلك ، ألا ترى إلى قوله جل وعلا ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِسَرِّ الْحَقِّ ﴾ [الأعراف

٣٣] فلبغي في الشيء إحلال حرام ، والفحش حرم ، ولمساهة حرام ، والرياء حرام ، والسرف حرام ، فإنما أوتيت النفس هذا لمنع من أجل أنها مالت إلى هذه الأشياء بقلبها ، حتى فسد القلب ، فلما رأيت النفس تتناول رينة الله والطيبات من الرزق تريد بذلك تعنياً أو مباحة أو رياء علمت أنها خلطت حراماً بحلال فضيقت الشكر ، وإما دُرِّقَتْ لتشكر

لا يتكلم ، فلما رأيت سوء أدبها معها ، حتى إذا ذلت واقمعت ،
ورتي ربي مجاهداً في دأبه خو جهاده ، هداني سبيله كما وعد الله
نعمي : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت
٦٩] فصرتُ عنده بالمجاهلة محسناً فكان الله معي ، ومن كان مع الله فمعه
المئة التي لا تعب ، والحارس الذي لا يتام ، والهدي الذي لا يصل ،
وقدف في قلب من النور نوراً عاجلاً في دار الدنيا حتى يوصله إلى ثواب
الآجل ألا ترى إلى ما جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال « إذا قُذِفَ استورُ
في قلب عبد انفسح وانشرح » قيل : يا رسول الله فهل لذلك من
علامة ؟ قال « نعم ، استجافي عن دار العرور ، والإجابة إلى دار
الحلود ، والاستعداد للموت قبل نروله » وإنما تجافى عن دار لغرور بما
قُذِفَ في قلبه من نور فأبصر به عبوب الدنيا ودو هيب وآفتها وخذعها
وخرايبها ، فغاب عن قلبه البغي والرياء والسمعة والمباهاة والفخر
والخيلاء والحسد ، لأن ذلك إما كان أصله من تعظيم الدنيا وحلاوتها
في قلبه ، ووجه له ، وكان سبب نجاته من هذه الآفت - برحمة الله -
رياضته هذه النفس بمنع الشهوات منها (١)

وقد تسرع بعض الناس فزعموا جهلاً أن التصوف في مجاهداته ينحدر
من أصل بودي أو براهمي ، ويلتقي مع الانحرافات لدينية في الصراية
وغيرها التي تعتبر تعذيب الجسد طريقاً إلى إشرق الروح وانطلاقها ،
ومنهم من جعل التصوف امتداداً لنزعة الرهبنة التي ظهرت في ثلاثة رهط
سألوا عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أحرو عنها كأنهم تقلروها ، وقال
أحدهم أما أنا فاصوم الدهر ولا أمطر ، وقال لثاني : أما أن فأقوم الليل

(١) كتاب « الرياضة وأدب النفس » للحكيم الترمذي ص ١٢٤ .

ولا أنام ، وقال الثالث . أم أنا فاعتزل النساء ولا أتزوج . ولم عُرض أمرهم على رسول الله ﷺ صحح لهم أفكارهم ، وردهم إلى الصراط المستقيم و لهج القوم .

والجواب على ذلك أن التصوف لم يكن في يوم من الأيام شرعة مستقلة ولا دياً جديداً ، ولكنه تطبيق عملي لدين الله تعالى ، واقتداء كامل برسوله عليه الصلاة والسلام

وإنما سرت الشبهة على هؤلاء المتسرعين لأنهم وجدوا في التصوف اهتماماً تركية النفس وتربيتها وتصعيدها ، ومجاهدتها على أسس شرعية وصمن بطاق الدين لحيف ، فقاموا تلك الانحرافات لدينية على لتصوف قياساً أعمى دون تمحيص أو تمييز

ففرق كبير إذاً بين المحاكمة المسموعة المقيدة بدين الله تعالى ، وبين المعالاة والانحراف وتحريم الحلال وتعذيب الجسد كما عيب البوذيون لكاهنهم .

ومن لطيم ولبهتان أن يُحكَم على كل من جاهد نفسه وزكاه أنه ينحدر من أصل بوذي أو براهمي كما يزعم المستشرقون ومن خُدعهم ، أو أنه يقتدي بهؤلاء الرهط الذي تقالُّو عبادة رسول الله ﷺ ، كما يقوله المتسرعون السطحيون . مع أن رسول الله ﷺ صحح لهم خطأهم فرجعوا إلى هديه وسُنَّته

وإذا وُجد في تاريخ التصوف من حرَّم الحلال أو قام بتعذيب الجسد على عرار الانحرافات الدنيوية اساقفة فهو متبع ومبتعد عن طريق التصوف لذا ينبغي التفريق بين التصوف والصوفي فليس انصرفي بانحرافه ممثلاً للتصوف ، كما أن المسمم بانحرافه لا يمثل الإسلام

والمعترضون لم يعرفوا بين الصوفي والتصوف وبين المسمم والإسلام

فجعلوا تلازماً بينهما فوقعوا في الكاملين قياساً على المنحرفين

وبعد ، فإن انتهى أمل السالكين ترقية نفوسهم ، فإن ظفروا بها وصلوا إلى مطويعهم ، ولفس ترقى بالمجاهدة والرياسة من كونها أمانة إلى كونها لوامة ومُلْهَمة وراصية ومَرْضِيَّة ومضمنة . . إلخ ، فامحاهدة ضرورية لسالك في جميع مراحل سيره إلى الله تعالى ، ولا تنهي إلا بالوصوب إلى درجة العصمة ، وهذه لا تكون إلا للأسياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام .

وبهذا يدرك خطأ بعض السالكين الذي لم يُحكموا شرط سيرهم - وهو مجاهدة النفس - ثم يدعون لأنفسهم لمحبة ، ويترمون بكلام لمحبين ، وينشدون قول ابن الفارض بأبيد لمذهبهم .

وعن مذهبي في الحب ما لي مذهب **وَإِنْ مِلْتُ يَوْمًا عَنْهُ فَرَقْتُ مِلَّتِي**

وما علم كيف كانت بداية ابن الفارض من حيث مجاهدته لنفسه ، وإليك بعض كلامه يصف مجاهداته في سيره مما يس على أهميه المحاهدة مع العلم أنه ابتدأ سيره إلى الله تعالى من نفس لوامة لا أمانة بالسوء ، ويبين أن السالك الذي لا محاهدة له لا سير له ولا محبة له

ففسى كنت قبل لوامة منى	أطعها عصت ، أو أغصرت كدت مطيعني
قاوردتها ما الموت أيسر بغضه	وأعشيت كيما نكون مريحني
فعدت ومهما حُمِلْتُ تحملت	ه مني وإن خففت عنها تأدبت
وأذهبت في تهذيبها كل لدة	بإبعادها عن عادها فاطمأنت
ولم يبق حول دونها ما ركبته	وأشهد نفسي فيه غير زكيته

ولهذا كان ابن الفارض يعرض بمدعي المحبة الذين لم تركوا

حظوظهم ولم يجاهدوا نفوسهم فيقول :

نعرّض قوم للغرام وأعرضوا بجانبهم عن صحّتي فيه واعتلّوا
 رَضُوا بالأمانى وابتلوا بحظوظهم راحضوا بحار الحُبّ دعوى فما ابتلوا
 فهم في الشرى سم يرحوا من مكانهم وما ظعروا في السير عنه وقد كنوا
 فلمجاهدة إذا شرط أساسي لكل سالك في جميع مراحل سيره ،
 ولكنها تتغير بحسب ترقّي المريد في مدارج السمو ، ومثاله في ذلك
 الطالب ، يكون في مرحلة لابتدائي ، ثم الإعدادي ثم الثاني ثم
 الجامعي . . . وفي كل هذه المراحل يعتبر طالباً ، ولكن هناك فرق كبير
 بين الطالب الابتدائي والطالب الجامعي . وكذلك الفرق شاسع بين كون
 نفسه أمانة بالسوء تميل إلى الفواحش ، وبين كونها مطمئنة راجعه إلى
 ربها راضية مرصبة

والخلاصة :

إن المجاهدة أصل من أصول طريق الصوفية ، وقد قالوا من حقق
 الأصول بالوصول ، ومن ترك الأصول حُرّم الوصول .
 وقالوا أيضاً : مَنْ لم تكن له بداية محرقة « بالمجاهدات » لم تكن له
 نهاية مشرقة . البدايات قتل على النهايات

الذكر

تمهيد - معني كلمة الذكر - دليله من الكتاب والسنة - أقوال العلماء فيه -
أقسامه - ألفاظه وصيغه - استحذير من تركه - الحركة في الذكر -
الإنشاد والسماع في المسجد - فوائده وثمراته

تمهيد:

الذكر يشمر المقامات كلها من اليقظة إلى التوحيد ، ويشمر لمعارف
والأحوال التي شمر إليها السالكون ، فلا سبيل إلى نيل ثمارها إلا من
شجرة الذكر ، وكلما عظمت تلك الشجرة ورسح أصلها ، كد أعظم
لثمرتها وفئدتها . . .

وهو أصل كل مقام وقاعدته التي يبني عليها ، كما يُبنى الحائط على
أساسه ، وكما يقوم السقف على جداره .

وذلك أن العبد إن لم يستيقظ من غفلته لم يمكنه قطع منازل السير
الموصلة إلى معرفة الله تعالى التي حُلِقَ الإنسان لأجلها ، قال تعالى :
﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^(١) [الدوريات ١٥٦] . ولا يستيقظ المرء
إلا بالذكر ، فالعقلة نور القلب أو مونه

وإن امتثال الصوفية لأمر مولاهم عز وجل بالإكثار من ذكره جعل
حياتهم كحياة لملائكة ، لا تخطر الدنيا على قلوبهم ، ولا تشغلهم عن
محبوبهم ، نسوا أنفسهم بمحاضاتهم لربهم ، وعابوا عن كل شيء سواه
فتواجدوا عندما وجدوا

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما : يعبدون أي : يعرفون .

ذَكَرْتُكَ ، لا أني نسيبك لمحبة وأبسر ما في الذكر ذكر لِسَانِي
يذكر الصوفي ربه في كل أحيائه ، فيجد بذلك شرح الصدر ،
واطمئنان القلب ، وسمو الروح ؛ لأنه حظي بمحاسبة ربه عز وجل
« أهل ذكري أهل محالسنِّي .. الحديث »^(١) .

فالعارف من دارم على الذكر وأعرض بقلبه عن متع الدنيا لذرائله .
فتولاه الله في جميع شؤونه ولا عجب ، فمن صبر ظفر ، ومن لارم
قرع الباب يرشك أن يفتح له .

* * *

معاني كلمة الذكر

أطلقت الآيات القرآنية الكريم والأحاديث النبوية اشريفة كلمة
« الذكر » على عدة معانٍ ، فبادر فصيد بها القرآن الكريم كما في قوله
تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ رَبُّ الذِّكْرِ وَإِنَّا لَ الْخَاطِطُونَ ﴾ [الحجر ٩] ، وتدره قُصِدَ بها
صلاة الجمعة ﴿ يَذْكُرُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا
إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الجمعة ٩] وهي موص آخر عني بها العلم ﴿ مَسْتَوُوا أَهْلَ
الذِّكْرِ بِذِكْرِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُ ﴾ [الاسماء ٧٠] وهي معظم النصوص أريد
بكلمه « الذكر » التسيخ وتهليل والتكبير وانصلاة على النبي ﷺ ،
وما إلى هنالك من اصبع ، كما في قوله تعالى ﴿ إِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ
فَاذْكُرُوا لِلَّهِ فِيمَا وَفَعْتُمْ وَأَعْلَى جُنُوبِكُمْ ﴾ [الاسماء ١١٠] وقوله تعالى :
﴿ يَذْكُرُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ [الاسماء
٤٥] . وقوله تعالى : ﴿ وَادْكُرْ أَسْمَ رَبِّكَ وَسَمِّ إِلَهَ تَبِيلًا ﴾ [المرسل ٨]

(١) من حديث قدسي أخرجه الإمام أحمد في مسنده

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الله عز وجل يقوب أنا مع عبدي إذا هو ذكرني ويحركت بي شفتاه »^(١) .

وعن عبد الله بن بسر أن رجلاً قال (يا رسول الله إن شريعت الإسلام قد كثرت عليّ ، فأحزني شيء أتشتبه) قال : « لا يزال سأنك رطماً من ذكر الله »^(٢) .

أما ما يقوله بعضهم : (إن المراد بالذكر هو العلم بالحلل والحرام) ، فجوابه : (أن لفظ الذكر مشترك بين العلم والصلاة والقرآن وذكر الله تعالى ، لكن المعنى في اللفظ لمشارك ما غلب استعماله فيه عرفاً ، وغيره إما يصرف إليه بقربة حالبة أو لفظية ، ونفط الذكر قد غلب استعماله في ذكر الله حقيقة ، ومن غير الغالب أن يخلق ويراد به العلم ، كما قال تعالى ﴿ فَسَبِّحْوا لَهُنَّ أَذْكَرَ ﴾ فلمراد به العلم بقربة السؤال .



دليله من الكتاب والسنة

١- أما من الكتاب :

١- وقد قال تعالى ﴿ فَادْكُرُوا آذْكَرَكُمُ ﴾ سورة الفرقان [١٥٢] .

٢- وقد قال تعالى ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُوبِهِمْ ﴾

[آل عمران ١٩١]

(١) رواه ابن ماجة في كتاب الأدب ، ابن حبان في صحيحه ، والإمام أحمد في مسنده والحاكم كما في « فصوص التقدير » ج ١ / ص ٣٠٩

(٢) رواه الترمذي في كتاب الدعوات وقال حديث حسن

٣- وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوا بِحَمْدِهِ وَأَصِيلًا ۖ ﴾ [الاحزاب : ٤١-٤٢] .

٤- وقال تعالى : ﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ۖ ﴾ [آل عمران : ٤١] .

٥- وقال عز من قدير : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ۖ ﴾ [الرعد : ٢٨] .

٦ قال أيضاً : ﴿ وَادْكُرْ أَسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۖ ﴾ [الدھر : ٢٥] .

٧- وقال أيضاً : ﴿ وَادْكُرْ أَسْمَ رَبِّكَ وَتَنَسَّلْ إِلَيْهِ تَتَسِيلًا ۖ ﴾ [المرمل : ٨] .

٨- وقال جل شانه : ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ ﴾ [العنكبوت : ٤٥] .

٩- وقال أيضاً : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ فِيمَا وَفَعُودَا وَعَلَىٰ خُجُوبِكُمْ ۖ ﴾ [السد : ١٠٣] .

١٠- وقال أيضاً : ﴿ فَإِذَا تَضَيَّتِ الصُّلُوكُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَانْمَعُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۖ ﴾ [الجمعة : ١٠] .

١١- وقال أيضاً : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ ۖ ﴾ [البقرة : ١١٤] .

١٢- وقال تعالى : ﴿ فِي يَتُوبِ إِلَهُ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكِّرَ فِيهَا أَسْمُهُ ۖ ﴾ [التور : ٣٦] .

١٣- وقال أيضاً : ﴿ يَجَالُ لَا إِلَهِيهِمْ فَخَرَّةٌ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ۖ ﴾ [النور : ٣٧] .

١٤- وقال أيضاً : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُهَكِّدُوا أَمْوَالَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ۖ ﴾ [المنافقون : ٩] .

١٥- وقال أيضاً : ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَلِذِكْرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۖ ﴾ [الاحزاب : ٢٥٠] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما . (المراد : يذكرون الله في أديار الصوائت ، وعدواً وعشياً وكلمة استيفت من يومه ، وكلما عدا أو راح من منزله ، ذكر الله تعالى) (١)

وقال محامد (لا يكون من الدكرين الله كثيراً والداكرات حتى يذكر الله تعالى قائماً وقاعداً ومصجعاً) (٢)

وجميع العبادات بشروط لصحتها شروط إلا ذكر الله تعالى ، فإنه يصح بطهارة وغيرها وفي جميع لحالات في لقيام والقعود وغيرها .

وهذا قال النووي : (أجمع العلماء على حرمة الذكر بالقلب واللسان لمؤخات والجنب والحائض والنفساء ، وذلك في تسبيح والتحميد والتكبير والصلاة على رسول الله ﷺ ولبياء ونحو ذلك) (٣) .

فالذكر صفات القلوب ، ومفتاح باب استمحات ، وسبيل توجه التجليات على القلوب ، وبه يحصل لتخلق ، لا بعيره . لذلك فاحميد لا يصيبه عم أو هم أو حزن إلا بسبب عفته عن ذكر الله ، ولو اشتغل بذكر الله لدام فرحه وقرت عينه ، إذ ادكر مفتاح السرور والفرح ، كما أن الغفلة مفتاح الحزن والكدر .

٢- وأما من السنة

١- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، قال : قال النبي ﷺ

(١) « الصوفاة الربانية على الأذكار السووية » ج ١ / ص ١٠٦ - ١٠٩

(٢) « الفتوحات الربانية على الأذكار النووية » ج ١ / ص ١٠٦ - ١٠٩

(٣) « الفتوحات الربانية على الأذكار المورية » ج ١ / ص ١٠٦ - ١٠٩

« مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربّه مثل الحي والميت »^(١)

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ .

« إن الله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم . قال . فيحسونهم بأجنتهم إلى السماء الدنيا . قال فيسألهم ربهم عز وجل - وهو أعلم بهم - ما يقول عبادي ؟ قال يقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك قال فيقول : هل رأوني ؟ قال فيقولون لا والله ما رأوك ، قال فيقول : وكيف لو رأوني ؟ قال فيقولون لو رأوك كنّا أشد لك عبادةً وأشد لك تمجيداً ، وأكثر لك تسبيحاً . قال فيقول : فما يسألونني ؟ قال يقولون يسألونك الجنة . قال يقول : هل رأوها ؟ قال يقولون لا والله يا رب ما رأوها . قال فيقول : فكيف لو أنهم رأوها ؟ قال يقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً ، وأشد بها طيباً ، وأعظم فيها رغبة . قال فيقول : نعم يتعذّون ؟ قال يقولون : من النار ، قال فيقول : وهل رأوها ؟ قال يقولون : لا والله ما رأوها . قال فيقول : فكيف لو رأوها ؟ قال يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافة . قال فيقول : أشهدكم أبي قد غفرت لهم . قال فيقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة . قال فيقول : هم الحلساء لا يشقى بهم جليسهم »^(٢) .

ففي هذا الحديث فضل مجالس الذكر والذاكرين وفصل الاجتماع

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الدعوات .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الدعوات .

على ذلك ، وإن جلسهم يندرج معهم في جميع ما يتمصل عليهم ربهم
إكراماً لهم ؛ وإن لم يشاركهم في أصل الذكر ، وبمجالسته لهم صار
سعيداً لأن من جالس جنس ؛ إن صحَّت النية .

٣- وعن أس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« إذا مررتهم برياض لجنة فارتعوا . قالوا : يا رسول الله وما رياض
الجنة ؟ قال : جنق الذكر »^(١) .

٤- وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« ليعثنَّ الله أنوماً يوم القيامة في وحوهم النور ، على منابر
اللولؤ ، يعبطهم الناس ، ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، قال . فجثا أعرابي
على ركبتيه فقال يا رسول الله ﷺ ^(٢) لما عرفهم ! قال . هم
المتحابون في الله من قبائل شتى ، وبلاد شتى يجتمعون على ذكر الله
يذكرونه »^(٣) .

٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يسير في
طريق مكة فمر على حل يقال له . جُمْدَان فقال . « سيروا هذا جُمْدَان
سبق المفترَّدون . قيل . وما المفترَّدون يا رسول الله ؟ قال : المستهترون
بذكر الله ، يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون الله يوم القيامة خفافاً »^(٤) .

والمستهترون : هم لمولعون بالذكر لعداومون عليه ، لا يباليون
ما قيل فيهم ولا ما فُعلَ بهم

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات وحسنه

(٢) حلهم : صمهم لنا وعرفنا نزلهم

(٣) رواه الطبراني بإسناد حسن كما في « الترغيب والترهيب » ٤٠٦/٢ .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والترمذي في كتاب الدعوات .

٦- وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ :
 « ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق^(١) ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ » قالوا : بلى . قال : ذكر الله تعالى ، فقال معاذ بن جبل رضي الله عنه . (ما شيء أجد من عذاب الله من ذكر الله)^(٢) .

٧- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ يقول الله تعالى :

« أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ^(٣) ذكرته في ملأ خير منهم ، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة^(٤) » .

٨- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال .
 « يقول الله عز وجل يوم القيامة : سيعلم أهل الجمع من أهل الكرم ، فقيل : ومن أهل الكرم يا رسول الله ؟ قال : أهل مجالس الذكر في المساجد^(٥) » .

(١) الورق : الفضة

(٢) رواه الترمذي في كتاب الدعاء باب ما جاء في فضل الذكر . ورواه ابن ماجه في « الأدب » باب فضل الذكر .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الذكر ، والبخاري في كتاب التوحيد والترمذي في كتاب الدعوات ، وأبو داود ، وابن ماجه .

(٤) رواه أحمد وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه والبيهقي وغيرهم . « لترغب والترهب » ح ٢ / ص ٤٠٤

٩- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال :

« ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لا يريدون بذلك إلا وجهه ؛ إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفوراً لكم فقد بذلت سيئاتكم حسات »^(١) .

١٠- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ :

« يقول الرب تبارك وتعالى : مَنْ شَغَلَهُ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ وَذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أُعْطِيَ أَفْضَلَ مَا أُعْطِيَ السَّائِلِينَ »^(٢)

هذا وكما ورد في فضائل الذكر ولا اجتماع عليه ، والجهر والإسرار به ، فهو من أدلة مشروعيه .



أقوال العلماء بالله في فضل الذكر

عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) :

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : (سم يفرض الله تعالى على عباده فريضة إلا جعل لها حداً معبوماً ، ثم عذر أهلها في حال العذر ، غير الذكر ؛ فإنه لم يجعل له حداً ينتهي إليه ، وسم يعذر أحداً في تركه إلا مغلوباً على عقله ، وأمرهم بذكره في الأحوال كلها ، فقال عز من قائل :

(١) رواه الإمام أحمد ، ورجاله رجال الصحيح كذا في « مجمع الروائد »

ج ١٠ / ص ٧٦

(٢) أخرجه الرمزي في كتاب « فضائل القرآن » وقال : حديث حسن والدارمي والبيهقي .

﴿ فَادْكُرُوا اللَّهَ فِيْمَا وَقَعْتُمْ وَأَعَنِ جُنُوبَكُمْ ﴾ [الباء ١٠٣] وقال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ [الأحراب ١١١] أي بالليل والنهار ، وفي الر والبحر ، والسفر والحضر ، والغنى والفقر ، وفي الصحة والسقم ، والسر والعلانية ، وعلى كل حال ^(١)

ابن عطاء الله السكندري :

قل سيدي ابن عطاء الله السكندري : (لذكر هو التخلص من العمد والنسيان بدوام حضور القلب مع الحق ، وقيل ترديد اسم الله تاهلـب واللسان ، أو ترديد صفة من صفاته ، أو حكم من أحكامه ، أو فعل من أفعاله ، أو غير ذلك مما يُتَقَرَّبُ به إلى الله تعالى) ^(٢) .

الإمام أبو القاسم القشيري

قال الإمام أبو القاسم القشيري رضي الله عنه (الذكر منشور الولاية ، ومار الوصية ، وتحقيق الإرادة . وعلامة صحة البداية ، ودلالة النهاية ، فليس وراء الذكر شيء ؛ وجميع الحصول المحمودة راجعة إلى الذكر ومنشؤها عن الذكر) .

وقال أيضاً : (الذكر ركن قوي في طريق الحق سبحانه وتعالى ، بل هو العمدة في هذا الطريق ، ولا يصل أحد إلى الله تعالى إلا بدوم الذكر) ^(٣) .

(١) « نور التحقيق » ص ١٤٧

(٢) « مفتاح العلاج » ص ٤ لاس عطاء الله السكندري الموفى ٧٠٩ هـ

(٣) « الرسالة القشيرية » ص ١١٠ .

ابن قيم الجوزية :

قول ابن قيم الجوزية : (ولا ريب أن القلب يصدأ كما يصدأ للحاس وانفضة وغيرهما ، وحلاؤه بلذكر ، فإنه يجلوه حتى يدعه كالمرّة البيضاء ، فإذا ترك صدىء ، فإذا ذكر جلاه وصدأ القلب بأمرين بالغفلة ، والذنب ؛ وحلاؤه بشيئين : بالاستغفار والذكر فمن كانت العفلة أغلب أوقاته كان الصدأ متراكماً على قلبه ، وصدؤه بحسب غفلته . وإذا صدىء لقلب لم تنطع فيه صور المعلومات على ما هي عليه ؛ فيرى الباطل في صورة الحق ، والحق في صورة الباطل ، لأنه لما تراكم عنه الصدأ أظلم فلم تظهر فيه صور الحقائق كما هي عليه . فإذا تراكم عنه الصدأ ، واسود ، وكنه الزنفسد تصوره وإدراكه فلا يقبل حقاً ، ولا يكر باطلاً ، وهذا أعظم عقوبات القلب . وأصل ذلك من لعفلة واتساع الهوى ، فنهما يطمسيلان نور لقلب ويعميان بصره .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ دِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ۝ ﴾ [الكهف : ٢٨] (١) .

فخر الدين الرازي :

قال العلامة فخر الدين الرازي في تفسيره عند قوله تعالى ﴿ وَرَفَعُوا الْأَسْمَاءَ لِلْهَيْكَلِ ﴾ [الأعراف : ١٨٠] . (إن انموجب لدخول جهنم هو العفلة عن ذكر الله تعالى ، والمحلص من عذاب جهنم هو ذكر الله تعالى .

(١) « الزايل الصيب من الكلم لطيف » لابن قيم الجوزية ، لمترجمه ص ٧٥ ص ٥٠ .

وأصحاب الدوق والمشاهدة يجدون من أرواحهم أن الأمر كذلك ، فإن القلب إذا عمل عن ذكر الله ، وأقبل على الدب وشهواتها ، وقع في باب الحرص وزمهير الحرمان . ولا يزال يستقل من رغبة إلى رغبة ، ومن طلب إلى طلب ، ومر طلعة إلى ظلمة ، فإذا انفتح على قلبه باب ذكر الله ومعرفة الله تخلص من نيران الآفات ، ومن حشرات الحشرات ، واستشعر بمعرفة رب الأرض والسموات (١) .

أحمد زروق :

يقول أحمد زروق رحمه الله في قواعده (الحواصن ثابتة في الأقوال والأفعال والأعيان ، وأعظمها خواص الأذكار ، إذ ما عمل آدمي عملاً أحسن له من عذاب الله من ذكر الله) وقد جعلها الله للأشياء كالأشربة والمعجيين في مافعها ؛ لكل ما يخصه . فلم مراعاة العام في العموم ، وهي الحواصن مما يوافق حال الشخص (٢) .

أحمد بن عجيبة .

قال أحمد بن عجيبة . (لا يكون انفتح على تحقيق العبد بمقدم الرضا إلا بعد تحققه بثلاثة أمور في بدايته

١- الاستغراق في الاسم لمجرد [الله] و (هذا خاص بالمتأذنين بذكر الاسم من مرشد كامل) .

٢- صحبته للذاكرين

(١) بصير المحر الرازي ج ١ / ص ١٧٢

(٢) « قواعد التصوف » لأحمد زروق ص ٣٧ .

٣ تمسكه بالعمل الصالح الذي لم يتصل به شيء من العار ، وهو التمسك بالشرعة المحمدية ^(١) .

والمخلاصة :

إن جميع لمربين والمرشدين لكملمن قد أصبحوا أسالكير في سيرهم إلى الله وأبنوا لهم أن الطريق العمي الموصول إلى الله تعالى وإلى رضوانه هو الأكثر من ذكر الله في جميع لحالات ، وصحة الذاكرين ، لأن نفاس الذاكرين تفصع شهوت النفس لأفارة بالسوء

* * *

أقسام الذكر

أ- ذكر السر والجهر :

إن ذكر الله تعالى مشروع سراً وجهرآ ، وقد رغب رسول الله ﷺ في الذكر بسويعه : اسري والجهرى ، إلا أن علماء لشرعة الإسلامية قرروا أفضلية الجهر بالذكر إذا خلا من الرياء ، أو إيداء مُصل أو فارىء أو نائم ، مستندلين ببعض الأحاديث لسوية اشريفة ، منها

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قل : قل رسول الله ﷺ

« يقول الله : أنا عند ظن عدي بي وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم » ^(٢) . والذكر في الملأ لا يكون إلا عن جهر .

(١) « تجميع شرح الأجرومية » لابن عجية ص ٢٩

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه والترمذي والسائي وابن ماجه

٢- عن زيد بن أسلم رضي الله عنه قال قال ابن الأدرع رضي الله عنه . (نطقت مع انبي عليهم السلام ليلة ؛ فمر برجل في المسجد يرفع صوته ، قست يا رسول الله عسى أن يكون هد مرثياً ؟ قال : لا ، ولكنه أواه)^(١)

٣- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال . (إن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان عسى عهد لبي عليه السلام . قال ابن عباس كنت أعمم إذ بصرفوا بذلك إذا سمعته)^(٢)

٤- عن انسائ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « حاءي جبريل قال : مُر أصحابك يرفعوا أصواتهم بالتكبير »^(٣) .

٥- عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال إنا لعدنا نبي صلى الله عليه وسلم إذ قال « ارفعوا أيديكم فقولوا : لا إله إلا الله ، ففعلنا ، فقال صلى الله عليه وسلم . اللهم إني أعوذ بك من هذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة ، بك لا تحلف لمعباد ، ثم قال . أشروا فإن الله قد غفر لكم »^(٤) .

وهذا أحاديث بلغت حد الكثرة ، جمع منها العلامة لكبير حلال لدين السيوطي خمسة وعشرين حديثاً في رسالة سماها « نتيجة الفكر في لجهر بالذكر » فقال (الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين

(١) رواد السهقي كما في « لحاوي للفتوي » للسيوطي ج ١ / ص ٣٩١

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، ولم يسمي كنت أعلم اصرافهم بسماع الذكر . كما قال صاحب « الفتح » الحافظ ابن حجر العسقلاني في ج ٢ / ص ٢٥٩

(٣) رواه الإمام أحمد وأبو دود والترمذي وصححه السيوطي في كتابه « لحاوي للفتوي » ج ١ / ص ٣٨٩

(٤) أخرجه الحاكم كما في لمصدر السابق ج ١ / ص ٣٩١

اصطفى ، سألت أكرمك الله عما اعتده اسادة الصوفية من عقد جلق الذكر ، ولجهر به في المساجد ، ورفع الصوت بالتهليل وهل ذلك مكروه ، أو لا ؟ .

الجواب . إنه لا كراهة في شيء من ذلك ، وقد وردت أحاديث بفتصي استحباب الجهر بالذكر ، وأحاديث تقتضي استحباب الإسرار به ، والجمع بينهما أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص ، وما أبا أبين ذلك فصلاً فصلاً .

ثم ذكر الأحاديث لدالة على ذلك كما فيها ثم قال . إذا تأملت ما أوردنا من الأحاديث ، عرفت من مجموعها أنه لا كراهة السة في الجهر بالذكر ، بل فيه ما يدل على استحبابه ، إما صريحاً أو الترمماً - كما أشرنا إليه - ، وأما معارضته بحديث ^{سبحان} حبر الذكر الحفي فهو نظير معارضة أحاديث الجهر بالقراءة ^{سبحان} المسر بالقرآن كالمسر بالصدقة ، وقد جمع النووي بينهما ^{سبحان} الإجماع أفصل حيث حاف الرياء ، أو نأذني به مصلون أو يسم . والجهر أفصل في غير ذلك ، لأن العمل فيه أكثر ، ولأن فائدته تتعدى إلى السامعين ، ولأنه يوقظ القارئ ، ويجمع همه إلى الفكر ، ويصرف سمعه إليه ، ويتردد لنوم ، ويزيد في النشاط . وقد بعضها : يستحب الجهر ببعض القراءة والإسرار ببعضها ، لأن الميسر قد يمل فيأنس بالجهر ، والجاهر قد يكل فيستريح بالإسرار . وكذلك نقول في الذكر على هذا التفصيل ، وبه يحصن لجمع بين الأحاديث فإن قلت : قال الله تعالى ﴿ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ [الأعراف ٢٠٥] قلت : اجواب على هذه الآية من ثلاثة أوجه :

الأول . إنها مكية كآية الإسراء ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾

[الإسراء ١١٠] . وقد نزلت حين كان النبي ﷺ يجهر بالقرآن ، فيسمعه المشركون فيسبون لقرآن ومن نزل به ، فمير بترك الجهر سداً لذريعه ، كما نهي عن صب الأصدم بذلك في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَسْمُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِعَدْوِيٍّ صِرَ ﴾ [الأنعام ١٠٨] وما زال هذا المعنى ، وأشار إلى ذلك ابن كثير في تفسيره

الثاني . إن جماعة من المفسرين - منهم عبد الرحمن بن زيد بن أسلم شيخ مالك ، وابن جرير - حملوا الآية على لداكر حال قراءة القرآن ، وأنه أمر له بالذكر على هذه الصفة تعظيماً للقرآن أو ترفع عنه الأصوات ، ويقويه تصابها بقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا ﴾ [الأعراف ٢٠٤] قلت وكأنه لما أمر بالإنصات خشي من ذلك الإحلال إلى البطالة ، فنه على أنه وإن كان مأثوراً بالنسبة بانلسان إلا أن تكليف الذكر بالقلب دق حتى لا يغفل عن ذكر الله ، ولذا حتم الآية بموله : ﴿ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [الأعراف ٢٠٥] .

الثالث : ما ذكره الصوفية أن الأمر في الآية حاصر بالنبي ﷺ الكامل لمكمل ، وأما غيره - ممن هو محل انوساوس والخواطر الرديئة - فمأمور بالجهر ، لأنه أشد تأثيراً في دفعها .

قلت . ويؤيده من الحديث ما أخرجه البزار عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قل رسول الله ﷺ : « من صلى منكم باليس فليجهر بقراءته فإن الملائكة نصلي بصلاته ، وتسمع لقراءته ، وإن مؤمني الجن ليدن يكتوبون في الهواء ، وحياربه معه في مسكنه يصلون بصلاته ، ويستمعون قراءته ، وإنه ينظر بدجهره بقراءته عن دره وعن الدور التي حوله فساق الجن ومردة الشياطين » .

فإن قلت : فقد قل تعالى : ﴿ أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّكُمْ لَا تُحِبُّونَ » .

الْمُعْتَبِرِينَ ﴿الأعراف ، ٥٥﴾ وقد فسر الاعتداء بالحهر هي الدعاء

قلتُ : لجواب عنه من وجهين .

أحدهما أن الراجح في تفسيره أنه تجاوزُ المأمور به ، أو احتراخُ دعوة لا أصل لها في الشرع ، ويؤيده ما أخرج ابن ماجة ، و لحاكم في مستدركه وصححه عن أبي يعاقبة رضي الله عنه (أن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول : اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة فقال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون بالدعاء ») فهذا تفسير صحابي ، وهو أعلم بالمراد .

الثاني : على تقدير تسليم فالآية في الدعاء لا في الذكر ، والدعاء بخصوصه ، الأفضل فيه الإصرار ، لأنه أقرب إلى الإجابة ، ولذا قال تعالى : ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبُّنَا أَخَانَا فَجَبَّتْ ﴾ [يريم ٢٢] ومن ثم استحب الإصرار بالاستعاذة في لصلاة اتفاقاً لأنها دعاء

فإن قلتُ فقد نص عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه رأى قوماً يهللون برفع الصوت في المسجد فقال : ما أراكم إلا مبتدعين حتى أخرجهم من المسجد قلتُ هذا الأثر عن ابن مسعود يحتاج إلى بيان سده ، ومن أخرجه من الأئمة الحفاظ في كتبهم ، وعلى تقدير ثبوته فهو معارض بالأحاديث الكثيرة الثابتة المتقدمة ، وهي مقدمة عليه عند المعارض ، ثم رأيت ما يقتضي إنكار ذلك عن ابن مسعود ، قال الإمام أحمد بن حنبل في كتاب الزهد حدثنا حسين بن محمد حدثنا المسعودي عن عامر بن شبيب عن أبي وائل قال هؤلاء الذين يزعمون أن عبد الله كان ينهي عن الذكر ، ما جالس عبد الله مجلساً إلا ذكر الله فيه وأخرج أحمد في الزهد عن ثابت البناني قال : إن أهل ذكر الله ليجلسوا إلى ذكر الله وير

عليهم من الأثم أمثال اجبال ، وإنهم ليقرمون من ذكر الله تعالى ما عليهم منها شيء) (١)

وقال العلامة الكبير الشيخ محمود الألوسي في تفسيره عند قوله تعالى ﴿وَرَدَّ الْجَهْرَ بِالنَّوْرِ فَإِنَّهُمْ لَيَعْلَمُونَ لَيْسَ وَأُخْفَى﴾ [ص ٧] وقيل نُهِيَ عن الجهر بالذكر والدعاء ، بقوله تعالى ﴿وَأَذْكُرُ رُتَاكَ فِي نَفْسِكَ تَصَرُّعًا وَحَيْفَةً وَذَوْنَ الْجَهْرِ مِنْ لَقَوِي﴾ [لأب ٢٠٥] .

وأنت تعلم أن القر - بأن الجهر بالذكر والدعاء منهى ، لا ينبغي أن يكون على إطلاقه والذي نص عليه الإمام النووي رضي الله عنه في فتاويه أن الجهر به كره حيث لا محذور شرعاً ، مشروع مندوب إليه . بل هو أفصل من الإحفاء في مذهب الإمام الشافعي ، وهو ظاهر مذهب الإمام أحمد ، وإحدى الروايتين عن الإمام مالك بنقل الحافظ ابن حجر في فتح ابيري . وهو قول القاصيخان في فتاويه في ترجمة مسائل كيفية القراءة ، وقوله في باب غسل الميت (ويكره رفع الصوت بالذكر) فليظهر أنه ممن يمشي مع الحسارة كما هو مذهب الشافعية ، لا مطلقاً ، وقال الألوسي أيضاً واختار بعض المحققين أن المراد بـ «جهر لساع» أو الرائد على قبر الحاحية فكأن الجهر المعتدل ، والجهر بقدر الحاحية دخلاً في المأمور به ؛ فقد صح ما يروى على عشرين حديثاً في أنه ﷺ كثيراً ما كان يجهر بالذكر ، وصح عن أبي الرسر رضي الله عنه أنه سمع عبد الله بن الربيع يقول كان رسول الله ﷺ إذا سلم من صلاته يقول بصوته الأعلى « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد

(١) «الحاوي لبصاري» في اللغة وعلوم التفسير والحديث والأصول والاسم والإعراب ومائت الفهرست للعلامة الكبير جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ ج ١، ص ٣٩٤

وهو على كل شيء قدير ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ولا نعبد إلا إياه ، له النعمة وله الفضل « إى أن قل . وقد أُلّف الشرح إبرهيم الكوراني عليه الرحمة في تحقيق هذه لمسألة رسالتين حليتين سمى أولاهما . « نشر الزهر في الذكر بالجهر » وثانيتهما « انحف المييب الأواه بفصل الجهر بذكر الله » (١)

أفضلية ذكر الجهر :

قال العلامة الطحطاوي في حاشيته على مرقى الفلاح (احتلف هل الأسر بالذكر أفصل ؟ فقبل . نعم . لأحاديث كثيرة تدل عليه منها « خير الذكر لخفي ، وخير لذي ذوق ما يكفي » . ولأن الأسر وأبلغ في الإخلاص ، وأقرب إلى الإحاطة . وكل . انحهر أفصل لأحاديث كثيرة :

منها ما رواه ابن لربير رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ إذا سَمَّ من صلاته قال بصوته ، لأعنى . « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . » الحديث (٢) .

وقد كان ﷺ يأمر من يقرأ القرآن في المسجد أن يُسمع قراءته وكان ابن عمر يأمر من يقرأ عليه وعلى أصحابه وهم يستمعون ، لأنه أكثر عملاً ، وأبلغ في الذكر ، وينفع معيد لإيقاظ قلوب العافلين .

(١) « روح المعاني » للعلامة لكبر الشرح محمود الألوسي الموفى سنة ١٢٧٠ هـ ج ١/ ص ١٤٧ ١٤٨

(٢) رواه مسلم في صحيحه في كتاب المساجد ومواضع الصلاة . والترمذي في كتاب الصلاة

وَجُمع بين الأحاديث الواردة بأن ذلك يخلف بحسب الأشخاص والأحوال ؛ فمن خف الرياء ، أو تأذى به أحد كان لإسرار أفصل ، ومتى فقد ما ذكر كان الجهر أفصل . قال في « الفتاوي » . لا يُسمع من الجهر بالذكر في المساجد ، احترازاً عن الدخول تحت قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ [القرة : ١١٤] . كذا في البرزنية

وبصر اشعراني في ذكر لداكر لمدكور والشاكر للمشكور ما لفظه . وأجمع العلماء سماً وخلقاً على استحباب ذكر الله تعالى جماعة في المساجد وغيرها من غير تكبر ، لا أن يشوش جهرهم بالذكر على نائم أو مصلٍّ أو قارئ قرآن ، كما هو مقرر في كتب لفقهاء^(١)

وقال ابن عابدين في حاشيته الشهيرة :

(وفي الفتاوي الخيرية من الكراهية والاستحسان جاء في الحديث ما اقتضى طلب الجهر به نحو « وإن ذكرني في ملا ذكرته في ملا حرم منهم » . رواه الشيخان .

وهناك أحاديث اقتضت طلب الأسرار ولجمع بينهما : أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال ، كما جُمع بذلك بين أحاديث الجهر والإخفاء بالقراءة ، ولا يعارض ذلك حديث « حير الذكر الخفي » لأنه حيث خيف الرياء ، أو تأدى المصعب أو أيام ، فإن حلا مما ذكر فقال بعض أهل العلم : إن الجهر أفصل ، لأنه أكثر عملاً ، ولعدي فائده إلى السامعين ويوظف قلب الذاكر ، فيجمع همه إلى الفكر ، ويصرف سمعه إليه ، ويطرده عن غيره ، ويريد النشاط . هـ ملخصاً وتمام

(١) حاشية الصغيطاوي على مراقبي الملاح : ص ٢٠٨ .

لكلام هناك فرجه ، وفي حاشية الحموي عن الإمام الشعرائي :
(أجمع العلماء سلفاً وحلقاً على استحباب ذكر الجماعة في المساجد
وعيرها ، لا أن يشوش جهرهم على نائم أو مصلي أو قارئ)^(١) .

ب - ذكر اللسان وذكر القلب .

قال الشيخ عبد الوهاب الشعرائي : سمعت أخي أفصل الدين
رحمه الله يقول : الذكر باللسان مشروع للأكبر والأصغر ، لأن
حجاب العظمة لا يرتفع لأحد ولا للأنبياء ، فلا بد من حجاب لكنه يدق
فقط)^(٢) .

وقال الإمام النووي رحمه الله : (أجمع العلماء على حواز الذكر
بالقلب واللسان للمحدث ولجنب والنجاس وانفساء وذلك في التسبيح
والتهليل والتكبير والصلاة على رسول الله ﷺ ولسماء ونحو ذلك)^(٣) .

وقال الإمام النووي رحمه الله : (الذكر يكون بالقلب ويكون
باللسان ، والأفضل منه ما كان بالقلب واللسان جميعاً ، فإن قصر على
أحدهما فأنقلب أفصل ثم لا ينبغي أن يترك الذكر باللسان مع القلب
خوفاً من أن يظن به الرياء ، بل يذكر بهما جميعاً ، ويقصد به وجه الله
تعالى)

قال الفضيل بن عياض رحمه الله : (إن ترك العمن لأجل الدس
رياء ، ولو فتح لإنسان عليه باب ملاحظة الدس والاحتراز من تطرق

(١) « حاشية ابن عاتير » ج ٥ / ص ٢٦٣

(٢) « لميران » للشيخ عبد الوهاب الشعرائي ج ١ / ص ١٦٠ .

(٣) « الفتوحات الربانية على لأدكار الواوية » ج ١ / ص ١٠٦ - ١٠٩

ظنوبهم الباطلة لا تَسُدُّ عليه أكثر أبواب الخير ، وصيِّع على نفسه شيئاً عظيماً من مهمات الدين ، وليس هذا طريق العارفين ^(١)

وقلب انغائل عليه غشاوة ، فلا يجد صاحبها لطعم الذكر حلاوة ، ولا لغيره من العبادات ونذلك قيل (لا خير في ذكر مع قلب غافل ساه) ولا نعني بذلك أن يترك الذكر مع الغفلة ، لا أن صاحب الهمة العالية يحاهد نفسه ، ويرقب قلبه مرة بعد مرة ، حتى ينتهل إلى ذكر مع الحضور ، وذلك كالرامي ، ففي المرة الأولى لا يصيب الهدف ، ثم يحاول في الثانية وثالثة إلى أن يتفن ذلك ، فيصيب الهدف وكذلك الإسناد مع قلبه ، يحاول المرة تلو المرة بين ذكر ومذاكرة حتى يعتاد القلب الحضور مع الله تعالى .

قال حجة الإسلام العراقي رحمه الله . (واعلم أنه قد انكشف لأرباب الصائرو أن اذكر أفضل الأعمال ولكن له أيضاً قشور ثلاثة بعضها أقرب لب من بعض وله لب وزراء القشور الثلاثة ، وإنما فصل القشور لكونها صريفاً إليه .

فالقشر الأعلى منه : ذكر اللسان فقط

والثاني ذكر القلب إذا كان القلب يحتاج إلى موافقته حتى يحضر مع الذكر ، ولو ترك وطبعه لا يترسل في أودية الأفكار

والثالث : أن يستمكن الذكر من القلب ، ويسولي عليه بحيث يحتاج إلى تكلف في صرفه عنه إلى غيره ، كما احتيج في الثاني إلى تكلف في قراره معه ودوامه عليه .

والرابع وهو اللب ، أن يستمكن المذكور من القلب ، وينمحي

(١) * الفتحاح الربانيه على الأذكار النواويه ج ١ / ص ١٢٧

الذكر ويخفى ، وهو لسبب المطلوب ، وذلك بأن لا يلتفت إلى الذكر ولا إلى القلب بل يستغرق المذكور حمله . ومهما طهر له في أثناء ذلك التفت إلى الذكر فذلك حجاب شاعل . وهذه الحالة التي يمر بها العارفون بالفناء . . ثم قل رحمه الله . فهذه ثمرة لباب الذكر وإما مبدؤها ذكر لسد ، ثم ذكر للقلب تكلفاً ، ثم ذكر القلب طبعاً ، ثم استيلاء المذكور وإمحاء الذكر ^(١)

ج - الذكر المنفرد والذكر مع الجماعة .

العبادات مع الجماعة - وفيها ذكر الله تعالى - تريد في الفضل على العبادة في حالة الانفراد ، ففي الجماعة تستقي اقلوب ، ويكون النعاون والتجاوب ، ويستقي الصعيق من القوي ، والمُظلم من المُنور ، والكثيف من اللطيف ، ولجاهل من العالم وهكذا

عن أنس رضي الله عنه «الرسول ﷺ قال : إذا مررتم برياض لجنة فارتعوا . قالوا : وما رياض الجنة ؟ قال : جلتى الذكر» ^(٢)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ . « إن الله تبارك وتعالى ملائكة سيارة وفصلاء يلتمسون مجالس الذكر في لأرض فإذ أتوا على مجلس ذكر حفت بعضهم بعضاً بأجنتهم إلى السماء ، فيقول الله من أين جئتم ؟ فيقولون : جئنا من عند عبادك يسبحونك ، ويحمدونك ويهللونك ، ويسألونك ، ويستجيرونك فيقول ما يسألون ؟ - وهو أعلم بهم فيقولون : يسألونك لجنة فيقول وهل رأوها ؟

(١) كتاب « لأربعين في أصول الدين » للإمام العراقي ص ٥٢ - ٥٥ .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات

فيقولون لا يرب فيقول فكيف لو رأوها؟ ثم يقول ومم يستجيرون؟ - وهو أعلم بهم - فيقولون من أثار فيقول : وهن رأوه؟ فيقولون : لا . فيقول . كيف لو رأوها؟ ثم يقول : اشهدوني قد غفرت لهم ، وعصيتهم ما سألتني ، وأحرقتهم مما ستحاروني . فيقولون : ربنا ربنا فيهم عدداً خطاءً جلس إليهم وليس منهم ، فيقول وهو أيضاً قد غفرت له ، هم القوم لا بشقني بهم حليتهم^(١)

وعن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : « ما من قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة ، وعشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده »^(٢)

عن معاوية رضي الله عنه أن النبي ﷺ حرج على خلقه من أصحابه فقال « ما يجلسكم ؟ قلوا جلسنا بذكر الله وحمده فقال . إنه أنبي جبريل فأخبرني أن الله نهيكم الملائكة »^(٣)

عن أنس رضي الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ « رب الله يعانى سيارة من الملائكة يطلبون حقاً لذكر ، فإذا أنوا عليهم حقوا بهم »^(٤)

وعن أنس أيضاً رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « إذا مودتم برياض الجنة فارتعوا قانوا - وما رياض الجنة ما رسول الله ؟ قال جلق الذكر »^(٥)

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الذكر ، والترمذي في كتاب الدعوات .
والحاكم

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الذكر ، والترمذي في كتاب الدعوات

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الذكر ، والترمذي في كتاب الدعوات

(٤) رواه لؤي . وقال لهثمي . بسنده حسن

(٥) رواه الترمذي في كتاب الدعوات

قل العلامة ابن علان شرح الأذكار في معنى هذا الحديث :
(ولمعنى . إذ مررتهم بجماعة يذكر الله فاذكروا موافقة بهم ، أو
اسمعوا ذكرهم ، فإنهم في رخص من الحنة حالاً أو مآلاً قل تعالى :
﴿ وَلَمَنْ حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جِئَانًا ﴾ [الرسم ٤٤٦])^(١) .

وقل العلامة ابن عابدين في حاشيته في معرض ذكر الله تعالى مع
الجماعة (وقد شبه لإمام الغرلي ذكر الإنسان وحده وذكر الجماعة
بأذان المنفرد وأذن الجماعة ، قال فكيف أن أصوات المؤذنين جمعة
تقطع جرم الهوى أكثر من صوت المؤذن الواحد ، كذلك ذكر الجماعة
على قلب واحد أكثر تأثيراً في رفع الحجب الكثيفة من ذكر شخص
واحد)^(٢) .

وقال الطحطاوي في حاشيته
(ونصر الشعراي : أجمع العلماء حلقاً وحلقاً على استحباب ذكر الله
تعالى جماعة في المساجد وغيرها من غير تكبير ، إلا أن يشوش جهرهم
بذكر على نائم أو مصل أو قارئ قرآن ، كما هو مقرر في كتب
المقنة)^(٣)

وأما الذكر منفرداً . فله أثر فعال في صفاء القلب وإيقاظه ، وتعويد
المؤمن على الأس بربه واشتعم بمناجاته ، والشعور بقربه فلا بد
للمؤمن من جلسة يذكر الله حالياً منفرداً بربه بعد أن يحاسب نفسه ويطلع
على عيوبه وأخطائه ، فإذا ما رأى سيئة ، استغفر وتاب وإذا ما رأى
حسناً ، حاهد نفسه للتخلص منه

(١) المتوحات الربانية على الأذكار الواوية ، ج ١ / ٩٤

(٢) حاشية ابن عابدين ، ج ٥ / ص ٢٦٣

(٣) حاشية الطحطاوي على مرقى الفلاح ، ص ٢٠٨

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «سعة يظلمهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله . وذكر منهم . ورحل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه» (١) .

آداب الذكر المنعرد :

وينبغي أن يكون الذاكر على أكمل الصفات ، فإن كان جالساً في موضع استقبل القبلة متديلاً متخشعاً بسكينة ووقار . مطرفاً برأسه ، ولو ذكر على غير هذه الأحوال جاز ولا كراهة في حقه ، ولكن إن كان غير عذر كان تاركاً للأفضل . وينبغي أن يكون الموضع الذي يذكر فيه حائياً نظيفاً ، فإنه أعظم في احترام الذكر والمذكور ، ولهذا مُدح الذكر في المساجد والمواضع الشريفة . وينبغي أن يكون معه نظيفاً ، وإن كان به تعبير أزاله بالسواك .

إذ كنت هذه لصفة الخشية قد تُدَسَّسُ إليها فإن نظافة القلب الذي هو محل نظر الرب تبارك وتعالى أولى بالاعتبار ، فلا بد من تنقيه من أدراجه ، كالحدق والكبر ، والنخل والرياء ، والعلائق الدنوية والأعمار والشواغل ، حتى يتأهل لمجلسة لحق فلا يزال في الفضل الأقدس مقماً .

والذكر محبوب في جميع الأحوال ، والمراد من الذكر حضور لقلب ، فيسعي أن يلاحظ الذكر ذلك ويتدبر معاني ما يذكر

فإن كان يستغفر فعليه أن يلاحظ نفسه صلب المغفرة ولعمرو من الله تعالى ، وإن كان يصلي على النبي ﷺ فعليه أن يستحضر عظمة رسول الله ﷺ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب أبواب صلاة الجماعة ، وخرجه مسلم في كتاب الركاة

بقية ، وإن كان يذكر بالسمي والإثبات وهو « لا إله إلا الله » فعليه أن ينفي كل شاعل يشعله عن الله تعالى . وعسى كل لا يترك الذكر باللسان لعدم حضور القلب . بل يذكر الله بلسانه وبو كس غافلاً بنفسه ؛ لأن غفلة الإنسان عن ذكر عراض عن الله بالكيفية ، وفي حود الذكر إقبال بوجه ما ، وهي مشغول القلب بذكر الله تزيين له بطاعة الله ، وفي فقدته تعرض لا شتعله بأواع لمعاصي اقوئيه كالعية ولسمية وغيرها

يقول ابن عطاء الله السكندري (لا تترك لذكر لعدم حضور قلبك مع الله تعالى فيه ، لأن غفلتك عن وجود ذكره . أشد من غفلتك في وجود ذكره ، فعسى أن يرفعك [الله] من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة ، ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور ، ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع وجود غفلة عما سوى المذكور ، وما ذلك على الله بعزيز)^(١)

فعلى الإنسان ملازمة لذكر باللسان حتى يفتح القلب ، ويتفعل الذكر إليه ، فيكون من أهل الحضور مع الله تعالى .

آداب الذكر الجهرى مع الجماعة :

لذكر لجهرى له آداب ثلاثة : آداب سابقة ، وآداب مقدرة ، وآداب لاحقة ، وكل قسم من هذه الثلاثة له طاهر وباطن

١- فظاهر لآداب اسابقة :

أن يكون الذكر طاهر الثوب ، طيب الرائحة موضحاً ، نقياً من احرام كسباً وعداً

(١) « إيقاظ لهمم في شرح لحكم » لأم عجية ج ١ ، ص ٧٩ .

وباطنها . أن يظهر قلبه بالتوبة الصادقة ، ويتحلى عن جميع الأمراض القلبية ، ويشترأ من حوله وقوته ، ويدخل الحضرة متحققاً بذله وفقره واحتياجه إلى نجات الله وفصله

٢- وظاهر الآداب المقارنة :

أن يجلس حيث انتهى به المجلس إذ كان الإخوان جلوساً ، وإذا كانوا وقوفاً ذكر خلفهم سكرهم حتى يسه به أقربهم ، يفسح له ليدخل بينهم ، ويتنظم في حلقهم ، فإذا أراد أن يخرج لعذر طارئ وصل بين من على جانبه نصف ، وخارج حتى لا يقطع عييت اشتعلهما بالذكر ، وأن يكون موافقاً لهم في وضعهم ؛ فلا يشد عنهم بمحالفه ، وأن يجتهد في إخفاء صوته في أصواتهم حتى لا يكون مميزاً بينهم ، وأن يغمض عينيه حتى لا يشغله أحد عن حضور قلبه مع الله تعالى


وباطنها : أن يحاهد في لصره وساوس الشيطان وهو اجس النفس ، وأن لا يشغل قلبه أمور الدنيا ، وأن يجتهد في احضور بقلبه وهمه فيما هو فيه من الذكر وما يترد عليه من واردات وأحوال ، سهياً لما يملك الله به عليه من تحليات إفضائه

٣- وظاهر الآداب اللاحقة :

أن يستمع بعد ذلك لعشر من القرآن الكريم ولمذاكرة العلمية من الشيخ ؛ فيسمع بعض النصائح والوجيهات منه ، ويصمت عن الكلام في مختلف الأمور الدنيوية وغيرها ما دام في مكان الذكر ، ويمتنع عن الأعمال المنفية للآداب وبعد لانتهاه من المذاكرة والدعاء يسلم على شيخه وإخوانه إما بالمصافحة أو بتقبيل اليد^(١).

(١) حكم تقبيل اليد :

كثير تسأول لئس عن حكم تقبيل اليد ، وخصوصاً فى هذه الأيام نرى كثير فيها اتباع ليهوى والرأى ، وضعف بتحقيق العلمى بسببهم ، لكن الذى بمحضر اسحقائى ، ويرجع إلى الأحاديث لصحيحه ، وأثر فصحة لكرام ، وأقوال الأئمة المحققين ، بعد أن تفصيل بد علماء والصالحين والأئمة جائر شرعاً ، من هو مظهر من مظاهر الآداب الإسلامية فى احترام أهل لفصل راتقى . ولىك بعض النصوص الصريحة فى ذلك

١- أما ما ورد من الأحاديث فمن صفوان بن عسال ، قال : (قال يهودى لصاحبه . قم بنا إلى هذه البي ، فأتيا رسول الله ﷺ ، فسألا عن تسع بات بنات ، فذكر الحديث . إلى قوة . فقبلأ يده ورجله ، وقال : شهد أنك بى الله) رواه الإمام أحمد والترمذى وصححه  اسدنى وغيرهم

وروى أبو داود عن أم أيد بنت لواع بن رادع ، عن جدتها راع وكان فى وفد عبد القيس ، قال : جعلنا نقدم من رادع فقبل يد رسول الله ﷺ ورجله) وكذلك روى السهمى كما فى (التفسير الشامية) وفىها (ثم جاء من لأشج حتى أحد بيد رسول الله ﷺ وقبلها ، وهو سيد الوفد)

وفى (شرح البحارى) للحافظ بن حجر العسقلانى (أن أبا اليه ، وكعب بن مالك ، وصاحبه . نسو يد النبى ﷺ حين ناس الله عليهم) ج ١ / ص ٤٨

٢- وأما ما ورد من الآثار فقد أخرج الطبرانى وبيهقى ولحاكم عن الشعبي (أن ريد بن ثابت صلى على حذرة فقبّلت . ليه نعمة ليه كنها فجاء عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، فأحبه بركانه ، فقال زيد بن ثابت : حلّ عنها يد ابن عم رسول الله ﷺ فقبل ابن عباس هكذا أورد أن يعمر بالعماء والكبراء ، فقبل زيد بن ثابت يد عبد الله وهما هكذا أورد أن يعمر بأهل بيت رسول الله ﷺ)

وأخرج البحارى فى (الآداب المفردة) من رواية عبد الرحمن بن ريس قال (أخرج لاسلمة بن الأكوع كما له صحة كأنها كف يعر فقاما إليها فقبضاها) كذا فى شرح البحارى لابن حجر العسقلانى ج ١١ / ص ٤٨

وعن ثابت ، (أنه قبل يد أسى) وأخرج أيضاً (أن عبداً بيل يد لعس ورجله) وأخرج من طريق بى مالك الأشجعى (فلب لاس أبى أرمى ناولى -

= يدك التي بايعت بها رسول الله ﷺ ، فارأيتها ، فقبلها) . كذا في ابن حجر المذکور

قال ابن كثير في تدریجہ - الدایة والنهاية - ح ١٧ ص ٥٥ ، في فتح بیت المقدس على يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد كلام . : (فلما وصل عمر بن الخطاب إلى الشام نكاه أبو عبيدة ورؤوس الأمراء ، كخالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان ، فترجس أبو عبيدة وترجل عمر ، فأشار أبو عبيدة بيقول يد عمر ، فهم عمر بتقبيل رجل أبي عبيدة فكف أبو عبيدة ، فكف عمر) .

وفي « غناء الألب شرح منظومة الآداب » للعلامة محمد انصاري الحنفي قال : (وفي الآداب الكبرى : وتبوح المعانقة وتقبيل اليد والرأس تدبيراً وتكرماً واحتراماً مع أمس الشهوة) ج ١ / ص ٢٨٧ .

وقال الحافظ ابن الجوزي في « مناقب أصحاب الحديث » (يسعى للصلابة يدلع في لباصع للعالم ويدبر له ، فان من التواضع تقبيل يده وتقبيل سفيان بن عيينة والقصير من عياض عليهما يد الحسين بن علي لجمعهم ، والآخر رجسه) كذا في « شرح منظومة الآداب » لسماعية ج ١ / ص ٢٨٧

وقال أبو المعالي في « شرح الهداية » (أم تقبيل يد العالم والكریم لرفده وحائره ؛ وأما أن تُقبَل يده بغناه ، فقد روي « من تواضع لعني لغناه فقد ذهب ثلث دية » ، وقد علمت أن لصحابة قبّلوا يد المصطفى ﷺ ، كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما عند قدمهم من عزوة مؤتة) كذا في المصدر السابق أقوال الأئمة الأربعة

الحقبة . قال العلامة ابن عابدين في حاشيته ، عند كلام صاحب الدر المنحة : ولا بأس بتقبيل يد الرجل العالم والمتورع على سبيل التبرؤ ، وقيل : س ، قال لشربلالي . وعلمت أن مفاد الأحاديث مبيح أو منه كما أشار إليه العمري) « حاشية ابن عابدين » المشهورة . ح ١٥ / ص ٢٥٤

وفي حاشية الطحطاوي على مرقى الفلاح ، قال (وهي غاية إتيان عن الواقعات : تقبيل يد العالم أو السلطان العادل حائره وورد في أحاديث ذكرها لدر العمري ثم قال معلّم من مجموع ما ذكرنا إباحة تقبيل اليد .) ص ٢٠٩ =

= ايمالكية . قال للإمام مالث (إن كاتب - قُتلة يد الرجل - على وجه التكبر والتعظيم فمكروهة وإن كنت على وجه التعريف إلى الله بدينه أو لعلمه أو لشرفه فإن ذلك جائز) شرح البحاري لأس ححر المستقلاني ج ١١ / ص ٤٨ .

اشافعية قال الإمام البوري (تفيل يد الرجل لزهده ، وصلاحه وعلمه ، أو شرفه ، أو نحو ذلك من الأمور الدينية ؛ لا يكره بل يستحب ، فإن كان لعنه ، أو شوكره ، أو جاهد عند أهل الدنيا فمكروه شديد الكراهة) كذا في شرح البحاري للمستقلاني ج ١١ / ص ٤٨ .

الحنبلية وفي (عداة الألباب) شرح منظومة الآداب للعلامة السمريني الحسلي قال (قال البوري سألنا أبا عبد الله - الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله عن قُبلة اليد ، فقال إذا كان عن طريق لتدين فلا بأس ، قتل أو عبده يد عمر من انحطاب رضي الله عنهم) بوري كان عن طريق لتدين فلا . ج ١ / ص ٢٨٧ .

وأحسن ما قيل في تقبيل اليد قول ابن شرف ، حكيم .

كسأنني إذ أوالني لثم رحتي عجزت عن شكره حتى سددت فمي وقد أحر في ذلك .

بسر يد نجيرة أهل التقى ولا تحف طعن أعاديهم
ريحانة السرحمن عباده وشبهها لثم أياديهم
حكم القيام للعلماء والصالحين والوالدين

أم حكم القيام لذوي العسل فجاء ، وهو من الآداب الإسلامية المطلوبة وقد نصت كتب الفقه في مختلف المذاهب على جوازه
أه نصوح السادة الشافعية

يقول العلامة الفقيه محمد شريبي في كتابه « المغني المحتاج » ج ٣ / ص ١٣٥ .
(رئيس القيم لأهل العلم من علم وصلاح أو شرف أو نحو ذلك لا رية وبهجة)
قال في الروضة : وقد ثبت فيه أحاديث صحيحة (١)

والإمام البوري رسالة خاصة سماها (رساله الترحيص بالقيام لذوي العسل) في =

= جوار القيام للقادم ، واستدل على ذلك بأحدث كثرة منها

- ١- أخرج أبو داود في سننه (أن النبي ﷺ كان حائساً يوماً فأقبل أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فجلس عليه ، ثم أقبلت أمه من الرضاعة فوضع لها ثوبه من الحجاب الآخر ، ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام فأجلسه بين يديه)
- ٢- وأخرج الإمام مالك في نسخة عن كريمة بن أبي جهل رضي الله عنه : سألت أبا اليمن يوم افتتح ورحلت امرأته إليه حتى أعادته إلى مكة مسلماً فلما آه النبي ﷺ وثب إليه فرحاً وورم عليه دأعه .

٣- وقام النبي ﷺ لما قدم حعفر من الحبشة فقال : ما أنري بأيهما أبا أسد بقدم حعفر أو بفتح خيبر .

٤- وجاء بحديث عائشة رضي الله عنها : (قدم زيد بن حارثة المدينة واسم النبي ﷺ في بني . ففرح الناس بمقام إليه فاحتشقه وقبلوه)

٥ وأخرج أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال (كان اسمي ﷺ يحدث يود قام قمنا إليه حتى أراه فقبله فقبلني)

ب -صوص السادة المحنمية :

بذل العلامة لعقبة المحقق بن عبدین عند قول صاحب الذكر : وفي الوهانية يجوز : بل يندب القيام تعظيماً للقادم ، كما يجوز القيام ولو للقاريء برئدي العام قال في القسبة : قيام الحاس في لمسجد لمن دخل عليه تعظيماً وقيام قاريء المران لمن يحيي تعظيماً لا يكره إذا كان ممن يستحق التعظيم وفي « مشكر الأثر » انقام بغيره بمن بمكرهه لعنه ، وبما لمكرهه محبه انقام بمن يُقام به ، فإن قام بمن لا يقدم به لا يكره قال ابن وهب أقول وفي عصره يستحب أن يُستحب ذلك . أي القيام - لما يورث تركه من الحق والنعاء والعداوة ، ولا سيما إذا كان في مكان اعتد به القيام ما ورد من تنوع عليه ، في حق من يحب القيام بين يديه كما بعمله الترك والأعاجم) . ١ هـ . حاشية ابن عابدو ج ٥ ص ٢٥٤

ج -صوص شراح الحديث

قال أبو سليمان ، لخطابي الشافعي شارحاً الحديث الذي رواه أبو داود عن أبي

وباطنها : أن يصمت بقلبه عن لحواطر ، ويصوبه عن الالتفات ،
منتظراً عطاء مولاه . ثم يحرج عافداً همته ، جامعاً بيته على أن يعود إلى
أول مجلس من مجالس ذكر الله تعالى يلي هذا الاجتماع

= سعد الحديدي رضي الله عنه (ب أهل قُرْنِظَة لما دُلوا ، على حكم سعد أرسل إليه
البي ﷺ ، فجاء على حمار ، فقرأ ، فقال الي عليه الصلاة والسلام « قوموا إلى
سيدكم أو إلى خيركم » ، فجاء حتى قعد ، لني رسول الله ﷺ)

قال الخطابي (فيه من العلم أن قول الرجل صاحبه يا سيدي ، غير
محظور . إذا كان صاحبه حياً فاصلاً ، وإنما حاتم الكراهة في سويد الرجل
الماجر ، وفيه أن قيام المرؤوس لرئيس لفاضل وللنوبي لعادل وفيهم اجتماع
للعلم مسحب غير مكروه ، وإنما حاتم الكراهة فيمن كان بخلاف أهل هذه
الصفات)

وقال الخطابي أيضاً في منحه تحدث أبي داود الذي رواه معاوية قال . سمعت
رسول الله ﷺ يقول : « من أحب أن يُؤْتَلَ له ثَرَجًا ، في مأفيتراً مقعده من ثمار »
(قوله ﷺ : « يمش » معناه : يعوم ويتنصب بين يديه ، ووجهه موارٍ يأمربه بذلك
ويذكره يباهم على مذهب الكبر والسجود . ا هـ) معالم السر : للخطابي شرح
من أبي داود ج ٤ / ص ١٥٥ - ١٥٦

وقال العلامة السفاريني : (وفي مسند الإمام أحمد رضي الله عنه « قوموا إلى
سيدكم وادبروا » لكن يُنْصَرُ كَوْبُ الأمر بالقيام له آخر الخبر وكان رجل من بني
الأشهر يقولون قمنا به على أرجلنا صعبين يحسه كل رجل منا حتى انتهى إلى
رسول الله عليه الصلاة والسلام كما هي « السيرة الشامية » « عداء الألباب شرح
مظومة الآداب » للعلامة استقريتي النحبي ج ١ / ص ٢٦٦

وقد أورد هذا الخبر العلامة علي بن برهان الدين النحبي في كتابه « السيرة
المحلية » ج ٢ / ص ٣٣٩ في بحث غزوة بني قريظة .

كما ذكره أيضاً مفتي السادة الشامية بمكة المشرفة العلامة حمدري دحلان في
كتاب « لسيرة النبوة والآثار لمحمدية » ج ٢ / ص ١٣١ .

د - الذكر المقيد والذكر المطلق

أما الذكر المقيد ، فهو الذي ندبنا إليه رسول الله ﷺ مقيداً برمان خاص أو مكن خاص ؛ كالذكر بعد أداء كل صلاة ، من تسبيح وتحميد وتكبير - وأذكار المسافر والأكل والشارب ، وأذكار لنكاح ، وأذكار تهل عند الشدة ودفع لأفات والأمهات ، وعند المصائب ، وعند المصائب والأموات وما يتعلق بهما ، وعند صلاة الجمعة وليلتها ، وعند رؤية الهلال ، وإفطار الصائم ، وأذكار الحج بأنواعها ، وأذكار تقا في الصباح والمساء ، وعند ليوم ولاستيقاظ ، وأذكار الجهاد في سبيل الله ، وأذكار متفرقة ؛ عند صبح الديك ، ونهيق الحمام ، وأذكار عند رؤية مبتلى بمرض وغيره

هذه نذكر قليلة من لأذكار المقيدة . وإن أردت استيعابها فارجع إلى كتب الأذكار .

وأما الذكر المطلق فهو ما لم يقيد بزمن ولا مكان ، ولا وقت ولا حال ، ولا قيام ولا معود ، فالمطوب من المؤمن أن يذكر ربه في كل حال حتى لا يزال لسانه رطاباً بذكر الله ، والآيات في ذلك كثيرة منها قوله تعالى ﴿ فَادْكُرُوا اللَّهَ إِذْ كُنْتُمْ ﴾ [البقرة ١٥٢] وقوله تعالى ﴿ يُسَبِّحُونَ لَيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْترُونَ ﴾ [الأنبياء ٢٠] وقوله تعالى ﴿ يَتَذَكَّرُ أَلَيْسَ لَنَا بِمَوْءِدَةٍ أَنْ يَأْتِيَنَا بِقُرْآنٍ كَثِيرٍ أَمْ كُنَّا فِي أَفْهَامٍ ﴾ [الأنبياء ١٠٤] وقوله تعالى ﴿ وَالذِّكْرِ كَثِيرٌ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ اللَّهُ لَهُ مَغْصِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنبياء ٣٥] وغيره من الآيات التي تدعو إلى الإكثار من ذكر الله مصفاً دون تقييد برمان ومكان ، كما أن الرسول ﷺ بدأها إلى ذكر الله مطلقاً في جميع أحوالنا وأوقاتنا

فهو روى عبد الله بن بسر رضي الله عنه ، أن رجلاً قال يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ ، وأحسب بشيء أتشبه به ، قال : « لا يزل لسألك رطباً من ذكر الله »^(١)

وقد وصفت السيدة عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ بقولها :
(كان رسول الله ﷺ يذكر الله في كل أحيائه)^(٢) .

وقد دعا عليه الصلاة والسلام في أحاديث كثيرة إلى أنواع من صيغ الذكر من تسبيح وتهليل وتكبير وستغفار . دون أن يحدد لها وقتاً معيناً ، أو مناسبة خاصة

قال ابن عباس رضي الله عنهما (لم يفرص الله تعالى على عباده فريضه إلا جعل بها حداً معلوماً ، ثم عذر أهلها في حال لعدم ، غير تذكّر ، فإنه لم يجعل له حداً ينتهي إليه ، ولم يعذر أحداً في تركه إلا معلوماً على عمله ، وأمرهم بالذكور في الأحوال كلها ، فقال عز من قائل ﴿ فَادْكُرُوا اللَّهَ فِيمَا وُفُودًا وَمَعَىٰ جُمُوعِكُمْ ﴾ [البقرة : ١٠٣] وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ [الحج : ٤١] أي باليس والنهار ، وفي البر والبحر ، والسفر والحضر ، والعنى والفقر ، وفي لصحة والسقم ، وأسر والعلائية . وعلى كل حال^(٣) وقد نهج الصوفية على هذا المنوال فذكروا الله في جميع أحوالهم وأطوارهم وكما أن الذكر به مقيد بزم ، ومنه مطلق عن ذلك ، فكذلك الذكر به مقيد بعدد ، ومنه مطلق عن العدد .

(١) رواه الترمذي في كتاب الدعوات وقال : حديث حسن

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة وفي كتاب الفضائل ، والترمذي في كتاب الدعوات ، وأبو داود وابن ماجه في كتاب الطهارة

(٣) « نور التحقيق » ص ١٤٧ .

أما اسقيده بأعداد فكان التسبيح در كل صلاة ، وكانت حميد و لتكبير
عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ « من مسح الله في
دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين ، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين ، وكرم الله ثلاثاً
وثلاثين ، فتلك تسعة وتسعون ، وقال تسم لمائة لا إله إلا الله وحده
لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ؛ غفر
خطيئه وإن كانت مثل زبد البحر » (١) .

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : كنت عند رسول الله ﷺ
فقال « أيعجز أحدكم أن يكسب في كل يوم ألف حسنة ؟ فسأله سائل
من جلسائه : كيف يكسب أحداً ألف حسنة ؟ قال : يُسبِّح مائة تسبيحة
فُكِّتَ له ألف حسنة ، أو تُخطَّ عنه ألف خطيئة » (٢) .

وعن الأغر بن يسار المُرَنِّي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ
« يا أيها الناس توبوا إلى الله وابتغوا له وجهاً ، فإني أنوب في اليوم مائة
مرة » (٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من قل لا إله
إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء
قدير في يوم مائة مرة ، كانت له عدلٌ عشر رقاب ، وكتبت له مائة
حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرراً من الشيطان يومه ذلك
حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر
منه » (٤) .

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب المساجد ومواضع الصلاة .

(٢) رواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء

(٣) رواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء

(٤) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الدعوات ومسلم في كتاب الذكر

يقول ابن علان في شرحه لهذا الحديث . (قال انقاضي عياض :
 دَكُرَ هذا العدد من المائة ، وهذا الحصر لهذه الأذكار دليل على أنها غاية
 وحد لهذه الأحرار ، ثم بَّه وَاللَّهُ بِقَوِّهِ « ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به
 إلا رجل عمل أكثر منه » إى أنه يجوز أن يُراد على هذا العدد ، فيكون
 لقائه من الفصل بحسب ذلك لئلا يُظن أنها من الحدود التي تُهي عن
 اعتدائها ، وأنه لا فصل لزيادة عليها كالزيادة على ركعات السنن
 المحدودة وأعداد الصلوات

وبلغ آخرون فقالوا : إن اشرب لموعود به موقوف على العدد
 المذكور

قال ابن الجوزي وهذا غلط ظاهر ، وقول لا يلتفت إليه . بن
 الصواب أنه كما قل لشاعر روم راء زاد الله في حسنته (١) .

وأما انذكر المصطفى عن الغيبة فهو لندي وجهت لله تعالى إلى الأكثر
 منه في جميع أحواله وأوقاته دون تقييده بعدد مخصوص . كما في قوله
 تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ذَكِّرُوا أَنَّهُ ذَكَّرَا كَثَرًا ﴾ [الأحراب ٤١] وكلما
 علت همة المؤمن ورادت محبته لله تعالى أكثر من ذكره ، لأن من أحب
 شيئاً أكثر من ذكره

ولا بأس للمرشد الموحه أن يُرغَّبَ امرئ بأعداد معينة من الأذكار
 يرفع من هممه ويشد من عزمه ، ويدفع عنه الإهمال والتفاس ، وحتى
 يكون من المكثرين من ذكر الله تعالى .

(١) « لفتوحات الربانية عم الأذكار » صاوية : ح ١ / ص ٢٠٩ للعلامة ابن علان الصديقي
 توفي سنة ١٠٥٧ هـ

ألفاظ الذكر وصيغته

ذكرُ الله تعالى بجميع صيغه دواء لأمراض القلوب وعلل النفوس . فمن هذه الصيغ : لا إله إلا الله ، ومنها الصلاة على النبي ﷺ ، والاستغفار وبعض أسماء الله الحسنى ، ومنها الاسم المفرد [الله] ، وهكذا . وكل هذه الأدوية مستخرجة من صيدلية القرآن والحديث

وبما أن صيغ الأذكار كثيرة متنوعة ، ولكن صيغة تأثير قلبي خاص ومفعول نفسي معين ، فإن مرشدي السادة الصوفية - أصبغ القلوب وورثات الرسول الأعظم ﷺ في لدعوة والتوجيه والتربية يأذنبون لمريديهم بأذكار معينة تتناسب مع أحوالهم وحاجتهم ، ورفقهم في السير إلى رضوان الله تعالى ، وذلك كما يعطي الطبيب الجسماني للمريض أنواعاً من الأدوية والعلاجات تتلاءم مع علته وأسفله ، ثم يبدل له الدواء حسب تقدمه نحو الشفاء ، ولهذا لا بد للمريد السالك أن يكون على صلة بالمرشد ، يستشير به ويذاكره ، ويعرض عليه ما يجده في الذكر من هوى وروحية ، وأحوال قلبيه ، وحطوط نفسية ، وبذلك يترقى في السير ، ويتدرج في اسمو لحُلقي ولمعارف الإلهية .

حكم الذكر بالاسم المفرد [الله] :

أما الذكر بالاسم المفرد [الله] فجائز بدليل قول الله تعالى :

﴿وَاذْكُرْ أَنْتَ رَبَّكَ وَقَبِّلْ يَتَذَكَّرُ اللَّهُ لَكَ﴾ [البقرة ٨] وقوله تعالى ﴿وَاذْكُرْ أَنْتَ رَبَّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الزمر ٢٥] .

وقد ورد في الحديث الشريف الذي رواه أنس بن مالك عن

النبي ﷺ « لا تقوم الساعة حتى لا يقل في الأرض : الله ، الله » (١)
فهذا اسم مفرد ورد ذكره مكرراً في هذا الحديث

وفي رواية أخرى عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« لا تقوم الساعة على أحد يقول : الله ، الله » (٢) . قل العلامة علي
القاري في شرح هذا الحديث ، (أي لا يُذكرُ الله فلا يبقى حكمة في بقاء
النس ، ومن هذا يُعرف أن بقاء العالم ببركة العلماء العاملين والعباد
الصالحين وعموم المؤمنين ، وهو المراد بما قال الطيبي رحمه الله
معنى حتى لا يُقال [الله ، الله] : حتى لا يُذكر اسمُ الله ولا يُعبد) (٣)

ثم إن الآيات الكريمة ولأحاديث الشريفة لتي رَعَتْ في الذكر
حاجات عامة ومصلحة لم تخصص ذكراً معيناً ، ولم يرد نص شرعي يُحرِّمُ
الذكر بالاسم المفرد [الله] .

ومن هنا يظهر خطأ بعض المشركين بالاعتراض على الذكر بالاسم
المفرد بحجة أنه لم يَرِدْ به نص في الكتاب والسنة ، مع أن النصوص
المذكورة نفاً ظاهرة جلية كما بينا

واعترض بعضهم أيضاً على الذكر بالاسم لمجرد بحجة أنه لا مؤلف
حملة تامة مفيدة كما في قولنا : الله حيل

ولجواب عني ذلك : أن انداكر بهذا الاسم المفرد لا يكسب مخلوقاً
فلا يُشترط أن يكون كلامه تاماً مفيداً ، لأنه يذكر الله سبحانه الذي هو
عالم بنفسه مطلع على قلبه . وقد نص جمهور العلماء على حواز انداكر

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان ، و ترمذي في كتاب العتن ، وقال
حديث حسن ، و لإمام أحمد في مسنده .

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح : لملا عبي الهادي ج ٥ / ص ٢٢٦ .

بالاسم المفرد [الله] ، وذلك بعض أقوالهم

يقول العلامة ابن عاردين في حاشيته اشهورة عند شرح السمنة ويحث عن لفظة [الله] (روى هشام عن محمد عن أبي حنيفة أنه [أي الله] اسم الله الأعظم ، وبه قل لطحاوي ، وكثير من العلماء وأكثر لعرفين حتى أنه لا ذكر عندهم لصاحب مقام فوق الذكر به ، كما في شرح التحرير لابن أمير حاج)^(١) .

وقال العلامة الخادمي : (و علم أن اسم الحلالة [الله] هو الاسم الأعظم عند أبي حنيفة والكسائي والشعبي وإسماعيل بن إسحق وأبي حفص وسائر جمهور العلماء ، وهو اعتقد حماهير مشيخ الصوفية ومحقق العارفين ، فإنه لا ذكر عندهم لصاحب مقام فوق مقام الذكر باسم [الله] مجرداً قل لله لنبيه عليه الصلاة والسلام ﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ دَرَهُمْ ﴾ [الأنعام ٩١])

وقال العلامة المحدث المصنوعي شامخاً حديث رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى يقول : أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه »^(٢) . (فهو مع من يذكره بقلبه ، ومع من يذكره بلسانه ، لكن معيته مع الذكر القلبي أتم ، وحسن اللسان لإفهامه دخول الأعلى بالأول ، لكن معيته وذكره لما أسولئ على قلبه وروحه وصدره وجنيسه ولزوم الذكر عند أهل لطريق من الأركان الموصلة إلى الله تعالى ، وهو ثلاثة أقسام : ذكر العوام باللسان ، وذكر الحواص بالقلب ، وذكر حواص الحواص

(١) حاشية ابن عاردين ج ١ / ص ٥ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، والحاكم في مستدركه ، وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه

بفنائهم عن ذكرهم عند مشاهدتهم مذكورهم ، حتى يكون لحق مشهوداً لهم في كل حال ،

قالوا : وليس للمساير إلى الله في سلوكه أفع من الذكر المصرد القاطع من الأفئدة الأغيار ، وهو [الله] . وقد ورد في حقيقة الذكر وجبته ما لا يفهمه إلا أهل الذوق ^(١) .

وقال الإمام الحفيد رحمه الله : (ذكر هذا الاسم [الله] ذهب عن نفسه ، متصل بربه ، قائم بأداء حقه ، باصراً إليه بقلبه ، قد أحرقت أنوار الشهود صفات بشريته) ^(٢) .

وقال سيدي أبو العباس المرسى رحمه الله : (ليكن ذكرك [الله] ، [الله] ، فإن هذا الاسم سلطان الأسماء ، وله ساط وثمره ، فساطه العلم ، وثمرته التور ، وليس التور مقصوداً لذاته ، بل لما يقع به من الكشف والعيان ، فينعي الإكثار من ذكره ، وحسنه على سائر الأذكار ، تتصمته جميع ما في [لا إله إلا الله] من العقائد والعلوم والآداب والحقائق . إلخ) ^(٣) .

وقال العارف بالله ابن عجيبة : (فلاسم المفرد [الله] هو سلطان الأسماء ، وهو اسم الله الأعظم ، ولا يراى أمر يدكره بلسانه ويهتر به حتى يصرح بلحمه ودمه ، وتسري أنواره في كلياته وحزائياته . . إلى أن قال فيستقل الذكر إلى القلب ثم إلى الروح ثم إلى السر . فحيث يدخر للسان ويصل إلى الشهود والعيان) ^(٤) .

(١) « فيض القدير شرح الجامع الصغير » للعلامة السيوطي ج ٢ / ص ٣٠٩ .

(٢) « نور التحقيق » ص ١٧٤ .

(٣) « نور التحقيق » ص ١٧٤ .

(٤) « تجريد ابن عجيبة على شرح مشن الأحرورية » ص ١٥ .

وتمسك أيها المريد الصادق بذكر الاسم المفرد [الله] إذ كنت مأدون به من مرشد كامل ، فإنه أسرع في قبح عروق النفس من مديتها من السكين الحاد

وأما ما يراه لمريد في أول سيره أثناء ذكره لهذا الاسم من حرارة وصيق فلأن نفسه لا تخطئها من هذا لذكر ، حيث إن هذا الاسم يربل عالم الحلق من القلب ويفرغه من الأكوان .

لذا يرى التربين الكامل يأمرهم مريدتهم بذكر [لا إله إلا الله] في بادئ أمرهم ، وهذا تمكن لنفي والإثبات من قلوبهم نقلوهم إلى ذكر الاسم المفرد ، وأوصوهم بملازمته ومحاهدة النفس على تحميس مرارته .

فمن لم يصبروا على هذه المرة في ابتداء أمرهم وأهملوا ذكر الاسم المفرد ونهوا في سيرهم وحرموا خيراً عظيماً سبب فساد عزمهم وضعف إرادتهم ،

أما إذا عزموا على ذكر هذا الاسم وصبروا واستقدموا عليه اصنع هذا الاسم في قلوبهم ورتلته عنهم الغلة حتى يكون الاسم سارياً في عروقهم ممروراً بأرواحهم ، ويكون المذكور تجاههم لا يغفون إذ غفل الناس ، وعنده يتحققون بمقام الإحسان الذي أشد إليه رسول الله ﷺ بقوله : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه . . . »

التحذير من ترك الذكر

لقد حذر الله تعالى عباده من ترك ذكره في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله ﷺ ، كما حذر اعارهون بالله من المريين المرشدين مرديهم من ترك الذكر كذلك .

أما في كتاب الله الكريم :

فقد قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَشَعْشَعْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ۖ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الرحم ٣٦ ٣٧]
وقال تعالى ﴿ وَادْكُرْ رَتْلَكَ فِي نَفْسِكَ نَضْرَعًا وَخِيفَةً وَذُوقَ الْخِطْبِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [الاعرف ٢٠٥]
وقال في دم المساقبين : ﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الباء ١٤٢] .

وأما في سنة رسول الله ﷺ

فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون فيه الله ، لا قاموا عن مثل حيفة حمار ، وكان عليهم حسرة يوم القيمة » (١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ « من قعد مقعداً لم يذكر الله فيه كان عليه من الله ترة ، ومن اضطجع مضطجعاً لا يذكر الله فيه كان عليه من الله ترة ، وما مشى أحدٌ ممشياً

(١) أخرجه أبو دارد راجحاً وقال : صحيح على شرط مسلم كما في « الترغيب والترهيب » ج ٢ ، ص ٤١٠ .

لا يذكر الله فيه إلا كان عليه من الله ترة^(١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ : « ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ، ولم يُصلُّوا على نبيهم ، إلا كان عليهم ترة فإن شاء عذبهم ، وإن شاء عفر لهم »^(٢) .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها »^(٣) .

وأما ما ورد من أقوال العارفين :

فقد قل سهل (ما أعلم معصية أفح من ترك ذكر هذا الرب) .

وقال أبو الحسن اشاذلي رضي الله عنه (من علامة السفاق ثقل لذكر عبي لسان ، فتن إلى الله تعالى يخفُّ الذكر على لسانك)^(٤) .

كأنه اقتبس ذلك من وصف الله تعالى للمنافقين ﴿ إِنَّ الْمُتَنَفِّينَ يَخْدَعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [انشاء : ١٤٢] .

وقيل : (لكل شيء عقوبة ، وعقوبة العارف انقطاعه عن الذكر)

فعسى العاقل أن ينتبه من غفلته ، وأن يسعى جاداً في يقاظ قلبه بذكر ربه ، متصفاً بصفة المؤمنين الذاكرين الله كثيراً ، بعيداً عن صفة المنافقين الذي لا يذكرون الله إلا قليلاً

(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ ، وَالإمام أحمد وابن أبي الدنيا وإسماعيل وابن حبان فِي صَحِيحِهِ وَاللَّفْظُ لِأَبِي دَاوُدَ ، وَالتُّرَّةُ النِّقْصُ وَالتَّبَعُ وَالْحَصْرَةُ وَالدَّامَةُ

(٢) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي كِتَابِ الدَّعَوَاتِ وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ ، وَأَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ

(٣) أخرجه الطبراني ورواه البيهقي بأسانيد أحمد جيد .

(٤) « روضة الساطرين » ص ٤٤ .

الحركة في الذكر

الحركة في الذكر أمر مستحسن ، لأنها تنشط الجسم لعبادة لذكر وهي جائزة شرعاً بدليل ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده والحافظ المقدسي رجال الصحيح من حديث أس رضي الله عنه قل : (كنت الحشنة يرقصون بين يدي رسول الله ﷺ ، ويقولون بكلام نهم : محمد عبد صالح ، فقال ﷺ : « ماذا يقولون ؟ » فقيل : إنهم يقولون : محمد عبد صالح ، فلما رأهم في تلك الحالة لم ينكر عليهم ، وأقرهم على ذلك ، والمعوم أن الأحكام الشرعية تؤخذ من قوله ﷺ ومعله وتقريره ، فما أقرهم على فعلهم ولم ينكر عليهم تكن أن هذا حائر

وفي الحديث دليل على صحة الجمع بين الاهتزاز المباح ومدح رسول الله ﷺ ، وأن الاهتزاز بالذكر لا يسمى رقصاً محرماً ، بل هو حائز لأنه ينشط الجسم للذكر ، ويساعد على حضور القلب مع الله تعالى ؛ إذا صحت الشبهة فالأمور بمقاصدها ، وإما الأعمال باليأس وإما لكل امرئ ما نوى .

ونستمع إلى الإمام علي رضي الله عنه كيف يصف أصحاب النبي ﷺ ، قال أبو أراكة : (صليت مع علي صلاة الفجر ، فما انقل عن يمينه مكث كأد عليه كربة ، حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد فبدأ رمح صلى ركعتين ، ثم قبض يده فقال : والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ ، وما أرى اليوم شيئاً يشبههم ، لقد كانوا يصبحون صبراً شعثاً عبراً ، بين أيديهم كأمثال ركب المغرئ ، قد باتوا لله سجداً وقياماً ، يتلوه كتب الله يتراوحن بين جباههم وأقدامهم ، فإذا أصبحوا

فذكروا الله مادوا [أي تحركوا] كما يמיד الشجر في يوم الريح ، وهمت
أعينهم حتى تنكَل - والله - لُبائهم (١)

ويهما من عبارة الإمام علي رضي الله عنه قوله : (مادوا كما يמיד
الشجر في يوم الريح) ، فإنك تجده صريحاً في الاهتزاز ، ويصل قو
من يدعي أنه بدعة محرمة ، ويشت إباحة الحركة في الذكر مطلقاً .

وقد استدل الشيخ عبد الغني النابلسي رحمه الله بهذا الحديث في
إحدى رسائله على يد الاهتزاز بالذكر ، وقال ، هذا صريح بأن
الصحة رضي الله عنهم كانوا يتحركون حركة شديدة في الذكر على أن
الرحل غير مؤاخذ حين يتحرك ويقوم ويقعد على أي نوع كان حيث إنه لم
يأت بمعصية ولم يقصدها كما ذكرنا .

إلا أن هناك جماعه من لدلاء على الصوفية - سبو أنفسهم إيهيم
وهم منهم براء - شوهوا جمال حقائق الأذكار بما أدخلوا عليه من بدع
ضالة ، وأفعال منكرة ، تحزنها إشرية لعمراء ، كاستعمال آلات الطرب
المحظورة ، والاجتماع المقصود بالأحداث ، والغناء الفاحش ، فلم
يُعَد وسيلة عملية تطهير القلب من أدرانها ، وصيته بالله تعالى ، بل صار
لتسليه لفوس الغفلة ، وتحقيق الأغراض الدنيئة .

ومم يؤسف له أن بعض أعياء العلم قد تهجموا على حلق الذكر ولم
يمبروا بين هؤلاء لدلاء المنحرفين وبين الذاكرين الساكنين المخلصين
الذي يزيدهم ذكر الله رسوخاً في لإيمان ، واستقامة في المعاملة .
وسموا في الحلو واطمئناً في النفس

(١) « أيدايه والهيبة في التاريخ » للإمام الحافظ المفسر المؤرخ إسماعيل بن كثير
القرشي الدمشقي المتوفى ٧٧٤هـ ج ٨/ص ٦ وأخرجه أيضاً أبو نعم في
« الحلة » ج ١/ص ٧٦

وهناك علماء منصفون قد ميزوا بين لصوفية انصافيين السائرين على قدم الرسول الأعظم ﷺ ، وبين الدحلاء المارقين ، وأوضحوا حكم الله في الذكر ، وعلى رأسهم العلامة ابن عاردين في رسالته «شفاء العليل» ، فقد ندد بالدحلاء على الصوفية ، واستعرض مدعهم ومنكرتهم في الذكر وحذر منهم ، ومن الاجتماع بهم ، ثم قال : (ولا كلام لما مع الضد من سادات الصوفية لمرئين من كل حصلة ردية ، فقد سئل إمام الطائفتين سيدنا الحيد . إن أقواماً يتوجدون وينمايلون ؟ فقال : دعوهم مع الله تعالى يهروحون ، فمنهم قوم قطعت الطريق أكبدهم . ومزق . لنصب قودهم ، وضاقوا ذرعاً فلا حرج عليهم إذ تنفسوا ما اواة لحالهم ، ولو ذقت مذاقهم عذرتهم ...)

ثم قال : (ويمثل ما ذكره الإمام الحيد أحب العلامة التحرير ابن كمال باشا لما استفتي عن ذلك حيث قال :

ما في التواجد من حقت من خرج ولا التمدد إن أخلصت من باس ففقت تسعى على رجل وحو لمن دعاه مولاه أن يسعى على الراس

الرحضة فيما ذكر من الأوصاع ، عند الذكر والسماع للعارفين الصارفين أوقاتهم إلى أحسن الأعمال ، السائكين اماكين لضبط أنفسهم عن قبائح الأحوال ، فهم لا يسمعون إلا من لاله ، ولا يشاقون إلا له ، إن ذكروه سحوا ، وإن شكروه ناحوا ، وإن وجدوه صاحوا ، وإن شهدوه استراحوا ، وإن سرخوا في حضرات قربه صاحوا ، إذا علب عليهم الوجد بعليانه ، وشربوا من موارد رادته ، فمنهم من طرقت طوارق الهية فحرّ وذاب ، ومنهم من برقت له بوارق اللطف فتحرك وضاب ، ومنهم من طلع عليهم الجح من مطيع القرب فسكر وغاب ، هذا ما عن لي في الحوار ، والله أعلم بالصواب) . ثم قل أيضاً

(ولا كلام لنا مع من اقتلئ بهم ، وذاق من مشربهم ، ووجد من نفسه الشوق والهيام في ذات الملك العلام ، بل كلامنا مع هؤلاء العوام الفسقة النمام ...)^(١)

من هذا يرى أن ابن عابدين رحمه الله تعالى يبيح التواجد والمحركة في الذكر ، وأن المتوى عنده الجوز ، وأن النصوص لمنعة لشي ساقها في حاشيته لمشهورة في لجرء لثالث تحمل على ما إذا كنت في جلق الذكر منكراة من آلات اللهو ولعاء ، واصرب ناقضيب ، ولا حتماع مع المرء الحسنان ، وإنزاع المعاني على أوصافهم ، ولعرب بهم ، وما إلى ذلك من المحالعات .

ولم يتمسك المنعون المستندون إلى كلام ابن عابدين برأيهم ، إلا لعدم إطلاعهم على كلامه في مجموعة الرسائل حيث فرق - كما مر - بين الدحلاء والصادقين ، وأبح فيها لتواجد المعارفين الو صير ، والمقتدين بهم من المقلدين ، فرجع لمضاهرين في ملك الحق .

ولا شك أن التوحد هو تكلف الوجد وظهاره من غير أن يكون له وحد حفيقة ، ولا حرج فيه إذا صحت ابنه كما قال العلامة ابن عابدين في حاشيته :

ما في الواحد إن حققت من حرج ولا التمايل إن أحصت من ناس فإذ كان الواحد جثراً شرعاً ولا حرج فيه كما نص عليه الفقهاء ، فالوجد من باب أوى وما وجد الصوفية وتواجدهم إلا قيس مما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ .

() مجموعة رسائل ابن عابدين - الرسالة لسانه شفاء العيون ويل تعديل في حكم الوصية بالحتمات والتهليل للفقهاء الكبار ابن عابدين من ١٧٢ - ١٧٣

وما هو مفتي السادة الشافعية بمكة المكرمة لعلامة الكبير أحمد زيني دحلان رحمه الله يورد في كتبه المشهور في لسيرة النبوية مشهداً من إحدى حالاتهم ، ويعتق عليه فيقول : (وبعد فتح خيبر قدم من الحشمة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ومن معه من المسممين وهم ستة عشر رجلاً فتلقى النبي ﷺ جعفر وقبّل حبهته وعنقه وقام له - وقد قام أصفران بن أمية لما قدم عليه ، ولعدي بن حاتم رضي الله عنهم - ثم قال ﷺ . « ما أدري بأيهما أفرح بفتح خيبر أم بتدوم جعفر ؟ » وقال ﷺ لجعفر . « أشبهت حنقي وحلقي » ، فرقص رضي الله عنه من لذة هذا الخطاب ، فلم يكر عليه ﷺ رقصه ، وحل ذلك أصلاً لرقص الصوفية عندما يجدون من لذة المواجه في محالس الذكر والسماع)^(١)

وقال العلامة الألوسي في تفسيره عند قوله تعالى . ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٩١] (وعليه فيضمن ما حكى عن ابن عمر رضي الله عنهما وعروة بن الزبير وجماعة رضي الله عنهم من أنهم خرجوا يوم العيد إلى المصلى ، فجمعوا يذكرون الله تعالى ، فكان بعضهم : أما قال الله تعالى . ﴿ يذكرون الله قياماً وقعوداً ﴾ ؟ فكانوا يذكرون الله تعالى على أقدمهم . على أن مردهم بذلك الشرك بنوع موافقة للآية في ضمن فرد من أفراد مدلولها)^(٢)

(١) « السيرة النبوية والآثار المحمدية » لربي دحلان ، على هامش السيرة الحديثة

ج ٢ / ص ٢٥٢ والحديث رواه البيهقي في صحيحه في كتاب الصبح

(٢) « روح المعاني » للعلامة محمود الألوسي ج ٤ / ص ١٤٠

ولسيدي أبي مدين رضي الله عنه

وقل للذي بهي عن لوجد أهه
إذا هترت الأرواح شوقاً إلى النقا
أما ننظر الطير المقصر يا فتى
يفرّح بالتعريد ما بهواده
كذلك أروح المحبين يا فتى
أنلزمها بالصبر وهي مشوكة
يا حادي العشاق قم وشد قائماً
إذا لم تدق معنى شراب الهوى دعنا
نعم ترقص الأشباح يا جاهل المعنى
إذا ذكر الأوطان حس إلى المغي
فتضطرب لأعضاء في الحس والمعنى
تهزها الأشواق للعالم الأسى
وهل يستطيع الصبر من شاهد المعنى
ورمزم لنا باسم الحبيب وروّحنا

والخلاصة :

يفهم مما سبق أن الحركة هي ذكر مباحة شرعاً ، هذا بالإضافة إلى
أن الأمر بالذكر مطلق يشمل جميع الأحوال ؛ فمن ذكر الله تعالى قاعداً أو
قائماً ، جالساً أو ماشياً ، متحركاً أو ساكناً . . فقد قام بالمطلوب ونفذ
الأمر الإلهي

فالذي يدعي تحريم الحركة في الذكر أو كرهتها هو لمطالب
بالدين ، لأنه يخصص بعض الحالات المطلقة دون بعض بحكم
خاص .

وعلى كل ؛ فإن غاية المسلم في دحوه حنقات لأذكار قيامه بعبادة
الذكر ، وإن الحركة في ذلك ليست شرطاً ، ولكنها وسيلة لنشاط في
تلك العبادة وتشتت بأهل الواحد إن صحت لية .

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام صلاح

الإنشاد والسماع في المسجد

عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن من أشعر حكمة »^(١)

وعن أس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقل لبّْن مع القوم في بناء المسجد وهم يرتحزون^(٢) ويقولون :

السهم لا عيش إلا عيشُ لآخر فاصبر الأَصْبار والمهاجرة^(٣)

وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : « خرجنا مع نبي ﷺ إلى حير ، فسرنا ليلاً ، فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع ألا تسمعنا من هُتَيْهَيْت ؟ وكان عامر رجلاً شاعراً ، فنزل يحدو بالقوم ويقول :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صيبنا
فاعفُ فداءً لك م قَتَصِينَا وَتُكِّمْتَ لَأَقْدَامَ إِنْ لَأَقْسَ
وَأَلْمِينُ سَكِينَةً عَيْنِي إِيَّاكَ صَبَّحْنَا أَنْسَ
وَبَانَصَبْ حَؤُلُوا عَلَيْنَا

فقال رسول الله ﷺ : « مَنْ هَذَا السَّائِقُ ؟ » قَالُوا : عامر بن الأكوع ،
ول « يرحمه الله » ، فقال رجل من القوم وجئت يا رسول الله ، بولا
أَمْتَفْتَنَاهُ ، فَأَصِيب . « الحديث »^(٣)

- (١) رواه البخاري في صحيحه في كتب الأدب . ومسلم في كتب الجهاد .
(٢) قال ابن الأثير في « النهاية » : الرحر بحر من بحور الشعر معروف ، ونوع من أنواعه يكون كل مصراع منه مدداً ، وسمى قصائده أرجير . فهو كهذه السجع إلا أنه في وزن الشعر . ج ٢ / ص ٦٠
(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتب الأدب . ومسلم في كتب الجهاد .

وعن سعيد بن المسيب قال (مرَّ عمرُ في المسجد وحسنٌ يُنشد ، فلجَّظَه عمر [أي نظر إليه نظره إنكاراً] ، فقال : كنت أشد رفيه من هو خير منك [يريد رسول الله ﷺ] ، ثم التفت إلى أبي هريرة فقال (أُنشدك بالله أسمعَت رسول الله ﷺ يقول : « تُجِب عني ، اللهم أيده بروح القدس ؟ » قال نعم)^(١) .

عن عائشة رضي الله عنها : كان النبي ﷺ يضع لحسان مبرأ في المسجد يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله ﷺ ، ويقول الرسول ﷺ : « إن الله يؤيد حسنَ بروح القدس ما نافع أو فاجر عن رسول الله ﷺ »^(٢)

يقول العلامة السعاري شريح : منظومة الآداب « (وفي رواية أبي بكر بن الأبيري ، أن كعب بن زهير لما جاء ثائباً وقال قصيدته المشهورة .

بنت سعد فقبي اليوم متبولٌ متيمٌ إثرها لم يُقدَ مَكولٌ
إلى أن وصل

إن الرسول لسيفٌ يُستصاء به مُهتدٌ من سيف الهدى مسلولٌ
رمى ﷺ إليه بردة كانت عليه ، وأن معاوية بدل فيها عشرة آلاف فقال : ما كنت لأؤثر بثوب رسول الله ﷺ أحداً ، فلما مات كعب بعث

(١) روه البخاري في صحيحه في كتاب الصلاة ، وأول الحديث « يا حسن أجِب عن رسول الله ﷺ ، اللهم أيده بروح القدس » روه مسلم في صحيحه في باب فضائل حسان بن ثابت

(٢) روه مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة وأول الحديث « إن روح القدس »

معاوية إلى ورثته بعشرين ألفاً فأحدها منهم إلى أدي قال تحصن من
إنشاد قصيدة كعب بن زهير رضي الله عنه بين يدي رسول الله ﷺ
وإعطائه ﷺ البردة عدة سنين

١- إباحة إنشاد الشعر

٢- استماعه في المساجد

٣- الإعطاء عليه (١)

ذكر الإمام الشاطبي في كتابه « الاعتصام » . (أن أبا الحسن القرافي
الصفوي يروي عن الحسن البصري رحمه الله أن قوماً أتوا عمر بن
الحصائب رضي الله عنه فقلوا يا أمير المؤمنين إنا لما إماماً إذا فرغ من
صلاته تغنى ، فقال عمر رضي الله عنه من هو ؟ فذكر الرجل . فقال
قوموا بنا إليه ، فإننا نر وجهها إليه ^{نظر} ^{أنا} تجسست عليه أمره ، قال فقام
عمر رضي الله عنه مع جمعة من أصحاب النبي ﷺ حتى أتوا الرجل وهو
في المسجد ، فلما أن نظر إلى عمر ^{فاستقبله} فقال يا أمير المؤمنين
ما حاجتك ؟ وما جاء بك ؟ إن كانت الحاجة لنا كنا أحق بذلك منك أن
نأتيك ، وإن كانت الحاجة لله فأحق من عظمته حبيمة رسول الله ﷺ ،
فقال له عمر : ويحك بلعني عنك أمر ساءني . قال : وما هو يا أمير
المؤمنين ؟ قال : أتسمجن في عبادتك ؟ قال . لا يا أمير المؤمنين ،
لكها عضة أعض بها نفسي . قال عمر قلها فإن كان كلاماً حسناً فته
معت ، وإن كان قبيحاً نهيتك عنه فقال .

وهوادي كلما عسايبه في مدى الهجران يعني يعني
لا أراه الدهر إلا لا هياً في تماديه فقد برح بي

يا قريبَ السوء ما هذا الصَّبَّ فَبَيَّ العَمْرُ كَذَا فِي لَعَبٍ
وَشَبَابٍ بَانَ عَنِّي فَمَضَى قُلْ أَنْ أَقْضِيَ مِنْهُ أَرْبِي
مَا أَرْحَى بَعْدَهُ إِلَّا لَعَنَ ضَبَّقَ أَشْيْتُ عَلَيَّ مَطْلَبِي
وَيُخِّ نَفْسِي لَا أَرَاهَا أَبَدًا فِي جَمِيلٍ لَا وَلَا فِي أَدَبٍ
نَفْسٌ لَا كُنْتُ وَلَا كَانَ أَهْوَى رَاقِبِي الْمَوْسَى وَخَافِي وَرَهِي
فَقَالَ عَمْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

نَفْسٌ لَا كُنْتُ وَلَا كَانَ أَهْوَى رَقِي الْمَوْلَى وَخَافِي وَارَهِي
ثُمَّ قَالَ عَمْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « عَلَى هَذَا فَيُفْغَنُ مِنْ عَنِّي » (١) .

وَقَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (الشَّعْرُ كَلَامٌ ؛ فَحَسَنُهُ حَسَنٌ ،
وَقَبِيحُهُ قَبِيحٌ) (٢) . وَقَالَ الْعَلَامَةُ النَّوَوِيُّ : (لَا بَأْسَ بِإِشَادِ الشَّعْرِ فِي
الْمَسْجِدِ إِذَا كَانَ مَدْحًا لِلنَّبِيِّ أَوْ لِلْإِسْلَامِ ، أَوْ كَانَ حِكْمَةً أَوْ فِي مَكَامِ
الْأَخْلَاقِ ، أَوْ الزَّهْدِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْبُيُوتِ الْخَيْرِ) (٣) .

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ الْعَرَبِيِّ الْمَلِكِيُّ شَيْخُ شَرْحِ سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ : (لَا بَأْسَ
بِإِشَادِ الشَّعْرِ فِي الْمَسْجِدِ إِذَا كَانَ فِي مَدْحِ الْبُيُوتِ وَإِقَامَةِ الشَّرْعِ) (٤)

(١) « الاعتصام » للإمام الشاطبي ج ١ / ص ٢٢٠

(٢) قَالَ الْمَعْدُنِيُّ بْنُ حَجَرٍ الْعَسْكَلَانِيُّ (أَخْرَجَ الْبَغْهَارِيُّ فِي « الْأَدَبِ الْمَفْرُودِ » مِنْ
حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو مَرْهُوعًا بِالْعَفْدِ : « لَشَعْرٍ بِسِرَّةِ الْكَلَامِ فَحَسَنُهُ كَحَسَنِ الْكَلَامِ
وَقَبِيحُهُ كَقَبِيحِ الْكَلَامِ » وَسَدَّهُ ضَعِيفٌ وَأَخْرَجَهُ الطُّرَيْقِيُّ

وَقَدْ اشتهر هذا الكلام عن الشافعي رحمه الله ، واقتصر بن عدال على سببته إليه
مقتصر رحاب انقراضي المفسر على جماعة من الشافعية الاقتصار على بسطة ذلك
للشافعي « فتح الباري في شرح صحيح البخاري » للمحدث بن حجر العسقلاني
ج ١٠ ، ص ٤٤٣

(٣) « شرح صحيح مسلم » للإمام النووي كتاب فضائل الصحابة ج ١٦ / ص ٤٥ .

(٤) « تحفة لأخوذي شرح سنن الترمذي » ج ٢ / ص ٢٧٦ .

وأما الحداء فقد قل حجة الإسلام لغزالي في « الإحياء » (سم يزل
لحداء ورء الجمال من عادة العرب في زمر رسول الله ﷺ وزمر
الصحابة رضي الله عنهم ، وما هو إلا أشعار تُؤدى بأصوات طيبة وأنحد
مورودة ، ولم يُنقل عن أحد من الصحابة إنكاره)^(١) .

وعن أس رضي الله عنه : (أن النبي ﷺ كان في سفر ، وكان غلام
يحدو بهن يقال له أنجشة ، فقال انبي ﷺ : « رويدك يا أنجشة سؤقتك
بالقوارير » قال أبو قلابه : يعني ضعة النساء)^(٢)

وعن أس بن مالك رضي الله عنه قال (كان لنبي ﷺ حاد يقال له
أنجشة ، وكان حسن الصوت ، فقال له انبي ﷺ : « يا أنجش رويدك
لا تكسر القوارير » . قل قتادة : يعني صعة النساء)^(٣)

قال الحافظ ابن حجر في شرح البحاري : (قل ابن بطال
القرير كناية عن النساء اللاتي كن على الإبل التي تُساق حينئذ ، فأمر
عليه السلام الحادي بالرفق بالحدايا لئلا يهت الإبل حتى تسرع ، فإذا
أسرعت لم يؤمن على لساء السقوط ، وإذا مشت رويداً أمن على لساء
السقوط إلى أن فار نقل ابن عبد البر الانصاف على إباحة الحداء ،
وفي كلام بعض الحنابلة خلاف فيه ، ومن منعه محجوج بالأحاديث
الصحیحة .

وبلحق بالحدايا هنا الحداء للمحجيج لمشتغل على التشوق إلى الحج
بذكر الكعبة وغيرها من المشاهد ، ونظيره ما يحرض أهل الجهاد على
القتال .

(١) « إحياء علوم الدين » بحجة الإسلام الغزالي ج ٢ / ص ٢٤٢

(٢) رواه البحاري في صحيحه في كتاب الأدب ، ومسم في كتاب فضائل الصحابة

(٣) رواه البحاري في صحيحه في كتاب الأدب .

ولما كدت الغاية من الإشتداد الإرشاد والموعظ والفوائد ، حيث إن
 من طبيعة سماعه إثارة كوامن أنفوس ، وتهيج مكنونات القلوب ، بما
 فيها من الأسس بالحصرة القدسية ، والشوق إلى الأنوار المحمدية ، مما
 اتصف به ساداتنا الصوفية الذين لم يُخَجَّبُوا بالأصوات هَوّاً ،
 ولا يجتمعون عبثاً ، وهم في وادٍ والناس في وادٍ آخر ، والسر أنهم
 سمعوا ما لم يسمع الناس ، وعرفوا ما لم يعرف الناس ، فسماعهم يشير
 أحوالهم انحصنة ، ويظهر وجدهم ، ويبعث ساكن الشوق ويحرك
 القلب ، ولما كانت قلوبهم بربهم متعلقة ، وعليه عاكفة ، وفي حصرة
 قربه قائمة ، فاستماع يسقي أرواحهم ، ويسرع في سيرهم إلى الله
 تعالى ، خلافاً لسمع افسقة لشد ؛ يجتمعون على لهو وآلات
 الطرب ، فيبعث ما في قلوبهم من الفحش والفسق ، ويسيههم واجبتهم
 تجاه الله تعالى ، وعلى ذلك لا يمكن قياس الأبرار بالفجار ،
 ولا الصالحين على الطالحين .

وفي معرض الحديث عن فوائد الاستماع لدى ساداتنا الصوفية يطيب
 لنفس ذكر بعض الشواهد المروية عنهم ، فمنها .

ما قاله مسم العباداني (قدم علينا صالح المري ، وعنية الغلام ،
 وعبد الواحد بن زيد ، ومسلم الأسواري ، ونزوا على الساحل ذب
 ليلة ، فهيأت لهم طعاماً ، ودعوتهم إليه ، فحاؤوا إليّ ، ولم وضعت
 الطعام بين أيديهم قال قائل .

وتلهيك عن دار الخلود مصاعمٌ وادة نفس عيها غير رافع

فصاح عتبة لعلام صبيحةً وخر مغشياً عليه ، وبكى اقوم ، فرفعت
الصعاع من بين أيديهم ، وما دافعوا والله لقمة منه ^(١)
قال أبو عثمان اليساسوري . (أنشدَ قَوالٌ بين يدي الحارث
المحاسبي هذه الأساب :

أنا في العربة أبكي ما نكت عين عريب
لم أكر يوم خروجي من بلاد بمصير
عجيباً لي ولركبي وصلاً فيه حبيبي
فقام يتواجد ويكي ، حتى رحمه كل من حضره ^(٢)

(سمّا ورد ذو النون المصري بعدد جاءه قوم من لصوفية بقوالهم ،
وطبوا منه أن يأذن له أن يقول ، فأذن له فأنشد

صغيرٌ هو كعذبي فكيف به إذا احتسك
وأنت جمعت في قبلي هوئ قد كن مشترك
أما نرثي لمكتيب إذا صحك لحلي نكي
فقم ذو النون وسقط على وجهه ^(٣) .

ودوي (أرأب لحسين اتوري كان مع جماعة في دعوة ، فحرق
بينهم مسألة في العلم وأبو الحسين ساكت ثم رفع رأسه وأشدّهم :
رُبَّ ورقاء تتوف في الضحى ذاب شجور صدحت في فتر
ذكرت إنفاً ودهراً صالحاً وبكت خرب فهاحت حزبي

(١) « الإحياء » ج ٢ / ص ١٥٢

(٢) « طبقات الصوفية » لأبي عبد الرحمن السلمي المتوفى ٤١٢ هـ بتحقيق نور الدين
شريعة ص ٦٠

(٣) « الإحياء » ج ٢ / ص ٢٥٠ .

فكأنني ربما أرتها وبكأها ربما أرتني
 ولقد أشكو مما أفهمهم ولقد تشكو مما تفهمني
 غير أنني بالجوئ أعرفهم وهي أيضاً بالجوئ تعرفني

قال فما بقي أحد من القوم إلا قام وتواجد ، ولم يحصل لهم هذا
 الوجد من العلم الذي خاضوا فيه ، وإن كن لعلم حاداً وحقاً ^(١)

قال السهراريني في « عداء الألب » (والسمع مهج لما في
 القلوب ، محرك لم فيها ، فلما كانت قلوب القوم معمورة بذكر الله
 تعالى ، صافية من كدر الشهوات ، محترقة بحب الله ، ليس فيها سوء ،
 الشوق والوجد والبهيج والقلق كامن في قلوبهم كمون النار هي الزدد ،
 فلا تظهر إلا بمصادفة ما يشاكلها ؛ فمراد القوم فيما يسمعون إما هو
 مصادف ما في قلوبهم فيستثيره بصدمة طروق ، وفوة سلطانه ، فتعجز
 انقلوب عن الثبوت عند اصطدامه فتبعث الحوارح بالحركات
 والصرحات واصبغات لثوراتها في القلوب ، لا أن السماع يحدث في
 القلوب شيئاً .

ولهذا قل أبو القاسم الجنيد قدس الله سره . (السماع لا يحدث في
 اقلوب شيئاً ، وما هو مهيج ما فيها . فترهم بهيجون من وحدهم ،
 ويظفون من حيث قصدهم ، ويتواحدون من حيث كادت سرائرهم ،
 لا من حيث قول الشاعر ، ولا يلتفتون إلى الألفاظ لأن الفهم سبق إلى
 ما يتحمله لذهن

وشاهد ذلك كما حكى : أن أبا حكمان الصوفي سمع رجلاً يهوف
 وينادي [ياسعتر بري] فسقط وغشي عليه ، فلما أفاق قيل له هي ذلك ،

فقال سمعته وهو يقول [اسع تر بري] . ألا ترى أن حركة وحده من حيث هو فيه ، لا من قول القائل ولا قصده ؟ .

كما روي عن بعض الشيوخ أنه سمع فائلاً يقول : [الحيار عشرة بحنة] فغلبه الواحد ، فسئل عن ذلك فقال [إد كان الحيار عشرة بحنة ، فما قيمة الأشرار ١٩] .

فاسمحنى بحب الله تعالى لا تمنعه الألفاظ الكثيفة عن فهم المعاني اللطيفة حيث لم يكن واقفاً مع نعمة ، ولا مشاهدة صورة ، فمن ظن أن السماع يرجع إلى رقة للمعنى . وطيب النعمة ، فهو بعيد من السماع

قالوا : وإنما السماع حقيقة ربانية ولطيفة روحانية ، تسري من السميع المسمع إلى الأسرار بلطائف التحف والأنوار ، فتتحقق من القلب ما لم يكن ، ويبقى فيه ما لم يكن ، ^{فهم سماع حق حق من حق} .

قالوا : وأما الحال الذي ^{يلحق السماع} ~~يلحق السماع~~ يجد فيمن ضعف حاله عن تحمل الورد ، وذلك لاردحام أنوار ^{اللطائف} ~~اللطائف~~ في دحون باب القلب ، فيلحقه دهش ، فيعيب بجوارحه ، ويستريح إلى الصعقة والصرخة واشهقة ، وأكثر ما يكون ذلك لأهل البدايات . وأما أهل النهايات فالغالب عليهم السكون واشتوت لانشرائح صدورهم ، واتساع سرائرهم لموارد عبيهم ، فهم في سكوبهم متحركون ، وفي ثبوتهم متقلقلون ، كما قبل لأبي القاسم الجنيد رضي الله عنه : ما لنا لا نراك تتحرك عند السماع ١٩ فقال : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ [الزلزال] (١)

فوائد الذكر إجمالاً

١- عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ « ما من قوم يذكرون الله ، إلا حفتهم الملائكة ، وعشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده »^(١)

٢- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الرب تبارك وتعالى : من شغفه قراءة القرآن وذكرى عن مسألتي أعطيه أفضل ما أعطي السائلين »^(٢) .

٣- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « يقول الرب يوم القيمة سينعم أهل الجمع اليوم من أهل الكرم فقيل : ومن أهل الكرم يا رسول الله » قال : أهل مجالس الذكر في المساجد »^(٣)

٤- وعن معاوية رضي الله عنه أن النبي ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال : « ما أحلسكم ؟ قالوا : حسنا نذكر الله ونحمده ، فقل : أياي جبريل فأحبرني أن الله يباهيكم بالملائكة »^(٤)

٥- وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما من قوم

(١) أخرجه مسلم في كتاب الذكر ، وترمذي في كتاب الدعاء وقال حسن صحيح

(٢) أخرجه الترمذي وحسنه ، وندبرمي راسيهمي كما مر في ص ١٢١

(٣) رواه الإمام أحمد وأبو يعلى ، السهري ، وابن حبان في صحيحه كما مر في

ص ١٢٠

(٤) أخرجه مسلم من حديث طويل في كتاب الذكر ، وترمذي في كتاب الدعاء

احتتمعوا بذكرون الله إلا بداهم منادٍ من لسماء قوموا مغفوراً لكم قد
بُذلت سيئاتكم حسنات^(١)

٦- وعن ثابث قال : كان سلمان في عصاة يذكرون الله ، فمرَّ
النبي ﷺ فكفوا ، فقال : « ما كنتم تقولون ؟ قلنا نذكر الله قال :
إنني رأيت الرحمة نزل ، فأحبب أن أشرككم فيها ، ثم قال الحمد لله
الذي جعل في أمتي من أمراء أن أصبح نفسي معهم^(٢) »

قال ابن قيم الجوزية في فوائد لذكر . (وفي الذكر أكثر من مائة
فائدة .

إحداها أنه يطرد الشيطان ويفمعه ويكسره

الثانية . أنه يرضي الرحمن عز وجل .

الثالثة أنه يزيل الهم والغم عن القلب .

الرابعة . أنه يجلب للقلب الفرح والسرور ويبسط .

الخامسة : أنه يور الوجه والقلب

السادسة . أنه يقوي القلب والبدن .

السابعة أنه يحب الرزق

الثامنة أنه يكسو الذاكر امهارة واحلاوة والنضرة

التاسعة أنه يورث المحبة التي هي روح الإسلام ، وقطب دحي
الدين ومدار السعادة والنجاة ، وقد جعل الله لكل شيء سبباً ، وجعل
سبب لمحبة دوم لذكر ، فمن أراد أن يال محبة الله تعالى فليلهج

(١) أخرجه أحمد وغيره . و مرَّ عروه في ص ١٢١

(٢) أخرجه الإمام أحمد والحاكم ومصححه .

بذكره ، فابذكر باب المحبة ، وشعارها الأعظم ، وصراطها الأفوم
العاشرة . أنه يورث المراقبة حتى يدحه في باب الإحسان ،
فيعد الله كآه يراه ، ولا سبيل للعامل عن الذكر إلى مقام الإحسان ، كم
لا سبيل للقاعد إلى الوصول إلى البيت

الحادية عشرة : أنه يورث الإمامة ، وهي الرجوع إلى الله عز وجل ،
فمن أكثر الرجوع إليه بذكره أورثه ذلك رجوعه بقلبه إليه في كل أحواله
فيبقي الله عز وجل مفرعه وملحاه ، ملاده ومعاده ، وقلة قلبه ، ومهزته
عند النوارل والالايا .

الثانية عشرة . أنه يورث القرب منه ، فعلى قدر ذكره الله عز وجل
يكون قربه منه ، وعلى قدر خضته يكون ثعده .

لثالثة عشرة . أنه يفتح له باباً يظلم من أبواب المعرفة ، وكلما أكثر
من الذكر ارداد من المعرفة .

الرابعة عشرة . أنه يورث لهيبه لربده عز وجل وإجلاله ، شدة استيلائه
على قلبه ، وحضوره مع الله تعالى ، بخلاف الغفل ، وير حجاب الهيبة
رقيق في قلبه .

الخامسة عشرة . أنه يورثه ذكر الله تعالى له ، كم قال تعالى
﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة ١٥٢] . ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها
لكفى بها فضلاً وشرفاً وقال ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى :
« من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ
حير منهم »^(١) .

(١) من حديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد عن أبي هريرة رضي الله
عنه ، ومرفى ص ١٢٠ و ١٢٥

السادسة عشرة أنه يورثه حياة القلب . وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله تعالى روحه يقول : الذكر لقلب مثل الماء للسماك ، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء ؟

السابعة عشرة : أنه يورث حلاء القلب من صداه ، وكل شيء له صدأ ؛ وصدأ القلب لغفلة و لهوى ، وحلاؤه لذكر والتوبة والاستغفار .

الثامنة عشرة أنه يحيط الخطيئ ويذهبها ، فإنه من أعظم الحسنات ، والحسنات يذهب السيئات

التاسعة عشرة . أنه يرين ابوحشة بين العبد وربه تبارك وتعالى . فإن العاقل بينه وبين الله عز وجل وحشة لا تروى إلا بالذكر

العشرون : أن العبد إذا تجرأ على الله تعالى بذكره في الخفاء ، عرفه في الشدة ، وقد جاء أثر معناه : إن العبد المطيع إذا ذكر الله تعالى ، إذا أصابته شدة ، أو سأل الله حاجة ، قالت الملائكة : يا رب ، صوت معروف من عبد معروف . والعاقل المعرض عن الله تعالى إذا دعاه وسأله قالت الملائكة : يا رب ، صوت منكرو من عبد منكرو

الحادية والعشرون . أنه مُسَجَّح من عذاب الله تعالى ، كما قل معاذ رضي الله عنه ويروى مرفوعاً : « من عمل آدمي عملاً أحسن له من عذاب الله عز وجل من ذكر الله تعالى »^(١) .

الثانية والعشرون : أنه سبب نزول السكينة . وعشيان لرحمة ، وحقوق الملائكة بالذاكر ، كما أخبر به لبي^(٢)

(١) روه الرمدي في كتاب الدعاء ومعه في ص ١٢١

(٢) انظر صفحة ١٧٣ الحديث الأول

الثالثة والعشرون : أنه سبب انشغال اللسان عن الغيبة والنميمة ، والكذب والفحش والباطل ، فإن العبد لا بد له من أن يتكلم ، فإن لم يتكلم بذكر الله تعالى وذكر أوامره تكلم بهذه المحرمات أو بعضها ، ولا سبيل إلى السلامة منها البتة إلا بذكر الله تعالى . والمشاهدة والتجربة شاهدان بذلك ، فمن عوّد لسانه ذكر الله صان لسانه عن الباطل واللغو ، ومن يمس لسانه عن ذكر الله ترطب بكل باطل ولغو وفحش ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

الرابعة والعشرون . أن مجالس الذكر مجالس لملائكة ، ومجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين ، فيستخير العبد أعجبهما إليه وأولاهما به ، فهو مع أهله في الدنيا والآخرة .

الخامسة والعشرون أنه يسعد المذاكر بذكره ، ويسعد به جلسه وهذا هو المبارك أيما كان . والعافل واللاعبي يشقى بلغوه وغفلته ، ويشقى به مجالسه .

السادسة والعشرون أنه يؤمن العبد من لحسرة يوم القيامة ، فإن كل مجلس لا يذكر العبد فيه ربه تعالى كان عليه حسرة ويرة يوم لقيامه^(١)

السابعة والعشرون . أنه مع البكاء في الخلوة سبب لإزالة الله تعالى العبد يوم الحز الأكبر في ظل عرشه^(٢) .

الثامنة والعشرون . أن الاشتغال به سبب لعزاء الله للذاكر أفضل ما يعطي السائلين ، ففي الحديث عن عمر بن الخطاب قال . قال رسول الله ﷺ : قال مسحته وتعالى . من شعله قراءة القرآن وذكره

(١) انظر صفحة ١٥٥ الحديث الأول والثاني .

(٢) انظر صفحة ١٢٨ حديث : مبة يظلم الله

عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين «^(١)

التاسعة والعشرون أنه أيسر العبادات ، وهو من أجلها وأفضلها ، فإن حركة اللسان أحف حركات لجوارح وأيسرها ، ولو تحرك عصب من أعضاء الإنسان في اليوم والميلة بقدر حركة لسانه لشت عليه غية لمشقة ، بل لا يمكنه ذلك .

الثلاثون : أنه عراس الحمة ، فقد روى الترمذي في جامعه من حديث عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ : « لفيت ليلة أسري بي إبراهيم الخليل عليه سلام فقال : يا محمد ، أفرى أمتك السلام ، وأحبرهم أن الجنة طيبة ثرية ، عذبة الماء ، وأنها قيعان ، وأن عراسها : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر » . قال الترمذي حديث حسن عريق من حديث ابن مسعود كما في كتب الدعوات

الحادية والثلاثون . أن العطاء والفضل الذي رتب عليه لم يرب على غيره من الأعمال ، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحبت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرراً من شيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمن أكثر منه »^(٢) . ومن قال « سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطيئته وإن كانت مثل زبد البحر »

(١) انظر صفحته ١٢١ الحديث العاشر

(٢) انظر صفحته ١٤٨ الحاشية

الثانية والثلاثون : أن دوام ذكر لرب تبارك وتعالى يوجب لأمان من سيانه ابدى هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده ، فإن نسيان الرب سبحانه وتعالى يوجب نسيان نفسه ومصلحتها . قال تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [الحشر ١٩]

الثالثة والثلاثون : أن الذكر يسير العبد وهو في فراشه وفي سوقه وفي حال صحته وسقمه ، وفي حال حال نعيمه ولدته ، ويسير شيء يعم لأوقات ولاحوال مثله ، حتى إنه يسير العبد وهو نائم على فراشه ، فيسبق القائم مع الغفلة ، فيصبح هذا وقد قطع الركعت ، وهو مستلق على فراشه ، ويصبح ذلك لقائم العاقل في ساقه الركعت ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

وحكي عن رجل من العباد أنه ترك الرجل ضعفاً ، فقام العابد ليده يصلي ، وذلك الرجل مستلق على فراشه ، فيما أصبح ، قال له العبد : سبقت الركعت . فقال ليس أشأأ فيمن باب مسافراً وأصبح مع الركعت ، الشأن فيمن باب على فراشه وأصبح قد قطع الركعت .

وهذا وسجده به محل صحيح ومحل فاسد ، فمن حكم على أن الراقد لمضطجع على فراشه يسبق لقائم القديس ، فهو باطل ، وإنما محله أن هذا المستلقي على فراشه علق قلبه بربه عز وجل ، وألصق حنة قلبه بالعرش ، ويات قلبه يصوف حول العرش مع الملائكة ، قد غاب عن الدنيا وما فيها ، وقد عاقه عن قيام الليل عائق من وجع أو برد يسهه عن القيام ، أو خوف عني نفسه من رؤية عدو يطلبه ، أو غير ذلك من الأعذار ، فهو مستلق على فراشه ، وفي قلبه ما الله تعالى به عليم . وخر قائم يصلي ويتلو ، وفي قلبه من الرياء والمحجب وطلب لحاه والمحمدة عند لباس ما الله به عليم . أو قلبه في وادٍ وجسمه في وادٍ ، فلا ريب أن

ذلك الراشد يصح وقد سبق هـد القائم بمراحل كثيرة .

الرابعة والثلاثون : أن الذكر رأس الأصول ، وطريق عامة الطائفة الصوفية ومشور الولاية ، فمن فُتح له فيه فقد فتح له باب الدخول على الله عز وجل ، فليتبصر وليدخل على ربه يجد عنده كل ما يريد ، فمن وجد ربه عز وجل وجد كل شيء . ود فانه ربه عز وجل فانه كل شيء .

الخامسة والثلاثون : أن الذكر شجرة تثمر اسمعارف والأحوال التي شمر إليها السالكون ، فلا سبيل إلى نيل ثمارها إلا من شجرة الذكر ، وكلما عظمت تلك الشجرة ورسح أصلها كان أعظم لثمرتها ، فالذكر يشمر اسمقامات كلها من اليقظة إلى اتوحيده ، وهو أصل كل مقام وقاعدته التي يُبنى ذلك المقام عليها ، كما ينشأ الحائط على أسسها ، وكما يقوم السقف على حائطه ، ودلت أن العبد إذا لم يستيقظ لم يمكنه قطع منازل السير ، ولا يستقط إلا بالذكر كما تقسم ، فابغمة نوم القلب أو موته .

السادسة والثلاثون : أن للذاكر قريب من مذكوره ، ومذكوره معه . وهذه المعية معية خاصة ، غير معية العلم والإحاطة العامة ، فهي معية بالقرب والولاية والمحبة ، والنصرة والتوفيق ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ [اسر ١٢٨] ، ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [عنكبوت ٦٩] ، ﴿ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال ٦٦] ، ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَكْ ﴾ [التوبة ٤٠] . وللذاكر من هذه المعية نصيب وافر كما في الحديث الإلهي : « أنا مع عبدي ما ذكرني ، وتحركت بي شفتاه »^(١) . وفي أثر آخر . « أهل ذكري أهل مجالستي ، وأهل شكري

(١) رواه الإمام أحمد وابن ماجه والحاكم وابن حبان وصححه . كما في « فيض القدير » ج ١/ ص ٣٠٩ .

أهل زيادتي ، وأهل طاعتي أهل كرامتي ، وأهل معصيتي لا أقتطعهم من رحمتي ، إن تابوا إليّ فأنا حييهم ، فإنني أحب التوبين وأحب لمتطهرين ، وإن لم يتوبوا فأنا طيبهم ، أبتليهم بالمصائب لأظهرهم من المعائب ^(۱) .

والمعية الحاصلة للذكر معية لا يشبهها شيء ، وهي أحصر من المعية الحاصلة للمحسن والمتقي ، وهي معية لا تدركها عبارة ولا تنالها الصفة وإحاطة تعلم بالدوق

السابعة والثلاثون أن أكرم الخلق على الله تعالى من المتقين من لا يزال لسانه رطباً بذكره ، فإنه بعد في أمره وبهية ، وحصل ذكره شعوره ، فالتفوى أوجبت له دخول الجنة ، ولحاة من النار ، وهذا هو الثواب والأجر ، والذكر يوجب به التقرب من الله عز وجل ولرفق لديه ، وهذه هي الميزة

الثامنة والثلاثون أن في القلب قسوة لا يدبها إلا ذكر الله تعالى ، فيسغي لعبده أن يداء في قسوة قلبه بذكر الله تعالى

وذكر حماد بن زيد : أن رجلاً قال للحسن : يا أبا سعيد ، أشكو إليك قسوة قلبي قال : أدته بالذكر وهذا لأن القلب كلما اشتدت به الغفلة اشتدت به القسوة ، فإذا ذكر الله تعالى ذابت تلك القسوة كما يذوب الرصاص في النار ، فما أدببت قسوة القلوب بمثل ذكر الله تعالى .

التاسعة والثلاثون أن الذكر شفاء القلب ودواؤه ، والغفلة مرضه ، فالقلوب مريضة ودواؤها وشفائها ذكر الله تعالى ، قال مكحول :

(ذكر الله تعالى شفاء ، وذكر النفس داء)^(١) وقيل :

إذا مرصفت سداؤينا بذكركم ونترك الذكر أحيانا فتكس الأربعون . أن لا تترك أصل موالاة الله عز وجل ورأسها ، والغفلة أصل معدائه ورأسها . فإن اعبد لا يزال يذكر ربه حتى يحبه فيواليه ، ولا يزال يعمل عنه حتى ينغصه فيعاده . قال الأوزاعي قال حسان بن عطية ما عدى عبد ربه بشيء أشد عليه من أن يكره ذكره أو من يذكره . فهذه المعادة سببها الغفلة ، ولا تزال بالعبد حتى يكره ذكر الله ، ويكره من يذكره ، فحينئذ يتخذه الله عدواً كما اتخذ الذكور ولياً .

الحادية والأربعون أن ما من الذكر يدخل الجنة وهو يضحك ، لم يذكر عن أبي الدرداء قال (الذين لا تزال تستهم رطبة بذكر الله عز وجل ، يدخل أحدهم الجنة وهو يضحك)

الثانية والأربعون . أن الذكر سداً بين إيعيد وبين جهنم ، فإذا كنت إلى جهنم طريق من عمل من الأعمال ، كان الذكر سداً في تلك الطريق ، فإذا كنت ذكراً دائماً تملأ كان سداً محكماً لا ينهد فيه ، وإلا فيخسه

الثالثة والأربعون : أن جميع الأعمال إنما شُرعت إقامة لذكر الله تعالى فلمقصود بها تحصل ذكر الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ وَفِي الصَّلَاةِ إِلِدِكْرَى ﴾^(٢) [طه ، ١٤٠]

(١) رواه البيهقي عن مكحول مرسلًا لمعظم (ذكر الله) كما في كشف المحج ، للمحبوبي ج ١ / ص ٤١٩

(٢) « الواس الصيب من الكلم الطيب » لاس قيم عورية وما يمت انظر أن من عطاء الله سكيري ذكر هذه القوائد بعضها في كتابه « مفتاح الفلاح » ص ٣٠ فتعنه عنه بن لقيم مع شيء من التيسيق والإصافات السليطة دو ، أن يعرف ذلك إحد مصدره الأصلي « مفتاح الفلاح » لاس عطاء الله ، و لمعوم أن اس عطاء الله توفي -

ومن أراد لتوسع في معرفة فوائده الذكر فعليه أن يرجع إلى الكتب المطولة هي الأذكار ككتب «الأذكار» للإمام النووي رحمه الله ، و«مفتاح الصلاح» لأمير عطاء الله السكندري ، و«عمل اليوم والليلة» لجلال الدين السيوطي وغيرها من كتب الأذكار

والسادة الصوفية واطبوا على ذكر الله تعالى في جميع أحوالهم ، حتى لمسوا فوائد كثيرة فتحدثوا عنه عن حرة يقينية ، ونصحوا غيرهم بالكثارة من ذكر ربهم ، من باب «لا يؤمر أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(١) .

يقول الحسن المصري إمام لنابعين : (أحث عباد الله إلى الله أكثرهم ذكراً وأتقاهم قلباً) .

وقد ذكروا السعدي (ما طببت الدنيا إلا بذكره ولا صلت الآخرة إلا بعصوه ، ولا طببت لحة إلا برويته)

يقول أبو سعيد الخراز رحمه الله : (إن الله تعالى عجل بأرواح أوليائه التلدد بذكره واتوصل إلى قربه ، وعجل بأبدانهم العمة بما دلوه من مصالحتهم وأجزل نصيبهم من كل كائن ، فعيش أبدانهم عيش الجنائين [أهل الحنة] . وعيش أرواحهم عيش لربانيين)^(٢) .

والذكر على قسمين : ذكر العامة ، وذكر الخاصة

أما ذكر العامة فهو ذكر الأحرار والشواذ . وهو أن يذكر العبد مولاه

١ - سنة ٧٠٩ هـ . بينما كانت وفاة ابن القيم سنة ٧٥١ هـ

(١) حرجه البخاري - مسلم في كتاب الإيمان عن أبي ، والثاني في كتاب الإيمان ، وانت مذي في كتاب صفة القيامة .

(٢) «حليه لأولياء» لأبي نعيم ح / ١ ص ٢٤٧

بما شاء من ذكر ، مع بقائه في صفاته لمدحومة كالرياء و الكبر ، والعجب والغرور ، وغير ذلك

وأما ذكر الخاصة . فهو ذكر الحضور ، وهو أن يذكر العبد مولاه بأذكار معلومة على صفة مخصوصة ، لينال بذلك المعرفة بالله سبحانه ، بطهارة نفسه من كل حُوق ذميم ، وتحسينها بكل خلق كريم ، طلباً للخروج من ظلمة الحس ، وطمعاً في إدراك لأسرار الروحانية والأروى له اتخاذ سحرة ، يحصي بها ما أراد من لأعداد ؛ فيسلم من تعب حصر مقدارها ^(١) .

(١) دليل السحرة .

والسحرة جائزة في الإسلام ، وليست مستعدة . قال لعلامة ابن علان في شرحه على الأذكار المروية عند قوله ﷺ « وأد يعقد بالأمل » فهذه مسؤولات مستطقات بعد كلام (وهذا اتخاذ أمل لعبادة وغيرهم السحرة) وفي شرح المشكاة « لاس حجة . ويستقاس من الأثر المستعمل المذكور في الحديث بسبب اتخاذ السحرة ، ورغم أنها بدعة غير صحيحة ، إلا أن يحمل على تلك الكيفيات التي احتضرها بعض السفهاء ، مما يمحضها للزينة أو الرياء أو اللعب

وقال ابن الجوزي : إن لسحرة مستحبة ، كما في حديث صفة أنها كانت تسبح سواي أو حصي ، وقد أمرنا ﷺ على فعلها ، وللسحرة في معناها ؛ إذ لا يختلف العرص عن كونه منظومة أو مشورة

وقال ابن علان . وهذا أصل صحيح تنجوير السحرة بتقريره ﷺ « لا يُعَدُّ بقول من عدّها بدعة » وروي أنه روي مع الإمام الجنيد رحمه الله سحرة في يده حل انتهت ، فسئل عن ذلك ، فقد : شيء وصدا به إلى الله تعالى كيف تركه ؟ وول ابن علان : وقد أقردت السحرة بجزء لطيف سميت « إيقاد المصابيح لمشروعية اتخاذ لمصابيح » وأوردت فيه ما يتعلق بها من الأحبار والآثار ، والاختلاف في تفاضل الاشتغال بها أو يعقد لأصابع في الأذكار

وحاصل ذلك أن استعمالها في أعداد الأذكار لكثيرة التي ينبغي الاشتغال بها عن تنويع بلذكر أفضل من تعقد بالأمل ونحوه . إلى آخر كلامه فراجع =

ورد الصوفية ودليله من الكتاب والسنة :

= من الفتوحات الرباعية على الأذكار السبوية ، لعلامه محمد بن علان ناصيفي .
المتوفى ١٠٥٧ هـ - ج ١ / ص ٢٥١ - ٢٥٢

وَأُخْرِجَ عَبْدُ اللَّهِ مِنَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَوَاهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مِنْ طَرِيقٍ نَحْوِ
مَحْزُوزِ بْنِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ جَاءَ أَبِي هُرَيْرَةَ سَمِعَهُ كَأَنَّ لَهُ حَيْضَ فِيهِ أَعْلَى عَقْلَهُ وَلَا يَم
حَتَّى يَسْمَعَ بِهِ .

وقال العلامة ابن عابدين في حاشيته المشهورة (لا بأس باتحاد السبحة ،
 وبين الحوز ما رواه أبو داود والترمذي ونسائي وابن حبان وإسحاق وصحاح
 صحيح لإسناد ، عن سعد بن أبي وقاص أنه دخل مع رسول الله ﷺ على امرأة ،
 وبين يديها نوى أو حصي تسبح به ، فقال : أخرئي بما هو أيسر عيث من هذا و
 أفصح من هذا ، فقال : سبحان الله عدد ما خلق في السماء وسبحان الله عدد ما خلق
 في الأرض وسبحان الله عدد ما بين ذلك ، فلم يهبط عن ذلك وإنما أرشدها إلى
 ما هو أيسر وأفضل ، ولو كان مكرهاً لبيّن ذلك ، ولا تريد السبحة عن مصمون
 هذا الحديث إلا يضم نوى في حط ، ومثل ذلك لا يظهر تأثيره في الجمع ، فلا
 حرم أب ثقل اتحادها والعمل بها عن جماعة من الصوفية لأخيار وغيرهم ١ ١ هـ

من حاشية ابن عابدين ج ١ / ص ٤٥٧

واجتمع . أورد ويطلقه الصوفية على أدكار يأمر الشبح تلمذه بذكرها صباحاً بعد صلاة الصبح ، ومساءً بعد صلاة المغرب

(١) حكم ذكر الله بعد صلاة الصبح

إن من أفضل لأعمال بعد صلاة الفجر لا شعور بذكر الله تعالى ، خلافاً لما يطر بعض الناس بأن الاشتغال بقراءة لقرآن بعد صلاة الصبح أولى وأفضل ، وقد وردت في ذلك أحاديث كثيرة منها

١- عن أبي امامة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من صلى صلاة الغداة [الصبح] في جمعه ثم جلس يذكر الله حتى تطلع الشمس ، ثم قام فصلى ركعتين انقلب بأجر حجة وعمرة » رواه الطبراني وأسنده جيد كما في « مجمع الروائد » ج ١٠ ، ص ١٠٤

٢- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ، ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة » أخرجه الترمذي

٣- وعن عمره فانت ~~عن رسول الله ﷺ~~ سمعت رسول الله ﷺ يقول « من صلى صلاة الفجر فعد في مفعه فلم يلعُ شيء من أمر الدنيا وبذكر الله حتى يصلي الصبح ربح ركعتين حرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه لا ذنب له » . رواه أبو يعلى والضرابي كذا في « مجمع الروائد » ح ١٠ ، ص ١٠٥ .

٤- وعن معمر بن أسد قال قال رسول الله ﷺ « من صلى صلاة الفجر ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس وحبب له الجنة » رواه أبو يعلى كذا في المصدر السابق ح ١٠ ، ص ١٠٥

٥- وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال سمعت جدي رسول الله ﷺ يقول « من عبد يصلي صلاة الصبح ثم يجلس يذكر الله حتى تطلع الشمس لا كتاب دبت حجب من الدنيا » رواه الطبراني كذا في المصدر السابق ح ١٠ ، ص ١٠٦

وتدبر فيها الحنيفة على أولوية الاشتغال بالذكر بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس أحداً من الأحاديث المذكورة

قال العلامة الحنفي صاحب « لدر المحجب » (ذكر الله من طلوع الفجر =

والورد في اللغة • هو صارف والفادم ، يقال ورد علينا فلان أي قدم وفي الاصطلاح • يُشجعه الحق تعالى فبوت أولياته من الصفحات الإلهية ، فيكسبه قوة محركة ، وربما يدهشه ، أو يُعيّبه عن حسه ، ولا يكون إلا بعتة ، ولا يدوم على صاحبه^(١) .

والورد يصم ثلاث صيغ من صيغ الذكر المطلوبة شرعاً ، والتي دعا إليها كتاب الله تعالى ، وبينت السنة لشريقة فصلها ومثوبتها

١- الاستغفار بصيغة [أسغفر الله] مائة مرة . بعد محاسبة النفس على لرات لتعود صفحة الأعمال نقية بضاء . وقد أمرنا الله تعالى بذلك وهو ﴿ وَمَا تَقْدُمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ نَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ خَيْرًا وَأَسْتَعِيرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المرمل ٢٠٠] .

وقد كان رسول الله ﷺ يكثر من الاستغفار تعليماً لأمته وتوحيهاً ، كما روى أبو هريرة رضي الله عنه عنه « والله نبي لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة^(٢) » .

وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « طوبى لمن وحده في صحيفته ستغفار^(٣) كثيراً » .

٢- الصلاة على النبي ﷺ بصيغة [اللهم صل على سيدنا محمد عندك ورسولك انني الأمي وعلى كته وصحبه وسلم] مائة مرة مع

= إلى طلوع الشمس أو من هراء لفران . حاشية من عمدين ح ٥ ، ص ٢١٠

(١) « شرح لحكم » لاس عجينة ح ١ ، ص ١٦٠

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الدعوات .

(٣) أخرجه ابن ماجه في كتاب الأدب وقال في « الروايد » : إسناده صحيح ورجله ثقات .

استحضار عظمه ﷺ ، وبتدكير صفته وشمائله ، واستعيق بجبابه الرفيع ،
محبة وتشوقاً

وقد أمرن الله تعالى بذلك بقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى نَبِيِّهِ﴾
يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلَواتٌ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (تسليماً) [الأحزاب ٥٦]

وكذلك رغب رسول الله ﷺ بكثرة الصلاة والسلام عليه فقال : « من
صلى عليّ واحدة صلى الله عليه بها عشرة »^(١) .

وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ
« من صلى عليّ واحدة صلى الله عليه عشر صدقات وحطّت عنه عشر
سيئات ورفعت له عشر درجات »^(٢) .

وقال ﷺ أيضاً : « أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ
صلاة »^(٣) .

٣- كلمة التوحيد بصيغته : [لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له
الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير] مئة مرة ، أو [لا إله إلا الله]
فقط مائة مرة مع التمسك بأنه لا حلق ولا رافق ولا نافع ولا صار
ولا قابض ولا باسط إلا الله وحده ، مع محاولة محو ما يسيطر على
القلب ، من حبّ الدنيا والأهواء والشهوات والنوساوس ولشواغل
والعلائق والعوائق الكثيرة حتى يكون القلب لله وحده لا لسواه

ولهذا دعاه الله تعالى إلى هذا التوحيد الخاص فقال : ﴿مُاعِظُكُمْ أَنَّهُ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد ١٩]

(١) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة ، والنسائي في كتاب الافتتاح

(٢) أخرجه النسائي في كتاب الافتتاح .

(٣) رواه الترمذي في كتاب أبواب الصلاة وقال حديث حسن .

وكذلك رغبنا رسول الله ﷺ في الإكثار من برداد كلمة التوحيد ،
 وبين أفضليتها ومشورتها ، فقال « أفضل الذكر لا إله إلا الله »^(١)
 يقول العلامة ابن علان في شرح هذا الحديث . « إنها [أي لا إله
 إلا الله] تؤثر تأثيراً بشياً في تطهير القلب عن كل وصف ذمسم راسخ في
 باطن الذاكر ، وسببه أن لا إله في جميع أفراد الآلهة ، وإلا لله إثبات
 للواحد الحق لواجب لذاته امره عن كل ما لا يليق بجلاله ، فبإدمان
 الذكر لهذه ينعكس الذاكر من سائر الذاكر إلى باطنه ، حتى يتمكن فيه ؛
 فيضيئه ويصلحه ، ثم يضيء ويصلح سائر الجوارح ، ولذا أمر لمريد
 وغيره بإكثارها والدوام عليها »^(٢)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « جددوا
 إيمانكم ، قبي يا رسول الله وكف نَجْدِمَ إيماننا ؟ قال : أكثرُوا من قول
 لا إله إلا الله »^(٣) .

وقد ﷺ أيضاً . « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، به
 الملك ، وبه الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، في يوم مائة مرة كانت
 له عدل عشر رقاب ، وكتبت به مائة حسنة ، ومُحِبَّت عنه مائة سيئة ،
 وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل
 مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه »^(٤) .

(١) رواه الترمذي في كتاب الدعوات وبيان : حديث حسن

(٢) « الفوحاح السريانية على الأذكار لسواوية » للعلامة ابن علان صديقي
 ج ١ / ص ٢١٣ .

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٢ / ص ٣٥٩

(٤) رواه البخاري في كتاب الدعوات ، ومسلم في كتاب الذكر ، والترمذي في كتاب
 الدعوات .

مع املاحظة أن هذا لم يرد يكون في الصباح والمساء في جلسة بحلول فيها العبد ربه ، وبذلك يكون قد افتتح بهاره بذكر الله تعالى وختمه بذكره وضاعته ، لعله يكون من الذين قال الله تعالى فيهم . ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ اللَّهُ هُمْ مَعِيرَةٌ وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب ٣٥]

وهكذا تلقبت عن شيخنا سيدي محمد الهاشمي رحمه الله تعالى كما تلقاه هو أيضاً عن شيخه . .

ولا سغي لئسالك في طريق أهل الله أن يكون ورده مقتصراً على العدد المذكور ، بل ينبغي له أن يزيد ذكره لله تعالى ، لأن قلب السالك في ابتداء سيره كالطفل الصغير ، فكما أن الطفل كلما كبر زيات به كمية الغذاء ، كذلك كلما كبر المريد في سيره إلى الله تعالى زاد ذكره لله ، لأن الذكر غذاء لقلبه وحياته له .

وبما كان الورد سهياً لسالكين إلى الله تعالى فعاد الشيطان في حريفهم ، يصددهم عن ذكر الله تعالى بحجج شتى ، ومعلطت حمية ، وتلبسات متنوعة ، فقد يترك بعض المريدين قراءة أوردهم محتجبين بكثرة أعمالهم وعدم فرغهم لها ، ويوحي إليهم شيطانهم أن هذا عذر مشروع ، ومبرر مقبول ، وأنه لا بأس بتأجيل الأوراد لوقت الفراغ .

ولكن السادة الصوفية حذروا السالكين من الإهمال والتسوية وانتصر الفراغ ، لأن العمر سرعان ما ينتهي ، والامشاغل لا تزال في تجدد .

قال ابن عطاء الله في حكمه (إحالتك الأعمال على وجود الفرع من روعة النفس) .

وقال الشارح ابن عحية . (فالواجب على الإنسان أن يرفع علاقته

وعو ثقه ، ويخالف هو ، ويبادر إلى خدمة مرلاه ، ولا ينتظر وقتاً
آخر ، إذ الفقير [الصوفي] أن وقته ^(١) .

وقد يزين الشيطان لبعض السالكين أن تركوا الذكر بحجة أن ذكرهم
لا ينسب من أوساوس ، ولذكر لا يبعد إلا إذا كان المذاكر حاصر القلب
مع الله تعالى

ونكر مرشدي السادة الصوفية حذروا مريديهم من هذا المدخل الشيطاني
احطير ، فقال ابن عطاء الله السكندري : (لا تترك الذكر بعدم حضوره
مع الله فيه ، لأن عقلتك عن وجود ذكره أشد من غمتك في وجود ذكره ،
فمسي أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة ، ومن ذكر مع
حضور نقطة إلى ذكر مع وجود حضور ، ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر
مع وجود غيبة عما سوى المذكور ، وما دلت على الله بعزير ^(٢))

وقد يترك بعض السالكين أورادهم اكتفاء بالوارد ، وما علموا أن
الورد مطلوب منهم لتقرب الله تعالى ، وأن السادة للصوفية لم يتركوا
أورادهم مهما بلغوا من مراتب الكمال

قال أبو الحسن الدراج رحمه الله . (ذكر لحبيد أهل لمعرفة بالله ،
وما يرعونه من الأورد واعبدت بعد ما أتجفهم الله به من الكرامات ،
فقال الحبيد رضي الله عنه : أعددة على أعارف أحسن من التبحر علم
رقوس لمبوك وقد رأى رجل لحبيد رضي الله عنه وفي يده مسحة ،
فقال له : أنت مع شرفك تأخذ في يدك مسحة ! فقال نعم ، سب
وَصَلْنَا إِلَى مَا وَصَلْنَا فَلَا تَرْكُهُ أَبَدًا ^(٣) .

(١) * إيقاظ الهمم في شرح الحكم * ج ١ / ص ٤٩

(٢) * إيقاظ الهمم * ج ١ / ص ٧٩ .

(٣) * إيقاظ الهمم * ج ١ / ص ١٦٢ وراجع هذا الخبر في ص ١٨٤

قال ابن عطاء الله : (لا يسحق انورد إلا جهول ، انوارد يوحد في اندار الآخرة ، والورد يطوي باصواء هذه لدر وأزلي ما يُعَتْنِي به ما لا يُخَلَف وجوده ، الورد هو طالبه منك و لوارده أنت بطلبه منه ، وأين ما هو طالبه منك مما هو مطيبك منه) (١) .

وأحيراً فإن المرید إذ ترك ورده لسب من لأسباب لسانقة ، ثم عاد إلى يفظته والتزم عهده ، فلا يسعي أن يقسط من رحمة الله نتيجة تقصيره وإهماله ، بل عليه أن يتوب إلى الله تعالى ، ثم يقضي ما فاتته من أوراد ، إذ الأوراد تُفَصِّلُ كسائر العبادات والطاعات .

قال الإمام النووي : (يسعي من كان له وظيفة من الذكر في وقت من ليل أو نهار ، أو عقب صلاة أو حالة من الأحوال ففاته أن يتدراكها ، ويأتي بها إذا تمكر منها ، ولا يهملها ، فإنه إذا اعتاد للملارمة عيها لم يُعَرِّضْهَا لستمويت ، وإنا تساهل في قصائنها سنهز علمه بصيغها في وقتها ، وقد ثبت في صحيح مسلم (٢) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : من نام عن حركه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من ليل) (٣) .



(١) « إيقاظ الهمم » ج ١ / ص ١٦٠

(٢) كتاب صلاة المسافرين وقصرها .

(٣) « الأدكار » لسروي ص ١٣ .

المذاكرة

لمداكره . هي استفادة المريد من حبرة مرشده سؤاله عن أحكام شرعية تتعلق بتصحيح العقائد أو العبادات أو لمعاملات ، أو بأن يعرض له ما يحدث معه من أحوال قلبية وحواطر نفسية وشيطانية قد تلتبس عليه فتوقعه في شكوك وأوهام ، كالشكوك في العقائد الإيمانية ، وكذلك تعلقات الدنيوية ، التي يقف حبالها حائراً مضطرباً

أو بأن يكشف له عن أمراضه النفسية كالكر والحسد والنفاق وحب الرئاسة ، وعن رغباته النفسية كاستحسان كرامته ومراثيه بغية الشناء والشهرة وغير ذلك من الصفات الباقصة بغية معرفة طريق الخلاص منها .

وهكذا يرجع المريد لمرشده في جميع أحوال سيره لاختيار العقبات التي تعترض طريقه .

وقد يذاكر لمريد شيخه في أحواله الطيبة ومقامات سيره ، واستشراق روحه لتحصرة لإلهية ، وما يرد على قلبه من ورد رحمانية أو ملكية ومفاهيم قرآنية وعلوم وهبة . واقصد من ذلك الاستيثاق من صحتها حتى يكون لمريد على بصيرة من مراحل سيره

فلمذاكرة لها أهمية كبرى في سير المريد إلى الله تعالى ، وهي ركن عظيم من أركان الطريق الخمسة ' الذكر ، والمذاكرة ، ومجاهدة النفس ، والعلم ، والمحبة

ومثل للمريد مع مرشده كمثل المرحض الذي يكشف لطيبه كل ما يلفاه من أعراض مرضية ، كما بخره عن جميع مر حل تحسن جسمه وصحته

ومن جهة أخرى فإن لمداكره يُقوّي الصلة بين المريد والمرشد ، فترداد المحنة ويقوّي اتجاوب ، كما أن للمريد يستفيد بالمداكرة من شيخه عندما وحالاً ومعرفة ، لأد العلم روح تفح لا مسائل تسخ

ولمداكره إذن يطبق عملي لأدب من آداب اشترع ، وخلق أساسي من أخلاق الإسلام ، وهو الشورى التي مدح الله بها المؤمنين بقوله ﴿وَأَقْرَهُمْ شُورَىٰ يَتَّخِذُونَ﴾ [شورى ٢٨] والتي دعا إليها الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام بقوله «المستشار مؤتمن»^(١)

وإذا كانت الشورى هي للاستفادة من خبرة أهل لا اختصاص في أي جانب من جوانب الحياة ، فالمريض الذي يستفيد من خبرة الطبيب ، والبناء الذي يستفيد من خبرة المهندس ، والمظلوم الذي يستفيد من خبرة المحامي . إلخ

فإن المداكرة هي للاستفادة من خبرة المرشد في ميدان لتطبيق العملي دين الله تعالى ، وقد نوه الله تعالى لهذه الاستفادة بقوله : ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سجدة ٤٣] ويقول تعالى : ﴿لَرْحَمَنٌ فَسْأَلْ بِهِ خَيْرٌ﴾ [سجدة ٥٩]

(١) روه البرمدي عن أبي هريرة في كتاب الأدب وفن حديث حسن والحارثي في «الأدب المفرد» في باب المستشار مؤتمن

الفرق بين المذاكرة وبين الاعتراف عند انصاري

قد يتوهم بعض الناس بأن هناك شبهة بين مذاكرة لمريد لمرشده وبين الاعتراف عند الصوري ، ولكن العاقل المصنف لا يسرع في الحكم ، ولا يلقي الكلام جزافاً دون تفكير أو تدبر ، بل يفرق بين من يأتي لمرشده ليكشف له عن كذبه وجرائمه بغية أن يعف عنه ، كما هو الأمر عند انصاري ، وبين من يأتي بحير عالم فيكشف له عن أمراضه وأحواله بغية أن يدلّه على الطريق العملي لتحصيل منها ، كما يكشف المريض عن أمراضه وبركانت مما يُستحي منها من أجل تشخيص لدهاء ووصف الدواء الناجع .

الفرق بين المذاكرة وبين المجاهرة بالمعصية .

وقد يشبه الأمر على بعض الناس عظموى أن مذاكرة المرشد لمرشده في أمراضه القلبية وأحواله المعسرة من معصيه ومخالفت نوع من المجاهرة بالمعصية

ولكن هناك فرق كبير بين من يرتكب الإثم ، ثم يأتي للناس يحادث عنه من باب المباهاة ولتلدن بذكره والدعوة إليه ، وبين من يتندم على ذنبه ويتحير في معرفة العلاج لجذري لذي ينقذه من وضعه المدموم ، فيأتي ليستفيد من خبرة مرشده

قال الإمام النووي معقفاً على حديث « من أسي معصاةً إلا المجاهرين ، ومن من الإحهار أن يعمل اسرحل بالنس عملاً ، ثم يصح وقد ستره الله تعالى عليه ، فيقول يا فلان عملتُ لباحة كذا وكذا ،

وقد نأت بسره ربه ، ويصبح يكشف ستر الله عنه »^(١) . (يكره للإنسان
 إذ ابتلي بمعصية أو نحوها أن يحبر غيره بذلك ، بل ينبغي أن يتوب
 إلى الله تعالى ، فيقلع عنها في الحال ، ويدم على ما فعل ، ويعزم ألا
 يعود إلى مثلها أبداً ، فهذه الثلاثة هي أركان التوبة ، لا يصح إلا
 باجتماعها ، فإن أحبر بمعصية شحبه أو شبهه ممن يرحو برحابه أن
 يعتمد مخرجاً من معصيته ، أو يعلمه ما يسلم به من الوقوع في مثلها ، أو
 يعرفه السبب الذي أوقعه فيها ، أو يدعوله ، أو نحو ذلك ، فلا بأس
 به ، بل هو حسن ، وإنم يُكره إذا انتف هذه المصلحة)^(٢)

ونقل الإمام لساوي في معرض شرحه حديث المجاهرة قول الإمام
 العزالي (اكشف لمدوم إذا وقع على وجه المجاهرة والاستهزاء ؛
 لا على وجه السؤال والاستفتاء ، بل من خبر من واقع امرأته في
 رمضان^(٣) ، فجاء فأخبر المصطفى عليه الصلاة والسلام ، فلم يكر
 عليه)^(٤) .



(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الأدب ، ومسلم في كتاب الرهد والرفائق

(٢) « الأدكار » للبووي ص ٣٢٧ .

(٣) روى هذا الخبر البخاري في صحيحه في كتاب الصوم ، ومسلم في كتاب الصيام ،
 والترمذي في كتاب الصوم باب ما جاء في كفرة المطر في رمضان

(٤) « قبض القدير شرح الجامع الصغير » ج ٥ ، ص ١٢ .

الخلوة

١- تعريفها .

قال الشيخ أحمد رروي في قواعده : (الخلوة أحصر من العزلة ، وهي بوجهها وصورته نوع من الاعتكاف ، ولكن لا في المسجد ، وربما كنت فيه ، وأكثرها عند القوم لا حائلاً . لكن السه تشير للأربعين بمواعدة موسى عليه السلام ، والقصد في الحقيقة ثلاثون ، إذ هي أصل المواعدة ، وجاور عليه لصلاة والسلام بحراء شهراً كما في مسلم^(١) ، وكذا عتزل ساءه ، وشهر الصوم وحده . وزيادة المقصد وتقضاه كالمرید في سلوكه وأقمها عشرة لاعتكافه عليه الصلاة والسلام للعشر ، وهي للكمال زيادة في حائه ، ولغيره ترقية ، ولا بد من أصل يُرجع إليه . ولقصد به تطهير لقلب من أدباس الملابس ، وإفراد القلب لذكر واحد ، وحقيقة واحدة ، ولكنها بلا شيخ محظورة ، ولها فتوح عظيم ، وقد لا تصح بأقوام ، فليعتبر كل أحد بها حاله^(٢))

والخلوة إذن : انقطاع عن البشر لفترة محدودة . وترك الأعمال

(١) أخرج مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان عن حابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « جاورت بحراء شهر » ، فلما قصيت جوري برلت فاستطعت بطن الوادي . . . »

(٢) « قواعد التصوف » ص ٣٩ لأبي العباس الشيخ أحمد لغاسي المشهور برروي تروهي سنة ١٩٩٩ هـ في طرابلس الغرب

لديويته لمدة يسيرة ، كي ينزع القلب من هموم الحياة التي لا تنتهي ،
ويستريح الفكر من المشاغل اليومية التي لا تنقطع ، ثم ذكر الله تعالى
بقلب حاصر حاشع ، وتفكر في الآله تعالى اثناء الليل وأصناف النهار ،
ودلك يرشاد شيخ عارف بالله ، نعمة يد حهل ، ويذكره إذا غفل ،
ويشيطه إذا فتر ، ويساعده على دفع الوسوس وهو احسن النفس

٢- طريقته :

يذكر الخوالي رحمه الله طريقة الحلوة ومراحلها ومقاماتها ، فسين
(أن الشيخ يُزِم امرئ روية بمردها ، ويوكل به من يقوم له بقدر يسير
من لقوب الحلال - فإن أصل هذه القوت احلال - وبعد ذلك يلفته ذكراً
من الأدكار ، حتى يشغل به قلبه وقلبه ، فيجس ويفور
مثلاً الله ، الله ، أو سبحانه الله ، سبحانه الله ، أو ما يراه الشيخ من
الكلمات ، فلا يزل يواط عليه ، حتى يسقط الأثر عن اللسان ، وتبقى
صورة اللفظ في القلب ، ثم لا يزال كذلك حتى يُمحي من لقلب حروف
اللفظ وصورته ، ويبقى حقيقته معناه لازمة للقلب ، حاضرة معه ، عالية
عليه ، قد فرغ عن كل ما سواه ، لأن القلب إذا اشتعل بشيء خلا عن
غيره - أي شيء كان - فإذا اشتغل بذكر الله تعالى وهو المقصود - خلا
لامحاة من غيره وعن ذلك يلزمه أن يرفع وسوس القلب ،
والحواطر التي تتعق بالديا ، وما يتذكر فيه مما قد مضى من أحواله
وأحوال غيره ، فإنه مهما اشتعل بشيء منه - ولو في لحظة - خلا قلبه عن
الذكر في تلك اللحظة ، وكان أيضاً بقصد فليجته في دفع ذلك .
ومهم دفع الوسوس كلها ، ورد النفس إلى هذه الكسوة ، جاءته
الوسوس من هذه الكلمة ، وإنها ما هي ؟ وما معنى قولك الله ؟ ولأي

معنى كان إلهاً ، وكان معبوداً ؟ ويعتريه عند ذلك حواضر تفجح عليه باب
للمكر ، وربما يرد عليه من وساوس الشيطان ما هو كفر وبدعة ، ومهم
كان كرهه بذلك ، ومُتَشَبِّهاً لإماطته عن القلب لم يصره ذلك
وهذه الوسواس مقسمة إلى قسمين .

أ - ما يعلم قطعاً أن الله تعالى مره عنه ، ولكن لشيطان يُلقِي ذلك في
قلبه ، ويُجْريه على حاطره ، فَشَرْطُهُ أَنْ لَا يَبْأِي بِهِ ، ويعبر إلى ذكر الله
تعالى ، ويبتهل إليه ليدفعه عنه ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِنَّا يَنْزَغُكَ مِنَ
الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف ٢٠٠] . وقال تعالى :
﴿ إِنَّكَ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ
مُبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف ٢٠١] .

ب - ما يشك فيه ، فينبغي أن يعرض ذلك على شيخه ، بل كل
ما يجد في قلبه من لأحوال ، من قتره أو شياط ، أو التفتات إلى عتقة ،
أو صدق في إرادة ، فيسعي أن يظهر ذلك لشيخه ، وأن يستره عن غيره .
فلا يطلع عليه أحداً ^(١) .

٣- مشروعيتهما :

سبب الحلول ابتداءً من الصوفية . وإنما هي مثال لأمر الله تعالى
في كتابه العزيز ، وتأسُّ واقْتِدَاءُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فقد كان يحلو بغار
حراء بتعدد الليالي ذوات العدد قبل أن يسرع إلى أهله ، حتى جاءه الحق ،
وهو في غار حراء . وبهذا تكون قد ثبت مشروعيتهما

(١) « الإحياء » للعزلي ج ٢ / ص ٦٦ .

الدين عليها من القرآن الكريم :

قال تعالى : ﴿ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَنَزَّلْ إِلَيْهِ تَبَيُّلاً ﴾ [المزمل : ٨] .

قال العلامة أبو السعود مفسراً قوله تعالى : ﴿ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَنَزَّلْ إِلَيْهِ تَبَيُّلاً ﴾ [المزمل : ٨] : (وَدُمَ عَلَى ذِكْرِهِ تَعَالَى بَيَّلاً وَنَهْراً عَلَى نِي وَجْهِ كَدٍّ مِنْ اسْتِطْبَاحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّحْمِيدِ . . . إِي أَنْ قَالَ وَانْقَطَعَ إِلَيْهِ مَجَامِعُ أَهْمَةٍ وَاسْتِعْرَافِ الْعَزِيمَةِ فِي مِرَاقِبَتِهِ ، وَحَيْثُ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ إِلَّا شَجَرِيْدَ نَفْسِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنْ أَعْوَاتِ الصَّادِرَةِ الصَّادَةِ عَنْ مِرَاقِبَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَفَضْلِ الْعَلَائِقِ عَمَّا سِوَهُ)^(١)

وكل أمر أمر به ﷺ تشريع له ولأمة إلا فيما شَصَّ به ، وخصوصياته معروفة ، وهذا الأمر في هذه الآية مُسَمَّوَةٌ عام له ولأمة .

الدليل عليها من السنة :

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت (أَوَّلُ مَا يُبْدِي بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ لِرُؤْيَا لِمَا لَحَاقَهُ فِي النَّوْمِ ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا حَاءَتْ مِثْلَ فِتْقِ الصَّبْحِ ، ثُمَّ حُجِّبَ إِلَيْهِ لِحُلَاءٍ ، وَكَانَ يَخْضُو بَغَارَ حِرَاءٍ ، فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ . وَهُوَ لَتَعْدُ اللَّيَالِي دَوَاتِ الْعَدَدِ ، قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ ، وَيَتَزَوَّدَ لَذَلِكَ ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى حَائِجِهِ ، وَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا ، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ ، وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ)^(٢)

قال ابن أبي جمرة في شروحه لهذا الحديث (في الحديث دليل على أن لخلوة عون للإنسان على تعبده وصلاح دينه ، لأن النبي ﷺ لما

(١) تفسير العلامة أبي السعود على شاعش تفسير بحر الدين الرازي ج ٨ ، ص ٣٣٨

(٢) روه البخاري في صحيحه بار كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ

اعتزل عن الناس وخلا بنفسه ، أتاه هـد لـحير العـظيم ، وكل أحد امتثل ذلك أتاه الخير بحسب ما قسم له من مقامات الولاية

وفيه دليل على أن الأولى بأهل البداية الخلوة والاعتزال ، لأن النبي ﷺ كان في أول أمره يخلو بنفسه .

وفيه دليل على أن البداية ليست كالنهاية ، لأن النبي ﷺ أول ما بُدئ في نموته والمرثي ، فمزل عليه الصلاة والسلام يرتقي في الدرجات والفصل ، حتى جاءه الملك في المقظة بالوحي ، ثم ما زال يرتقي ، حتى كان كقاف قومين أو أدنى ، وهي النهاية . فإذا كان هذا في الرسل فكيف به في الأناس ؟! لكن بين الرسل والأتباع فرق ، وهو أن الأتباع يترقون في مقامات الولاية - ما عدا مقام السوء ، فإنه لا سبيل لهم إليها ، لأن ذلك قد طوي ساطه - حتى يشعروا بمقام المعرفة والرصا ، وهو أعلى مقامات الولاية

ولأجل هذا تقول الصوفية : من باب مقاماً قدم عليه بأدبه ترقى إلى ما هو أعلى منه ، لأن النبي ﷺ أخذ أولاً في لتحنث ودم عليه بأدبه ، إلى أن ترقى من مقام إلى مقام ، حتى وصل إلى مقام السوء ، ثم أخذ في اسرفي في مقامات السوء حتى وصل به المقام إلى قاب قومين أو أدنى كما تقدم فالوارثون له بذلك النسبة ؛ من دام منهم على اتأدب في لمقام الذي أقسم فيه ترقى في المقامات حيث شاء الله ، عدا مقام النبوة التي لا مشاركة للغير فيها بعد النبي ﷺ (١)

(١) « بهجة القوس » شرح محنصر البخاري للإمام الحافظ أبي محمد عبد الله بن أبي حمزة لأدري الأندلسي المتوفى ٦٩٩ هـ . ج ١ / ص ١٠ - ١١

وقال القسطلاني رحمه الله تعالى في شرحه لحديث عائشة المذكور :
(وفيه تنبيه على فصل العزلة لأنها تريح القلب من أشغال الدنيا ،
وتفرغه لله تعالى . فتعجز عنه ينابيع حكمه والخشوع أن يخلو عن
غيره . بل وعن نفسه بربه . وعد ذلك يصير خليقاً بأن يكون قلبه مملوءاً
لواردات علوم العيب ، وقلبه مقرأ لها)^(١) .

إشكال :

إن قلت . أمر العز قبل الرسالة ، ولا حكم إلا بعد رسالته ؟ قال
المحدث القسطلاني مجيباً : (إنه أول ما بدى به عليه لصلاة والسلام
من الوحي الرؤيا الصالحة ، ثم حُبَّ إليه الخلاء ، فكان يخلو بغار حراء
كم مر ، فدن على أن لخلق حكم مرتب على الوحي ، لأن كلمة [ثم]
للترتيب . وأيضاً لم تكن من لسان النبي عنده ، بل هي ذريعة لمحيي
لحق ، وظهوره مبارك على من علمه وأستأنساً وسلامة من المساكن
وصرره ، ولها شروط مذكورة في محلها من كتب القوم)^(٢)

وقال المحدث الكشميري رحمه الله تعالى معقلاً على هذه الفقرة من
الحديث (ثم حُبَّ إليه الخلاء) . (وهذا على نحو مجاهدات
الصوفية وحنواتهم ، ثم إن اعتكاف الصوفاء وحلوات الصوفية عناني
قريب من السواء)^(٣) .

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٤ ج ١/ ص ٦٢ للقسطلاني المتوفى سنة ٩٢٣ هـ .

(٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٤ للقسطلاني ج ١/ ص ٦٢

(٣) فيض الباري على صحيح البخاري ٤ ج ١/ ص ٢٣

وقال الزهري رحمه الله تعالى : (عجباً من الناس ، كيف تركوا الاعتكاف ، ورسول الله ﷺ كان يفعل الشيء ويتركه ، وما ترك الاعتكاف حتى قُضِرَ)^(١) .

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرح حديث عائشة عند قوله . « حبب إليه الخلاء » (أما الخلاء فهو لخلوة ، وهي شأن الصالحين ، وعباد الله العارفين . ثم قال : قال أبو سليمان الخطابي رحمه الله حُشِنَ إليه لخلوة ﷺ لأن معها فراغ القلب ، وهي معببة على لتفكر ، وبها ينقطع عن مألوفات الشر ، ويتخشع قلبه)^(٢) .

وقال شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى في شرحه على حديث عائشة المذكور عند قوله . (ثم حبب إليه الخلاء) . (والخلاء بضم الدال : الخلو ، والسر فيه)^(٣) لخلوة فراغ القلب بما يسوِّحه . إلى أن قل . وإلا فأصل الخلو قِدْ عُرِفَ مَدْنُهُ وهي شهر ، وذلك الشهر كان رمضان)^(٤) .

وقال العلامة الكسر محمود اعيني رحمه الله تعالى في شرحه على حديث عائشة عند الأسئلة والأجوبة : (الوجه الثالث ما قبل : لم حُشِنَ إليه لخلوة ؟ أجيب بأن معها فراغ القلب ، وهي معببة على لتفكر ، والشر لا ينتقل عن طبعه إلا بالرياضة اللبغة ، فحُشِنَ إليه لخلوة لتقطع عن مغلطة الشر ، فبسي لمألوفات من عادته)^(٥) .

(١) * حاشية الطحطاوي على مراقبي الفلاح « ص ٤٦٣

(٢) صحيح مسلم بشرح الإمام النووي ج ٢ ص ١٩٨

(٣) « فتح الباري شرح صحيح البخاري » للمصنف ج ١ ص ١٨ .

(٤) « عمدة القاري شرح صحيح البخاري » للعيني المسمى سنة ٨٥٥ هـ ج ١ ص ٦٠ .

وقال الكرماني رحمه الله تعالى في شرحه لحديث عائشة رضي الله عنها المذكور . (ثم حب إليه الخلاء نامد وهو الخبوة ، وهو شأن الصالحين وعبد الله لعارفين ، حبب إليه العزلة لأن فيها فراغ القلب ، وهي معينة على لتعد وبها ينقطع عن مألوفات البشر ويحشع قلبه)^(١)

هذه أقوال علماء لحديث وشرحه في انحلوته من حيث تسميتها ، ومن حيث مشروعيته ، ومن حيث فوائده ، ومن حيث اعتناء السلف اصالح بها ؛ فليقل المعرصون بعد ذلك ما شؤوا .

وما أحسن قول انوصيري رحمه الله تعالى في همريته يصف رسول الله ﷺ في بدايته .

أَلَفَ التَّسَكُّ وَالْعَبَادَةَ وَالْحُكْمَ . وَهُوَ طِفْلاً وَهَكَذَا النُّجَاءُ
قال شارح انهمزيه محمد بن أحمد بن بيس رحمه الله تعالى : (وروى اس إسحاق وغيره أنه عليه الصلاة والسلام كان يخرج إلى حراء شهراً في كل عام يتسكك فيه .

وقال المنوي رحمه الله تعالى حب إليه ﷺ لخلاء والامراد والنفور من المحالطة حتى في لأهل والمال والعيال بالكلية ، واستغرق في بحر لأدكار لعلية ، فانقطع عن لأصداد ، واستشعر حصون امراد ، وحصل له لأنس دلخلوة ، فتذكر من أحل ذلك الجلوة ، ولم يزل ذلك الأنس يتضاعف ، ومرآته تزداد من الصفاء والصفاء ، حتى بلغ أفصى درجات الكمال ، فظهرت تنشير صبح الوحي وأشرفت ، وانتشرت بروق لسعادة وأبرقت ، فكان لا يمر بشجر وحجر . إلا قال بلسان

(١) شرح صحيح البخاري ، للعلامة الكرماني ج ١ / ص ٣٢

صحيح ونطق فصيح السلام عليك يا رسول الله ، فلا يرى شيئاً^(١)
وقال سليمان لجمل رحمه الله تعالى شارحاً لهمزيه وكان
تعبده ﷺ أنه يخرج إلى حراء شهراً في كل عام يتنكب فيه ، حتى إذا
انصرف من مجاورته في حراء ، لم يدحس به حتى يطوف بالكعبة ،
وكان يعدد الله في حراء بالذكر والصكر ، وكان يكثر الخلوة في غير حراء
أيضاً^(٢) .

ومن غار حراء انشق النور ، وأصل الفجر ، وانطلقت اللمة الأولى
في نور التصوف الإسلامي ، وما ترك الرسول ﷺ هذه الخلوة ، بعد أن
خرج من الغار ، فكان بعدئذ يخلو في العشر الأواخر من رمضان ، وقد
سماه الفقهاء اعتكافاً .

٤- أقوال العلماء في أهمية الخلوة وفوائدها

إن للخلوة فوائد جليلة وأثراً هامة ، ومن يدركها من ذاق حلاوها
وجتى ثمارها ، فمن فوائدها :

تهذيب النفس وزكيتها ، ورياضتها على طاعة الله تعالى ،
والاستئناس بمجالسته ؛ لأن من طباع النفس الأمارة حب محالسة
الندس ، واسم إلى اللهو والعبث واللصاة ، وكرهية الخلوة مع الله ،
والنهم من الأفراد للمحاسبة على الهفوات ولوم عي الأخطاء فإذا
حاهدتها على ذلك ، فيها تشعر بالصبر والصبر في ندى أمرها ،
ولكن سرعان ما تدع عن وتضع ، ثم تدوق حلاوة الأس بالله وبذو

(١) « لو مع الكوكب الدري في شرح الهمزية » للبوصيري ص ٤٨ - ٤٩ .

(٢) « العتوبات الأحمدية » لشيخ المحمدية على شرح الهمزية ص ٢١

مساخانه ، وخصوصاً عندما تنطلق ، وتحرر من قيود المادة ، وتسمح في عوالم الملكوت ؛ إذ الحلوة بروح النفس على الإذعان لبارئها ولأنس برها .

ألا ترى الطير البازي كيف كان يفار من الادميين في اجبال الشامخات ، ثم حين يُصَاد ويلقى في السيت ، وتخط عيناه حتى ينقطع عن الطيران ، ويربى باللحم ، ويرفق به ، حتى يأنس بصاحبه ، ويألفه إلفاً ؛ إذ دعاه فسمع صوته أجبه ، حتى إذا أرسله وحته على الطيران طار ، فصاد وأمسك صيده ، نحرياً لموافقه مولاه ، ثم إن دعه من الطيران رجع ، وكثر هوى صاحبه على هوى نفسه .

أفلا يحق على مؤمن أن يصبر هذا أن يموت كمد وعرة وأسفاً على فوت هذا من نفسه ، أن يكون طيره أسمنح له وأطرع ، وأشد تحريماً لموافقته وأنزم لنصيحته من العبد المؤمن لربه

والخوة بريح القلب والفكر والعقل من الشواغل الدنيوية المتعاقبة ، وهمومها المتلاحقة ، وعد ذلك يدوق العذ طعم الإيمان ، ويستشوق نسيم لسعادة وانطمأينة . وإنيث بعض أقوال لسدة لعلماء في ذلك

الفيرور أبادي صاحب القاموس

قال العلامة لكسر لفيروز أبادي رحمه الله تعالى صاحب القاموس في ذكر حال حضرة رسول الله ﷺ قبل نزول الوحي (ولما قربت أيام الوحي أحب السحرة والانفراد ، فكان يتخلى في جبل حراء ، وهو على ثلاثه أميال من الكعبة ، وبه غار صغير طوله أربعة أذرع وعرضه ذراع وثلاث في بعض الموضع ، وفي بعضها فس ، واختار محل الخلوة هناك

وللعلماء في عبده في خوته قولان . ول بعضهم : كانت عبده بالفكر . وقال بعضهم : بالذكر . وهذا القول هو الصحيح ، ولا تعريج على الأول ولا التفات إليه : لأن حصة صلاب طريق الحق على أنواع

الأول . أن تكون حوتهم لطلب مزيد علم الحق من الحق لا بطريق النظر والفكر ، وهذا غاية مقصد أهل الحق ، لأن من حاطب في حوته كراً من الأكوان ، أو فكر فيه فليس هو في حلوة . قال شحص من صلاب الطريق لبعض الأكابر : ذكرني عبد ربك في حوتك قال إذا ذكرتك فليست معه في حلوة . ومن ثم يعلم سر « أن جليس من ذكرني » وشرط هذه الخلوة أن يذكر بنفسه وروحه ، لا بنفسه ولسانه

الثاني . أن تكون حلوتهم لصفاء الفكر لكي يصح نظرهم في صلب المعلومات ، وهذه الحصة لقوم يجعلون العلم من ميرن لعقل ، وذلك الميزان في غاية اللطافة ، وهو يأتيني هو يخرج عن الاستقامة ، وطالب طريق الحق لا يدخلون في مثل هذه الخلوة ، بل تكون حوتهم للذكر ، وليس للمفكر عليهم قدرة ولا سلطان ، ومهما وجد الفكر إلى صاحب الخلوة فينبغي أن يعلم أنه ليس من أهل الخلوة ، ويخرج من الخلوة ويعلم أنه ليس من أهل العلم الصحيح الإلهي ، إذ لو كان من أهل ذلك لحالت العناية الإلهية بينه وبين دوران رأسه بالمفكر

الثالث . خلوة بفعلها جماعة لدفع الوحشة من محالطة غير الجس ، والاشتغال بما لا يعي ، فبينهم إذا رأوا الحق نقضوا ، فلذلك اختاروا الخلوة .

الرابع . خلوة لطلب زيادة لذة توجد في الخلوة .

وخلوة حضرة صاحب الرسالة من انقسم الأول ، وكان بعيداً جداً من جميع المخالطات حتى لأهل والماء ودات اليد ، وستغرق في بحر

لأدكار القسية ، وانقطع عن لأصداد باكلية ، وظهر له الأسر والجلوة
تذكر من لأجله الخلوة ، ولم يرل في ذلك الأسر ، ومراة الوحي تردد
من الصفاء ولصقال حتى منع قصي درجات الكمال (١)

الإمام الشافعي

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى . (ومن أحب أن يفتح الله
قلبه ، ويرزقه العلم ، فعليه بالخلوة وقلة الأكل ، وترك محالطة لسفهاء
وبعض أهل العلم الذي يس معهم تصاف ولا أدب) (٢) .

الإمام الغزالي

وقال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى . (وأما الخلوة فصائتها دفع
الشواغل ، وصبط السمع والبصر ، وإتقان دهلير القلب ، والقلب في
حكم حوص نصب إليه مياه غريبه كسرة قدرة من أنهار الحوص
ومقصود الرياضة تفريغ الحوص من تلك المياه ومن الطين الحاصل
منها ، ليتفجر أصل الحوص . فيخرج منه اماء النظيف الصاهر . وكيف
يصح له أن ينزح لماء من لحوص ، والأنهار مفتوحة إليه ؟ فيتحدد في
كل حال أكثر مما يتقص فلا بد من صبط الحواس إلا عن قدر
انضرورة ، وليس يتم ذلك إلا بالخلوة) (٣)

وعندما يسلم من علله وأمراسه وتعلقته ومشاغده ، وخواطر

(١) كتاب سفر السعادة للفيروز أدي لتمر من سنة ٨٢٦ هـ ص ٣ - ٤

(٢) «ستان الماريس» للإمام لقيه الحافظ أبي زكريا محي الدين لؤي السوفي
٦٧٦ هـ ص ٤٧

(٣) «الإحياء» للغزالي ج ٣/ ص ٦٦

الشیطان ووساوسه ، يستحق بعیم فربه ويستعد شقی العیوم لدنیة ،
والأسرار الربانیة ، والصفحات النورانیة

وقال الغزالی أيضاً : (واكتشف لي في أثناء هذه الخلوات أمور
لا يمكن إحصاؤها واستقصاؤها ، والقدر الذي أذكره لتستفیع به ، أنني
عدمت يقيناً أن الصوفیه هم السالكون لطريق الله خاصة ، وأن سيرتهم
أحسن السير ، وطريقتهم أضرب الطرق ، وأحلافهم أركن الأحلاق ،
بل هو جُمع عقل لعلاء ، وحكمه العماء ، وعسم لواقفين على أسرار
الشرع من العلماء ، ليغيروا شيئاً من سيرهم وأحلافهم ، ويبدلوه بما هو
خير منه ، لم يجدوا إليه سبيلاً ، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في
ظهورهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة البیوة ، وليس وراء نور انبوة
على وجه الأرض نور يستضاء به)



الشيخ الأكبر :

وقال الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي (رحمه الله تعالى) : (فإن
لمتأهب الطالب للمزيد ، المتعرض سمحات الجود بأسرار الوجود إذ
برم انبوة والذكر ، وفرغ انمحض من لفكر ، وقعد فقيراً لا شيء له عند
باب ربه ، حينئذ يمححه الله تعالى ، ويعطيه من العلم به والأسرار الإلهية
ولمعارف الربانية التي أننى الله سبحانه بها على عبده خصر فقال :
﴿ عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِزِّنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عَمَّا ﴾ [الكهف ٦٥] .
وقال تعالى : ﴿ وَاقْفُوا لِلَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لِرَبِّكُمْ قَائِمُونَ ﴾ [البقرة ٢٨٢] . قال
تعالى : ﴿ إِن تَقِفُوا لِلَّهِ لَكُمْ رُفْقًا ﴾ [الأنعام ٢٩] وقال : ﴿ وَتَحْمِلْ
لَكُمْ تَوَارِثُتُمُونَ بِهِ ﴾ [تحدید ٢٨٠] .

وقيل للجيد . ثم لب ما نلت ؟ فقار . حلوسي بحث تلك الدرجة
ثلاثين سنة

وقال أبو يزيد . أحسن عنكم ميتاً عن ميت ، وأخذنا عن
الحبي الذي لا يموت . فيحصل لصاحب لهما في الخلوة مع الله وبه
حلت حبه وعظمته . من العلوم ما يعيب عندها كل متكلم على
البسيطة ، بل كل صاحب نظر وبرهان ، لست له هذه الحالة (١)
محمد السفاريني .

وقال العلامة محمد السفاريني الحنبلي رحمه الله تعالى شارحاً قصيدة
« مطومة الآداب » : (وقد أكثر الناس من مدح الخلوة ، وكفّ دحر
الرحل عن الاحتلاط بالناس :
أسست بوحديتي ولزمت بشي . فقام الأس لي وبما السور (٢)
الدكتور مصطفى السباعي

وقال الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله تعالى في كتابه « مذكرات
في فقه السيرة » : (يحب على الداعية إلى الله أن تكون له من الفطنة
ولفظة أوقات يحو فيها بنفسه ، تتصل فيها روحه بالله حل شأنه ،
وتصفو فيها نفسه من كدورات الأخلاق الدميمة والحياة المضطربة من
حواله . ومثل هذه لحلوات تدعوه إلى محاسبة نفسه إن قصرت في
حس ، أو دلت في رجه ، أو جابت سبل الحكمة ، أو أخطأت في
مهج أو صري ، أو اعمست مع اندس في الحداد والنفاس . حتى أنشئت

(١) المتوحات المكية ، ج ١ / ص ٣١

(٢) عداء لألباب شرح مطومة لأدب ، للشيخ الإمام محمد السه روي الحبي
المتوفى سنة ١١٨٨ هـ . ج ٢ / ص ٣٨٨

وعشرين ساعة، بساعة لله الواحد انقهار ، نعبده فيها حق عبادته ، ثم
نجاهد على إيقاع الصلوات على ذلك لهج^(١) .

ابن عجيبة

وقال ابن عجيبة شارحاً قول ابن عطاء الله رحمهما الله تعالى ما نفع
القلب شيءٌ مثلُ عزلةٍ يدخل بها مبدآنُ فكرة

(والعزلة انفراد القلب بالله وقد يراد بها الحلو التي هي انفراد
لقلب عن الدنس ، وهو اسمرادها ، لا يفرد القلب بالله إلا إذا برز
لقلب . وافكرة سير القلب إلى حضرة الرب ، وهي على قسمين
فكرة تصديق وريضان ، وفكرة شهود وعباد ولا شيء أنفع للقلب من
عزلة مصحوة بفكرة ، لأن العزلة كالحمية ، وافكرة كالدواء ، فلا يرفع
لدواء بغير حمية ، ولا فائدة في الحمية من غير دواء ، فلا خير في عزلة
لا فكرة فيها ولا نهوض بفكرة لا عزلة معها ، إذ المقصود من العزلة هو
تفريع القلب ، ولمقصود من استغنى هو جوال القلب واشتداد الفكرة ،
والمقصود من شغل لفكرة تحصيل العم وتمكنه من القلب ، وتمكن
العم بالله من القلب هو دواؤه وغية صحته ، وهو الذي سماه الله اقلب
المسلم ، قال الله تعالى في شأن القيامة ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا نَتُونَ﴾^(٢) وَلَا مَنْ
أَفَى اللَّهُ يَفْلَبُ سَلِيمٌ ﴿ [اشعراء ٨٨-٨٩] .

وقد قالوا : إن القلب كالمعدة إذا هويت عليها الأحلاط مرصت ،
ولا ينفعها إلا الحمية ، وهو قلة موادها ، ومعها من كثرة الأحلاط
(المعدة بيت الداء ، والحمية رأس الدواء) وكذلك القلب إذ فويت
عليه الخواصر واستحورد عليه احسن مرض ، وربما مات ، ولا ينفعه إلا

(١) «غذاء الألباب» ج ١ / ص ٤٧ .

المحبة منها ، ولتوار من مواطنها ، وهي الخلطة ، فيذ اعبرل اساس
وستعمن لفكرة نوح دواؤه ، واستفهم قلبه ، وإلا بقي سفيماً حتى
يلقى الله بقرب سقيم دلشك و لخواطر لردينة ، سأل الله العافية

قال الجيد رحمه الله تعالى . أشرف انمحلس الجلبوس مع افكر هي
ميدان التوحيد

وقال أبو احسن اشاذني رضي الله عنه ثمار العربة الطفر بمواهب
المنة ، وهي أربعة :

كشف الغطاء ، وتبرل لرحمة ، وتحقيق المحبة ، ولسان الصدق هي
الكلمة .

ثم ذكر للخلوة عشر فوائد :

١- السلامة من آفات لسان ، فإنة من كاد وحده لا يجد معه من
ينكلم ، ولا يسلم في العاص من آفته إلا من أثر الحوة على الاجتماع .
٢- السلامة من آفات النظر ، فإن من كان معتزلاً عن لسان سلم من
انظر إلى م هم منكئون عيه من رهرة الدنيا وزخوفها ، قال بعضهم
(من كثرت لحطاته دامت حسراته) .

٣- حفظ القلب وصوبه عن الرياء والمدهته وغيرهما من الأمراض .

٤- حصول الزهد في الدنيا والقناعة منها ، وفي ذلك شرف العبد
وكماله .

٥- السلامة من صحبة الأشرر ومحالطة الأرداء ، وفي مخالطتهم
فساد عظيم

٦- التصرع لمعاذة والذكر ، ولعزم على لتقوى والبر

٧- وأخذان حلاوه الصاعدت . وتمكن ليد المتحفة بهراغ سره ، قال

أبو طالب لمكي في « الصوت » (ولا يكون المرید صادقاً حتى يجد في
الحلوة من الحلاوة وانتشاط والفقه ما لا يجده في لعلاية) .

٨- راحة القلب والبدن ، فإن في محالطة الناس ما يوجب تعب
القلب .

٩- صيانة نفسه ودينه من التعرض للشروع والحصومات التي توحشها
الخطئة

١٠- التمكن من عبادة لتفكر والاعتبار ، وهو المقصود الأعظم من
الخطوة (١) .

هذه بآة يسيرة من أهول لسادة العلماء الأفاضل ، تُبس بوضوح أن
الحلوة هي السبيل العملي الذي سنه رسول الله ﷺ لباس ، كي يقوى
يمانهم ، وتصبر بقوسهم ، وتسمو أرواحهم ، وتنصر قلوبهم ،
وتتأهل لتجليات الله تعالى !

أليس هذا لتوجيه من رسول الله ﷺ سبباً للتعرف على فاطر السموات
والأرض ؟

أليس هذا أسساً للأدواق والمواجد الصوفية ، وسبيلاً لكشف
والفيض والإشراق والصفاء ؟

ثم يقل رسول الله ﷺ في حديث : « سبعة يصلهم الله في ضله يوم
لا ظل إلا طه » ورجل ذكر لله حالياً فقضت عنه (٢)

أليس هذا الحديث دليلاً قاطعاً على مشروعيه الحلوة لشكر الله
تعالى ؟ .

(١) « يقطر الهمم في شرح الحكم » لأحمد بن عجية ح ١ / ص ٣٠ .

(٢) روه البحاري في صحيحه في كتاب الرقاق عن أبي هريرة . رضي الله عنه

وفي هذه الخبوة يذكر لصوفي ربه حالياً فيعمره بأنواره ويحطى
بمجالسته (أهل ذكرى أهل مجالستي) (١) لا يدور بخنده في صائب
يشغله عن ربه ، حتى إنه ينسى نفسه في حضرة القدس الأعلى .
وما أحسن قول عمر بن الخطاب رحمه الله تعالى معرّ عن تلك الحالة
الشائقة :

ولقد خلوت مع الحبيب وبنا سرّاً رقّاً من نسيم إذ سرى
فدهشت من جماله وجلاله وغد لسان الحياء عني مخبراً
فتفصص عيانه دمعاً مما عرف من الحو ، ذاهلاً بالله حاشعاً له مستأسأ
بحضرتة :

ولبيّ الله ليس له أيمن سوى الرحمن فهو له خليل
فيذكره ويذكره فيكبري وحيد لدهر جوهره نعيم
فالعبد الحقير إذا أراد اللحاق بهؤلاء الأولياء المحلّصين خلا بنفسه
الأمارة بالسوء ، فعاتبها ورجعها وصدق في سيره إلى ربه ، فرق قلبه ،
وذقت عيبه بالدمع حزناً وأسفاً على ضياع عمره في الهو ولعقله
قللاً :

على نفسه فليسك من صديع عمره وليس له فيها نصيب ولا سهم
فانتة من رقدته ، وصحبا من غففته ، وأقبل على ربه رحيماً عموره
وعمرانه ومعاهداً إياه على طاعته وعبادته ، ففرح الله بتوبته حين تب ،
وأقبل عليه حين تقرب منه قل تعالى في الحديث القدسي : « من
تقرب إلي شبر تقربت إليه ذراعاً ، وإذا تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث طويل .

ساعاً ، و إذا أتني يمشي أتيتُهُ هرولة ^(١) واستحق - بيشارة
رسول الله ﷺ - إطلال الله تعالى له يوم الحر الأكبر في ظل عرشه والناس
في حر الشمس ، قد صهرتهم في ذلك الموقف الرهيب

وأخيراً فاعمل الحارث الكريم بعد هذه البصوص الصريحة و لتقوى
الكثيرة عن العلماء الأعلام الذين أخذ عنهم تعاليم دينا نسن له أن الخسوة
مشروعة في الإسلام ، وليست مبتدعة ، وأنها ليست غاية تقصد ، بل
وسيلة لشفاء القلب من عبلة وأمراضه ، حتى يكون سليماً ، فيجوز
صاحبه يوم الحساب الأكبر ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا نَتُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ تَى اللَّهَ يَلْبَ سَلِيمٌ﴾ [الشعراء : ٨٨-٨٩] .

وليست الحلوة عربة دائمة ، ورواء مستمراً عن الناس ، فكم أذ
المريض يقضي فترة يسيرة من الوقت في امستشفى كي يتحصن من
أمراضه الجسدية ، ثم يخرج للعمل بصحة أوفر ومناعه أقوى ، متلذذ
بنعيم العافية ؛ فكذلك المسلم يقضي في الحسوة فترة يسيره ، يحرر
بعده بلحية العملية ، قوي الصلة بربه ، عمر القلب بالإيمان واليقين
تمتعاً بالمناحة لفويه من تسرب بهارج الحية الحادة ومفاسها المغرية
إلى نفسه ، وخصوصاً بعد أن اطلع على حقائقها الفنية ، وتذوق معنى
قوله تعالى . ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن : ٢٦]

فكم نرى من الناس من يهتم بحصمه الفني ويوفر له أسباب الصحة ،

(١) من حديث نيسي أوله : «عنا ظن عدي بي ، ونا معه إذا ذكرني فإن ذكرني
في نفسه ذكرته بي نفسي ، و ن ذكرني في ملا ذكرته في ملا خبر مهم ، وإن تقرب
إلي شياً . . . » . حديث أخرجه الحارثي في صحيحه في كتاب التوحيد عن أبي
هريرة رضي الله عنه

ويفرغ له كثيراً من وقته للاستحمام والاستشفاء ولراحة ، فإذا دُعي إلى تطيب قلبه وتهذيب نفسه ، في فترة وجيزة يحلو فيها بربه ، إذا به يُعرض ويستعرب ، ويعتبر ذلك - لجهته - صياعاً للوقت ، وابتداءً لا أصل له في الدين . فمثل هذا ينطبق عليه قول بعضهم :

تَطَبَّبْتُ جِسْمَكَ الْفَانِي لِيَتَّقَى وَتَرَكَ قَسَاكَ الْفَانِي مَرِيضاً
فلو فهم حقيقة الإسلام ، وأنه دعا لإصلاح لأبدن والقبوب معاً
لاهتم بقلبه ، كما يهتم بجسمه :

يَخَادِمُ الْجِسْمَ كَمَا سَعَى لِحَدَمَتِهِ أَنْطَبُّ أَرْبَحَ مِمَّا فِيهِ خَسْرَانُ
أَقْبَلَ عَلَى النَّفْسِ وَاسْتَكْمَلَ فَصْدَيْهَا فَأَتَى بِالرُّوحِ لَا بِحَسَمِ إِنْسَانُ
فعلى المؤمن أن تكون له خلوات يراقب بها ربه ، ويحاسب نفسه
على ما قدمت من خير أو شر :

واقف كان شيخني وسيدني محمد الهشمي رحمه الله تعالى يرغب
مريديه بالخضوة حيث يجلس المريد منفرداً في مكان منعزل عن الناس بعيد
عن صخب ليل وضوضائها ، ثم يأذن له الشيخ بذكر الاسم للمفرد [الله]
ليردده مستغرقاً جميع أوقاته في ليل والنهار ، لا يتوقف إلا بصلاة أو
طعام أو نوم ، ولا يشغل نفسه بالتحدث إلى الناس ، بل يتمرغ للذكر
موافقة بقوله تعالى : ﴿ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَتَّيَلَّأَ ﴾ [المرسل ٨] .

ويواصل الذكر ملاحظاً قلبه طرداً عنه أنواع الوسواس والحواطر
وصور الأكوان ، جامعاً قلبه على الله تعالى ، مستعبداً بما يمحبه شيخه
من حورته ومعارفه وأحواله وتوجيهاته .

وحينئذ ينفذ الذكر إلى سويداء قلبه ، فيرتسم الاسم المفرد فيه ،
وترتحل عنه اغفله ، وتزول لأعيار ، ويشعر بحلاوة الأُس بالله تعالى ،

ويترقى في مدارج الأدواق والمعارف مما لا يستطيع البيان أن يعبر عنه ،
وليس له سوى اندوق إفشاء .

والخلاصة :

إن الحلوة بوعان . حلوه عامة . يفرد بها المؤمن ليتفرغ بذكر الله تعالى بأية صيغة كانت ، أو لتلاوة القرآن الكريم ، أو محاسنه بمسه ، أو ليتفكر في خلق السموات والأرض

وحلوة خاصة يقصد منها الوصول إلى مراتب الإحسان والتحقيق بمدارج المعرفة ، وهذه لا تكون إلا بإشراف مرشد مآدون ، يُنقِصُ المرشدُ ذكرًا معيًّا ، ويكون على صفة دائمة به ليريل عنه الشكوك ويدفعه إلى آفاق المعرفة ، ويرفع عنه الحجب والأوهام ، الوسوس ، وينقله من لكون إلى المَكُون .

ولا يظنُّ أحد أن الخلوة خانمة لمسير ، بل هي أول خطوة في طريق لوصول إلى الله تعالى ، فلا بد أن تشوها خلوات ومجاهدات صوية ومدكرة متواصلة لمرشد بهمة وصدق واستقامة ، وملازمة على ذكر الاسم المفرد في الصباح والمساء ، وعند كل فراغ ، حتى يكون على اتصال دائم بالله تعالى ، قد جمع بين مرتبتي لإحسان : المراقبة ولمشاهدة ، اللتين أشار إليهما الرسول الكريم ﷺ بقوله « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

الباب الثالث

طريق الوصول إلى الله



مرشدنا شيخنا محمد

- ١- التوبة
- ٢- المحاسبة
- ٣- الخوف
- ٤- الرجاء
- ٥- الصديق
- ٦- الإخلاص
- ٧- الصبر
- ٨- الورع
- ٩- الزهد
- ١٠- الرضا
- ١١- التوكل
- ١٢- الشكر

مرکز تحقیقات و توسعه علوم اسلامی

طريق الوصول إلى الله

بعد أن نبينا نذرة عن المصيح لعملي الذي اقتتسه ثمة الصوفية من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ؛ كالصححة والعلم والذكر والخلوة . . . وغيرها ، وهي أعمال بدنية في شكلها ومحليها ، قلبية في روحها وجوهرها لا بد من بيان الطريق الذي يختص بأحوال القلب ، وصفات النفس ، ويعنى بالجانب الروحي ، لأن الأصل صلاح القلب وشهوته من أمره ، وتحليته بصفات الكمال .

فطريق الوصول إلى الله تعالى هو تلك اسقامات انقلية كالنوبة والمحاسبة والخوف والرجاء والمراقبة . . . ولصفات احقيقية . كالصدق والإخلاص والصبر . . . انتي يتحلل بها السالك في طريقه إلى معرفة الله تعالى معرفة ذوقية ، والوصول إلى مقام الإحسان الذي لا حد لمراته

وليس المراد بالوصول المعنى المصهور بين دوات الأشياء ، فإن الله تعالى جلُّ أن يحده مكان أو زمان ، ولذا قال ابن عطاء الله السكندري (وصولك إلى الله وصولك إلى لعله ، وإلا فحلّ ربنا أن يتصل به شيء ، أو يتصل هو بشيء)^(١)

وقال لإمام الغزالي رحمه الله تعالى (معنى لوصول هو الرؤية

ولمشاهدة بسر القلب في الدنيا ، وعين لرأس في الآخرة ، فليس معنى الوصول اتصال الذات بالذات ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً^(١) .

وإن الأسير في طريق الوصول إلى الله تعالى صفة المؤمنين الصالحين ، ومن أجله جاء الأنبياء والمرسلون ، وإليه يدعوا العلماء والمرشدون ، كي يرتقي المرء من حضيض المادية والحيوانية إلى مستوى الإنسانية والملكية ، ويذوق نعيم القرب وبذة الأس بالله تعالى . وإن الطريق واحد في حقيقتها ، وإن تعددت المناهج العملية ، وتوسعت أساليب لسر والسلوك بعباً للاحتجاب ونيل المكافآت . ولهذا تعددت الطرق الصوفية وهي في ذاتها وحقيقتها وجوهرها طريق واحدة .

وهي هذا المعنى قال ابن القيم **المراد** (النفس قسمان : علي^(٢) وسفلة ، فاعلية من عرف الطريق إلى ربك ، وسفلية من لم يعرف الطريق إلى ربك ، وهذا هو الكريم على ربه ، والسفلية من لم يعرف الطريق إلى ربه ، ومن يتعرفها ، فهذا هو اللئيم الذي قال الله تعالى فيه ﴿ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ ﴾ [الحج : ١٨] . ولطريق إلى الله في تحقيقه واحدة لا تعدد فيها . . . وأما ما يقع في كلام بعض العلماء أن الطريق إلى الله متعددة متسوعة . جعلها الله كذلك لتتوسع الاستعدادات واختلافها ، رحمه منه وفضلاً . فهو صحيح لا ينافي ما ذكرناه من وحدة الطريق

وكشف ذلك وإبصاره أن لطريق واحد جامعة لكل ما يرصيه الله ، وما يرصيه متعدد متسوع ، فجمع ما يرصيه طريق واحد ، ومراصيه

(١) « روض الطالبين » للبرقي ص ١٥٠

(٢) عليّ فلان من عليّ الناس ، وهو جمع رجل علي ، أي شريف جمع مثل صبي وصة .

متعددة متنوعة بحسب الأزمان والأماكن والأشخاص والأحوال ، وكلها طرق مرضاته . فهذه الطرق جعلها الله لرحمته وحكمته كثيرة متنوعة جداً لاختلاف استعدادات العبيد وقوايلهم ، ولو جعلها نوعاً واحداً مع اختلاف الأذهان والعقول وقوة الاستعدادات لم يسكنها إلا واحد بعد واحد . ولكن لما اختلفت الاستعدادات تنوعت الطرق لسلك كل امرئ إلى ربه طريقاً يقتضيها استعداده وقوته وقبوله ، ومن هنا يُعلم تنوع الشرائع واختلافها ، مع رجوعها كلها إلى دين واحد ، مع وحدة المعبود ودينه ^(١) .

ولقد عني رجال لتصوف برسم معالم هذا الطريق ، وتوضيح منازل ومقاماته ، ووسائل السير فيه .

قال أبو بكر الكناني وأبو الحسين النعماني رحمهما الله تعالى . سألتنا أبا سعيد الحراز ، فقلنا . أخبرنا عن أوائل الطريق إلى الله تعالى ؟ فقال (استوبة ، وذكر شرائطها . ثم يُقبل من مقام الاستوبة إلى مقام الخوف ، ومن مقام الخوف إلى مقام الرجاء ، ومن مقام الرجاء إلى مقام الصالحين ، ومن مقام الصالحين إلى مقام المريدين ، ومن مقام المريدين إلى مقام المطيعين ، ومن مقام المطيعين إلى مقام المحبين ، ومن مقام المحبين إلى مقام المشتقين ، ومن مقام المشتقين إلى مقام الأولياء ، ومن مقام الأولياء إلى مقام المحقرين . وذكروا لكل مقام عشر شرائط ، إذا عاينها وأحكمها وحلت الغلوب هذه المحبة أدمت انظره في النعمة ، وفكرت في الأيادي والإحسان ، فاهردت النفوس بالذكر ، وجالت الأرواح في منكوت عره بحالصر اعلم به ، واردة على حياض المعرفة ، إليه

صدره ، ولبابه قارعة ، وإليه في محضه ناطرة ، أما سمعت قول الحكم وهو يقول

أراعي سواد الليل نساءً مذكّره وشوقاً إليه غير مسنّكره الصبر
ولكن سروراً دائماً وتعرضاً وحرّاً لباب الرب ذي العز والتمجّر
محلهم أنهم قرئوا فلم يتأعدوا ، وزُفعت لهم مشرل فلم يُخفّضوا ،
وتُورث قلوبهم لكي ينظروا إلى مُلك عدن بها يزلون ، فتأهوا من
يعبدون ، وتعزّزوا بمن به يكتفون ، حلّوا فلم يظعنوا ، واستوطنوا محلته
فهم يرحلوا ، منهم لأولياء وهم العاملون ، وهم الأصفياء وهم
المقربون ، أين يذهبون عن مقام قربهم به أمون ، وعزوا في غرفهم
بها ساكنون ، حرّاً لم كانوا يعملون ، فتمثل هذا فليعمل
العاملون (١)

ونكي يقطع المرء عقبات الطريق ، ويجتاز مقاماته لا بد له من
مجاهدات نفسية ومواصلة لتذكر والمراقبة ولمحاسة والخلوات ،
فالوصول إلى الله تعالى لا يُدُلُّ بالمشهي واستمسي من لا بد من إيمان
وتقوى ، وصدق في القصد ، وإخلاص في العاية ، وعند ذلك يكرم الله
اسالكين إليه بالمعرفة لكاملة ، والسعادة القلبية لحقة

قال الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي رحمه الله تعالى . (إن طريق
الوصول إلى علم القوم الإيمان والتقوى ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ﴾
وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الملاق ٣] والرزق نوعان ، روحاني
وجسماني ، قال الله تعالى ﴿ وَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ ﴾ [الفر ٢٨٢]

(١) « حلية الأولياء » لأبي نعيم ج ١٠ / ص ٢٤٨ - ٢٤٩

أي يعلمكم ما لم تكونوا تعلمونه بالوسائط من لغوم الإلهية (١).

ومن كلام الشيخ محي الدين يشيب أن الإنسان لا يمكن له أن يسير إلى الله تعالى إلا بإيمان صحيح وعقيدة ثبته ، وقلب يرعى حدود الله ، وأعمال مقيدة بشريعة الله ، وأخلاق عالية مقنسة من رسول الله ﷺ . فمن لم يترفع عن الشهوات الدنثة والرغوات لنفسية لا بد إلا أن يحرف في سيره ، أو يقطع في منتصف الطريق ، ففرض وبشقي

قال ابن القيم رحمه الله . (لو كشف للعد العطاء عن ألطافه تعالى وبره وصعده له من حيث يعلم ومن حيث لا يعلم لذاب قلبه محبة به وشوقاً إليه ، ونكر حجب القلوب عن مشاهدة ذلك إحلالها إلى عالم لشهوات والتعلق بالأسباب ، فصدمت عن كمال نعيمها ، وذلك بفسير العزيز العليم ، ولا فأي قلب يدور حول معرفة الله ومحبته ثم يركن إلى غيره ، ويسكن إلى ما سواه ؟ فقل لها لا يكون أبداً ، ومن داق شيئاً من ذلك ، وعرف طريقاً موصلة إلى الله ثم تركها ، وقيل على إرادته وراحته وشهواته ولداته وقع في تدر المعاطب . وأودع قلبه سجون لمصايق ، وعذب في حياته عذاباً به يعدب به أحد من العالمين ، فحياته عجر وعم وحر ، وموته كدر وحسرة ، ومعاده شق وندامة . فإثر الحجب تطلع كل وقت على فزاده ، وإعرص الكون عنه - إذ أعرض عن ربه - حتى يبه وبين مراده ، فهو فير يمشي على وجه الأرض ، وروحه في وحشة من جسمه ، وقلبه في ملال من حياته .

فأصبح كالباري المنتف ريشه : رى حشرات كلما طار طائر وقد كن دمرأ في اريض منعماً على كل م يهوى من انصيد قدر

(١) النصره اسوية « للشيخ مصطفى المدني ص ٨٤ بتصرف

إلى أن أصابته من الدهر نكبة إذا هو مقصود لجاحن حاسر^(١)

فلا يقطع عر الطريق مصيبة كبرى ، وحسran مبين ، وسببه موافقة
لسالك لشهوات نفسه وتطبعه بالمقدمات والكشوفات وانحرافه عن
مقصده الأسمى فالسالك يصدق المخلص لا يطلب السقامات
ولا يقصد لمراتب والكرامات ، وإنما هي منزل يقطعها في طريقه إلى
لغة الكرى دون انحراف أو الهفات :

فلا تلتفت في السير غيراً وكل ما سوى الله غير فاتخذ ذكره حصناً
وكل مقام لا تقم فيه ، إنه حجاب فخذ السير واستجد العوا
ومهم ترى كل المراتب تجلج عليك فخل عنها ، فعن مثلها خل
وقل لس لي في غير دائك مطية فلا صورة تخلج ، ولا طرفة تجلج

قال ابن عطاء الله السكندري رحمه الله تعالى (ما أردت همة
سالك أن تفقد ما كشف بها إلا وادته موافق الحقيقة الذي تطلب
أمامك)^(٢) .

وكما أن لكل طريق حسي محاصر وعوائق وقطاعاً ، فإن للطريق
الروحي القلبي مرلق ووهاداً وعقبات لا بد من الانتباه إليها ، ومن هنا
يظهر فصل السالك ، وضرورة المرشد الذي يمسك بيد السالك فيجسه
المخاطر ، ويقيه شر المهالك ولطالما كثر تحذير العلماء لمرشدين
للسالكين إلى الله تعالى من الوقوف والاقطاع ، وشجذ همهم لمواصلة
السير ومناعة الحذر ، وترغبتهم بعدم الوصول وسعادة القرب .

(١) طريق السالكين ، ابن القيم ص ٢٢٧ - ٢٣٠

(٢) إيقظ انهم في شرح الحكم ج ١ ص ٥١ .

قال ابن القيم رحمه الله : (لساثر إلى ربه إذ أحصر لطريق
وأعلامها ، وأبصر المعابر ولوهاد واضطرق الناكسة عنها ؛ فقد حصل له
شعر السعادة والفلاح ، وبقي عليه لشطر الآخر ؛ وهو أن يصنع عصاه
على عاتقه ويشمر مسافراً في الطريق ، قاطعاً منازلها منزلة بعد منزلة ،
فكلما قطع مرحلة أسعد لقطع الأخرى ، واستشعر القرب من المنزل ،
فهايت عليه مشقة السفر ، وكلما سكنت نفسه من كلال السير وموصلة
لشد الرحيل ؛ وعذها قرب لتلاقي ورد العيش عند الوصول ، فيحدث
بها ذلك شاطئ وفرحاً وهمة فهو يقول : يا نفس أشري فقد قرب
المنزل ، ودنا لتلاقي فلا تنقطعي في الطريق دون الوصول فيحل بينك
وبين منازل الأحياء ، وقد صرت وواصلت لمسرى وصلت حميدة
مسرورة جيلة وتلفتت الأحياء بأبواب الخلف والكرامات . وليس بينك
وبين ذلك إلا صبر ساعة ، فإن طلبت فيها كساعة من ساعات الآخرة ،
وعمرلاً درجة من درج تلك السعادة ، والله لا تنقطعي في المعازة ، فهو
والله الهلاك والعطب لو كسبت تعلمين .

فإن استصعبت عليه فليذكرها ما أمامها من أحبائها ، وما لديهم من
الإكرام والإنعام ، وما خلفها من أعدائها ، وما لسيهم من الإهانة
والعذب وأنواع البلاء . فإن رجعت فليأت أعداءها رجوعها ، وإن تقدمت
فليأت أحبائها مصيرها ، وإن وقفت في طريقها أدركها أعداؤها فمنهم
وراءها في الطلب ولا بد لها من قسم من هذه الأقسام الثلاثة فلتختار
أيها شاءت وليجعل حديث لأحبة حاديها ومصدقها ، ويزور معرفتهم
وإرشادهم هديها ودليلها ، وصدق وودادهم وحبهم عساه وشرائها
ودواءها ، ولا يوحشه انفراؤه في طريق سفره ، ولا يغتر بكثرة
المقطعين ، فألم انقطاعه وبعاده واصل إليه دويهم ، وحظه من القرب

والكرامة محتص به دونهم فما معنى الاشتغال بهم والانعطاع معهم ؟!

ولنعلم أن هذه لوحشة لا تدوم ، بل هي من عوارض الطريق . فسوف تدو له لخام ، وسوف يخرج عليه المتقون يهتثونه بالسلامة والوصول إليهم ، فافرة عيه إبداعك ، وبفرحة إذ يقول : ﴿ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴾ [٢٦-٢٧] (١) .

ويختلف الواصلون في وصولهم إلى الله تعالى كل على حسب مقدمه وهمه :

فمنهم من وصل في سيره إلى وحده لأفعال ذوقاً وشهوداً ، وبغنى فعله وفعل غيره ، ويتذوق معنى قوله تعالى : ﴿ وَمَا دُمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكَ إِلَهُ مِثْلِي ﴾ [الأنعام ١٧] وهما رتبة في الوصول .

ومنهم من يصل في سيره إلى وحده لصفات ذوقاً وشهوداً ، فيتذوق معنى قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [البقرة ٣٠] ويتذوق معنى الحديث القدسي : « إِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ » (٢) . وهذه رتبة في الوصول .

ومنهم من يترقى إلى مقام الفناء في لذات ، فيشهد عرصة كل شيء مقبل وحوادث لحوادث وجل ، وتفيض عليه أنوار إيقين ، ولسان حاله يقول :

وجودي أن أغيب عن الوجود بما يسدو علي من لشهود
ويتذوق قول رسول الله ﷺ : « أَصْدَقُ كَلِمَةٍ فَالَهَا الشَّاعِرُ كَلِمَةً لَيْدٍ »

(١) طريق الهجرتين « لابن القيم ص ٢٣٢ - ٢٣٣ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق عن أبي هريرة رضي الله عنه

ألا كل شيء ما خلا الله باطل^(١) .

والصوفية في طريقهم للوصول إلى الله تعالى قد جعلوا قسوتهم ورائداهم سيد الوجود ومام المنقذين محمد رسول الله ﷺ ، فتهجرو بهجه حين مر عليه الصلاة والسلام إلى ربه ، ولجأ إليه بعيداً عن الحواس لشي وعبادة الأصنام والأحجار وعن صخب لحاة وأوضارها

قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيداً وَمُنْشِراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِآذَانِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾ [الأحزاب . ٤٤-٤٥] . فساروا وراءه مسعين له في جميع حالاته وأخلاقه وأفعاله .

وقال الله تعالى ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [٢١ عمران] . فساروا في طريقه لحيف ادي سه لهم غير منحرفين ولا مستعثرين

وسمعوا نداء الله ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا أَسْوَءَ قَبِيلٍ﴾ [١٥٢ الأنعام] . فقله تعالى ﴿وَمَا حَقَّتْ لِحْزَ وَالْأَيْسَ إِلَّا لِمَعْكُونٍ﴾ [الذاريات ٥٠] فلم تعزهم الدنيا برحارفها ولم توقفهم بعلاقتها .

وسمعوا هوائف الحقيقة تهتف من وراء حجب لعب ﴿أَوَصَيْبَتُمْ أَنَّمَا خَلَقَكُمْ حَبْثٌ وَأَنْكُمْ إِلَهٌ لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المومنون ١١٥] . فأحروا لقاء من سيرجعون إليه ، وحدوا واحنهدوا في مسوهم الحثيث حتى وصلوا إلى ربهم سالمين غاممين

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب عن أبي هريرة رضي الله عنه والمراد بباطل أن كل ما عدا الله لا يستحق العبادة ﴿كُلُّ مَنْ عَتَىٰ فَإِلَٰهًا سِوَا اللَّهِ فَقَدِ اتَّخَذَ إِلَٰهًا ظَاهِرًا﴾ [الزمر ٢٦-٢٧] كما في هداية الباري لرفيق أحاديث البخاري ج ١/ ص ٩٢

وها نحن نوضح بعض المفاهيم التي يمر بها السالك في سيره إلى الله تعالى ، وأولها اشربه ؛ فمن لا توبه له لا سير له ، وهي مطلق السالك في سيره إلى ربه

* * *

التوبة

التوبة : رجوع عما كان مذموماً في اشرع إلى ما هو محمود فيه ، وهي مبدأ طريق السالكين ، ومفتاح سعادته لمريدين ، وشرط في صحة السير إلى الله تعالى .

وقد أمر الله تعالى المؤمنين بها في آيات كثيرة ، وجعلها سبباً للفلاح في الدنيا والآخرة .

قال تعالى . ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْحِشُونَ ﴾

[البور ٣١]

وقال تعالى ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾ [هود ٥٢] .

وقال تعالى . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ﴾ [الشورى ٨] .

وكان لرسول المعصوم عليه الصلاة والسلام كثيراً ما يجدد لتوبة ويكرر الاستغفار تعميماً للأمة وتشريعاً . عن الأغربين سار الثمري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه ، فإنني أتوب في اليوم مائة مرة »^(١)

قال الإمام لئوي رحمه الله تعالى : (لتوبة واحدة من كل ذنب ، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي ، فلها ثلاثة شروط

(١) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الذكر .

أحدها : أن يقطع عن المعصية .

والثاني : أن يندم على فعلها

والثالث : أن يعزم أن لا يعود إليها أبداً

فإن فقد أحد الثلاثة سم نصبح نوبته . وإن كسب المعصية تتعلق بأدبي
شروطها أربعة . هذه الثلاثة ، وأن يبرأ من حق صاحبها فإن كنت
مالاً أو نحوه رده له ، وإن كان [أي حق الأدمي] حذّ قذوب ونحوه مكّنه
منه أو طلب عفوه . وإن كنت عيبة استعنه منها . ويجب أن يتوب من
جميع الذنوب ^(١) .

ومن شروط التوبة ترك قرناء السوء ، ومجر الأصحاب افسقة الذين
يحبون للمرء لمعصية ، وينفرونه من الطاعة ، ثم لالتحاق بصحة
الصدقين الأخير ، كي تكون صحبتهم سياحاً يردعه عن لعودة إلى حياة
المعاصي والمخالفات .

ولنا عبرة بلغة في الحديث الصحيح المشهور الذي روي لنا فيه
رسول الله ﷺ قصة قاتل المائة ^(٢) الذي أرشده أعلم أهل زمانه إلى أن الله
يقبل توبته ، واشترط عليه أن يترك لبيئة المسدة التي كد لها لأثر الكبير
في انحرافه وإجرامه ، ثم أشار عليه أن يذهب إلى بيئة صالحة فيها أناس
مؤمنون صالحون ليحبهم ويهدي بهداهم .

والصوفي لا ينظر إلى صغر الذنب ، بل ينظر إلى عصمة الرب ، اقتداءً
بأصحاب رسول الله ﷺ . فقد كان أنس بن مالك رضي الله عنه يقول :
(إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر إن كنا نعدّها

(١) « رياض الصالحين » ص ١٠

(٢) رواه مسلم في صحيحه كتاب التوبة وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

على عهد رسول الله ﷺ من لم يوقد ، قال أبو عبد الله يعني بذلك المهلكات (١) .

ولا يقف الصوفي عند التوبة من المعصية ، لأنها في رأسه توبة العوام ، بل يتوب من كل شيء يشغل قلبه عن الله تعالى ، وإلى هذا أشار الصوفي الكبير ذو النون المصري رضي الله عنه لما سئل عن التوبة فقال . (توبة العوام من الذنوب ، وتوبة لخواص من الغفلة) (٢) .

ويقول عبد الله التميمي رضي الله عنه . (شتان بين نائب وتائب . فتائب يتوب من الذنوب والسيئات ، وتائب يتوب من الرلل ولعفلات ، وتائب يتوب من رؤية الحسنات والطاعات) (٣)

واعلم أن الصوفي كلما صحح علمه بالله تعالى ، وكثر عمله دقت توبته ؛ فمن طهر قلبه من الآثام والآفات ، أشرق عليه أنوار الإيمان لم يخف عليه ما يدخل قلبه من خفي الآفات ، وما يعكر صفوه حين بهم بالمرلات ، فيتوب عند ذلك حياء من الله الذي يراه .

ويستتبع التوبة الأكثر من الاستغفار أثناء الليل وأصناف النهار ، وهذا يشعر الصوفي بالعبودية الحقة والتقصير في حق مولاه . فهو اعتراف منه بالعبودية وإقرار بالربوبية

يقرأ الصوفي في كتاب الله قوله تعالى . ﴿ فَفَعَلْتُ أَسْفَهًا يَا رَبِّ إِنَّكَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿ يُرْسِلُ أَسْمَاءَ عَلَيْكَ مَذَدَرًا ﴾ ﴿ وَيُمِدُّكَ بِأَمْوَالٍ وَيَجْعَلُ لَكَ جَنَّاتٍ وَجَعَلَ لَكَ أَنْهَارًا ﴾ [سج . ١٠-١٢]

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ السَّيِّئِينَ فِي جَهَنَّمَ وَجُوهٌ ﴾ ﴿ يُعَذِّبُ مَا أَسْنَمُوا مِنْهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق عن أنس رضي الله عنه

(٢) « الرسالة القشيرية » باب التوبة ص ٤٧

قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجُونَ ﴿٧﴾ وَإِلَّا لَأَشْتَارَ هُمْ بِسِتَعْمَرُونَ ﴿٨﴾

[الداريات ١٨١٥] .

يقرأ الصوفي هذه الآيات وغيرها ، فيدرف الدمع أسماً على ما قصر في حياته ، وحسرة على ما فرط في جنب الله ثم يلتفت إلى عيوبه فيصيحها وإلى تفصيلاته فيتدركها وإلى نفسه فيزكها ، ثم يكثّر من فعل الطاعات والحسنات عملاً بقوله عليه الصلاة والسلام « وأتبع السيئة الحسنة تمحها »^(١) .

قال الشيخ أحمد رروق رحمه الله تعالى في قواعده (نعتبر دعوى المدعي نتيجة دعواه ، فإن ظهرت صحّت ، وإلا فهو كذب ، فتوبة لا تتبعها تقوى باطلة ، وتقوى لا تظهر بها ستفمة مدحوله ، واستفمة لا ورع فيها غير تامة ، ورع لا يتج زهداً قاصر ، وزهد لا يشيد توكلأً يابس ، وتوكل لا تظهر ثمرة بالانقطاع إلى الله عن الكل واللجأ إليه صورة لا حقيقة لها ، فتظهر صحة التوبة عند اعتراف الموحّر . وكمال استقوى حيث لا مصلح ، لا الله ، ووجود لاستقامة بالتحمط على إقامة ابورد في غير استدع ، ووجود ابورع في مواطن لشهرة عند لاشتبه فإن تترك فكذلك ، وإلا فليس هناك)^(٢)

(١) هذه فقرة من حديث عن أبي ذر ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ

قال « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق

حسن » رواه الترمذي في كتاب البر وفان حديث حسن صحيح

(٢) بوعد التصوف « الشيخ أحمد رروق ص ٧٤

المحاسبة

وهي بهتة الوارع الديني في انفس ، وبربيتها على تنمية اللوم لباطني الذي يجردها من كل ما يقف أمامها عقه في طريق لصفاء والمحنة ولايثار والإحلاص وللصوفية في هذا المقام قدم راسحة وجهاد مشكور ، وهم على أثر الرسول ﷺ يهجون مهججه ، ويهتدون بهديه قال ﷺ : « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأماني »^(١) .

ومر حاسب نفسه لا سرك لها سبيلاً إلى الاشتغال بالباطل ، إذ هو يشعلها بالطاعات ، ويلومها على التقصير مع الله تعالى حشية منه ، فكيف تجد سبلاً إلى اللهو والبطالة ؟

قال السيد أحمد الرفاعي رحمه الله تعالى : (من لحشية تكون المحاسبة ، ومن لمحاسبة تكون المراقبة ، ومن المراقبة يكون دوم الشغل بالله تعالى)^(٢) .

وما أشبه حال الصوفية في هذا بما كن يأخذ به النبي ﷺ أصحابه من تربية روحه حليصة تغرس في نفوسهم اللوم الباطني ، فقد روي أن

(١) رواه الترمذي في كتاب صفة لقيامة عمه عند ابن موسى رضي الله عنه وقيل . حديث حسن . الكيس : العاقل . دان نفسه : حاسبها .

(٢) « البرهان لمؤيد » للسيد أحمد الرفاعي ص ٥٦

رسول الله ﷺ حرج يوماً من بيته ، يطوي بطنه على الجوع ، فانتفى بصاحبه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فعلم منهما أن أمرهما كأمره ، وأنهما لا يجدان قوت يومهما ، ولتقوى بهم رحل من الأنصار ، لم تخذعه بشاشتهم ، فعلم أمرهم فاستضافهم ، فلما وصلوا إلى منزله وجدوا تمراً وماءً بارداً وظلاً وارفاً ، فلما تبلعوا بتمرات ، وشربوا من الماء ، قال صلوات الله وسلامه عليه : « هذ من انعيم الذي تُسألون عنه » (١) .

أي نعيم هذا حتى يُسألوا عنه ، ويُحاسبوا عليه ؟! بصع تمرات ، وجرعة ماء تنقع العليل ، يعتبرها الرسول ﷺ من النعيم الذي يسألهم ربهم عنه يوم القيامة . أليس في هذه اللقمة الكريمة من الرسول ﷺ نفحة ترمي إلى طبع النفس بطبع الرازع القوي والإحساس المرهف ولشعور لدقيق والشعة الكبرى والمسؤولية البصيرة في كل تصرف تهدف إليه النفس بين حين وآخر ؟

وإن المحاسبة لتثمر الشعور بالمسؤولية تجاه الله تعالى وتجاه خلقه ، وتجاه النفس المكلفة بالتكاليف الشرعية من أوامر ونواه . فبالمحاسبة يفهم الإنسان أنه ما وُحد عبثاً ، وأنه لا بدّ راجع إلى الله تعالى ، كما أخبر رسول الله ﷺ : « ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ، ليس بينه وبينه ترجمان ، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه ، فاتقوا النار ولو بشق تمره ، فمن لم يجد فكلمة طيبة » (٢) .

(١) تفسير ابن كثير ٤/٥ ص ٥٤٥ موحراً .

(٢) روى مسلم في كتاب الركاة عن عدي بن حاتم رضي الله عنه ، والترمذي في كتاب صفة القيامة

فينشق من قلبه الرجوع الاختياري بالتوبه النصوح ، ويترك اشواص الغاية التي تشغله عن خالقه تعالى ، ويرى إلى الله من كل شيء ﴿ وَفَرَّوْا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُرمَتُهُ يَذِيرُ مبین ﴾ [الذاريات ٥٠]

فمر مع بك الفئة المؤمنة الصوفية في سفرهم إلى الله تعالى ، محيياً هواتف العيب : ﴿ يَكْتُمُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ وَكَوْنُوا مَعَ الصّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة ١١٩٠] .

وإما القوم مسافروا لحصره لحق وطاعوا فأواهم المبيت في حصره لكبرى ، وأكرمهم لجاب الأقدس بتك العندية التي يشدها كل محب لله تعالى . ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ ﴾ [القمر ٥٥]

قل الشيخ أحمد زروق رحمه الله تعالى في قواعده . (الغفلة عن محاسبة النفس توجب غفلة فيما هي فيه ، والتقصير في مناقشتها يدعو لوجود ارض عنها ، والتصديق عيها يوجب فرتها ، والرفق بها معين على بطالتها . فلم دوام المحاسبة مع المراقبة ، ولأحد في العمل بما قارب وصح ، دون مسامحة في واضح ، ولا مطاية بخفي من حيث العمل ، واعتبر في السطر تركاً وفعلاً واعتبر في قولهم . من لم يكن يرمه حيراً من أمسه فهو معبون ، ومن لم يكن في ريادة فهو في نقصان ، وإن اثبات في العمل ريادة فيه ، ومن ثم قال الجنيد رحمه الله . لو أقبل مغبين على الله سنة ثم أعرض عنه لكان ما فانه منه أكثر مما دله (١) .

* * *

الخوف

قال حجة الإسلام الإمام لعزاسي رحمه الله تعالى : (اعلم أن حقيقة
لخوف هو تألم القلب واحترقه بسبب توقع مكروه في المستقبل ، وقد
يكون ذلك من جريان ذنوب ، وقد يكون الخوف من الله تعالى بمعرفة
صفاته التي توجب الخوف لامحالة ، وهذا أكمل وأتم ، لأن من
عرف الله خافه بالضرورة ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ
عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [طهر : ٢٨] ^(١)

وقد دعا الله تعالى عباده إلى الخوف منه وحده فقال ﴿ قُلْ إِنَّمَا
يُخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْقُلُوبُ الْغَافِقُونَ ﴾ [البقرة : ٢٠١]

ومدح للمؤمنين ووصفهم بالخوف فقال : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾

[الحج : ٥٠] .

وحمل الله الخوف من شروط كمال الإيمان فقال ﴿ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٧٥] ،

ووعده الله من خاف مقامه جنتين . حجة المعارف في الدنيا ، وجنة
الرحارف في الآخرة فقال ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ ﴾ [الرحمن : ٤٦]

وحمل الله الجنة مأوى من خاف مقام ربه فقال : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ
وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ [التلذذات : ٤٦١٠]

(١) الأربعة في أصول الدين ، ص ١٩٦

قال الشيخ أحمد زروق رحمه الله تعالى في قواعده : (من بواعث العمل وجود الخشية وهي تعظيم يصحبه مهانة . ولخوف هو نزاع القلب من انتقام الرب)^(١) .

والخوف يتمثل في شبح من يُفدّر حظورة لعواقب فيقف عند لواجب ، ولا يعرض نفسه لزيغ ولا إثم ؛ بل ولا يقف في مواطن نوشك أن توقعه في الشر والفساد ، ثم يترقى انصوفي في الخوف فيتحلى بأشرف ما يتحلى به المقربون ، وعندئذ تنتقل مظاهر الخوف من عالم الجسم إلى عالم الروح ؛ فتكون للعرف أشجان لا يدركها إلا أهل الصفاء .

وفي هذا المقام يصف سيدي عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه السدة رابعة العدوية بأنها كانت كثيرة البكاء والحزن . وكانت إذا سمعت ذكر الذكر غشي عليها رماناً ، وكان موضع سجودها كهيئة الحوص الصغير من دموعها ، وكان النار ما خلقت إلا لأجلها . وسر ذلك الخوف إنما هو الاعتقاد بأن كل بلاء دون النار يسير . وأن كل خطيئة دون البعد عن الله تعالى هين

ويرى النصورية أن المحب لا يُسقى كأس المحبة إلا بعد أن يصفح الخوف قلبه . ومن لم يكن له مثل تقواه لم يدرك ما الذي أبكاه ، ومن لم يشاهد جمال يوسف لم يدرك ما الذي ألم يعقوب

ويس الخائف الذي يبكي ويمسح عييه ، إنه الخائف من يترك ما يخف أن يعذب عليه

قل أبو سليمان ابداراني رحمه الله تعالى . (ما فارق الخوف قلباً إلا حرب)^(١) .

وليس الخائفون بمرتبة واحدة ؛ بل هم على مراتب مختلفة ، وقد صنف ابن عحية رحمه الله تعالى مراتبهم إلى ثلاث مراتب فقال :
(خوف العامة من العقاب وفوات الثواب ، وخوف الخاصة من اعتاب وفوات لاقتراب ، وخوف خاصة الخاصة من الاحتجاب بعروض سوء الأدب)^(٢)



(١) الرسالة القشيرية ص ٦٠

(٢) معراج لتشرف إلى حقائق التصوف ص ٦ .

الرجاء

قال الشيخ أحمد دروي رحمه الله تعالى في تعريف الرجاء
(الرجاء : اسكون لفصله تعالى بشواهد العمل في الجميع ، ولا كان
اغتراراً) (١) .

وقد حث الله تعالى على الرجاء وبها عن القنوط من رحمته فقل :
﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ
الدُّنُوبَ أَجْمَعَةَ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الرعر ٥٣]

وقل تعالى مشراً سعة رحمه ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾

[الأعراف ١٥٥] .

وقل تعالى في وصف الذين يرحون رحمته . ﴿ إِنَّ إِلَٰهَ الْدِينِ هَٰذَا
وَالَّذِينَ هَٰمَزُوا وَحَنَهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ﴾ [اسره ٢١٨]

وحاء الحث على رجاء رحمة الله في كثير من الأحاديث الشريفة منها :

« روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ :
« والذي نفسي بيده لو لم تُذنبوا لذهب الله بكم وجاء بكم يوم يدبون
فيستعمرون لله تعالى فيعقرنهم » (٢)

(١) « قواعد التصوف » ص ٧٤

(٢) أخرجه مسلم في كتاب التوبة

وعن نبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال يعمرها الله بهم ، ويضعها على اليهود والنصارى» (١) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : «يُدنَى المؤمن يوم القيامة من ربه حتى يصمغ عليه كتفه فيقرره بذنوبه فيقول : أتعرف ذنبت كذا ؟ أتعرف ذنوب كذا ؟ فيقول : رُبَّ أعرفُ قال فربي قد مسرتها عليك في الدنيا ، وأنا أعفرها لك اليوم . فيعطى صحيفة حسناته» (٢) .

وارجاء يختص عن لتمي ، إذ الراجي هو الذي يأخذ بأسباب لطاعة طالباً من الله الرضى والقبول ، بينما يترك امتسي الأسباب ولمجاهدات ، ثم ينتظر من الله لأجره لمثوبة ، فهو الذي هل في حقه عليه الصلاة والسلام : «والعاجي من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله لأمانى» (٣) .

إذ كل من رجا الله تعالى وطلبه ، عليه أن يشمر عن ساعد الجد والاجتهاد بصدق وإخلاص حتى يبال مطلوبه ، ولهذا قال تعالى معلماً طريق صلبه : ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أُتَىٰ﴾ [الكهف ١١٠]

فعلى لعد إن كان في ريعان شربه مقدراً للذنوب مطعاً لنفسه

(١) أخرجه مسلم في كتاب السنة

(٢) أخرجه مسلم في كتاب النوبة ، وأبو داود في صحيحه في كتاب الرقاق ، كنه مستره ورحمته .

(٣) رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة و قال : حديث حسن ، وابن ماجه في كتاب البرهه كلاهما عن شداد بن أوس رضي الله عنه .

الشهوابة أن يُغلب جانب الخوف على الرجاء أم إذا كان في نهاية عمره فعليه أن يُغلب الرجاء كما قال تعالى في الحديث القدسي . « أن عبد طر عسدي بي »^(١) .

وكما قال عليه لصلاة والسلام في الحديث الذي يرويه حذرس عبد الله رضي الله عنه : « لا يموت أحدكم إلا وهو يحسن الله عر وجل »^(٢) .

وإن كان العبد مقبلاً على ربه سالكاً طريق قربه فعليه أن يجمع بين مقامي الخوف والرجاء ، لا يُغلب الخوف على الرجاء حتى يقط من رحمة الله تعالى وعفوه ، ولا يُغلب الرجاء على الخوف حتى يسترس في مهاوي المعصية والنسيات ، بل يظير بهما محلقاً في أحواء صافية ، فلا ير ل في قرب ودنو من الحضرة الإلهية قد حقق صفة هؤلاء لئس وصفهم بهم بقوله ﴿ لَتَحَاقَّ جُؤُوبُهُمْ عِ لَصَاحِبِ دَعْوَانِ رَّيِّمٍ خَوْفٌ وَطَمَعٌ ﴾ [سجدة ١٦] خوفاً من باده ، وطمعاً في رحمة جوقاً سمع بعده ، وطمعاً في قربه خوفاً من هجره وطمعاً في رضاه . . خوفاً من قطعته وطمعاً في وصاه . .

وليس الر حون بحرقة واحدة ، بل هم على مراتب ذكرها بن عجيبة رحمه الله تعالى إذ قال (رجاء العامة حسن لئان يحصل اشواب ، ورجاء الخاصة حصول الرضون والاقترب ، ورجاء خاصة الخاصة التمكين من لشهود وريادة اشرفي في أسرار الملك لمعود)^(٣)

* * *

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الوحد عر في هوية رضي الله عنه

(٢) رواه مسلم في كتاب الجنة باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى

(٣) « معراج الشرف » ص ٦

الصدق

لا بد للمريد الطالب سلوك سبيل السجاة والوصول إلى الله تعالى من أن يحقق بصفات ثلاث : الصدق والإخلاص والصبر ، لأن جمع صفات الكمال لا يتحلى بها لإنسان إلا إذا كان متصفاً بهذه الصفات الثلاث ، وكذلك لا تتم الأعمال إلا بها ، فإذا فرقت لأعمال فسدت ولم تمل القبول .

ولما كان الباعث على العمل الصالح ولترقي في مدارج الكمال هو الصدق ، نبتدىء بالكلام عليه أولاً ، ثم بالإخلاص ثانياً ، ثم بالصبر ثالثاً

لقد ذهب العلماء في تقسيم الصدق مذاهب شتى ، فمنهم من أسهب في التفصيل والتفريع ، ومنهم من سلك مسلك الاقتصار والإيجاز

فقد ذكر حجة الإسلام الإمام الغزالي رحمه الله تعالى للصدق معان ستة فقال : (اعلم أن لفظ الصدق يستعمل في ستة معان : صدق في القول ، وصدق في لية والإرادة ، وصدق في العزم ، وصدق في الوفاء بالعزم ، وصدق في العمل ، وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها ، فمن انصف بالصدق في جميع ذلك فهو صدّيق .

١- صدق اللسان يكون في الإخبار . وفيه يدخل الوفاء بالوعد والحلف فيه . وقيل : هي المعارض مندوحة عن الكذب

٢- صدق في النية والإرادة ، ويرجع ذلك إلى الإخلاص ؛ وهو أن

لا يكون له باعث في الحركات والسكنات إلا الله تعالى

٣- صدق في العزم على العمل لله تعالى .

٤- صدق في الوفاء بالعزم بتذليل العقبات .

٥ صدق في الأعمال حتى لا تدن أعماله الطاهرة على أمر في باصه لا يتصف به .

٦- الصدق في مقامات الدين كالخوف والرجاء والمعظيم والزهد .
والرضا والتوكل والحب ^(١)

وأم القاصي زكريا الأنصاري رحمه الله تعالى فقد ذكر للصدق مجالات ثلاثة فقال (الصدق هو الحكم المطابق للواقع ، ومحلّه اللسان والقلب والأفعال ، وكل منها يحتاج إلى وصف يخصه ، فهو في اللسان : لإحراز عن الشيء على ما هو عليه وفي القلب : العزم ، لأكيد وفي لأفعال : يقاها على وجه النشاط والحب . وسه .
لوثوق بحبر المتصف ، وثمرته : مدح الله والخلق لمصنف به ^(٢)

ومفهوم لصدق عند عوام المسلمين قصر على صدق اللسان ، ولكن السادة الصوفية قصدوا بالصدق مفهومه العام الذي يشمل بالإضافة إلى صدق اللسان صدق لقلب وصدق لأفعال والأحوال

قال العلامة ابن أبي شريف رحمه الله تعالى في حواشي العقد :
(الصدق استعماله الصوفية بمعنى اسنواء لسر والعلانية والظاهر والباطن بأد تكذب أحوال العبد أعماله ، ولا أعماله أحواله ^(٣) فاصدق

(١) « إحياء علوم الدين » ج ٤ / ص ٣٣٤

(٢) « لرسالة التشيرية » ص ٩٧

(٣) « شرح رياض الصالحين » لابن علاء الصديقي ح ١ ص ٢٨٢ .

مفهومهم هذا ، صفة يبعث منها لعزم والتصميم والهمة على الترفي في مدارج الكمالات ، واتخلي عن لصفات النافسة لمدومه

والصدق بهذا لا عثار سيف الله تعالى في يد السالك بقطع به حار لعلائق والعوائق التي تعترض طريقه في سيره إلى الله تعالى ، ولولاه لما استطاع أن ينطق في مدرج لثرفي ولكل معترضاً للوفوف والانقطاع

قال العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى (١) صدق التأهب للقاء الله هو مفتاح جميع الأعمال لصاحبه والأحوال الإيمانية ، ومقامات السالكين إلى الله ، وممارس السائر إلى الله من ليقظه والتوبة والإنابة والمحبة والرحمة والخشية والتفويض والتسليم وسائر أعمال لقلوب ولجوارح ، فمفتاح ذلك كله صدق التأهب والاستعداد للقاء الله ، والمفتاح بيد لفتح العليم ، لا إله غيره ولا رب سواه (٢)

فإذا تحلى السالك بالصدق استطاع أن يسير بخطى سريعة نحو مراتب الإيمان العالية ، إذ هو القوة الدافعة والمتحركة ، وهو الصفة المارمة لكل مقام من مقامات السلوك إلى الله تعالى .

فأول مرحل اسير هو صدق العبد في إيمانه إلى ربه بالتوبة النصوح التي هي أساس الأعمال الصالحة ، وأول درجات الكمال

والصدق في تهذيب لنفس الأمدمة ، يحقق انجاح الكبير في المحلص من أمراضه وشهواته ، ويطهر القلب من احبائث حتى ينتهي إلى الإيمان الدوفي الذي وصفه رسول الله ﷺ بقوله « دَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ » (٣)

(١) صديق الهجرتين « لابن قيم الجوزية بشرى سنة ٧٥٥ هـ ص ٢٢٣

(٢) « داق طعم الإيمان من وصفي بالله تعالى رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً » أخرجه =

والصدق في محاربة الشيطان والتخلص من وساوسه يجعل المؤمن في نجاة من كيده وأمان من شره ، كما يجعل الشيطان في يأس وقنوط من ضلاله وغوايته .

والصدق في إخراج حب الدنيا من القلب يحمل الإنسان على المجاهدة المستمرة بالصدقة والإيثار والتعاون الحيري ، حتى يتخلص من حبها وينجو من سيطرتها على قلبه

والصدق في طلب العلم تحلصاً من الجهل وتصحيحاً للعمل ، يحمل الإنسان على الاستقامة والمثابرة ، وتحمل المشق وسهر الليالي كي ينال منه أوفر نصيب وأكبر قسط ، وما نفع العلماء إلا بصدقهم وإخلاصهم وصبرهم .

والصدق في العمل هو ثمرة العلم وغايته ، إذ يجعل العبد في ارتقاء دائم ، ويجعل عذمه سبباً في كماله ، ولا يبر من إخلاص في ذلك ، وإلا قد يدخل على السائر بعض العنل الموقفه له عن مطوبه من حب لشهرة والسمعة والالتفات إليها

فالإخلاص في الصدق يريل هذه اشوائ من طريق العاية المنشودة وهي رضا الله تعالى ومعرفته ومحته .

ومن هنا تظهر أهمية الصدق وعظيم آثاره ، ولذلك اعتبره الحق سبحانه أرفع الدرجات بعد السوة ورسالة ، قال أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالى (الصدق عمود الأمر و به تمامه ، وفيه نظامه ، وهو تالي درجة لبوة . قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ

أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿١﴾ [نساء ٦٩]

ولهذا أمر الله تعالى لمؤمنين أن يلازموا أهل الصدق ليستفيدوا من حالهم ويستفهموا من صدقهم فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة ١١٩] .

ووصف الله تعالى الصادقين بالقلّة ، وأنهم المئة المختارة من المؤمنين فقال : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [الأحزاب ٢٣] .

وقال معروف الكرخي رحمه الله تعالى مشيراً إلى فئة الصادقين : (ما أكثر الصالحين وأقل الصادقين في الصالحين)^(١)

كما نذّر الله تعالى بالمصافقين الذين لم يصدقوا في إيمانهم وعهدهم مع رسول الله ﷺ فقال : ﴿ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ حَيْرًا لَّهُمْ ﴾ [محمد ٢١]

وقد أخبر الله تعالى أن العبد يوم القيمة يجزي ثمار صدقه ، ويكون صدقه سبب نفعه ونجاته فقال : ﴿ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾

[المائدة ١١٩]

وقد اعتبر الرسول ﷺ الصدق مسلاً موصلاً إلى البر لذي يشمل كل المضائل والكمالات التي تؤهل العبد بدخول الجنة ، كما جعل دوم الاتصاف بالصدق مفتاحاً لئيل مرتبة الصديقية فقال : « إن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب له أجر ، وإن الصدق يهدي إلى الجنة ، وإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار »

(١) « الرسالة القشيرية » ص ٩٧

(٢) « طبقات الصوفية » لسلمي ص ٨٧

لنار ، وإن أرحل بيكذب حتى يُكُنْت عند الله كذاباً»^(١)

وقد أوضح الرسول عليه لصلاة والسلام أن الصدق يشر طمأنينة
لقلب وراحة الفكر ، بينما يسب الكذب حالات من القلق ولاضطراب
والشك وعدم الاستقرار ، فقد روي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما
أنه قال : حفظت من رسول الله ﷺ : «دع ما يريك إلى ما لا يريبت فإن
الصدق طمأنينة والكذب ريبة»^(٢) .

وليس الصدقون بمرتبة واحدة ، من هالك الصادق ، وأعلى منه
لصديق قال أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالى (أقل الصدق
ستوء لسر والعلانية ، ولصادق من صدق في أقواله ، والصديق من
صدق في جميع أقوله وأفعاله وأجزاله)^(٣) . ودراسة الصديقية في نفسها
مراتب متفاوتة ، بعضها أعلى من بعض ، وقد نال أبو بكر الصديق
رضي الله عنه دروة سنام الصديقية ، وشهد الله تعالى بذلك فقال :
﴿ وَأَلْبِسْ جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾ [التوبة : ١١٩]

ولا يعلو مقام الصديقية إلا مقدم السوة ، فمقام الصديقية مقام
الولاية الكبرى وإخلافة لعظمي ، وهذا المقام تتردّد فيه الصوحات
وتعصم التحليات ويتم المشاهدات والكشوفات لكمال النفس وحسن
صفائها .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأدب ، ومسلم في كتاب أبيه عن ابن مسعود
رضي الله عنه

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب صفه القيامه وقال : حديث حسن صحيح

(٣) الرسالة القشيرية ص ٩٧ .

الخلاصة

إن من يعمر باطنه بالصدق والإخلاص ، تجري حركاته وسكناته على حسب ما في قلبه ، فيظهر انصدق في أحواله وأفعاله وأعماله ، لأن من أسر سريرة ألبيه الله رداءها

قال العلامة القرطبي رحمه الله تعالى (حق على كل من فهم عن الله تعالى أن يلزم لصدق في الأقوال ، والإخلاص في الأعمال ، والصفاء في الأحوال ، فمن كان كذلك لحق بالآبرار ، ووصل إلى رضاء لغفار)^(١) .

فعبت أيها المريد أن تكون صادقاً في أقوالك لأن الكذب من صفات المنافقين . فإن عليه لصلاة والسلام : « آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أئتمن خان »^(٢)

وكن صادقاً في طلب الوصول إلى الله تعالى ، فالمقاصد العالية لا تُنال بالتشهي ، بذلك قيل (لا ينال الوصول من كان في قلبه شهوة الوصول) بل يناله بالجد والاجتهاد

وعمر قلبك بالصدق لتنبعث منه الهممة والنشاط في سيرك إلى الله تعالى .

(١) شرح رياض الصالحين « لابن علان ج ١ / ص ٢٨٤ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان ، ومسلم في كتاب الإيمان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال المصاوي في شرح هذا الحديث (الصادق صريحا شرعي : وهو إبطال الكفر وطهر الإيمان ، وعرفي وهو أن يكون سره خلاف علانيته وهو المراد هنا) « ينص القدير شرح لجامع الصغير » ج ١ / ص ٦٣

وتحقق بالصدق إن قلت يا الله فالصدق وجهه مقبول
وعليك بالصدق في عهدك مع مرشدك ودييك إلى الله تعالى حتى
يكون ذلك عوآلث عسى ترقبك وسرعة وصربك
وكن صادقاً في موافقتك ربك أمراً ونهيّاً وفي اتساعك برسوله ﷺ
حتى تتحقق بالعبدية لله تعالى ، فهي أُمّية السالكين لربهم في جميع
مراتبهم ومقاماتهم .

* * *

الإخلاص

تعريفه :

قال أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالى معروفاً الإخلاص (الإخلاص أفراد الحق سبحانه في الطاعة بالقصد ، وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله تعالى دون شيء آخر من تصنع لمخلوق أو اكتساب مَحَمْدَةٍ عند الناس أو محبة مدح لمخلوق أو معنى من المعاني سوى لتقرب إلى الله تعالى وقال ويصح أن يقال للإخلاص تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين ^(١) .

وقال أبو علي الدقاق رحمه الله تعالى : (الإخلاص : لتوقي عن ملاحظة الخلق ، فالمخلص لا رياء له) ^(٢)

وقال انفصیل بن عیاض رحمه الله تعالى . (نرك العمل من أجل الناس رياء ، والعمل من أجل الناس شرك . والإخلاص أن يعافيك الله منهما) ^(٣) .

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى (الإخلاص سرٌّ بين الله وبين لعبده . لا يعلمه ملك فيكته ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيميله) ^(٤)

(١) «رسالة القشيرية» ص ٩٥-٩٦

(٢) «رسالة القشيرية» ص ٩٥-٩٦

(٣) «رسالة القشيرية» ص ٩٥-٩٦ .

(٤) «رسالة القشيرية» ص ٩٥-٩٦

وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله تعالى (حق المحلص أن لا يرى إحلاصه ولا يسكن إليه ، فمتى خاف ذلك لم يكمل إحلاصه ، بل سماه بعضهم رياء) ^(١)

هذه الأقوال والعبارات لمتنوعة في الإخلاص ترجع إلى مقصد واحد وهو أن لا يكون للنفس حظ في عمل من الأعمال التعبدية ، الحسنية منها والقلسة والمالية ، وأن لا يرى إحلاصه .

أهميته في الكتاب والسنة .

لما كان قبول الأعمال موقوفاً على وجود الإخلاص فيها ، أمر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام بالإخلاص في عبادته تعليماً لهذه الأمة فقال ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصٌ لَهُ الدِّينَ ﴾ [الرمر ١١] وقال : ﴿ قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْهُ تَخْلِصٌ لَهُ الدِّينَ ﴾ [الرمر ١٠] . ﴿ قُلْ اللَّهُ تَخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ [الرمر ٢٠] .

كما أمر الله تعالى خلقه أن تكون جميع عباداتهم القولية والعملية وللمالية حليصة له تعالى ، بعيدة عن الرياء فقال : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البينة ٥]

وأوضح الحق سبحانه أن السبيل إلى لقاء الله تعالى يوم لقيامة لقاء رضى وإنعدم هو العمل الصالح الخالص لوجه الله ، السليم من ملاحظة الخلق فقال : ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف ١١٠] .

وجاءت الأحاديث الشريفة توجه العبد إلى الإخلاص في جميع

(١) «الرسالة القشيرية» ص ٩٥-٩٦

أعماله ، يحذره أن يقصد بعبادته شيء الناس ومدخهم ، فيبين أن كل عمل لم يتصف بالإخلاص لله تعالى فهو مردود على صاحبه ، ويوضح أن الله تعالى لا ينظر إلى ظاهر أعمال العبد ، بل ينظر إلى ما في قلبه من النوايا والمقاصد ، لأن الأعمال بالنيات ، والأمور بمقاصدها .

وقد سمي لرسول ﷺ الرياء شركاً أصغر تارة ، وسماء شرك السرائر تارة أخرى ، وأحبر أن الله تعالى سوف ينظر إلى المرئي يوم القيمة ، ويحيله إلى الناس الذين أشركهم في عبادته .

وهذه بعض الأحاديث الشريفة التي تبيّن أهميه الإخلاص وتوضح هذه المعاني المذكورة :

١- عن أبي أمامة قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : « أرايت رجلاً غز يلتمس لأجر والذكر ، ما له ؟ » فقال رسول الله ﷺ : « لا شيء له ، فأعادها ثلاث مرات ، ويقول رسول الله ﷺ : لا شيء له ، ثم قال : إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان له حاصلاً ، واشتغى به وجهه » (١) .

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم » (٢) .

٣- عن شداد بن أوس رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول : « من صام يرائي فقد أشرك ، ومن صلى يرائي فقد أشرك ، ومن تصدق يرائي فقد أشرك » (٣) .

(١) رواه أبو هريرة والسنائي بإسناد جيد

(٢) رواه مسلم في كتاب البر والصلة .

(٣) رواه البيهقي كما في « الترغيب والترهيب » ج ٢ / ص ٣١ .

٤- وعن محمود بن حبيد قال : خرج النبي ﷺ فقال : « يا أيها الناس إياكم وشرك السرائر قلوا : يا رسول الله وما شرك السرائر ؟ قال يقوم لرجل فيصلي ، فيرى صلاته حاهداً لما يرى من نظر الناس إليه ، فذلك شرك السرائر »^(١) .

٥- وعن محمود بن حبيد أن رسول الله ﷺ قال : « إيا أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، قلوا وما أشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : الرياء يقول الله عز وجل إذا جُرِيَ الناس بأعمالهم : «ذهبوا إلى الدين كنتم تراؤون في الدين» ، فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً »^(٢) .

٦- وعن أبي سعيد بن أبي فضالة رضي الله عنه ، وكان من الصحابة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا جمع الله لأولين ولآخرين يوم القيمة ليوم لا ريب فيه ، نادى عند من أشرك في عمه الله أحداً فليطلب ثوابه من عنده ، فإن الله أغنى المشرك عن لشرك »^(٣) .

أقوال لعلماء في أهمية الإخلاص :

قال مكحول رحمه الله تعالى : « ما أحصى عبد أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه »^(٤) .

وقيل لسهل بن عبد الله السمرى رحمه الله تعالى : أي شيء أشد على النفس ؟ قال : (الإخلاص ، لأنه ليس لها فيه نصيب)^(٥) .

(١) رواه ابن خزيمة في صحيحه

(٢) رواه الإمام أحمد بإسناد جيد .

(٣) رواه الترمذي في كتاب التفسير ، تفسير سورة الكهف

(٤) الرسالة القشيرية ، ص ٩٥ - ٩٦

(٥) الرسالة القشيرية ، ص ٩٥ - ٩٦

وقد أبو سليمان لدارني رحمه الله تعالى (إذا أحلص العبد
انقصت عنه كثرة لوساوس والرياء)^(١) .

وقد ابن عجيبة في شرح حكمة بن عطاء الله السكتري رحمه الله
تعالى [الأعمال صور قائمة، وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها]
(لأعمال كلها أشباح وأجساد ، وأرواحها وجود الإخلاص فيها ، فكما
لا قيام للأشباح إلا بالأرواح وإلا كنت ميتة ساقطة ؛ كذلك لا قيام
للأعمال البدنية والقلبية ، إلا بوجود الإخلاص فيها ، وإلا كنت صوراً
قائمة وأشباحاً خاوية لا عزة بها)^(٢) .

وكلام العلماء والعارفين في الإخلاص أكثر من أن يحصى ، وكلهم
يؤكدون عظيم أهميته وكبير أثره

مراتب الإخلاص :

قال ابن عجيبة رحمه الله تعالى . (الإخلاص على ثلاث درجات .
إخلاص لِعَوامٍ والخواص وخصوص الخواص .

وإخلاص لِعَوامٍ . هو إخراج الخلق من معاملة الحق مع طلب
الحطوط الدنيوية والأخروية كحفظ الهدن والمال وسعة الرزق والقصور
والحور

وإخلاص لخواص . طلب الحطوط الأخروية دون الدنيوية

وإخلاص لخواص الخواص : إخراج الحطوط الدنيوية ، فعدتهم

(١) الرسالة المشيرية ص ٩٥-٩٦

(٢) إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة ج ١ / ص ٢٥

تحقيق العبودية والقيام بوظائف الربوبية محبة وشوقاً إلى رؤيته ، كما قال ابن الفارض :

ليس سؤلي من الجنان نعيماً غير أنني أحبها لأراكا
وقال آخر :

كلهم يمدون من خوف نار ويسرود لنحة خطاً جزياً
أو بأن يسكروا الجنان فيضحوا في رياض ويشربوا السلسبيل
ليس لي في الجنان والنار رأي أنا لا أبتغي رجبي بديلاً
وقال : والحاصل لا يمكن لخروج من النفس والتخلص من دقائق
الرياء من غير شيخ أبدأ . والله تعالى أعلم (١) .

وأسمى مقاصد الصوفية أن يرتقوا بخلاصهم إلى أرفع الدرجات
ويعبدوا الله مبتغيين وجهه دون أن يقصدوا ثواباً :

فما مقصودهم جنات عدن ولا الحور الحسنات ولا حيم
سوى نظير الحليل ودُّ مناهم وهذا مقصد أقوم الكرام
كما قالت رابعة . ما عديت خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك ،
وإني عبدك لذاتك . فلو لم يكن ثمة ثواب ولا عقاب ، ولا جنة
ولا نار ، لم تأخروا عن عبادتهم ولم اشوا عن طاعتهم لأنهم
يعبدون الله ، ولأن أعمالهم تصدر عن قلب عمّره حبُّ الله وحده ،
وطلبُ قربه ورضوانه ، بعد أن أدركوا نعمة وآلاءه ، وذوقوا برّه
وحسانه .

وليس معنى هذا أنهم لا يحبون دخول الجنة ، ولا يراعون في البعد

(١) « إيقاظ الهمم في شرح المعكم » ج ١ / ص ٢٥ . ٢٦

عن الفار - كما فهم بعض الحمقى من أعداء التصوف -^(١) فهم يكرهون اندر ويحافونها لأنها مظهر سخط الله وغضبه وبغضه ، ويحور الجنة ويطسونها لأنها مظهر حب الله ورصده وقربه ، كما قالت آسية روجه فرعون ﴿رَبِّ اُنِيْ لِىْ عَبْدَكَ بِيْتًا فِى الْجَنَّةِ﴾ [تحریم ١١] فهي قد طلبت العندية والقرب قبل أن يطلب الجنة ، طست لجوار في الدار

وما حُتْ لَديارِ شَعْفَسَ قَلْبِي وَلَكِنْ حَبْ مِنْ سَكَنِ الدِّيَارِ
ولم تكن رغبته في الجنة ، لا لنوا الحب والقرب والرضا منه تعالى

وهكذا عندما ترتفع همة العبد وتسمو طائباته يتوقع عن ملاحظة ل. ثمة البدنية ومناجاة الشخصية ، سواء كانت دنيوية أم أخروية ، ويمضي في جميع عباداته احب والقرب ، وتحقيق بالعبودية الحالصة ، فعلى قدر همة العبد يكون مصليه

ولا نقصد من هذا أن الذي ينبغي من طاعاته وعبادته لتعظيم الأحروري ولنمنع سبائذ لحة ، أو الخلاص من عذاب اندر ، أنه محرف صال ، ولا ندعي أنه محروم من وعد الله ، بل هو مؤمن طائع صالح ، إلا أن مرتبته أدنى من مرتبة أوشت الذين سميت بينهم ، وارتفعت همهم في إحلاصهم لربهم .

قال الإمام السيوطي رحمه الله تعالى : (القدام بالآو مر والنواهي لله

(١) فإ ، بعضهم أحد يبدد بكلام رابعة اندرية ، و تهمها بأنها فقدت الرعة والرهمة وهذا جهل ومغالطة فإنها سم محرج عن حدود لرعه والرهبة ، ولكنها سميت بهم وارتفعت ، فكانت رغبته في رضاء الله وقربه ووجه ، ورغبته من غصه وبيده ، فكلما عظم إيمان المرء ازدادت رهبة وسخط رعه ، وكلما كانت رابعة كثيرة لكاء والحواف والحبيب ١٩

وحده ، لا لحلب ثواب ولا بدفع عقاب ، وهذا حال من عبد الله له ،
خلاف من عبد الله للثواب وحواف العقاب ، فيما عبد ليحظ نفسه ، وإن
كان هو محباً أيضاً ، لكنه في درجة الأبرار ، وذاك في درجة
المصريين (١)

قال الشيخ أحمد زروق رحمه الله تعالى في « قواعد التصوف » :
(نعظيم ما عظم الله متعين ، واحتقار ذلك ربما كان كهر ، فلا يصح فهم
قولهم : [ما عبده خوفاً من ناره ولا صمعاً في حته] على الإطلاق إما
احتقاراً لهما - وقد عصهما الله تعالى - فلا يصح احتقارهما من مسم ،
وإما استغناء عنهما ولا غنى للمؤمن عن بركة مولاه نعم سم يقصدوهما
بالمعادة بل عملوا لله تعالى لا لشيء ، وطبوا به الحنة والسجدة من النار
لا لشيء وشاهد ذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا نَطَعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ ﴾ [الإسراء
٢٩] إذ جعل علة العمل إرادة وجهه تعالى (٢) .

شوائب لإخلاص في أعمال السالك .

قد تدحرج على السالك أفات كثيرة تشوش إخلاصه ، وما هذه الآفات
إلا حجب تعرقل سيره إلى الله تعالى ، لذا كان من الضروري للإشارة
إيها ، وتحذير السالكين من محاطرها ، ثم بيان طريق الخلاص منها
حتى تكون جميع أعمال السالك خالصة لوجهه تعالى .

الحجاب الأول : رؤيته لعمله وإعجابه به وحجبه به عن العمل له
وبالمعادة عن لعبود .

(١) « تأييد الحقيقة النورية » للإمام السيوطي ص ٦١

(٢) « قواعد التصوف » للشيخ أحمد زروق ص ٧٦ .

فالذي يحصله من رؤية عمه علمه بفصل الله تعالى عليه وتوفيقه له ،
وأنه مخلوق هو وعمه لله تعالى . ﴿ وَلِلَّهِ حَقُّكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات : ١٩٦] .
إلا أن له نسبة الكسب فقط

وإذا دق في صفات النفس ، وعلم أنها كما وصفها الله تعالى . ﴿ إِنَّ
النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالشَّرِّ ﴾ [يوسف : ٥٣] أدرك أن كل خير يصدر منه هو محض
فضل من الله تعالى ومنه ، وعندئذ يتذوق معنى قوله تعالى . ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ
اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا كُنْتُمْ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ ﴾ [النور : ٢١] .

فتخلص العبد من رؤية أعماله وعجابه بها يكون بمعرفة نفسه ومعرفة
دخائلها . فليجهد الإنسان في تحصيل هذه لمعرفة .

الحجاب الثاني طلبه انعوض لعمه ، والعوض إما أن يكون في
الدنيا أو في الآخرة .

أما الذي يكون في الدنيا ، فطلب الشهوات المتنوعة ، ومنها شهوة
السمعة واشهره ، وحب الطهور وغير ذلك ، وكذلك طلبه للأحوال
والمقامات والمكاشفات والمعارف .

ولهذا يقول العارف الكبير الشيخ أرسلان رحمه الله تعالى واصحاً كل
ملفت إلى غير مطلوبه ومحبوه ومقصوده (يا أسير الشهوات
والعادات ، يا أسير المقامات والمكاشفات ، أنت مغرور)^(١) وإنما
كان أسيرها لأنها من جملة الأغيار ومن عاصم الخلق ، فاقف عندها
قاطع عن الوصول إلى معرفة خالقها تعالى ، قل تعالى ﴿ وَأَنْتَ عَلَى رَيْكَ
لَمُنَّهِ ﴾ [التجم : ٤٢]

ويقول الشيخ عبد الغني النابسي رحمه الله تعالى معلقاً على كلامه .

(١) « حمرة الحاد وربة الأبحار » ص ١٧٧ .

(إذ لو كنت صادقاً ما التفتُ إلى شهوة أو عبادة ، ولا مقام ولا مكاشفة ، ولأهرذتَ الفصد إياه تعالى وحده دون جميع ما عداه ، ولجَرَدْتَ اعِرم والهمة فيه تعالى ، وتركْتَ ما سواه ثم هل وبفل ابن عطاء الله السكندري في « التتوير في إسقاط التدبير » عن شبحه أبي العباس المرسي رضي الله عنه ، أنه يقول : (لن يصح أنولي إى الله حتى تنقطع عنه شهوة لوصول إلى الله تعالى) ومن كلام بعضهم : (لو رُفعتْ إى ذروة الأكوان وترقيتْ إلى حيث لا مكان ، ثم اغترزتْ بشيء طرفة عين فليست من أولي لألباب) ويقول ابن الفارض رحمه الله تعالى :

قال لي حُسن كل شيء تجلّى . بي تَمَلَّ فقلت قصدي وراءك
فاللثمت إلى حسن لمكونات والمخلوقات ، وانوفوف عندها
عترار وانقطاع (١)

ويقول بعضهم بصحاً من هذه الحالة

ومهما ترى كلّ المراتب تُجتلّى عليك فحل عنها فعرّ مثبها خلّك
ويقول ابن عطاء الله رحمه الله تعالى (ما أرادتْ همّةُ سالِك أن تقف عند ما كشف لها ، لا تادته هواتف الحقيقة : الذي تطلب أمامك) (٢) .

وطلبُ العبد لهذه المقامات وعبرها شهوة خفية ، وذلك إما أن ينالها فيطمئن إليها ، ويُحجب بها عن المقصود ، وإما أن لا ينالها عندهم سار

(١) « حمرة الحان وربه الأنحاء » شرح رساله اشيع أرسلان الدمشقي لعلي ابي الماهليسي رحمه الله تعالى ص ٢٩ .

(٢) « إيقاظ الهمم في شرح المحكم » ج ١ / ص ٥١

إليها ، إلا أنه جعلها عية ، والله تعالى وسيلة ، فيجتهد لتحصيلها فلا يصل ، فيفتر عزمه ، ويقنع ويأس ، وعندئذ يرجع لفهقرى ، إلا إذا لاحظته العباية بإرشاد المرشدين ، فيمكنه التحلص من هذه ابورطة ، وإلا دام منقطعاً ، وانقلب على وجهه خاسراً

وأما طلب لعوض في الآخرة . فدخول الجنة والنجاة من النار .

ونصحیح سيره بأن يعتقد أن دخول الجنة برحمة الله تعالى لا بعمله ؛ فقد روي عنه عليه الصلاة والسلام . « من يدخل أحدكم الجنة بعمله ، قالوا . ولا أنت يا رسول الله ؟ قل . ولا أنا ، إلا أن يتعمدني الله برحمته »^(١) .

فألدي يُخص العبد من طلب العوض على عمله علماً بأنه عبد محض . وأنه لا ينال دخول الجنة والهجرة من النار إلا بفضل الله تعالى . والعبد لا يملك مع سيده شيئاً . إذ عبادته لله تعالى لمحض لعبوديه . فما يانه من الأجر والثواب تفضل وإحسان من الله تعالى في الدنيا والآخرة ؛ وكذلك توفيقه للعبادة . وقد ما شهد هذا التوفيق من جملة نعم الله عليه ، يسارع في شكر الله على هذه النعم ، عندئذ يحلص من طلب العوض لعمله

والحجاب الثالث : رضاه عن أعماله واغتراره بها ، وتخليصه ونقاذه من رضاه بعمله يكون بشيئين :

١- إطلاعه على عيوبه في أعماله ، فقلّ عمل من الأعمال إلا وللشيطان فيه نصيب ، ولدنفس فيه حظ

أما نصيب الشيطان . فقد أرشدنا إليه رسول الله ﷺ ، عندما سئل عن

(١) رواه البخاري في كتاب المرمضين ومسلم في كتاب صفات المنافقين

لنفات لرحل في صلاه ، فقل . (هو اخلاص بخلصه الشيطان من صلاة العبد)^(١)

يقول ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى : (فإذا كان هذا الالتفات طريقة أو لحظة ، فكيف التفت قلبه إلى ما سوى الله تعالى ! هذا أعظم نصيب للشيطان من العبودية)^(٢) .

وأم حظ أنفس من العمل ، فلا يعرفه إلا أهل انصائر من العرفين
٢- عبد العبد بما يستحقه الرب جل جلاله من حقوق العبودية و ذابها لظاهرة والباطنة وشروطها . فلما اجتهد العبد بالليل والنهار لرأى نفسه مقصراً نحوه الله تعالى ، وأين العبد اعاجز الضعيف من خالق الأكوان ؟ لهذا سبّر لنا حضرة الله أن موقف خلقه منه التقصير فقال ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ [الرمر ٦٧]

الخلاصة

إن الإخلاص تصفية العمن من العلل ولشوائب ، سواء أكن مصدرها التعلق بالخلق ، كطلب مدحهم وتعظيمهم والهرب من دمهم ، أو كن مصدرها التعلق بالعمل ، كالاغترار به ، وصب لعوض عنه
لذا فور أهل الهمم العالية أحلصوا دينهم لله ، وسمعوا نداء الله في قلوبهم ﴿ يَقْرِئُوا إِلَى اللَّهِ ﴾ [مديات ٥٠] فاسبحوا بهاتف الحق ، وقال
هذه ملأ له . تركت انفس كلهم ورائي وحنت إليث

(١) روه الحارثي في كتاب بواب صفة الصلاة عن عائشة رضي الله عنها ، ونرمدي في

كتاب أبواب الصلاة وقال : حسن صحيح

(٢) « مدرج السالكين » ج ٢ / ص ٥١ .

الصبر

تعريفه :

عرف العلماء الصبر بتعاريف كثيرة ، وأهمها ما قاله ذو النون المصري رحمه الله تعالى (الصبر . هو التباعد عن المحذورات ، والسكون عند تحرع غصص أبدية ، وإظهار العنى عند حلول الفقر بساحه المعيشة)^(١) .

وما ذكره لراغب الأصفهاني رحمه الله تعالى في مفردته : (لصبر : حبس النفس على ما يقتضيه العقل أو الشرع أو عما يقضيان حسنها عنه)^(٢) .

وما ذكره السيد الجرجاني رحمه الله تعالى في تعريفه : (لصبر . هو ترك الشكوى من ألم ابتلوى لغير الله)^(٣) .

ويعلم من تعريف السيد أن الشكوى لله تعالى لا تُدفي الصبر ، إنما ينهيه شكوى الله إلى غيره ؛ كما رأى بعضهم رجلاً يشكو إلى آخر فاقة وضرورة فقال : يا هذا أتشكو من يرحمك إنى من لا يرحمك ، ثم أنشد :

(١-٢) « شرح رياض الصالحين » لابن علاح ١/ ص ١٩٤ .

وإذا عرّتك بلية فاصبر لها صَبَرَ لِكْرِيمٍ فِيهِ بِكَ أَعْلَمُ
وإذا شكوت إلى ابن آدم إما تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم

أقسامه :

ذكر العلماء لمصبر تفسيمات متنوعة^(١) ، وكلها ترجع إلى هذه الأنواع الثلاثة : صبر على الطاعات ، وصبر عن المعاصي ، وصبر على المصائب

فالصبر على الطاعات . هو الاستقامة على شرع الله ، والمثابرة الدائمة على العبادات السماوية والدنية وانقضية ، ومروسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والصبر على ما يعترض ذلك من أنواع الابتلاء وصنوف المحن ؛ لأن من وَرِثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ دَعْوَتَهُ وَجِهَادَهُ لَا بَدَ أَنْ يَصِيبَهُ مَا أَصَابَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ كَذِيبٍ وَمُحَارَبَةٍ وَأَذًى ، قَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ لُقْمَانَ يوصي ابنه ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ﴾ لقمان [١٧]

وقد أقسم الله تعالى أن السحين هم من تحققوا بصفات أربع الإيمان ، والعمل الصالح ، واصبح للأمة ، ثم الصبر على ذلك فقال تعالى . ﴿ وَلَعَصَى لُقْمَانَ الْإِنْسَانَ لَفِي حَسْرَةٍ ﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَنُؤَاظَمُوا بِالْحَيِّ وَنُؤَاظَمُوا بِالصَّابِرِ ﴿ (العصر)

والصبر عن المعاصي : هو مجاهدة النفس في نزواتها ، ومحاربة انحرافها ، وتقويم اعوجاجها ، وقمع دوافع الشر والفساد التي يثيرها

(١) نظر كتاب « لإحياء » دعواني ، و« قوت القلوب » لأبي طالب السكي ، و« مدارج السالكين » لأبي القاسم ، وغير ذلك من الكتب الموصعة .

لشيطان فيها ، فإدام حادها وزكها وردّه عن عبّها وصل إلى الهداية
 الثامنة ، قال الله تعالى ﴿ وَلَئِنْ جَاهَدُوا بِمَا سَدَيْتُمْ سُبُلَ ﴾ [العنكبوت
 ٢٩] وكان من لمفلحين إشارة لله تعالى بقوله ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ وذكر
 اسم ربه صلى ﴿ [أعلى ١٤-١٥] ، وقوله تعالى ﴿ وَأَمَّا مَنْ حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ
 وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ [الرحمة ٤١] [المرعات ٤١-٤٢]

وأما الصبر على المصائب ، بما أن الحياة الدنيا دار متحد وبنلاء ،
 فإن الله تعالى يحتر إيمان عباده - وهو أعظم بهم بأنواع المصائب ،
 ويُسحصر المؤمنين بصوف المحر كي يحير لحيث من لطيف ،
 والمؤمن من الصافق .

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ أَحْصِبَ النَّاسَ أَنْ يَتَزَكَّوْا أَنْ يَهْتَدُوا بِمَا سَدَيْتُمْ سُبُلَ ﴾ [العنكبوت ٢٩] سوء أكدت هذه المصائب في المال و في
 البدن أو في لأهل ، قال تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ فِي أَنْفُسِكُمْ
 وَأَنْفُسِكُمْ ﴾ [المرور ٨٦] وقال تعالى ﴿ وَتَسْأَلُونَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الْخَوْفِ
 وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّرِّ وَالْضَّرِيرِ ﴾ [الذين ١٥] أصبتهم
 مُصِيبَةً قَالُوا يَا اللَّهُ وَيَا إِلَهَ رَبِّهِمْ صَلِّ عَلَى رُسُلِهِمْ وَرَحِّمَهُمْ

[المرور ٥٦-٥٧]

ولا شك أن المؤمن الصادق يتلقى هذه المصائب بالصبر والتسليم ؛
 بل بالرضا والسرور ، لأنه يعلم أن هذه اسكات من رب عيه من حلفه
 إلا لتكفير ذنوبه ومحو سيئاته ، كما قال عليه لصلاة والسلام :
 يصيب المسلم من نصب ولا وصب ، ولا هم ولا حر ، ولا أذى
 ولا غم ، حتى اشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه (١) . كما أنه

(١) رواد البخاري في صحيحه في كتاب الصبر ، ومسلم في كتاب البر عن أبي سعيد =

يعلم أن هذه السوازل إنما ترفع المؤمنين لصابرين درجات عالية ومنزل رفيعة عند الله تعالى ؛ إذا هو تلقاها بالرضا والتسليم ، كما قال عليه السلام : « إذا سقت للعبد من الله تعالى منزلة لم ينلها نعمته ابتلاه الله في جسده وفي أهله وماله ، ثم صَّره على ذلك حتى يبان المنزلة التي سقت له من الله عز وجل »^(١) .

أهميته وبعض ما ورد في فضله

الصبرُ نصف الإيمان ، وسر سعادته الإنسان ، ومصدر العافية عند البلاء ، وعدة المؤمن حين قدسهم انحطوب وتحقق الفتن وتتوأسى المحن ، وهو سلاح السالك في مجاهداته لنفسه ، وحميها على الاستقامة على شريعة الله تعالى وتجنبها من الاندلاق في مهاوي الفساد والضلال . ولعظيم أهميته يرفع مقامه ذكره الله تعالى في القرآن الكريم في نحو تسعين موضعاً فتارة يأمر الله تعالى به فيقول : ﴿ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا ﴾ [الأعراف ١٧٨] وفي موطن آخر يثني على أهله فيقول : ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي كُنُوسِهِمْ وَالصَّابِرِينَ فِي كُنُوسِهِمْ وَالصَّابِرِينَ فِي كُنُوسِهِمْ وَالصَّابِرِينَ فِي كُنُوسِهِمْ ﴾ [البقرة ١٧٧] وفي بعض الآيات يحبر عن محنته للصابرين فيقول : ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران ١٤٦] وطوراً يبين الله تعالى معيته للصَّابرين معية حفظ وتأيد ونصرة فيقول : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة ٥٣] وفي موضع آخر يحبر عن يجاب الجزاء لهم بعير حسب فيقول :

- وأبي هريرة رضي الله عنه والوصف : المرض .

(١) رواه أبو داود في مسنده في كتاب الحجاب باب الأمراض المكفرة بالذنوب رقم

(٣٠٧٤) عن محمد بن خالد أسلمي رضي الله عنه

﴿ إِنَّمَا يُؤَيِّ الْقَصِيرُونَ أَخْرَجَهُمْ بَغْيَ جَسَابٍ ﴾ [الرعد ١٠] وفي موطن آخر يبين أن لهداة المرشدين قد بالو هذا المقام الرفيع بالصبر فيقول ﴿ وَحَصِّنَا مِنْهُمْ آيَةً يَدُوكَ بِأَمْرِنَا لَعَا صَبْرًا ﴾ [السجدة ٢٤]

ولقد جاءت الأحاديث السوية الكثيرة مؤكدةً فصل الصبر ، وما له من أثر عميق في سعادة المؤمن وتنقيه صدمات الحياه وبوائب الدهر كما تواردت الأخر المستفيضة عن صبر رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وتحمله صنوف الأذى وأنواع الشدائد ، وحياة الرسول ﷺ كلها صبر وجهاد وتضحية .

وهذه نذرة يسيرة من الأحاديث الشريفة .

١- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « ما أعطني أحد من عطاء خيراً وأوسع من الصبر »^(١)

٢- وعن صهيب بن سنان رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « عجباً لأمر لمؤمن ؛ إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن . إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له »^(٢) .

٣- وعن يحيى بن وثاب عن شيوخ من أصحاب النبي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لمسلم الذي يحالط الناس ويصبر على أدهم خير من الذي لا يحالطهم ولا يصبر على أدهم »^(٣)

(١) رواه البخاري في صحيحه ومسلم والنسائي وأبو داود في كتاب البركة ، والترمذي في كتاب البر والصلة

(٢) رواه مسلم في كتاب الزهد والرفاق .

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة

٤- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كأي أنظر إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، يحكي بيا من أنبياء الله ، صر به فومه ، وأدموه ، وهو يمسح الدم عن وجهه وهو يقول : « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون »^(١) .

٥- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا أحد أصبر على أدى سمعه ؛ من الله عز وجل ؛ إنه ليُشركُ به ، ويُجعلُ له الولد ، ويعرفهم ويرفهم »^(٢) .

تحقق الصالحين بالصبر ودعوتهم إليه :

تبع الصحابة رضوان الله عليهم أثر رسول الله ﷺ ، وورثوا عنه لصبر جادّير في شر الإسلام ، بإيمان يعرف اليأس ، وعزيمة لا تعرف الخوَر ، وثبات لا يتطرق إليه التردد .

ثم أخذ التابعون عنهم هذه الروح الإيمانية لصابرة ، وهكذا استقت هذه الروح في كل عصر وزمن إلى يومنا هذا ، فإن عليه لصلاه والسلام « لا تزال طائفة من أمتي طاهرين حتى يأتي أمر الله وهم طاهرون »^(٣) .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء ، ومسلم في كتاب الجهاد والسير .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد ، ومسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم .

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الاعتصام عن المعيرة بن شعبة رضي الله عنه .

قال سيد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما مات ولده الصالح
(إن الله أحب قبضه ، وإني أعود بالله أن تكون لي محبة في شيء من
الأمور يحالف محبة الله) .

ومن أروع الصبر ما وقع للإمام مالك رضي الله عنه حين لدغته عقرب
- وهو يحدث - ست عشرة مرة ، فصار يصفر ويتلو حتى نم المجلس ،
ولم يقطع كلامه تعظيماً لحديث رسول الله ﷺ^(١)

ودخل ذو النون المصري عني مريض يعوده ، فبيما كان يكلمه أن
أنت ، فقال له ذو النون : (ليس بصادق في حبه من لم يصبر على ضره ،
فقال المريض : بل ليس بصادق في حبه من لم يتلذذ بضره)^(٢)

وكان أس شبرمة إذا برل به بلاء فان (سحابة ثم تنفث)
وللصوفية في صبر كلام عجيب ، ومنطق طريف ، فقد سنل لشبلي
عن الصبر فتمثل بقوله :

صبر صبر فاستعاث به الصبر فصار المحب بالصبر صبراً
فله دُرُ الصوفية ، لقد تعرضوا الرصوا الله الأكر في ظلال الصبر ،
وانطلق عنهم وصف الله تعالى في قوله : ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا
لِلَّهِ رَبِّنَا إِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ ﴾ [البقرة ١٥٦] .

فهم لله وإلى الله ، ولذا كانوا جديرين بأن يوفيههم ربهم أجرهم بغير
حساب ، ونعم أجر الصابرين : ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة ١٥٧] .

(١) شرح الرقاني على موطأ مالك ١ ج ١ ص ٣ .

(٢) اللمع ١ ليطوسي ص ٧٧ .

إن مثلهم الأعلى ، وقدونهم في الصبر هو رسول الله ﷺ ، لدي تعرض لصنوف الابتلاء وشتى المحن ، فلم يزد إلا صبراً وثباتاً ، وهذه سمة الأنبياء والرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام

قال تعالى . ﴿ فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَرْشِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [الأحزاب . ٣٥] .

ولقد أوصاه الله تعالى بتحمل مشاق الدعوة وأعباء الرسالة ، وانصر على أدى المشركين بقوله : ﴿ وَصَبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي صَبْرِ مَقَابِمَ كُفْرُونَ ﴾ [سجدة ١٧٧] .

الخلاصة .

إن الصبر صفة لأنبياء ، وحلية لأصفياء ، ومفتاح لحيرات ، وسبل السالكين إلى الله تعالى ، لا ينبغي أن يسالك عنه في أية مرحلة من مراحل سيره ، إذ لكل مقام صبر يناسبه

قال ابن عحية رحمه الله تعالى : (لتصبر حسب القلب على حكمه لرب

فصبر العامة حسب القلب على مشاق الطاعات ورفض المحللات .
وصبر الخاصة حسب النفس على الرياضات ولمجاهدات ،
ورتكب الأهوال في سلوك طريق الأحوال مع مراقبة القلب في دوام الحضور ، وطلب رفع الستور

وصبر خاصة الخاصة : حسب الروح والسر في حضرة المشاهدات ولمعاينات ، أو دوام انطردة والعكوف في المحصرة (١) .

وأخيراً فهذه الصفات الثلاث : الصدق ، لإخلاص والصبر ، هي

(١) معراج الشوف إلى حقائق التصوف ، ص ٦ .

أركان السير إلى الله تعالى ؛ من لم يتبن عليها سيره وسلوكه فهو مقطوع ولو رعم أنه موصوف ، وراقف ولو زعم أنه سائر .

وحقيقة الإحلاص توحيد المطلوب ، كما أن حقيقة الصدق توحيد الطلب ، والصبر على ذلك هو عين الكمال .



الورع

تعريفه ومراتبه :

قال السيد الجرجاني رحمه الله تعالى (هو احساب الشهات خوفاً من الوقوع في المحرمات)^(١) .

وقال العلامة محمد بن علان الصدقي رحمه الله تعالى (هو عند العلماء ترك ما بأس به حذراً مما به بأس)^(٢) .

وقال ابن عجيبة رحمه الله تعالى . (الورع كف النفس عن ارتكاب ما تكره عاقبته)^(٣) .

وتوصيح معنى الورع نين مرتبه التي يسعى طالب الكمال أن يتحقق بها .

صورع العوام - هو ترك الشهات حتى لا يتردى في حماة المحامات ، اتباعاً لإرشاد رسول الله ﷺ في قوله « إن الحلال بين ، وإن الحرام بين ، وبينهما أمور مشتهتة ، لا يعلمهن كثير من الناس . فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه » ، ومن وقع في شبهات وقع

(١) تعريفات السيد ص ١٧٠ .

(٢) « دليل الصالحين شرح رياض الصالحين » ج ٥ / ص ٢٦

(٣) « معراج المشوف » ص ٧

في الحرام ، كإتاعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه . «^(١)

وورع الحواص ترك ما يكدر القلب ويحمله في قلق وحلمة . فأهل القلوب يتورعون عما يهيجس في قلوبهم من الخوصر ، وما يَحْيِك في صدورهم من الوسوس : وقوبهم لصافية أعظم مبه لهم حين يترددون في أمر أو يشكُّون في حكم ؛ كما أشار إلى ذلك رسول الله ﷺ بقوله «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»^(٢) ، «بقوله» الر حسن الخلق ، وإلثم ما حاك في نفسك وكروهت أن تطع عنه لئاس»^(٣) .

وفي هذا يقول سفيان الثوري رحمه الله تعالى . (ما رأيت أسهل من الورع ، ما حاك في نفسك فاتركه)^(٤) .

وورع خاصة الخاصة ^{فرض التعلو} بغير الله تعالى ، وسد باب الطمع في غير الله تعالى ، وعكوف ائهم على الله تعالى ، وعدم الركود إلى شيء سواه ، وهذا هو ورع العارفين الذين يروود أن كل ما يشعك عن الله تعالى هو شوم عليك

قار السلي رحمه الله تعالى (الورع أو تتورع عن كل ما سوى الله)^(٥) .

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان . ومسلم في كتاب المساقاة عن العباس بن بشير رضي الله عنهما

(٢) رواه الترمذي في كتاب صفة القويمه وقال حدث حسن صحيح .

(٣) رواه مسلم في كتاب البر والصلة عن أنس بن مالك رضي الله عنه . حاك في مجاله وتردد

(٤) الرسالة القشيرية ص ٥٤

(٥) لمساته القشيرية ص ٥٤

فضيله :

مما سبق يتضح أن الورع صفة جامعة لكن حصال لكمال ، فلعمد
دخل الحسن البصري رحمه الله مكة فرأى غلاماً من أولاد عبي بن أبي
صائب رضي الله عنه قد أسد طهره إلى الكعبة يعط الناس ، هو فعن عبيه
الحسن وقل (ما ملاك الدين ؟ فقال الورع ، قال : فما آفة الدين ؟
قل : الطمع . فتعجب احسن منه ، وقال : مثقال ذرة من ورع خير
من ألف مثقال من الصوم والصلاة)^(١)

قال ابن عطاء الله السكندري رحمه الله تعالى (ليس يدل على فهم
العد كثرة علمه ، ولا مداومته على ورده ، وإنما يدل على نوره وفهمه
غناه بربه وانحياسه إليه بقبه ، والتحرر من رف لطمع ، ولتحلي بحية
الورع)^(٢)

وليس أدل على منزلة الورع : وأنه رقى أنواع لعبادة من وصية
رسول الله ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه ، حيث قال : يا أبا هريرة كن
ورعاً تكن أعبد الناس^(٣)

ولهذا كان الورع سبيلاً لنيل المنح لإلهية الكبرى ، كما قال يحيى بن
معاد رضي الله عنه (من لم ينظر في الدقيق من الورع ، لم يصل إلى
الجليل من العطاء)^(٤)

(١) رسالة القشيرية ، ص ٥٥

(٢) معراج اشرف ، ص ٧

(٣) رواه ابن ماجة عن أبي هريرة في كتاب الزهد ، باب ورع وانتقوى بإسناد حسن

(٤) رسالته لفشيرية ، ص ٥٤

ولأهمية الورع ، ورفعه منزلة ، وعبو شأنه ، وعظيم أثره ، أشد إليه الرسول ﷺ في أحاديث كثيرة ، نورد هنا بعضها .

١- عن عطية بن عروة السعدي الصحابي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ . « لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين ، حتى يدع ما لا بأس به حذر مما به بأس »^(١) .

٢- عن حذيفة بن ليثان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ . « فضل العزم خير من فصل العبادة ، وخير دينكم لورع »^(٢) .

٣- وروي عن أس رضي الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ . « ثلاث من كن فيه استوجب الثواب واستكمل الإيمان : خُلُقٌ يعش به في الناس ، وورع يحجزه عن محارم الله ، وجلم برؤ به جهل الجاهل »^(٣) .

٤- عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ وجد ثمرة في الطريق فقال . « لولا أنني أحاف أن تكون من الصدقة لأكنتها »^(٤) .

٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال . أحد الحسن بن علي رضي الله عنهما ثمرة من تمر الصدقة ، فجعلها في فيه . فقال النبي ﷺ . « كخ كخ ، ارم بها ، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة ، أو أنا لا محل لنا بصدقة »^(٥) .

(١) رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة وقال . حديث حسن عريب

(٢) رواه الطبراني في « الأوسط » ، والبخاري بإسناد حسن .

(٣) رواه الترمذي كما في « الترغيب والترهيب »

(٤) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الصلاة ، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب

الصلاة .

وإن السادة الصوفية إذ سحقتون بمراتب الورع لمسامية ، إحد
يحيون لما ذكر لصحابة والتابعين ، صوان الله عليهم .

فقد روي أن الصديق رضي الله عنه أكر طعاماً أنه به غلامه . ثم
أحبره العلام أن فيه شبهة ، فما وسع الصديق رضي الله عنه ، لا أن أدخل
يده في فمه ، فقاء كل شيء في بطنه^(١) .

وكذا يقول (كذا يدع سبعين دبراً من إحلال محافة أن تقع في باب
من الحرام)^(٢)

وحمل إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه مسك من العنائم ،
فقبض على مشاقه وقال . (إنما يستفح من هذا ريحه ، وأن كره أن أحد
ريحه دون المسلمين)^(٣) .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : (اشترت إبلاً ، وسقها
إلى الحمى ، فما سمت ، فقدمت بها ، فدخل عمر رضي الله عنه السوق
فراى إبلاً سماناً .

فقال : لمن هذه ؟

فقال : لعبد الله بن عمر

فجعل يقول : يا عبد الله ! بخ بخ .. بن أمير المؤمنين وقال :

ما هذه الإبل ؟

قلت : بن أنصاء « هرة » اشتريتها وعشت بها إلى الحمى بُتعي

ما يتغني المسلمون

(١) أخرجه البخاري في صحيحه باب أيام لجاهلية .

(٢) الرسالة المشيرة ، ص ٥٣

(٣) الرسالة القشيرية ، ص ٥٥

فقال : ارعوا إيل ابن أمير المؤمنين ، اسقوا إيل ابن أمير المؤمنين !
يا عبد الله بن عمر خذ رأس مالك ، واحعل لربح في بيت من
المسلمين^(١)

قال حريمة بن ثابت (كان عمر إذ استعصى عملاً كتب به عهداً
وأشهد عليه رهطاً ، واشروط أن لا يركب برذوناً ولا يأكل نقياً ،
ولا يلبس رقيقاً ، ولا يغتق بابه دون ذوي الحجاب ، فإن فعل شيئاً من
ذلك حلت عليه العقوبة)^(٢) .

وفصته مع روحته معروفة ، يوم اقتصدت لتشتري لخلوى ، وطابته
باشراء فقال من أين لك ثمن الخلوى ؟ قلت . اقتصدت قال رده
ليبت المال فلو احتجت إليه ما اقتصدت وهو الذي كان يحوج لنشبع
رعيته

وكان لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه علام يأويه بقمقم من ماء
مسحوخ يتوصاً منه ، فقلد بخلام يوم (أتته بيهد لقمقم إلى مصبخ
المسلمين فتجعه عنده حتى يسخن ، ثم تأتي به ؟

قال : نعم ، أصلحك الله .

قال : أفسدته عين ؟ قل : فأمر مزاحماً أن يعلي ذلك القمقم ، ثم
ينظر ما يدخل فيه من الحصب ، ثم يحسب تلك الأيام التي كان يعليه
فيها ، فيحمله خطباً في المصبخ)^(٣)

(١) « الرياض النضرة » ج ٢ / ص ٤٧

(٢) « المدينة واسهاية » لانس كثير ج ٧ / ص ٣٥ .

(٣) « سيرة عمر بن عبد العزيز » لابن عبد الحكم ص ٣٧

وقد العلامة المناوي رحمه الله تعالى (وقد رجع ابن المبارك رحمه الله من حرسان إلى الشام في رد قلم استعاره منها . وبعد أن أورد المناوي عدة قصص في ورع للصوفية قال فاضر إلى ورع هؤلاء ، وتشبه بهم إن أردت السعادة)^(١) .

وحكي عن بشر لحافي رحمه الله تعالى أنه حمل إلى دعوة ، فوضع بين يديه طعام ، فجهد أن يمد يده إليه ، فلم تمتد ، ثم جهد فتمتد ثلاث مرات ، فقال رجل ممن كان يعرفه (إن يده لا تمتد إلى طعام حرام ، أو فيه شبهة ، ما كان أغنى صاحب هذه الدعوة أن يدعو هذا الرجل إلى بيته)^(٢)

فما نهج لصوفية في ورعهم إلا اقتداء برسول الله ﷺ وأصحابه الكرام ، وأثر من آثارهم الله تعالى وتمسكهم بهديه ، وتبعية لخوفهم الشديد من أن يقعوا في مخالفة الله تعالى ، لأن من ذاق طعم الإيمان أكرمه الله بالتقوى ، ومن تحقق بالتقوى كان عن الشبهات متورعاً ، ومن الله تعالى حائفاً ولفصلاً راحياً كما قال شه الكرماني . (علامة التقوى الورع ، وعلامة الورع الوقوف عند الشبهات ، وعلامة الخوف الحر ، وعلامة لرجاء حسن الصاعة)^(٣) .

فحنهد أيها انقاريء أن تلحق بأهل الهمم العلة ، وجالسهم لتجانسهم ومن جالس حاس .

* * *

(١) فيص نقدير شرح الجامع الصغير ج ٥ / ص ٥٢

(٢) للمع للطوسي ص ٧١ .

(٣) طبقات الصوفية للسلمي ص ١٩٢

الزهد

تعريف الزهد :

قال ابن لحلاء (الزهد هو الضر إلى الدنيا معين الروا لتصعر في عينك فيسهل عليك الإعراض عنها)^(١)

وقيل (الزهد عروف أنتس عن الدنيا بلا تكلف)^(٢)

وهل الإمام الحنيد رحمه الله تعالى (الزهد استصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب)^(٣) .

وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى . (الزهد فرغ القلب من الدنيا لا فرغ اليد ، وهذا زهد العارفين ، وأعلى منه زهد المقربين فيما سوى الله تعالى من دينا وجنة وغيرهما ، إذ ليس لصاحب هذا الزهد إلا الوصول إلى الله تعالى والقرب منه)^(٤)

فالزهد تمرغ القلب من حب الدنيا وشهواتها ، ومتلاؤه بحب الله ومعرفته . وعلى قدر نحصن لقلب من تعلقاته بزخارف الدنيا ومشاغلهها يزداد الله تعالى حمأ وله توجهاً ومراقبة ومعرفته ، ولهذا اعتبر العارفون

(١) « الرسالة القشيرية » ص ٥٦

(٢-٣) « الرسالة القشيرية » ص ٥٦

(٤) « لمحات اوهسه شرح لأربعين حديث النبوه » للشبح براهيم لشيرخيتي

الزهد وسيلة للوصول إلى الله تعالى ، وشرطاً سبيل حبه ورصده ، وليس غاية مقصودة لذاتها

مشروعية الزهد :

نفى بعضهم وجود الزهد في الإسلام نفياً قاطعاً ، واعتبر الزهد بدعه دحيلة على الدين ، نسربت إليه عن طريق ارهسة انصرابية أو النسب الأعجمي ، ولا شك أن موقفهم هذا تسرع في لحكم مع جهل بحقيقة الإسلام . فو رجع هؤلاء لمكرونا إلى أحاديث رسول الله ﷺ لوحدوا أنه عليه الصلاة والسلام يدعو إلى لزهد صراحة ، ويعتبر الزهد وسيلة لتبيل محبة الله تعالى . فقد روى سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال : جاء رحن إلى رسول الله ﷺ فقل يا رسول الله دُلّني على عمل إذا عملته أحسن الله وأحسن الناس قال له : زهد في الدنيا يحبب الله ، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الله .

ثم إن كل مسلم حين يتصفح كتاب الله تعالى ، يجد كثيراً من الآيات الكريمة تصغر من شأن الدنيا وتبين حقارتها وسرعة رواها ، وانقضاء عيمها ، وأنها دار انغور ، وفئة العافلين : ومقصود الحق من ذلك أن يرهد لاس فيها بإخراج حها من قلوبهم حتى لا تشغلهم عما خلقوا له من معرفة الله تعالى وإقامة ديه . قال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ [الروم ٦٠] .

وقال أيضاً ﴿ وَمَاهِدِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنْ إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَبَارِئُ الدَّارِ الْآخِرَةِ نَهَى الْحَيَاةُ الدُّنْيَا كَأَنَّا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة ٦٤]

وقال تعالى : ﴿ أَلْعَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف ٤٦] .

وهكذا سدّ الآيات الكريمة التي بصرب على هذا التوتّر ويرمي إلى هذا الهدف العظيم .

وإذا ستعرضنا سيرة رسول الله ﷺ نجده كثيراً ما يوجه أصحابه إلى الحروف عن الدنيا والزهد في ربحها ، وذلك بتصغير شأنها وتحقير مفاتيحها . كل ذلك كي لا تشعلهم عن أهمية العظمى التي تُخلقوا من أجبها ، ولا تقطعهم عن الرسالة المقدسة التي يحملونها .

فتارة يسر أن الله تعالى جعل الدنيا زينة لنا ابتلاءً واحتشاراً لينظر هل نتصرف فيها على نحو ما يرصيه أم لا ؟ فيقول عليه الصلاة والسلام : « إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله تعالى مسحقكم فيها ، فسطر كيف تعملون ، فاتقوا الله ، واتقوا لسيئه » (١) وتارة يسه الرسول عليه الصلاة والسلام أصحابه إلى أن لديه صل دائل ومتعة عاربه ، حتى لا يركنوا إليها فتقطعهم عن الله تعالى . عن ابن عمر رضي الله عنهما قل : أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال : « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر مسير » ، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول : إذ أمسيت فلا تنتظر اصباح ، وإذ أصبحت فلا تنتظر مساء ، وخذ من صبحتك لمرضك ومن حياتك لموتك (٢)

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : نام رسول الله ﷺ على حصير

(١) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والنداء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وتام الحديث « فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء »

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الوفاق .

فقام وقد أثر في حبه ، فقلنا ما رسول الله هو اتخذنا لك وطاء . فقال :
« ما لي ولدينا ، ما أن في الدنيا إلا كراكب ، استظل تحت شجرة ، ثم
راح وركبها »^(١) . ودره ينير الرسول ﷺ إلى حقارة شأنها في نظر الحق
سبحانه فيقول : « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ، ما سقى
كهرأ منها شربة ماء »^(٢)

وهكذا سار الرسول عليه الصلاة والسلام هو وخلفاؤه وأصحابه
لكرام على هذا المصنع الكريم ، فعرفت نفوسهم عن الدنيا ، ورهدت
قلوبهم فيها

مرت بهم فترات من الفقر والشدة وانمحى فما اردادوا إلا صبراً
وتسليماً ورضاء بحكم الله تعالى ، ثم جاءتهم لبص صاعرة ، ولقب
بين أيديهم حرانها ومصلدها فاحتذوها سُلماً للآخرة ووسيلة إلى
رضوان الله تعالى ، دون أن تسعل قلوبهم عن الله تعالى وطعته ، أو
توقعهم في لترف والبطر ، أو الكبر والغرور ، أو لشع ولشغل فقد
خرج أبو بكر رضي الله عنه عن ماله كله في سبيل الله ، فقال له
رسول الله ﷺ : « ما تركت لأهلك ؟ قال : تركت الله ورسوله »^(٣)

وأم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فهو صاحب البد الطولى في هذا
لمصمار ، ويذله ورهده نصرب الأمثال .

وأم عثمان رضي الله عنه فهو الذي جهز جيش العسرة ، وأنفق عليه

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد ، وقال : حديث صحيح

(٢) رواه الترمذي في كتاب الزهد عن سهل بن سعد الساعدي . وقال : حديث حسن

صحيح

(٣) رواه أبو داود في كتاب البركة والترمذي في كتاب المناقب عن عمر بن الخطاب

رضي الله عنه . وقال : حديث حسن صحيح

من ماله ، غير مكترث بعظم هذه الصفات بجانب رضاء الله ، ولبالغ
تضحيته وإيثاره وعزوفه عن الدنيا قل رسول الله ﷺ في حقه : « ما صرَّ
عثمان ما عمل بعد اليوم » (١) .

وكتب السيرة طافحة بأحاديث رعد الرسول ﷺ ورعد أصحابه الكرم
رضوان الله عليهم ، ويضيق لمجال عن التفصيل ، ويكتفي بذكر السد
ليسيرة التالية :

عن يافع قل سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول . (والله
ما شمل النبي ﷺ في بيته ولا حارح بيته ثلاثة أثواب ، ولا شمل بكر
في بيته ثلاثة أثواب ، غير أبي كعب أرى كسبهم إذا أحرموا ، كان لكل
واحد منهم ثمر ومشمول لعلها كلها شمس درع أحدكم ، والله لقد رأيت
لبي ﷺ يرقع ثوبه ، ورأيت أبا بكر يخلل بالعباءة ، ورأيت عمر يرقع
حسه برفاع من آدم وهو أمير المؤمنين ، وبني لأعرف في وقتي هذا من
بحيز المائة ، وبوشنت لقلبي الفجر (٢)

وقالت حمصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهم لعمر : يا أمير
لمؤمنين لو لست ثوباً هو ألين من ثوبك ، وأكلت طعاماً هو ألين من
طعامك ، وهد وسع الله من أرزقي وأكثر من الخير ، فقال : بني
ما حصمت إني نفسك ، ألا تذكرين ما كان رسول الله ﷺ يلقى من شدة
لعيش ؟ فما زان يدكرها حتى أبكها ، فقال لها أما والله لئن استطعت
لأشركهما في مثل عيشهما أشد يد علي أترك معهما عيشهما
الرخي (٣)

(١) رواد الترمذي في كتاب المثل عن كثير مولاي عبد الرحمن بن مسرة .

(٢) « تاريخ عمر بن الخطاب » لابن الجوري ص ١٠٢

(٣) « تاريخ عمر بن الخطاب » لابن الجوري ص ١٠٤

وعن قتادة رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أيضاً عن الناس يوم الجمعة ، قال : ثم خرج فاستنذر إليهم في احتشاده وقال (إنما حبسني غسل ثوبي هذا ، كن تغسل ولم بكر لي ثوب غيره)^(١) . وما حياة لرسول ﷺ وأصحابه الكرام إلا القدوة لعملية لكامله التي سار المؤمنون الصادقون على نهجها فكانوا مثلاً للرهدة والعمدة والظهير والاستقامة .

تصحيح مفهوم الزهد :

من تعريفات الزهد الساذجة الذكر ويبذل مشروعيته يتصحح زُ الزهد مرتبة قلبية ، إذ هو إخراج حب الدنيا من القلب . بحيث لا ينتهت الراهدة إليها بقية ، ولا يشغل بها عن إلتغايه شيء بحقه الله من أجلها . وليس معنى الزهد أن يتحلَّى المؤمن من عن الدنيا فيفرغ يده من المال ، وسرك الكسب لحلال ويكون عالة على غيره .

وقد أوضح رسول الله ﷺ المقصود الحقيقي من الزهد حين قال « الزهادة هي أن لا يلبس لست بتحريم الحلال ولا بضاعة المال ، ولكن الزهادة أن تكون بما هي يد الله تعالى أوثق منك بما هي يدك ، وأن تكون في ثواب لمصيه إذا أصبت به أرعب منك هيبها أو أنها أبعيث لك »^(٢) .

قل العلامة السماوي رحمه الله تعالى معلقاً على هذا لحديث : (فليس الزهد تجنب المال بالكلية بل تسوي وجوده وعدمه ، وعدم

(١) تاريخ عمر بن الخطاب ٤ ص ١٠٢ .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد عن أبي ذر رضي الله عنه ، وقال حديث عريب

تعقده بلقلب إليه ، فقد كان رسول الله ﷺ قدوة لراهمدين ، يأكل لحوم
والحلوى والعسل ، ويحب النساء والطيب والثياب الحسنة ، فخذ من
الطيبات بلا سرف ولا مخيلة ، وإياك وزهد الرهدين ^(١) .

وهكذا فهم اسادة الصوفية أن الزهد مرتبة فلبية قال عمرو بن
عثمد لمكي (أعلم أن رأس الزهد وأصله في القنوت هو احتقار الدنيا
واستصغارها ، وانظر إليها بعين لقلة ، وهذا هو لأصل لدي يكون منه
حقيقة الرهد ^(٢) .

وقد عبر سيدي عبد القادر الجيلاني قدس الله سره عن مفهوم الرهد
الحقيقي تعبيراً واضحاً جامعاً حين قال : (أخرج الدنيا من قلبك وضعها
في يدك أو في جيبيك ، فإنها لا تصيرك) ^(٣)

وفي هذا المعنى قال بعض العارفين : (لس الزهد أن تترك الدنيا من
يدك وهي في قلبك ، وإنما الزهد أن تتركها من قلبك وهي في يدك)
وهذا عرف ابن عحية الزهد بقوله (هو نحو القلب من استعق بعير
الرب) ^(٤) .

وقد بين الإمام الرهري رحمه الله تعالى أن من معاني لرهد الحقيقي
أن شكر الله تعالى على ما رزقك من الحلال ، وأن يحبس نفسك عن
صلب المحرم قاعاً بما قسم لك من لروق ، فها حين سئل عن زهد
المسلم (هو أن لا يعلب الحلال شكره ، ولا المحرم صبره) ^(٥) .

(١) « فيص المدير شرح الجامع الصغير » للمناوي ج ٤ / ص ٧٢

(٢) « صفات الصوفية » بدلي ص ٢٠٣ .

(٣) « الفتح الرباني » للشيخ عبد القادر الجيلاني

(٤) « معراج المشوف » لابن عحية ص ٧

(٥) « النهاية في غريب الحديث » لابن الأثير مادة (زهد)

وقد أوضح العلماء أن المقصود من ذم الدنيا لورده في الآيات
الكريمة والأحاديث الشريفة ليس دماً لذتها ، وإنما هو تحذير من
الانشغال القلبي بها ؛ بأن يجعلها المؤمن عاية يسعى إليها بكل
إمكانياته ، ناسياً غايته الأساسية ، وهي الفوز برضاء الله تعالى . فعمت
الدنيا مطبة المؤمن ووسيلة إلى التقرب إلى الله تعالى ، ويشتت الدنيا إذا
كاتب معبوده . وفي هذا المعنى قال العلامة المناوي رحمه الله :
(فالدنيا لا تُدَمُّ لذاتها فإنها مزرعة لآخرة ، فمن أخذ منها مراعيّاً
للقوانين الشرعية أعانته على آخرته ، ومن شَمَّه قيس لا تتركه إلى الدنيا ،
فإنها لا تنقى على أحد ، ولا تتركها فإن الآخرة لا تنال إلا بها)^(١) .



طريق الوصول للزهد

بما أن الزهد مقام قلبي رفيع المنزلة ، لأنه تفرغ القلب من التعلق
سوى الله تعالى ، كان الوصول إليه أمراً هاماً يحتاج إلى جهود كبيرة
ووسائل ناجعة ، وأهمها صحبة المرشد الذي يأخذ بيد المريد ، ويرسم له
الطريق الصحيح ، وينقده من مرحلة إلى مرحلة بحكمة ودراية ، ويجنبه
مزالق الأقدام .

فكم من أباة أخطأوا لطريق جعلوا لهد غاية ، ولبسوا اسرف من
الثياب ، وأكلوا الرديء من الطعام ، وتركوا الكسب الحلال ، وحسدوا
أهل المال ، وقلوبهم مفعمة بحب لذيذ ، وهم يحسبون أنهم راضون
وم وقعوا في ذلك إلا لأنهم ساروا بأنفسهم بعيدين عن صحبة الدليل

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير ، ج ٣ / ص ٥٤٥

الخبير ، وفي هؤلاء يقرب لساوي رحمه الله تعالى : (فالزهد فرع النفس من الدنيا لا فرع اليد منها ، وقد جهل قوم فظنوا أن الزهد تحبب الحلال ، واعتزلوا الناس ، فضيعوا الحقوق ، وقطعوا الأرحام ، وحققوا الأثام ، واكتمهزوا في وجوه الأغنياء ، وفي قلوبهم شهوة العنى أمثال لجبل ، ولم يعلموا أن الزهد إنما هو دلقة ، وأن أصله موت الشهوة لقلبية ، فما اعتزلوه بالحوارج ظنوا أنهم استكملوا لزهد ، فأداهم ذلك إلى الطعن في كثير من الأئمة)^(١) .

وكم من أناس أفلو عنى الدنيا ومدتها فشعلت قلوبهم بحبها ، وعمرت أوقانهم بجمع حطامها وهم يرفعون أنهم يحققوا الزهد القلبي ، وأبهم فهموا الزهد عنى حقيقته ، ولو كان هؤلاء طبيب قبي صبح ، يكون لهم مرآة صادقة ، لكشف لهم حقيقة وصفهم ، ولأرشدهم إلى سبل الوصول إلى حقيقة الزهد .

ويسغى الإشارة إلى أن المرشدين قد يصمون لبعض دلائلهم نوعاً من المحاهدات بعية تفرع قلوبهم من التعلقات الدنيوية . من باب العلاج لصروري الموت ، فطلبون منهم أكل اليسير من الطعام ، أو لبس البسط من الثياب لإحراج حبهم من قلوبهم ، أو بدعوتهم المبذل السحي والعطاء الكثير بغية اقتلاع صفة الشح والتعلق بأشياء من قلوبهم ، وهذه الأنواع من المعدلات ضرورية ودعة ما دامت برأي المرشد وإشرافه ، فهي ليست عدية لذاتها ، بل هي وسيلة مشروعة للوصول إلى الزهد القلبي الحقيقي .

(١) فيص العبد شرح الجامع الصغير ج ٣ / ص ٧٣

وما أكن الرسول ﷺ للأطعمة البسيطة ، وربعد الحجر على بطنه الشريف من الجوع - دعم أن الجدل عرست له أن تكون ذهباً - لا لبيان مشروعية هذه الأعمال

وفي هذا قول الإمام لجنيده رحمه الله تعالى ، وهو تربتي على يد تشاخي من العارفين (ما أحذا انتصوف عن القيل والقل ، لكن عن الجوع وترك الدنيا ، وقصع المآلوفات والمستحسّات ، لأن انتصوف هو صفة المعاملة مع الله تعالى ، وأصله التعرف عن الدنيا كما قال حارثة : عرفت نفسي عن لذي فأسهرت ليلي وضمت هادي)^(١)

وقد كان المرشد الكبير سيدي عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالى يوجه تلامذته في ددى سيرهم أن يحاهدو أنفسهم ويروصوها على لاحتيشدن والصبر ولتقشف ثم بعد ذلك ينقلهم إلى مراتب الرهد القلبي حين يستوي عندهم لأحد والعطاء والفقر والعلى ، وتفرع قلوبهم من سوى الله تعالى .

وقد لفت السادة الصوفية الأذهان إلى أمور تساعد على التحقق بمقام الرهد منها :

١- العزم بأن الدنيا حل زائل وحيال رهتر ، والرحيل منها إلى دار البقاء ، إما إلى نعيم وإما إلى عذاب ، فيرى لإسباب نتيجة أعماله ، ن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قول . أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ : ﴿ أَتَهَنُّكُمْ أَتَتَكَثَّرُ ﴾ [سكتر ١١] قال . « يقول ابن آدم . مالي مالي ،

(١) « طبقات الصوفية » بلسمي ص ١٥٨ .

وهي لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفريت ، أو بست فأفريت ، أو
تصدققت فأمصت^(١)

وقال أبو المواهب لشدلي رحمه الله تعالى (عبادة امرئ مع
محبه للدنيا شغل قلب وتعب جوارح ، فهي وإن كثرت قليلة عند الله
تعالى) .

٢- لعلم بأن ورءها دأ أعظم منها قدر ، وأحل حطراً ، وهي در
اللقاء ، قل تعالى ﴿ قُلْ مَنْعُ لَدُنِّيَ قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ أَنْفَى ﴾ [الباء ٧٧]
وبذا وهو أتناهم للإعرص عن الدنيا ، والتطلع لى الحياة الآخرة ،
للى الحنة وتعيمها وارغبة في الله تعالى . فسرو سيرة ، صحابه واسلف
لصالح رضي الله عنهم في التصحية ولايثر ومجاهدة انفس ومعدية
لهوى دور أن ستهويهم رحارف الحياة الزائلة
وكان شعارهم قول بعضهم :

لا تطرأ إلى القصور العائرة والذكر عصامك حين تسمي ناحرة
وإذ ذكرت رحارف الدنيا فقل بيت إب العيش عيش الآخرة
٣- اعلم بأن رهد المؤمنين في الدنيا لا يمنعهم شيئاً كتب لهم ، وأن
حرصهم عليها لا يحجب بهم ما لم يُعص لهم منها ، مما أصيهم لم يكن
ليحطتهم ، وما أخطأهم لم يكن ليصبيهم

الخلاصة :

وصفوة القول الرهد مقدم دفع لأنه سب لمحة لله تعالى ، ولذا
دعا إليه لكتاب والسنة ، وأشاد بفضل أئمة الدين ، قل لإمام اشاعبي

(١) رواه مسلم في كتاب الرهد

رحمه الله تعالى : (عليك بالزهد ، فإن الزهد على لراهد أحسن من المحلي على الناهد)^(١) .

ولذلك فإن أسادة لصوفية قد تحققوا بالزهد وتدرجوا في مراتبه لني أشار إليها ابن عجيبة بقوله : (فرهد العامة ترك ما فصل عن الحاجة في كل شيء ، وزهد الخاصة : ترك ما يشغل عن التقرب إلى الله في كل حال ، وزهد خاصة الخاصة ترك لظن إلى ما سوى الله في جميع الأوقات إلى أن قال والزهدي سبب أسير والوصول ، إن لا سير لنقلب إذا تعلق بشيء سوى المحبوب)^(٢) .

وقد وصف الإمام ابن تومر رحمه الله تعالى هذه الفئة الصالحة من الأمة فقال :

إِنَّ اللَّهَ عِبَادًا فُطِنُوا	بَطَلُوا ثَابًا وَخَافُوا ائْتَمُوا
نَظَرُوا فِيهِمَا فَمِمَّا عُلِمُوا	أَنَّهُمَا لَيْسَ لِحَيٍّ سَكَا
حَلَلُوا نَجَّةً وَاتَّخَذُوا	صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهِ مَنَافَا ^(٣)



(١) « فبص المدير شرح الجامع الصغير » ج ٤ / ص ٧٣ .

(٢) « معراج لتشوف » لابن عجيبة ص ٧ .

(٣) « رياض الصالحين » للإمام سوري ص ٣ .

الرضا

تعريفه :

عرف لعلماء الرضا تعريفات متعددة ، وكل واحد تكتم على حسب مشربه ومقامه ، وأهمها ما قاله السيد في تعريفاته : « لرضا : سرور القلب بمُرّ القضاء »^(١) .

وقال ابن عجيبة رحمه الله تعالى : « الرضا ، تنقي المهالـث بوجه ضحك ، أو سرور بوجهه لقلب عند حلول القضاء ، أو برك الاختيار على الله فيما دبر وأمضى . (أو شرح الصدر ورفع الإنكر بما يرد من الواحد القهار) »^(٢)

وقال العلامة البركوي رحمه الله تعالى : « الرضا ، طيب لنفس بما يصيبه ويموته مع عدم التعبير »^(٣) .

وقال ابن عطاء الله أسكندري رحمه الله تعالى « الرضا بظر القلب إلى قديم اختيار الله تعالى لعبده ، وهو برك التسخط »^(٤)

وقال المحاسبي رحمه الله تعالى « الرضا سكون القلب تحت مجاري الأحكام »^(٥)

(١) « تعريفات السيد » ص ٥٧ .

(٢) « معراج انشوف » ص ٨ .

(٣) « شرح لطريقة المحمدية » لـ « نالسي » ج ٢ ص ١٠٥ .

(٤) « الرسالة المشيرية » ص ٨٩ .

(٥) « الرسالة المشيرية » ص ٨٩ .

فالرضا مقام قلبي ، إذ تحقق به المؤمن استطاع أن يسقى نوائب الدهر وأنوح لكورث بإيمان راسح ، ونفس مطمئنة ، وقب ساكن ، بل قد يترقى إلى أرفع من ذلك فيشعر بالسرور والفرحة بمر القضاء ، وذلك نتيجة ما تحقق به من المعرفة بالله تعالى ، وأحب الصادق له سبحانه

فصله .

هو أسمى مقاماً وأرفع رتبة من الصبر ، إذ هو اسلام الروحي الذي يصح ما عارف إلى حب كل شيء في لوجود برصي لله تعالى . حتى أقدر الحياه ومصائبها ، يراها حيراً ورحمة ، ويتأملها بعين الرصد فصلاً وبركة .

كان بلال رضي الله عنه يعاني سكرات الموت وهو يقول :
« وافرحتاه غدألقى الأختة ، محمداً وصحبه »^(١)

وقد بين الرسول ﷺ أن الراضي بقضاء الله هو أعسى الناس لأنه أعظمهم سروراً وطمناً ، وأبعدهم عن الهم والحزن والسطح ولصجر ، إذ ليس لعنى بكثرة المال إنما هو بعنى القس بالإيمان ولرضا ، فإن عليه الصلاة والسلام « إنو المحارم تكن أعبد لناس . ودرص بما قسم الله لك تكن أغنى لناس ، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً ، وأحب للناس ما تحب نفسك تكن مسلماً ، ولا تكثر لصحت فإن كثرة الصحتك تميت القلب »^(٢)

(١) «السيرة النبوية» لأحمد ربي دحلان . ص ٢٤٢ .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وقال : هذا حديث

وأوضح الرسول ﷺ أن الرضا سبب عظيم من أسباب سعادة المؤمن لدنيوية والأخروية ، كما أن السخط سبب لشقاء في الدنيا والآخرة فقال : (من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله له ، ومن شقاوة ابن آدم تركه استحارة الله تعالى ، ومن شقاوة من آدم سخطه بما قضى الله تعالى له)^(١)

ولقد كانت نعمة الرضا من العوامل في تلك السكينة التي شملت قلوب العارفين ، ومن أقوى الأسباب في محق نزع اليأس لني بوحدها التفكير في عدم الحصول على حظوظ الحدة وملذاتها ؛ مما يحس لصاحبه القلق والحيرة والاضطراب .

ولقد كان من هديه ﷺ أن يُعلم أصحابه ويعرس في قلوبهم الرضا بالله تعالى رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً ، وكان يسبهم لتكرارها فيقول (من قال إذا أصبح وأمسى رصباً لله رباً وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً ، كان حقاً عني الله أن يرصه)^(٢) ، فكانوا يحرصون على تكرارها صباحاً ومساءً ، يُعربون بذلك عما تكفه قلوبهم من نعيم الرضا بالله والسليم له .

وما أكثر من يكرر هذا القول بسببه ، وهو غير مصمم القلب به ، ولا متدبر لمعانيه السامية ، ولا محقق بمقاصده العلية ، خصوصاً حين تردحم عليه المصائب ، ويدهمه الخطوب ، وتكاثف على قلبه

(١) أخرجه الترمذي في كتاب القدر عن معمر بن أبي وقاص رضي الله عنه وقال . حدث عريب

(٢) رواه أبو داود في باب ما يقول إذا أصبح عن أس بن مالك رضي الله عنه ورواه الترمذي في كتاب الدعوات

طمعت الهموم و لأكدار . أو عندما يدعى إلى حكم من أحكام الشرع
يحانب هواه ويعارض مصالحه الخاصة .

لهذا نرى أن زودته باللسان فحسب لا يفيد صاحبه إذا لم يسع من
قلبه حيث إن من لورم الرضا بالله تعالى راءاً ، لمص بكل عمله في
شؤون خلقه ، من إعطاء ومنع وخمصر ورفع ، وصر ورفع ، ووص
وفطع

ومن لو زم الرضا لإسلام دياً أن يتمسك بأوامره ويتعد عن براهيه ،
وستنسم لأحكامه ولو كان في ذلك محاولة لهوى نفسه ، ومعارضه
لمصالحه الخاصة .

ومن لورم الرضا سيدن محمد ﷺ نبياً و سولاً أن سخذ شخصه
مثلاً أعلى وأسوة حسنة ، فيتبع هديه ، ونفسي أثره ، وسجلي سنه ،
ويجاهد هواه حتى يكون تعالماً حاء به ، وحتى يكون أحب إليه من والده
وولده ونفسيه والناس أجمعين ، كما دس إلى ذلك عليه لصلاه ولسلام
« لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس
أجمعين »^(١) .

وإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لنبي ﷺ : « أنت
يا رسول الله أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال : « لا والذي
نفسى بيده حتى أكون أحب إلي من نفسي » . فقال له عمر : فإنه لأن
والله لأنت أحب إلي من نفسي ، فقال النبي ﷺ : « الآن يا عمر »^(٢)

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان - باب برسول من الإيمان عن أبي
هريرة وأنس رضي الله عنهما

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الأيمان والدور باب كيف كانت يعبر النبي ﷺ
ج ٨ ص ١٦٠ ، ورواه أحمد في المسند ج ٤ / ٢٣٣

فمن رضى بالرضا بالله تعالى رياً ، وبالإسلام ديناً ، وسدد محمد
سياً ورسولاً ، ذاق طعم الإيمان ، ووجد حلاوة اليقين ، ونال السعادة
الأبدية ، قال عليه لصلاة والسلام . « ذق طعم الإيمان من رضى بالله
تعالى رياً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً »^(١) .

أما من حُرِمَ لهذه الإيمان وبعيم لرضا ، فهو في قلوب واضطراب ،
وتصجر وعذب ، وخصوصاً حين يحل به بلاء ، أو تزل به مصيبة ،
فتسود الحياة في عييه ، وبطم لذي في وجهه ، وبضيق به الأرض على
رحبها ، ويأتيه الشيطان ليوسوس له ، أن لا خلاص من همومه وأحزانه
إلا بالانتحار . وكم سمع عن حوادث الانتحار ، تزدد نسبتها ، ويتفاقم
خطرها وخصوصاً في البلاد لكفره الملحدة ، وفي المجتمعات المارقة
التي انحسر عنها ظل الإسلام . وعما فيها نور الإيمان ، وهم الذين
عابهم الله تعالى بقوله ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ دِكْرِي فَبِئْسَ مَئِشَّةً هُنَا ﴾
وَتَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ﴾

تصحيح الأفكار في موضوع الرضا

هناك شبهات ، أثارها بعض الجهلة حول موضوع الرضا ، وما سببها
إلا جهلهم وعدم تدقيقهم لهذا المقدم الرفيع ، والإنسان عدو ما يجهل .
أو يكون مرذوها أنهم رأوا أناساً من أدعياء التصوف ، فاعتبروا أحوالهم
الفاسدة ومفاهيمهم لمحرقة حجة على التصوف ، دون أن يفرقوا بين
السادة لصوفية الدين وتحققوا بالإيمان والإسلام والإحسان ، وبين

(١) رواه مسلم والترمذي في كتاب الإيمان عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه

الدخلاء من أدعياء التصوف وإليك بعض هذه اشبهت مع الرد عليها
أولاً . أنكر جماعة الرضا من أصبه فقالوا . لا يتصور لرضا بما
يخلف الهوى ، وإنما يتصور الصبر فقط . فهل يعقل أن لا يحس
الإنسان بألم المصائب ، ولا يشعر بوقع الخطوب ؟^(١)

والجواب : إن الراضي قد يحس باللاء ، ويتألم لمصيبة يحكم
الطبع ، ولكنه يرضى به بعقله وإيمانه . لما يعتقد من عظم الأجر
وجزالة الثواب على اللاء . فلا يعترض ، ولا يتضرع . قال أبو علي
الدقاق : (ليس انرض أن لا تحس باللاء ، إنما الرضا أن لا تعرض
على الحكم والقضاء)^(٢) .

ومثله في ذلك مثل للمريض لذي يحس بألم حقنة الدواء ، ويشعر
بمرارة لعلاج ، ولكنه يرضى بذلك لعلمه أنه سبب الشفاء ، حتى إنه
ليفرح بمن يقدم له الدواء ولو كان من أشد المذاق كراهية الرخصة

قال عمر رضي الله عنه : *تَدْمَأُ بِشَيْئٍ سَبِيلُهُ إِلَّا كَانَ اللَّهُ عَلَيَّ فِيهَا أَرْبَعُ*
بَعَمَ . إِنْ سَمَّ نَكْسٌ فِي دِينِي ، وَإِذْ لَهُ أَحْرَمُ الرِّضَا ، وَإِذْ لَمْ يَكُنْ أَعْظَمَ ، وَإِذْ
رَجَوْتُ الثَّوَابَ عَلَيْهَا)^(٣) .

ومن ناحية أخرى : إن الراضي قد يحس بألم المصيبة يحكم الطبع ،
ويكنه يرضى بها حين يرجع إلى إيمانه بصف الله تعالى وحكمته ، وأن
وراء كل فعل من أفعاله تعالى حكماً حمياً . ولطائف دقيقة ، كما قال
تعالى : ﴿ فَسَيُؤْتِيهِمْ أَزْوَاجَهُمْ وَإِيجَالَهُمْ وَجَنَّةً كَثِيرًا ﴾

[النساء : ١٩] .

(١) الرسالة لقشيرية ص ٨٩

(٢) شرح الطريقة المحمدية ج ٢ ص ١٠٥

وبذلك يضمحل حزنه ، ويروى تعجبه ، ويعلم أن تعجبه كتعجب موسى عليه السلام من لخضر عليه السلام ، لما حرق سفينة الأيتام ، وقتل لعلام ، وأعاد بناء لجدر ، فلما كشف الخضر عن الحكمة التي اطلع عليها ، زان تعجب موسى عليه السلام ، وكان تعجبه بناء على ما أحفي عنه من تلك لحكمه ، وكذلك أفعال الله تعالى

ومن حجة ثالثة : إن المؤمن الذي عمرت محبة الله تعالى قلبه ، وأخذت عنده محامع به لا يحس بوقع المصيبة ، ولا يشعر بالمها . كما قيل :

فما لجرح إذا أرساكم أسم

ولا شك أن المصحة لا يحس بهد إلا من دافها

لا يعرف الوجد إلا من يكبد / ولا الصبابة إلا من يعاينها

ولذلك يكرها من لم يصل إليها

قال عامر بن قيس (أحببت الله حاً هو عني كل مصيبة ، ورضائي بكل بليّة ، فلا أنسى مع حي إياه علام أصححت وعلام أوسيت)

ثانياً . تسرع قوم فقالوا إن الرصا يورث في المؤمن قبولاً لأعمال الفاسقين ، واستحساناً لأوصاع لعصين ، وهذا يؤدي إلى ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

والجواب أن هذا الفهم خطأ ظاهر ، وحهل يسر ، فهو يعقل أن يهدم لمؤمن حكماً من أحكام ربه ، وركناً من دعائم دينه ، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟! مع العلم أن الله تعالى لا يرصى عن المؤمن إلا إذا أقام دينه ، واتبع شريعته .

وهل يُتصور أن يرضى المؤمن بأفعال الكافر مع أن الله تعالى لا يرضى بها كما قال تعالى ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الرمر ١٧]

والحقيقة أنه لا تعرض بين ارضى بالله تعالى وس ينكر المنكر ، لأن المؤمن يرضى بأفعال الله تعالى من حيث إنها صدرت من حكمه علم ، وأنها بقصائه ومشيتته ، ولا يرضى بفعل لعصاة من حيث إنها صفتهم وكسهم ، ولأنها دلالة على أنهم ممقوتون من الله تعالى

ثالثاً : ظن قوم خطأ أن من اثار ارضى بالله تعالى أن يترك الإنسان التضرع والدعاء ، ويهمم بخاد الأسباب لحلب الخير ودفع البلاء ، ويتبعد عن استعمال الدواء عند حصول الداء

والجواب : أن هذا فهم غير صحيح ، إذ في الحقيقة أن من حملة ارضى بالله تعالى ؛ أن يعمل لميزم أعمالاً يتوصل بها إلى رضا محبوبه سبحانه ، وأن يترك كل ما يخالف أمره ويبقى رصده

ومما يوصل إلى رضا الله تعالى استجابة أمره في قوله ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [اعاء ١٠١] فالدعاء مع العبادة ، وهو يورث في القلب صفاء وخشوعاً ورقّة يجعله مستعداً لقبول الألف والاروار

ثم إن ترك الأسباب مخالف لأمر الله تعالى ومباغض لرضاه ، فله تعالى أمر بالعمل فقال : ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا بِمَا يَأْمُرُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَأَقْرَبُوا مَنَاسِكَتَ اللَّهِ﴾ [البقرة ١٠٥] ودعى إلى السعي في طلب الرزق فقال ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ دَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ لَتَشُورُنَّ﴾ [الملك ١٦٥] .

فليس من الرضا للعطشان أن لا يمد يده بلماء ؛ رعماً أنه رضي بالعطش الذي هو من قضاء الله ، بل قضاء الله وحكمه وإرادته أن تراه العطش بالماء .

وحين أراد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أن يجمع جيش المسلمين من دحور الشام حذراً من الطاعون ، قال له سيدنا أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه (أفراراً من قدر الله ؟) فأجابه سيدنا عمر . لو غيرك قالها : أبو عبيدة ! نحن نفرُّ من قدر الله إلى قدره (١)

فليس في الرضا بقضاء ما يسدوم الخروج عن حدود لشرع ، ولكن الرضا بقضاء الله تعالى معناه ترك الاعتراض عليه تعالى ظاهراً وباطناً ، مع بذل الوسع للوصول إلى ما يحبه الله تعالى ويرضاه ، وذلك بفعل أوامره وترك نواهيه .

وختاماً : فإن في سيرة الرسول الأعظم ﷺ وخلفائه وصحبه الكرام رضوان الله عليهم والتابعين والصالحين فيض من الحوادث التي تدل على تحقيقهم بأعلى درجات الرضا ، مما يضيق المجال عن سرد الكثير منها . ضرب رسول الله ﷺ يوم الطائف من شجرة حتى أدنى عقبه فتوجه إلى الله تعالى محاطاً ومما قال : (إني لم تكن سيئاً خطاً عبي فلا أباي »

وكذا الصحابة الكرام يُعَذِّبُونَ فِي مَكَّةَ وَيَقْلِبُ عَلَيْهِمُ الْوَنَ التَّكْبِيلَ وَالْإِيْذَاءَ وَهُمْ يَتَلَقَّوْنَ ذَلِكَ كُلَّهُ بِقُلُوبٍ رَاضِيَةٍ ، وَوُجُوهُ مُبْتَسِمَةٍ ، وَأَسِنَّةٌ دَاكِرَةٌ

وروي أن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قطعت رجليه ومات أعر أولاده في ليلة واحدة ، فدخل عليه أصحابه وعزوه فقال (اللهم لك الحمد ، كان أولادي سعة فأخذت واحداً وأبقيت ستة ، وكان لي أطراف

(١) رواه البيهقي في صحيحه في كتاب الطب باب ما يذكر في الطاعون عن ابن عباس رضي الله عنهما . ورواه مسلم في صحيحه في كتاب السلام باب الطاعون

أربعة فأحدث واحداً وأبقيت ثلاثة ، فلئن كنت قد أخذت فقد أعطيت ،
ولئن كنت قد ابتليت فقد عافيت) .

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه . (ما بقي لي سرور ، لا موقع
أقدر . قيل له : ما تشتهي ؟ قال ما يقضي الله تعالى)

وعلم أن الله تعالى لا يرضى عن عبده إلا إذا رضي العبد عن ربه في
جميع أحكامه وأفعاله ، وعندها يكون الرضا متبادلاً كما أشار إلى ذلك
الحق تعالى بقوله : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [البقرة ١٨] .

وبقد أدرك السادة الصوفية سر هذا التلازم والتراض بين الرضاءين ،
فقد كان سفيان الثوري يوماً عند رابعة العدوية فقال : (ليهن أَرْض
عني . فقلت : أما تستحي من الله أن تسأله الرضا ، وأنت عنه غير
راض ؟ فقال : استغفر الله)^(١)

(رضاء الله تعالى عن العبد هو اسمى منزلة ورفع رتبة وأعظم منحة قال
تعالى : ﴿ وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ خَالِدِينَ فِيهَا وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [التوبة
٦٢] فرضوان رب لجة أعلى من الجنة ، بل هو عاية مطلب سكان
الجنة ، كما أحرر رسول الله ﷺ بقوله . يا رب الله يقول لأهل الجنة . يا أهل
الجنة ! يقولون . لبيك ربنا وسعديك ، فيقول . هل رضىتم ، فيقولون
وما لنا لا نرضى وقد أعطينا ما لم نعط أحداً من خلقك فيقول . أما أعطيكم
أفضل من ذلك . قالوا برب وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول . أحل
عليكم رضواني فلا أمسحط عليكم بعده أبداً)^(٢)

* * *

(١) إحياء علوم الدين للشيخ أبي حامد ، ص ٣٣٦

(٢) رواه البحري في صحيحه في كتاب الرضا باب صفة لجة عن أبي سعيد الخدري
رضي الله عنه

التوكل

تعريفه :

قال السيد رحمه الله تعالى في تعريفه (لتوكل هو الثقة بما عند الله ، واليأس عما في أيدي الناس)^(١) .

وقال لعارف بالله ابن عجيبة رحمه الله تعالى (لتوكل ثقة لقلب بالله حتى لا يعتمد على شيء سواه ، والتعلق بالله ولتحويل عليه في كل شيء ، علماً بأنه عام لكل شيء ، وأن تكون في يد الله أوثق منك بما في يده)^(٢) .

وقال بعضهم (هو اكتفاءك بعلم الله فيك عن علق القلب بسواه ورجوعك في كل الأمور إلى الله)^(٣) .

وقال أبو سعيد الخزاز رحمه الله تعالى : (اتوكل هو استصديق الله عز وجل ، والاعتماد عليه ، واسكون به ، واطمأنينة إليه في كل ماضٍ ، وإخراج الهم من القلب بأمور الدنيا والرق وكل أمر تكمل الله به)^(٤) .

(١) «تعريفات السيد» ص ٤٨

(٢) «معارج الشوف» ص ٨ .

(٣) «دليل صاحب الطرق» ص ٨٦ «العلامة محمد بن علاء» ص ٢٢٢ ح ٢

(٤) «الطريق إلى الله» لأبي سعيد الخزاز ص ٥٦

فالموكل على الله تعالى تفويض الأمر إليه ، ولا اعتماد في جميع الأحوال عليه ، والتبرؤ من الحول والقوة له ، وهو مربية قلبية . كما يلاحظ من التعريف السابقة وغيرها ، وهذا لا يعارض بين التوكل على الله تعالى وبين العمل واتحاد الأسباب ، إذ التوكل محله القلب . والأسباب محلها البدن . وكيف يترك المؤمن العمل بعد أن أمر الله تعالى به في كثير من الآيات الكريمة ، ودعى إليه الرسول ﷺ في أحاديث جملة .

فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ على ذقة له فقال . يا رسول الله أرسل ناقتي وأتوكل ؟ فقال ﷺ : « عقلها وتوكل »^(١)

وهذا اعتبر العلماء ترك الأسباب وانتقاص عن السعي توكلًا وتكسلاً لا يتفق مع روح الإسلام ، كما أكد التصوف هذه الناحية تصحيحاً للأفكار ، ورداً للشبهات ، ويؤكد بداهة أن استصوف هو الفهم الحقيقي للإسلام

قال لفشيري رحمه الله تعالى . (التوكل محله القلب ، والحركة بالظهر لا تدل في التوكل بالقلب ، بعد ما حقق العبد أن التقدير من قبل الله تعالى ، وإن تعسر شيء فبتقديره . وإن اتفق شيء فبتيسيره)^(٢) .

وقد لإمام العزلي رحمه الله تعالى (قد نظر الجاهل أن شرط التوكل ترك الكسب وبرك استدوي والاسسلاّم للمهدكات وذلك خطأ لأن ذلك حرم في الشرع ، والشرع قد أثنى على التوكل ، ويدب إليه فكيف ينال ذلك بمحظوره)^(٣)

(١) رواه الترمذي في كتاب صفة الصيام . وماء : عريب .

(٢) « لرسالة الفشيرية » ص ٧٦

(٣) « لأربعين في أصول الدين » لعزلي ص ٢٤٦

وقد نبّه اسادة الصوفية السالكون إلى ناحية فلسفية دقيقة ، وهي أنه يجب في كل عمل من الأعمال أن يتخذوا أسبابه ، مع عدم الاعتماد على تلك الأسباب أو الالتفات إليها بقلوبهم .

قال الفاصي عياض رحمه الله تعالى (ذهب لمحققون من الصوفية إلى ضرورة السعي فيما لا بد منه ، ولكن لا يصح عندهم استوكل مع الالتفات والطمأنينة إلى الأسباب ، بل فعل الأسباب سنة الله وحكمته ، والثقة بأنها لا تجلب فعلاً ، ولا تدفع صراً ، والكل من الله)^(١)

فضله وآثاره :

لنوكل نتيجة من نتائج الإيمان ، وثمره من ثمار المعرفة ، فعلى قدر معرفة العبد بالله وصفاته يكون نوكله ، كما يتوكل على الله من لا يرى فعلاً سواه

و لمنوكل على الله تعالى معز به لا يذل إلا له ، واثق به لا يطلب إلا منه ، وقد قالوا : قبح ما يريد أن يتعصر لسؤل لعبيد ، وهو جدد عند مولاه ما يريد .

وهذا ربط الله تعالى التوكل بالإيمان فقال ﴿ وَعَنِ اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة : ٢٣٠]

وقال ﴿ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَىٰ تَوْكَلِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [إبراهيم : ١١]

ومن يوكل على الله تعالى حق لنوكل ملجئاً إليه بصدق احدل بكرمه والمحنة ، ويكفه ما يهيمه من محن وفن ، وملاً قلبه غنى وبقساً ، ويريق

(١) «دليل لعالجين» ج ٢ ص ٣

ظاهرة بالعفة والكرم ، قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران ١٥٩] وقال ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [طلاق ٢٢] .

والتوكل على الله تعالى يبعث في انقلوب السكينة والطمأنينة ، وخصوصاً عند الشدائد والمحن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (حسن الله ونعم اوكيل ، قلها برهيم عليه السلام ، حين أُلقي في النار ، وقلها محمد ﷺ حين قالوا : إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فرادهم إيماناً ، وقالوا : حسن الله ونعم اوكيل)^(١)

فاحتوكل على الله تعالى حقيقة راضٍ بفضائه ، مستسلم لفعله ، مطمئن لحكمه ، قل بشر المحافي رحمه الله تعالى (يقول أحدكم : توكل على الله ، وهو يكذب على الله تعالى ، ولو توكل على الله تعالى لرضي بما يفعله الله تعالى به)^(٢)

وقد مدح رسول الله ﷺ المتوكل ، وبين أهميته في الحياة وقيمته في إحلال الطمأنينة في النفوس فقال « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير . تعدو خماًصاً وتروح بطاناً »^(٣) أي تذهب صاحياً وهي جائعة ، وتعود مساءً شبعاً . وفي هذا الحديث إشارة إلى أن التوكل لا يتعارض مع لأساب ، بل دليل أن الطير غدرت عشها صاحياً باحثة عن رزقها معتمدة على رباها ، واثقة به ، ولذلك فهي لا تعرف لهم ولا الأحزان

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير ، تفسير سورة آل عمران

(٢) الرساله انقشيره ص ٧٦

(٣) رواه الترمذي في كتاب ارهد وقال حديث حسن صحيح .

وأخرجه الحاكم في المستدرأ (ج ٤ ، ص ٣١٨) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال : الحديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين .

وقد ندب الرسول ﷺ الأمة للإسلامية إلى استوكل على الله تعالى في كل حال ، لاسيم عندما يخرج لمرء من بيته فقال « من قل حين يخرج من بيته بسم الله بركت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، يقال له : هُديت وكُفيت ووُفيت ، وتنحى عنه الشيطان ، فيقول الشيطان شيطان آحر كيف بك برجل قد هُدي وكُفي ووُفي » (١)

مراتبه .

اسر في التوكل على مرتبة . لأن التوكل كعبه من مقامات السر إلى الله تعالى تدرج مراتبه ، ويسمى المؤمن في معارجه على حسب معرفته

ولهذا عد بعض العرفين (كالمعالي) وأبو عبيدة رحمهما الله تعالى - لتوكل ثلاث مراتب .

الأولى وهي أدناها ، أن تكون مع الله تعالى ، كالموكل مع لوكيل لشقيق الملاطف

والثانية وهي أوسطها ، أن يكون مع الله تعالى كالطفل مع أمه لا يرجع في جميع أموره إلا إليها

والثالثة وهي أعلاها ، أن تكون مع الله تعالى كالمريض بين يدي لطبيب .

والفرق بين هذه المقامات ، أن الأول قد يحطر بهاله تهمة أما الثاني

(١) روى أبو داود والنسائي ولترمذي في كتاب الدعوات عن أنس بن مالك وهو حدث صحيح عريب

فلا اتهام ، ولكن يتعلق بأمره عند الصحة أما لثالث فلا اتهام ولا تعلق ، لأنه فإن عن نفسه ، ينظر كل ساعة ما يفعل الله به ^(١) .

الخلاصة .

إن لتوكل من أعظم ثمار الإيمان ودمعرفه ، وأهم أسباب السعادة ولطمأنينة . وقد فهمه السادة الصوفية على حقيقته ، وبهوا إلى أنه ليس بترك الأسباب واستخالي عنها ، بل هو انحصار الأمل في الله . ولا لتجاء إلى تأثيره وحكمته ، وعدم تعلق القلب بالأسباب ، لأنها وحدها لا تعي من الله شيئاً

وهكذا تحقق السادة لصوفية بأعلى مراتب التوكل ، فقلوبهم مطمئنة بالله تعالى ، معتمدة عليه ، واثقة به ، متوجهة إليه ، مستعينة به لأنه لا فاعل في الوجود سواه

وأندابهم تأخذ بالأسباب امتثالاً للأمر ، وتمسكاً بشرعه ، واقفاء به في نبيه ﷺ وأصحابه الكرام

* * *

(١) انظر «مفتاح الشوق» ص ٨ .

الشكر

تعريفه :

أورد لعماء لشكر تعريف كثيره ، وأهمها ما ورد عن بعضهم قوله : (الشكر : هو عكوف القلب على محبة المنعم ، والحوارح على طاعته وحرمانُ اللسان بذكره والثناء عليه)^(١) .

وقال ابن عجيبة رحمه الله تعالى : (هو فرح القلب بحصول النعمة ، مع صرف الحوارح في طاعة المنعم ، والاعتراف بنعمة لمنعم على وجه الخضوع)^(٢) .

وقال السيد رحمه الله تعالى في تعريفاته : (الشكر هو صرف العبد جميع ما أنعم الله عليه من السمع والبصر وغيرهما إلى ما شُئِنَ لأجله)^(٣) .

وقال العلامة ابن عطار لصديقي رحمه الله تعالى (الشكر الاعتراف بالنعمة ، ولقيام بالخدمة ، فمن كثر ذلك منه سمي شكوراً ، ومن ثم قل سبحانه . ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾^(٤) [سبا ١٣] .

(١) «مدارج السالكين» لابن القيم ج ٢ . ص ٢٦ .

(٢) «معراج المشوق» لابن عجيبة ص ٧ .

(٣) «تعريفات السيد» ص ٧٦ .

(٤) «دليل الصالحين لطرق راسخ الصالحين» ج ٢ ، ص ٥٧ .

ولا يحفى أن نعم الله تعالى على عباده عظم من أن تحصى ، وأكثر من أن تعد ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ نَعُدُّوْا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ۗ ﴾

[إبراهيم ٢٤]

ويمكر تقسيم النعم إلى ثلاثة أقسام رئيسية

١- دنيوية : كالصحة والعافية والمال والحلال .

٢- ودينية : كالعمل والعلم والتميز والمعرفة بالله تعالى

٣- وأخروية . كالثواب على العمل الصالح لقليل بالعطاء الجزيل

وأجل النعم الدنيوية التي يتأكد لشكر عبها نعم الإسلام والإيمان والمعرفة بالله تعالى ، ومن شكره اعتقاد أنها ممة من الله تعالى لا واسطة ولا حول ولا قوة ، قال الله تعالى ﴿ وَلَكِنْ اللَّهُ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَرَتَّبَ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات ، ٧] . وقال تعالى ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا دَكَّتْ مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ ﴾ [البور ٢١] .

وإن العبد المؤمن الذي يفكر في هذا لكونه لعظيم وما فيه من آيات الله الكبرى ، يرداد أصلاعه على نعم الله تعالى عليه ، مما يجعله أكثر شكراً لله ، وأعظم له حباً .

ومن نعم الله تعالى على العبد نعم يسوقها له بواسطة عبد الله تعالى ، كما أخرى إحسان الله إنياساً على بدرسوله ﷺ ، وكم ساق حيره لما بواسطة ولدينا ومرتبنا من المرشدين العارفين بالله تعالى . فعلى المؤمن أن يشكر الله تعالى لأنه المعظم الحقيقي الذي سخر الناس لحب الخير إليه ، قال تعالى : ﴿ وَمَا يَكُم مِّنْ نَّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾

[الحل ٥٣]

وعلى المؤمن أن شكر أيضاً من حبه لله تعالى سباً لنعمة ، بذا قل

رسول الله ﷺ : « لا يشكر الله من لا يشكر الناس »^(١) .

ولقد دعانا الله تعالى إلى شكره وشكر والدينا اللذين جعلهما سبباً في إيجادنا وسوق كثير من النعم إلينا بواسطةهم فقال ﴿ إِن شَكَرْتُمْ لِيْ وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْبَصِيْرِ ﴾ [لقمان : ١٤٠]

وأبسر الشكرين شكر العبد، فمن ضيع شكر العباد كان لشكر الله عر وحل أصيب .

أقسامه .

من تعريف الشكر لسابقة وعيها يمكن لقول بأن للشكر أقساماً ثلاثة : شكر اللسان ، وشكر الأركان ، وشكر الحسان .

١- أما شكر اللسان فهو التحدث بنعم الله تعالى، امتثالاً لقوله تعالى ﴿ وَأَتَا نِعْمَتَ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [المعنى : ١]

وتصقاً لقوله عليه الصلاة والسلام : « لتحدث بنعمة الله شكر »^(٢)

(١) أخرجه أبو داود في سننه في باب شكر المعروف عن أبي هريرة رضي الله عنه . وقال العلامة الحطاي رحمه الله تعالى في معالم السير ج ٤ ص ١١٣ ، شارحاً لهذا الحديث (هـ) الكلام يتأول على وجهين أحدهما أن من كان من طبعه وعادة كفران نعمة الناس ، وترك الشكر لمعروفهم كما من عادته كفران نعمه الله وبراً أشكر له سبحانه ، انوجه الآخر ، أن الله سبحانه لا يقبل شكر العبد على إحسانه إليه إلا كان العبد لا يشكر إحسان الناس ، ويكفر بمعرفهم ، لاتصال أحد الأمرين بالآخر .

(٢) روه الإمام أحمد في مسنده عن لعثمان بن بشير رضي الله عنهما ج ٤ ص ٣١٥

وقيل : مَنْ كَسَمَ السَّعْمَةَ فَقَدْ كَفَرَهَا ، وَمَنْ أَطْهَرَهَا وَنَشَرَهَا فَقَدْ شَكَرَهَا .

ولذلك كانت شخصية رسول الله ﷺ لشخصية المثالية في الشكر والحمد ، وهذا قال ﷺ : « غرض عليّ ربي ، ليحمل لي بطحاء مكة ذهباً قلت لا يا رب ، ولكن أشبع يوماً ، وأجوع يوماً ، وقال : ثلاثاً أو نحو هذا ، فإذا سمعتُ تضرعتُ إليك ، وذكرتك ، وإذا سمعتُ شكرتُك وحمدتُك » (١)

وكذلك رغب رسول الله ﷺ في الحمد كما روى ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ حدثهم : « أن عبداً من عباد الله قال : يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك . فعصمت بالمكن فلم يه ربا كيف يكتبها ، فصعد إلى السماء فقال يا ربنا! إن عبدك قد قال مقالة لا ندري كيف نكتبها ؟ قال الله - وهو أعلم بما قل عبده - : ماذا قال عبدي ؟ قال إنه قد قال : يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ، ولعظيم سلطانك فقال الله عز وجل لهما : اكتباهما كما قال عبدي حتى يتقاني فأجزيه بها » (٢) .

٢- وأما شكر الأركان . فهو العمل لله تعالى ، قال تعالى مشيراً إلى أن لشكر هو العمل ﴿ أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا ﴾ [سأ ١٣] . وقد أوضح ذلك رسول الله ﷺ عملياً ، حين كان يقوم الليل ، كما روت السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : كن ليبي ﷺ يقوم من الليل حتى نفطر قدماء ،

(١) روه الترمذي في كتاب الزهد عن أبي أمامة رضي الله عنه وقال : حدثت حسن

(٢) روه ابن ماجه في كتاب الأدب

فقلت له : لِمَ تصنع هذا يا رسول الله وقد غُفِرَ لَكَ ما تقدم من ذنوبك وما تأخر ؟ قال : « أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا »^(١)

٣- وأما شكر الحَيَّانِ : فهو أن تشهد أن كل نعمة بك أو بأحد من العباد هي من الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ [الحس : ٥٣] . فلا تحجبك رؤية نعم عن رؤية المنعم ، وقد به الرسول ﷺ إلى هذه الحقيقة حيث قال : « من قل حين يصبح : اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر ، فقد أدى شكر يومه ، ومن قال مثل ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته »^(٢) .

وفي الآثار أن موسى عليه السلام قال (يا رب خلقت آدم بيدك ، ونفخت فيه من روحي ، وأسجدت له ملائكتك ، وعممته أسماء كل شيء ، وفعلت ، وفعلت ، فكيف أطاؤُ شكرك ؟ قال الله عز وجل : علم أن ذلك سي ، فكانت معرفته بذلك شكراً)^(٣)

وعلى هذا فإن لمؤمن يرى أن من نعم الله عليه أن وفقه لشكره والشاء عليه ، كما قال داود عليه السلام (يا رب كيف أشكرك وشكري نعمة عني من عندك تستوجب به شكراً ؟ قل : الآن شكرتي يا داود)^(٤) .

(١) أخرجه تيجاني في صحيحه في كتاب الرقاق ومسلم في صحيحه في كتاب صفات المتقين والترمذي في أبواب الصلاة

(٢) رواه أبو داود في مسنده في باب ما يقول إذا أصبح ، والسنائي والهيثم .

(٣) «مدارج السالكين» لابن القيم ج ٢ ص ١٣٧

(٤) «مدارج السالكين» لابن القيم ج ٢ ص ١٣٧

مراتب الشاكرين :

الناس في تحققهم بالشكر على مراتب متفاوتة :

- فالعوام يشكرون الله على النعم فقط .

- والخواص يشكرون الله على النعم والنقم ، ويشهدون فصله وإبعاده عليهم في جميع أحوالهم ، وقد أثنى رسول الله ﷺ على من تصيبه نعمة فيقال له بالحمد باللسان ، وأرض بالجنان دون أن يسمع للشيطان أن يقذف في قلبه ليأس والقنوط من رحمة الله تعالى ففي الحديث عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا مات ولد العبد ، قال الله تعالى لملائكته : قبضتم ولد عبدي ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : فمادا قال عبدي ؟ فيقولون : بحمدك واسترحح^(١) ، فيقول الله تعالى : انتوا لعبدي سناً في الجنة وسموه بيت الحمد^(٢) » . وقال ﷺ : « أول ما تدعى إلى الجنة لدين يحمّدون الله عز وجل في السراء والضراء^(٣) » .

- وشكر خواص الخواص : غيبتهم في المنعم عن رؤيته للنعم والنقم وهي هه المعنى قال انشيلي رحمه الله تعالى (لشكر رؤيته المنعم لا رؤية النعمة)^(٤) .

(١) حمداء قال لحمد الله استرجع : قال إننا لله وإنا إليه راجعون

(٢) رواه الترمذي في كتاب الجنائز وقال : حديث حسن .

(٣) رواه أنحاكم في المستدرک ح ١ ، ص ٥٠٢ ويرى : هذا حديث صحيح على

شرط مسلم ، ووافقه ذهبي

(٤) الرسالة القشيرية ص ٨١ .

فصله .

الشكر من أعلى احكامات ، لأنه يشمل القلب واللسان و لجوارح ،
ولأنه يتضمن الصبر والرضا والحمد وكثيراً من العبادات البدنية والقلبية ،
وبهذا أمر الله تعالى به ، ونهى عن ضده . وهو الكفر والجحود ، فقال .
﴿ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة : ١٥٢] .

واشكر من أعظم صفات ارسل اكرام عليهم الصلاة والسلام .
قال الله تعالى في وصف خليفه سيدنا ابراهيم عليه السلام ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ
كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَنَزَّلْنَا بِكَ مِن الشُّرَكِينَ ﴿٢﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ﴾ [الحجر
١٢٠-١٢١] . وقال تعالى عن سيدنا نوح عليه السلام : ﴿ إِنَّكَ كَانَتْ عَبْدًا
شَاكِرًا ﴾ [الاسراء ٣] . أما حبس الله ﷻ سوله سيدنا محمد ﷺ فقد كان
يجهد نفسه في العبادة وإحياء الليالي ، والقيام من بدي ربه حشعاً منسلاً
متحققاً بمقدم الشكر ، ولهذا كما نمتل عن سبب قيامه وإحيد نفسه ، حتى
تورمت قدماء قال : « أفلا أكون عبداً شكوراً » (١) .

وقد ظن السائل أن سبب العبادة هو طلب المعفرة وقد غفر الله تعالى
له ﷺ ، ولكن جوب الرسول ﷺ رفع همه اسائل إلى مقام الشكر الذي
هو أعلى مقامات لعبدية .

وكما أن رسول الله ﷺ كان حيرَ مَنْ تحققت بالشكر ؛ كذلك كان يدعو
أصحابه رضي الله عنهم وسائر المؤمنين إلى التحقق بهذا لمقام العظيم
واشوجه إلى الله تعالى بالدعاء عقب كل صلاة ، أن يمن الله عليهم بالإعانة
على الذكر والشكر ، فقال ﷺ لمعاد بن جبل رضي الله عنه : « أوصبك

(١) أخرجه البخاري في صحيحه وقد مر ص ٣١٢

يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول . اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»^(١)

ولنعنو مقدم لشكر ورفعة منزلته كن مرتقاه صعباً ، والتحقيق به يحتاج إلى محاهدات وسوك ، مع لصدق والصبر والاستقامة ، ولهذا كان الشاكرون نادرين ، لأن الكرام قليل ، وقد وصفهم الله بالقلّة حين قال : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ ﴾ [سأ ١٣] .

كما وصفه معظم الناس بعدم لشكر ، بالرغم من نعم الله عليهم وسعة فضله وجوده ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [المل ٧٣٠]

ولهذا فإن الله تعالى كثيراً ما يذكر الناس في القرآن الكريم سبحانه الكريمي ومنه العظمى ، وكثيراً ما يبرهنهم إلى التفكير في الكون ، كي ندرك ما أحاط به من جلائل النعم والبركات الإحسان ، مما يعجز الإنسان عن تعداده والإحاطة به . كن ذلك في شكره تعالى حق لشكر ، قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَجْرُكُمْ مَرَبُطُونَ أَمْهَنِيكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ نَعْلَمُكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [اسحر ٧٧] .

وقد وصف الله تعالى الإنسان العاقل الذي يتمتع بالفضوح الفكري والكمال الإنساني ، ويبلغ من الأربعين . بأنه يرى نعم الله المحيطة به . ويشهد فضل الله عليه ، فيسبح إلى الله تعالى صارعاً أن يرفقه للشكر قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ شُدُّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَن أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ رَحْمَتِي وَأَن أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ﴾ [الأحقاف ٥]

(١) رواه أبو داود في سننه في باب الاستغفار ، ورواه النسائي في كتاب الافتتاح ورواه الحاكم في «المستدرک» ج ١ ص ٤٩٩ ، وقال : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي .

وقد جعل رسول الله ﷺ سرلة لذي يتعم برزق الله ويشكره بمنزلة الذي يعاني العبادت ويصبر على مشقتها ، فقل « الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر »^(١) .

ثم إن لشكر هو خير وسيلة لبقاء السعة واستمرارها ، وقد قيل :
عقل السعة الشكر . وقال ابن عطاء الله رحمه الله تعالى في حكمه :
(من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ، ومن شكرها فقد قيدها بعقلها)^(٢) .

كما أن عدم الشكر ومقابلة النعم بالكفر والجحود يورث عصب الله تعالى وعقابه وسلب نعمته ، كما قال تعالى ﴿ وَصَرَفَ اللَّهُ مَثَلًا فَرِيَةً كَانَتْ أُمَّةٌ مُطْمَئِنَّةٌ بِرَبِّهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَعَبَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لَبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [الحج ١١٢]

وقد وعد الله تعالى المؤمنين أن يزيد نعمه عليهم إذا هم قابلوها بالشكر فقال : ﴿ لَيْسَ شُكْرُكُمْ لِيْ بِدَنِّكُمْ ﴾ [براهيم ٧٠]

والحقيقة أن الشاكر يحلب الخير لنفسه ، حين يشكر الله تعالى ؛ إذ يعتم بشكره مزيد نعم الله تعالى عليه ، واستمرار فضله ، وعظيم حبه وجميل ثنائه قل تعالى ﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رُبِّيْ عَنِّيْ كَرِيمٌ ﴾ [الن ٤٠٠]

ويعد أن تحقق السادة الصوفية بالشكر ، وعرفوا جليل مقامه وكبير فضله ، دعو الناس إليه ، ورغبوا في شكره الله تعالى بنعمة دنيوية و

(١) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة عن أبي هريرة رضي الله عنه

(٢) إيفاض لهم في شرح الحكم لابن عجيبة ج ١ ، ص ١١٠ .

أحروبة أن لا يشغل بها ، بل أن يسلك طريق الشكر كي يفور بمريد السمع ودوام التوفيق . قال أبو حمزة البعدادي رحمه الله تعالى . (دا فتح الله عليك طريقاً من طرق لخير فلزمه ، وإياك أن تنظر إليه وتفتخر به ، ولكن اشتر بشكر من وفقك لذلك ، فإن نورك إليه يسقطك عن مقامك ، وشتعلت بالشكر يوجب لك منه المريد لأن الله تعالى يقول ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ ^(١) [يبراهيم ٧]

ولذا طرق السادة الصوفية باب شكر الله تعالى على جميع أحوالهم وحمدوا الله تعالى في سائر شؤونهم ، وشهدوه انفاع المطلق والمنعم المتفضل وأبر الرحيم ، والشكور الكريم ، فوقعوا على أعتابه متذللين ، ولجبابه طالبين ، في قلوبهم نور المعرفة ، وفي ألسنتهم آيات الحمد والثناء ، وفي أعمالهم أحكام الشريعة الغراء ، مفتفين بذلك أثر رسول الله ﷺ وصحبته لعل الصالحين ومن تبعهم في نهجهم القويم وطريقهم المستقيم

تنبيه :

بنهاية بحث الشكر نكون قد أتممنا إنبات الثالث لمتعلق بصريق الوصول إلى الله تعالى . ولكن ينبغي الإشارة إلى أن هذه المقامات التي أوردناها في كتابنا هذا ليست كل مقامات السير ، إذ الحقيقة أن هناك مقامات كثيرة ، فقد ذكر شبحا محمد الهاشمي رحمه الله تعالى تفاصيلها ، فقال : (ومنهم من جعلها مائة وسميها منازل السائرين إلى الله تعالى . وقد ألف شيخ الإسلام أبو سماعيل عبد الله بن محمد

الأصاري الهروي لفقير الحنبلي المفسر الصوفي لمنوفي سنة ٤٨١هـ .
 هي ذلك رسالة، ذكرَ فيها مئة منزلة، وأجد في تقسيمها وإيضاحها ،
 وأهـاد الرعبين في الوقوف عبيها ، ومماها : منازل السائرين إلى الحق
 عز شأنه (١) .

* * *

١

(١) شرح شطرنج العارفين لـ السيد الشيخ محمد ابن شمس رحمه الله ص ١٢

الباب الرابع

من ثمرات التصوف

١- الحب الإلهي

٢- الكشف

٣- الإلهام

٤- كرامات الأولياء

مكتبة دار الحديث

الحب الإلهي

المحبة لله هي العاية القصوى من المقدمات ، ولدروة العيب من لدرجات ، فما بعد إدراك المحبة مقام إلا وهو ثمرة من ثمارها ، وتابع من توابعها ، كالشوق و لأس و الرض . . ولا فـس المحبة مقام إلا وهو مقدمة من مقدماتها كالتوبة والصبر والرهـد .^(١)

والمحبة لا تُحدُّ بحد أوضح منها ، وانتعريف والحدود لا تزيدـا إلا خفاءً ، فتعريفها وجودها ؛ إذ التعريف للعدم . أما المحبة فهي حالة ذوقية تفيض على قلوب المحبين ، ما لها سوى الذوق إفـاء وكل ما فـس في المحبة م هو إلا بيان لآثارها ، وتعبير عن ثمارها ، وتوضيح لأسانـها .

قال الشيخ الأكر بن عربي الحاتمي رحمه الله تعالى . (وحتلف الناس في حدّها ، فما رأيت أحداً حدّها بالحد الذي ، بل لا يتصور ذلك ، فما حدّها من حدّها إلا بتثنيها وتآرها ولوارمها ، ولاسيم وقد اتصف بها الجندب الإلهي العزيز وهو الله وأحسن ما سمعت عيها م حدثنا به غير واحد عن أبي العباس الصنهاجي ، قالوا : سمعناه وقد سئ عن المحبة ، فقال : العيرة من صفات المحبة ، ولعيرة تأتي إلا الستـر ، فلا تُحد)^(٢)

(١) « لآحياء » للإمام العوالي كتاب المحبة و لشوق ج ٣ . ص ٢٥٧٠ .

(٢) « مفتوحات الحكمة » لأبر عربي الحاتمي لطائي . الباب اشم و لسبعون بعد المئه هي معرفة مقام المحبة .

وقال ابن لدباغ رحمه الله تعالى . (فإن المحبة لا يعثر عليها حقيقة إلا مَنْ ذاقها . ومن دافها استولى عليه من الدهور على ما هو فيه أمر لا يمكنه معه العبارة ، كمثل من هو طافح سكر ، إذا سئل عن حقيقة السكر الذي هو فيه ، لم يمكنه العبارة في تلك الحال ، لاستيلائه على عقله والفرق بين اسكرين : أن سكر الخمر عرضي ، يمكن زواله ، ويعبر عنه في حين الصحو ، وسكر المحبة ذاتي ملازم ، لا يمكن من وصل إليه أن يصحو عنه ، حتى يعثر فيه عن حقيقته ، كما قبل :

يصحو من لخم شاربوها ولعشق سكر عسى الدوم^(١)
لذلك لما سئل الإمام الجسد رحمه الله تعالى عن لمحبة ، كان جوابه فبصان الدموع من عنبه ، وحقق لقب بالهيام والشوق ، ثم عبر عما يجده من آثار المحبة .

قل أبو بكر لكتابي رحمه الله تعالى (حرت مسألة في المحبة بمكة أعزها لله تعالى أيام المومنين فتكلم الشيوخ فيها ، وكان لجنيد أصعده ساء ، فقالوا : هات ما عندك يا عراقي فاطرق رأسه . ودمعت عيناه ثم قال : عبدٌ داهب عن نفسه ، متصل بذكر ربه ، قائم بأداء حقوقه ، باطر إليه بقلبه ، أحرق قلبه أنوار هيبته ، وصفاء شربه من كأس وُدّه ، وانكشف له الجوار من أستار غيبه ، فإن تكلم بالله ، وإن نطق فعن الله ، وإن تحرك فبأمر الله ، وإن سكن فمع الله ، فهو بالله والله ومع الله ، فيكي الشيوخ وقلوب : ما على هذا مريد . حراك الله يا تاج العارفين)^(٢)

(١) «مشارك أنوار القلوب ومفاتيح أسرار العيوب» لعبد الرحمن بن محمد الأنصاري المعروف بابن الدناح ص ٢١

(٢) «مدارج السالكين» ج ٣ . ص ١١

دليلها وقضها :

الأدلة على محبة الله لعبده ، ومحبة العبد لربه كثيرة . قال الله تعالى : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [المائدة : ٥٤] . وقال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [البقرة : ١٦٥] . وقال تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران : ٣] . وبحسبكم الله دليل على المحبة وفائدتها وقضها .

وفي السنة عن أسد رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « ثلاث مَنْ كُنَّ فِيهِ وَحْدَ حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ . أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يَفْذَفَ فِي النَّارِ » (١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ . « يقول الله تعالى . مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِحَرْبٍ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَدَاءِ مَا اقْتَرَضْتَهُ عَلَيَّ ، وَلَا يَرَالْ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالْوَأْفِ حَتَّى أَحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعُهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرُهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ وَبِيَدِهِ الَّذِي يَطْطُسُ بِهَا ، وَرَجْلُهُ الَّذِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْصِيَهُ ، وَلَوْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعْيِدَهُ » (٢)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ يَا أَحِبُّ فَلَمَّا فُأَحِبَّهُ ، فَيَحْمِيهِ جِبْرِيلُ ، ثُمَّ يَدْعُو فِي

(١) أحسنه إسحاق في صحيحه في كتاب الإيمان

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب البرقائيق باب لأصع

السماء فيقول **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَانًا فَأَحْبُوهُ ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، ثُمَّ يُوَصِّعُ لَهُ الْقَوْلُ فِي الْأَرْضِ** ^(١) .

وعن أبي السرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : **كَانَ مِنْ دَعَاءِ دُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَالْعَمَلَ الَّذِي يُبَلِّغُنِي حُبَّكَ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَأَهْلِي وَمَنْ أَمَّا الْبَارِدُ** ^(٢) .

والقرآن والسنة مملوءان بذكر مَنْ يُحِبُّهُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ ، وذكر مَا يُحِبُّهُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ** ﴾ [آل عمران ١٠٤] ، ﴿ **وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [المائدة ٩٣] ، ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَّابِينَ** ﴾ [البقرة ٢٢٢] ، ﴿ **وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ** ﴾ [البقرة ٢٠٥] ، ﴿ **وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسِقِينَ** ﴾ [البقرة ٢٢٢] ، ﴿ **وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** ﴾ [البقرة ٢٢٢] .

وقد جعل رسول الله ﷺ حُبَّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مِنْ شَرَائِطِ الْإِيمَانِ فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ فَقَالَ : **« لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ »** ^(٣) .

وقد وجه الرسول الأعظم ﷺ أصحابه لمحبة ، لما لها من الأثر العظيم ولمقام ارفيع ، وَلَقَدْ أَنْظَرَهُمْ إِلَى نِعْمَةِ تَعَالَى وَبَالِغِ إِفْصَالِهِ ، ثُمَّ يَبَيِّنُ لَهُمْ أَنَّ حُبَّهُمْ لِلَّهِ يَقْتَضِي حُبَّهُمْ لِحَبِيبِهِ الْأَعْظَمِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، كَمَا أَنَّ حُبَّهُمْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُوَصِّلُهُمْ إِلَى حُبِّ اللَّهِ تَعَالَى .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات وقال حسن غريب .

(٣) رواه البخاري ومسلم في صحيحهما في كتاب الإيمان عن أس رضي الله عنه

قال عليه لصلاة والسلام : « أَحْسُوا اللَّهَ لِمَا يَعْذُوكُمْ مِنْ نَعْمِهِ ، وَأَحْتُونِي بِحُبِّ اللَّهِ » ^(١) .

وقد بشر الرسول ﷺ المحبين بالنعمة مع محبوبهم ، فها روى أنس رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ متى الساعة يا رسول الله ؟ قال : « مَا أَعْدَدْتُ لَهَا ؟ » قل : « مَا أَعْدَدْتُ بِهَا مِنْ كَثِيرِ صَلَاةٍ وَلَا صَوْمٍ وَلَا صَدَقَةٍ وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ . » قال : « أَنْتَ مَعِ مَنْ أَحَبَّتْ » . قال أنس : فقلنا ونحن كدنا ؟ قال : « نَعَمْ » فقرحاً بها فرحاً شديداً ^(٢) .

والأحاديث في المحبة كثيرة . وكما تشير إلى عظيم فضلها ، وبالع أثرها ، وحين تحقق لصحابه لكرام رضوان الله تعالى عليهم بمحبة الله ورسوله تبعوا أوج الكمال في الإيمان ولأخلاق ولتضحيه ، وأستهم خلاوة المحبة مرارة الابتلاء وقساوة المحن . وحملهم دافع المحبة على بذل لروح والمال والوقت ، وكل شيء في سبيل محبوبهم لعلهم يحوزون رضوانه وحبه .

واستحقيقة أن الإسلام أعمال ونكايه وأحكام ، وروحه المحبة ، والأعمال بلا محبة أشباح لا حياة فيها

الأسباب المورثة للمحبة .

ذكر لعلماء من الأسباب لمورثة للمحبة أموراً كثيرة . وأهمها عشرة .

أحدها . قراءه القرآن بالتدبر والفهم لمعانيه وما أريد به .

(١) رواه الترمذي في كتاب المصاب وقال حسن غريب

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب لم يقب . ومسلم في صحيحه في كتاب البر عن أنس رضي الله عنه .

الثاني - التصرف إلى الله بأسوأ بعد لمرائض ، فإنها توصل إلى درجة المحبوبة بعد المحبة

الثالث . دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب ولعمس والحال ، فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا التذكر .

الرابع . إظهار محبته على محابث عند عبدة الهوى ، والتسليم إلى محابثه وإن صعب المرتقى

الخامس : مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها ومعرفتها ، وتقلبه في ريض هذه المعرفة ومباذيبها ، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة .

السادس . مشهده بزه وإحباطه وآلائه ونعمه الباطنة والظاهرة ، فإنها داعية إلى محبته

السابع : انكسار القلب بكليته بين يديه تعالى تدبلاً وتواضعاً .

الثامن . الخلوة به وقت التحلي الإلهي لمباحاته لاسيما في الأسحر ، وتلاوة كلامه ، والوقوف بالقلب ولنادب بين يديه ، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة .

التاسع : مجاسة السحيين الصادقين ، والتفاد أطايب ثمرات كلامهم ، كما ينتهي أطيب الثمر ومن الأدب في مجالستهم ألا تتكلم في حصرتهم إلا إذا ترجعت مصلحة الكلام ، وعلمت أن فيه مزيداً لحالك ومنفعة لغيرك .

العاشر . مبادعة كل مسبب بحول بين القلب وبين الله عز وجل^(١) .

فمن هذه الأسباب وغيرها وصل المحبون إلى منازل لمحبه

(١) انظر كتاب «مدارج السالكين» ص ١١-١٢

علامات المحبة :

كثير من الناس من يدّعي محبة الله ورسوله ، وما أسهل دعوى اللسان . فلا ينبغي للإنسان أن يعتزّ بخداغ النفس . بل عليه أن يعلم أن لـحب علامات تدل عليه ، وثماراً تظهر في القلب ولسان والجوارح ، فإذا أراد ألا يغش نفسه فيضعها في موازين الحب ، وليستخنها بعلاماته ، وهي كثيرة ، منها .

١- حب لقاء الحبيب بطريق الكشف والمشاهدة في در السلام ، فلا يُتصور أن يحب القلب محبوباً إلا ويحب مشاهدته ولقائه ، وإذا علم أنه لا وصول إلا بالارتحال من الدنيا ومفارقتها بالموت ، فعليه أن يكون محباً لموت غير فائر منه ، لأن الموت مفتاح اللقاء . قل عليه الصلاة والسلام : « مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ »^(١) ولهذا كان أصحاب الكرام رصوان الله عليهم ، يحبون الشهادة في سبيل الله ، ويقولون حين يُدْعَوْنَ للمعركة . مرحباً بلقاء الله

٢- أن يكون مؤثراً ما أحبه الله تعالى عنى ما يحبه في طهره وباطنه ، فيكرم الطاعة ، ويحسب لكس واتساع الهوى ، ومن أحب الله لا يعصيه ، ولذلك قال ابن المبارك رحمه الله تعالى

نعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمري في القياس سديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق ، ومسلم في صحيحه في كتاب الذكر ، باب من أحب لقاء الله

وفي هذا المعنى قيل أيضاً :

وَأَتَرْتُ مَا أُهَرَى لِمَا قَدْ هَرَيْتَهُ فَأَرَصِي بِمَا تَرَصَى بِرَدِّ سَحَطَتِ نَفْسِي

فطاعة الله تعالى ومحنته تستلزم اتباع رسوله ﷺ في الأقوال والأفعال والأحلاق ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران ٣١٠]

٣- أن يكون مكثرًا لذكر الله تعالى ، لا يمتز عن سانه ، ولا يخضع عنه حياته ، فمن أحب شيئاً أكثر من ذكره

حبائك في قلبي وذكرك في فمي ومشواك في قلبي فأبى تغيب

٤- أن يكون أسسه بالحقوة ومناجاة الله تعالى وتلاوة كتابه ، فيواظب على التهجد ويعتزم هدوء الليل وصمائم الوقت ، فأقل درجات المحبة التلذذ بالحلوة بالحبيب ، والتسعم بمنجاة

٥- أن لا يتأسف على ما يقو به مما سوى الله عز وجل ، ويُعظم تأسفه على فوت كل ساعة حلت عن ذكر الله وطاعته ، فيكثر رجوعه عند انغفلات ، بالاستعطاف والتوبة

٦- أن يتسعم ، ويلذذ بالطاعة ، ولا يستقلها ، ويسقط عنه نعبها

٧- أن يكون مشفقاً على جميع عباد الله رحيماً بهم ، شديداً على جميع أعداء الله ، كما قال تعالى ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾

[المنح ٢٩]

٨- أن يكون في حبه حائفاً مغتلاً تحت الهيبة والتعظيم ، وقد يُطل أن انخوف بياقي الحب ، وليس كذلك ، بل إدراك العظمة يوجب الهيبة كما أن إدراك الجمال يوجب الحب ، وللمحبيين محاور على حسب

مراتهم ، كخوف الإعراض وخوف لحجاب وخوف الإبعاد ولذا قل بعض لمحبين :

الحبيب عرفته وأنا منه خائف لا يثبت إلا من هو بك عارف
٩- كتمان الحب ، وحبس الدعوى ، ولتوقي من يظهر الوحد
والمحبة تعظيماً للمحبوب وإحلالاً له ، وهمة منه ، وغيرة على سره ،
وبعض المحبين عجز عن الكتمان فقال .

بخفي فيدي الدمع أسرازه ويظهر الوجد عليه انفس
وبعضهم قال :

ومن قلبه مع غيره كيف حاله ^٩ ومن سره في جفنه كيف يكتم ^٩

١٠- الأنس بالله والرضى به . علامة الأنس بالله عدم الاستئناس
بالخلق وسلب ذكر الله ، فإن ~~خاصتهم~~ فهو كمفرد في جماعة ومجتمع
في خلوة . قل عبي كرم الله وجهه في وصف المحبين المستأسين بالله .
هم قوم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر ، فبشروا روح اليقين ،
واسلخوا بما استوعر المترفون ، وأسوا بما استوحش منه الجاهلون ،
صحبوا الدي نادياً أرواحها معلقة بالمحل الأعلى ، أولئك خلفاء الله
في أرضه والدعاة إلى دينه ^(١)

مراتب المحبة :

ذكر العلماء للمحبة مراتب عشراً :

أولها العلاقة . وسميت بذلك لتعلق القلب بالمحسوب .

(١) انظر كتب المحبة والشوق من «إحياء علوم الدين» للعزلي ، و«الفتوحات المكية»

لابن عربي .

الثانية الإرادة . وهي ميل القلب إلى محبوبه وطلبه له
الثالثة الصبابة . وهي انصباب القلب إلى المحبوب بحيث لا يملكه
صاحبه ، كالصباب الماء في المنحدر .

الرابعة الغرام : وهو الحب اللازم للقلب لا يفارقه ، بل يلزمه
كملازمة لعريم لعريمه .

الخامسة الوداد وهو صفو المحبة ، وخلصها ، وسها
السادسة الشغف . وهو وصول الحب إلى شغاف القلب قال الإمام
الجيد رحمه الله تعالى الشغف أن لا يرى المحب جهداً ، بل يراه عدلاً
منه ووفاء .

وتعذيبكم عذت لديّ وجوّزكم عليّ بما يقضي لهوى لكم عذت
السابعة العشق وهو الحب المفرط الذي يحاف على صاحبه منه
الثامنة التتيم : وهو التبعيد والنذل ، يقال تتيمه الحب أي ذلّه
وعبّده .

التاسعة التبعد . وهو فرق التتيم ، فإن العبد لم يبق به شيء من
نفسه .

العاشرة الخلّة : انفرد بها الخليلان إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة
والسلام ، وهي المحبة التي تحلّت روح المحب وقنّه ، حتى لم يبق
موضع لمير المحبوب^(١) .

وقد رأى الصوفية أن سر هذه الحياة يقوم على حرفين ثمين الحاء
وااء .

(١) انظر كتاب «مدارج السالكين» ص ١٨ .

وأحسن حالة الإنسان صدقٌ وأكمل وصفه حاءٌ واءٌ
هاتكالف تسهلٌ ونداءٌ إذا ما وجدَ احب .

لولاك يا سرَّ الوجود ما طاب عيشي ولا وجودي
ولا ترنمتُ في صلاتي ولا ركوعي ولا سجودي
وإذا تمكن الحب من القلب أخرج هذه الدنيا الفانية من سوبدائه ،
وعاش صاحبه حياة طيبة معمة ، لا يعرف لهم سسله إليه

مر بعض الصوفية على رجل يبكي على قبر ، فسأله عن سب بكائه
فقال : إن لي حياً قد مات . فقال : لقد طمئت نفسك بحبك محبوب
يموت ، فلو أحببت حياً لا يموت لما تعذبت بفراقه .

وهي وقعت أمثلة كثيرة عمن يسترخص موته عند يأسه من لقاء من
يحبه ، أو انقطاع أمله مما تعلق قلبه به من متاع رائل . فالانتحار ، وحرق
النفس والترامي على صحرة ~~الصحراء~~ كلنا نسمعها عن محبين
بائسين خاسرين ، وقد قيل :

فإن شئت أن تحيا حياةً هنيئةً فلا تتخذ شيئاً بحافاً له فقد ،
فأين هؤلاء من أحبب الله ورسوله ﷺ الذين أحبو الله ، ووصو به
رباً ، وبرزوله محمد ﷺ رسولاً ، وبالإسلام ديناً!

فمنهم من أحب الموت ، ورحب به لينقى من ورثه أحيائه . . (غداً
ألقى الأحبة ، محمداً وصحبه)^(١)

ومنهم من صحى بنفسه ودمه في ساحات الجهاد ، ليتال رضوان الله

(١) قال ذلك بلال رضي الله عنه عند ختصره ومؤثره في صفحة ٢٩٣

ويحطى ببقائه ، ومنهم ومنهم و فرق كبير بين من يضحى بنفسه في سبيل الله تعالى ، وبين من يضحى بنفسه لفقد شيء حسيس تافه :

أنت القَتِيلُ بأيِّ مَرٍّ أَحْبَبْتَهُ فاختَرْتُ لِنَفْسِكَ فِي الْهَوَى مِنْ تَصْطَفِي

وأعنى وأعلى لثمرات التي يقطعها المحب ، هو احب لمبادل ﴿يُحِبُّهُ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] وارضى المتبادل ﴿يَرْضَى اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [البينة: ٨] والذكر المتبادل ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [القر: ١٥٢]

مر عيسى عليه السلام على طائفة من العباد ، قد وهنت أديانهم ، وتغيرت ألوانهم من العادة ؛ فقل لهم . من أنتم ؟ فقالوا : نحن عباد الله تعالى . فقال . ولاي شيء تعبدته ؟ قالوا : خَوَّفَنَا اللهُ مِنْ نَارِهِ ، فَخَفْنَا مِنْهَا فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ آمَنَكُمْ مِنْ خَفْتُمْ مِنْهُ ثُمَّ جَاوَزَهُمْ لِأَخْرِيں أَشَدَّ مِنْهُمْ عِبَادَةً فَقَالَ لَأَيَّ شَيْءٍ تَعْبُدْتُمْ ؟ قَالُوا شَوَّفَنَا اللهُ جَنَّتَهُ وَمَا أَعَدَّ فِيهَا (لأولياءه) فَحَسَّ نَرْحُوهَا بِعِبَادَتِنَا فَقَالَ إِنْ اللَّهُ أَعْطَاكُمْ مَا رَجَوْتُمْ ثُمَّ جَاوَزَهُمْ وَمِنْ بَاخْرِيں يَتَعَبَّدُونَ فَقَالَ مَنْ أَنْتُمْ ؟ قَالُوا . نحن المحبون لله عز وجل ، لم نعبده خوفاً من باريه ، ولا شوقاً إلى جنته ، ولكن حباً له ونعظيماً لجلاله ؛ فقال أنتم أولياء الله حقاً ، وقد أمِرتُ أن أقسم معكم ، وأقام بين أظهرهم (١)

يشير هــ لشاهد إلى أن الناس يتفاوتون باختلاف هممهم ؛ فمنهم من يريد الدنيا ؛ ومنهم من يريد الآخرة ، ومنهم من يريد الله تعالى سمع بعض لصوفية قرناً يقرأ : ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢] . فقال : وأين من يريد الله ؟ !

وهذا قال الإمام علي رضي الله عنه : (إن قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار ، وإن قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد ، وإن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار) .

وقيل في وصف الذين أرادوا الله ، وأحبوه دون غيره .

فما مقصودهم جنة عدي ولا الحور لحسان ولا الخيام
سوى نظر الجليس ودا مناهم وهذا مقصد لقوم الكرام
(الله در أقوام إذا جن عليهم الليل سمعت لهم أنين الحائف وإذا
أصبحوا رأيت عليهم تعير ألوان .

إذا م الليل أقبل كبدوة وسفر عنهم وهم ركوع
أطرب لشرق نومهم فقاموا وأهل الأمن في الدنيا حشوع
أحسادهم نصر على التعبد ، وأقدامهم ليلاً مقسمة على النهجد ،
لا يترد بهم صوت ولا دعاء ، ~~تراهم في نسيم سجداً ركعاً~~ ، وقد ناداهم
اسنادي ، وأطربهم اشادي

يا رجس الليل جدوا رب صوت لا يُرد
لا يفسدوم الليل إلا من له حرم وجرد

لو أرادو في بيتهم ساعة أن ياموا أخلصهم الشوق إليه فقاموا ،
وجذبهم الوجد ولعرام فهاموا ، وأشدهم مرئد الحصره عن لسان
انحصره ويثهم ، وحمهم على لماجاه وحثهم

حُتوا مطاياكم وجدوا إن كن سي في القيوب وَجُد
قد آن أن تظهر الخبايا وتُشعر الصحف فاستعأوا

الفرش مشتافه إليهم ، ولوسائد متأسفة عليهم ، النوم قرم إلى

عيوبهم^(١) ، والراحة مرتاحة إلى جنوبيهم الليل عندهم أجل الأوقات في المرتب ، ومسامرهم عند تهجدهم يرعى الكواكب هجروا المنام في الظلام ، وقلدوا بطول امقام ، وناجوا ربهم بأطيب كلام ، وأبسوا بقرب الملك العلأ ، لو حجب عنهم في ليلهم لداؤوا ، ولو تغيب عنهم لحظة لما طابوا . . يدبمون التهجد إلى السحر ويتوقعون ثمر اليقظة والسهر . .

بلغت أن الله تارك وتعالى يتجنى لسمحيين ، فيقول لهم من أن ؟ فيقولون أنت مالك رقابتنا ، فيقول أنتم أحبتي ، أنتم أهل ولايتي وعنايتي هارجهي فشامدوه ، ها كلامي فاسمعوه ، ها كأسي فشربوه : ﴿ وَسَقَّيْنَهُمْ رِيْنَهُمْ شَرْبًا طَهُورًا ﴾ [المر ٢١] إذا شربوا طابوا ، وإذا طابوا طربوا ، وإذا طربوا قدموا ، وإذا قدموا هَامُوا .

لما حملت ربح الصبا قميص يومف ، لم يفضض ختامه إلا يعفوت ما عرفه أهل كعبان ومن عندهم خرج ، ولا يهودا وهو الحامل^(٢)

والحب فطرة في النفس الركية ، تنزع بها إلى تفهم حقيقته وأنشوق إلى استعرف على خائقها . ويرداد الحب كلما ازداد الإنسان ، وبمقدار كمال النفس يكون الحب ، وعلى قدر الحب نكون السعادة ويكون

(١) قال في «الموس» . القوم محررة شدة شهوة اللحم ، وكثر حتى قيل في الشوق إلى الحبيب ح ٤ ص ١٦٣ وكأنه يقول : اليوم مشتهى إلى عيوبهم ، إلا أن الشوق إلى الله تعالى أبعد اليوم عن عيوبهم .

(٢) كتاب «نهر اندهب في أخبار من ذهب» للشيخ كامل بن حسين الحلبي الشهير بالعزي ح ٢ . ص ١٩١ و ١٩٢

البعيم . وحب الله تعالى يسمو بالذوق للإنساني ؛ إذ يحول صاحبه إلى صيغة راضية مطمئنة .

ولقد جرد الصوفية لحب عن المطامع والشهوات ، وأخلصوا لحب الله تعالى ، فليس في حبهم علة ، ولا لعشقهم دواء إلا رضى مولاهم ، تقوى رابعة العدوية رحمها الله تعالى

كُنْهُمْ يَعْبُدُونَ مِنْ خَوْفٍ نَدِرٍ وَيُرُونَ النِّجَاةَ حَطًّا جَزِيلاً
أَوْ لَكِي يَسْكُنُوا الْجَنَّةَ فَيَحْطُوا بِكُؤُوسٍ وَيَشْرَبُوا نَسِيلاً
أَوْ يَقِيمُوا بَيْنَ الْقُصُورِ حَمِيحاً أَلَا لَا أَتَغْنِي بِحُجِّي بِدِيلاً

ومعنى ذلك أنها لا ترى الحبة إلا حاً في الله ، ووقوفاً عند أمره وبواحيه ، لأن المحب لمن يحب بطبعه ، وللبعض المحبين :

فَيْتَكَ تَحْلُو وَالْحَيَاةُ مَرِيضَةٌ وَلَيْتَكَ تَرْضَى وَالْأَنَامُ عَصَابٌ
وَلَيْتَ الَّذِي بَنَى وَيَسْكَرُ عَمْرٌ وَيُنِي وَيَسْنُ الْعَامِسُ حَرَابٌ
إِذَا صَحَّ مَكَ الْوَدُّ فَانْكُلْ هِينَ وَكُلَّ الَّذِي فَوْقَ لَشْرَبِ تَرَابٌ

ولقد عرف الصوفية طريق الحب فسروا فيه . .

قال الله تعالى في الحديث القدسي « وما تقرب عبدي شيء أحب إليّ مما افترصته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطئ بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه »^(١)

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق باب التوضيع عن أبي هريرة رضي الله

وهو نص سلوك إلى الله تعالى ، ولوصول إلى معرفته .

سئل ذو النون لمصري رحمه الله تعالى عن لمحبه فقال (أن تحب ما أحب الله ، وتبعض ما أبغض الله ، وتبعض الحير كنه ، وترفض كل ما يشعل عن الله ، وأن لا تحاف في الله لومة لائم ، مع العطف على المؤمنين ، والعصاة على الكافرين ، وأتباع رسول الله ﷺ في الدين)^(١) وقال أيضاً . (من علامات المحب لله ، مسعة حبيب الله في حلقه وأفعاله وأمره وسسته)^(٢)

وقال السيد أحمد الرفاعي رحمه الله تعالى : (من أحب لله علم نفسه لتواضع ، وقطع عنها علائق الدنيا ، وآثر لله تعالى على جميع أحواله ، واشتغل بذكره ، ولم يترك لنفسه رعة فيما سوى الله تعالى ، وفام بعبادته)^(٣)

وقال محمد بن علي الترهذي الحكيم رحمه الله تعالى : (حقيقة محبته دوام الأس نذكره)^(٤)

وقال ابن السباع رحمه الله تعالى : (ولم كن مطب ذوي العقول الكاملة ولنفس الفاضلة نيل السعادة القصوى التي معناها الحبة الدائمة هي الملا الأعلى ، ومشاهدة أنوار حضرة قدس المولى ، والتلذذ بمصالحة الجمال الإلهي الأسنى . ومعينة مطالع النور اقدس الأنهى وهذه السعادة لا تحصل إلا لنفس ركية ، قد سقت لها في الأزل العباية الربنية . بتيسيرها لسلوك الطرق العلمية والعمسية ، لمفضات بها إلى المحبة

(١-٢) «طبقات الصوفية» للسلمي ص ١٨

(٢) «ابرهان المؤيد» للسيد أحمد الرفاعي ص ٥٩

(٣) «اصفات الصوفية» ص ٢١٩

الحقيقية ، ولشوق إلى الأنوار الإلهية ؛ وبحسب هذه السعادة يحصل
لتنفوس العرفة من اللذة والابتهاج ، لا عين رأت ، ولا أد سمعت ،
ولا خطر على قلب بشر . فيحب على كل ذي لب المبادرة إلى تحصيل هذا
الأمر لحليل ، وورود هذا المورد السلسل الذي لم يصل إليه من الناس إلا
القليل . فالعشق يحث إلى هذا الموطر الجليل ، وينجذب جملة إلى ظله
الضليل وسيمه العليل ، وورود مهله العذب ، فلا يشيم سرق إلا لأنه يأتي
من ذلك الحجاب الرفيع ، ويحبر عن سر حماله ابدع ، فلهذا كان لمعان
البُرُوق يفصع بالشوق أفلاذ كبد لمشوق^(١)

بمثل هذا الذوق وصل لصفوة إلى لاطمئتن والرضاء هي طلائع
الحب الإلهي ، وراوا متعاً روحية دورها متع الحياة وشهواتها وحسبهم
أنهم تسرون مع الله ، ويعلمون تقريه ، ويشعرون بفضله وجوده ﴿رَضِيَ
الله عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [البقرة : ١٨] ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة : ٥٤] .
فاحتارهم بعد ما أحنتهم ورَضِيَ عنهم ، أولئك خلاصة خلقه ، وخواص
أحبابه ، فليل فيهم :

لله قومٌ أخلصوا في حُبِّه	وختارهم ورَضِيَ بهم حُدُوم
قومٌ إذا حَسَنَ لطلأ عليهم	أصرت فوماً سجداً وقيام
يتسددون بذكره في ليالهم	ويكابدون به النهار صياماً
فيسلمون عرئساً بعرائس	ويؤوِّد من أنجاس حيام
وتَقَرُّ أعينهم بما أخفيهم	وسيسمعون من الجليل سلام

* * *

(١) «مشارق أنوار القلوب» لابن الدبائع المتوفى سنة ٦٩٦ هـ ص ٣٦ .

الكشف

تعريفه .

قال السيد رحمه الله تعالى في تعريفاته : (الفراسة في اللمعة . التثبت وانظر ، وفي اصطلاح أهل الحقيقة . هي مكشفة اليقين ، ومعاينة الغيب)^(١) .

وقد لعرف بالله ابن عجيبة رحمه الله تعالى : (الفراسة هي خاطر يهجم على القلب ، أو وارد يتحسس فيه ، لا يخطئ ، غائباً إذا صفا القلب ، وفي الحديث : « اتقوا فرسة لمؤمن ، فإنه ينظر بنور الله »^(٢) وهي على حسب قوة القرب والمعرفة ، فكما قوي القرب ، وتمكنت المعرفة صدقت الفراسة ، لأن الروح إذا قربت من حضرة الحق لا يحل فيها غائباً إلا الحق^(٣)

و لكشف نور يحصل للمساكين في سيرهم إلى الله تعالى ، يكشف لهم حجاب الحس ، ويزيل دويهم أسباب المادة نتيجة لما يأحدون به أنفسهم من مجاهدته وحلوة وذكر^(٤) فتعكس أنصارهم في بصائرهم .

(١) تعريفات السيد ص ١١٠

(٢) رواه الترمذي عن أبي سعيد الحذري رضي الله عنه في كتاب التفسير

(٣) معراج المشوف ص ١٨

(٤) قال حجة الإسلام العراقي رحمه الله تعالى : (إن حلاء القلب وإبصاره يحصل بالذكر ، فإنه لا يتمكن منه إلا الذين تقوا ، ولفظي باب الذكر ، والذكر باب =

فينظرون بؤر الله وتنمحي أمامهم مقاييس الزمان والمكان ، فيطلعون على عوالم من أمر الله اطلاقاً لا يستطيعه من لا يزال في قيد الشهوات والشكوك ولذع العقائدية ووساوس الشيطانية ، ولا تتسع له إلا تلك القلوب النيرة السيمة التي زالت عنها ظلمات الدب وعواشها ، وانقضت عنها غيوم اشكوك ووساوسها ، وكثافة الماديات وأوصارها .

نعم إن من عص بصره عن المحرم ، وكث نفسه عن الشهوات ، وعمر باطنه بمراقبة الله تعالى ، وتعزّد أكل احلال ثم يخطيء كشمه وفراسته ، ومن أطلق نظره إلى المحرمات تنفست نفسه الظلمانية في مرآة قلبه فطمست نورها .

ويرجع هذا للكشف إلى أن العبد إذا انصرف عن الحسن الباطن إلى الحسن الباطن تعبت روحه على نفسه الحيوانية لمتلبسة ببدنه - والروح لطيفة كشافة - فيحصل له حينئذ الكشف ، ويتلقى واردات الإلهام

يقول الحارث بن خلدون رحمه الله تعالى فيما نحن بصددده : (ثم إن هذه المجاهدة والخلوة ولذكر يتبعها غالباً كشف حجاب الحسن ، والاطلاع على عوالم من أمر الله ليس بصاحب لحسن إدراك شيء منها ، والروح من تلك العوالم . وسب هذا لكشف أن الروح إذا رجع عن الحسن الظاهر إلى لاطن ، صغفت أحوال الحسن ، وقويت أحوال الروح ، وغلب سلطانه ، وتجدد شؤوه وأعان مع ذلك لذكر ؛ فإنه كالعداء لتنمية الروح ، ولا يزال في نمو وتزايد إلى أن يصير شهوداً ، بعد أن كان عِلماً ، ويكشف حجاب الحسن ، ويتم صفاء النفس الذي لها من ذاتها ،

وهو عين الإدراك ، فيتعرض حيثئذ للمواهب الربانية والعلوم اللدنية وفتح الإلهي إلى أن قال : وهذا الكشف كثيراً ما يعرض لأهل المجاهدة ؛ فيدركون من حقائق الوجود ما لا يدرك سواهم . . وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم على مثل هذه المجاهدة ، وكان حظهم من هذه الكرامات أوفر الحظوظ ، لكنهم لم يقع لهم بها عدية . وفي فضائل أبي بكر وعمر وعثمان وعبي رضي الله عنهم كثير منها ، وتسعهم في ذلك أهل الطريقة ممن اشتملت الرسالة القشيرية على ذكرهم ومن تع طريقهم من بعدهم ^(١) .

وهذا الكشف وراثته محمدية صادقة ، ورثها أصحابه رضي الله عنهم ، بسبب صدقهم ونصديقهم وصفاء سيرتهم .



الكشف عند رسول الله ﷺ وقبل أن يذكر شيئاً عن هؤلاء الأمور من الصحابة ومن بعدهم ، نذكر نوعاً من كشف رسول الله ﷺ الذي منحه الله به ، على أن الكشف له عليه الصلاة والسلام معجزة ، وللصحابة والأولياء من بعده كرامة ، وكل كرامة لولي معجزة لنسبه ﷺ .

عن أنس رضي الله عنه قال . أقيمت الصلاة ، فأقبل علي رسول الله ﷺ بوجهه فقال « أقيموا صفوفكم وترضوا ، فإني أراكم من وراء ظهري » ^(٢) .

ولما كان الكشف بعيداً عن عالم الحس ، وينبغي أمامه لمقياس

(١) «مقدمة ابن خلدون» ص ٣٢٩

(٢) رواء البخاري في صحيحه في كتاب أبواب الجماعة ، ومسلم في كتاب الصلاة .

لرماني والمكاني ، لذلك كان ﷺ يستوي عنده هي الرؤية القرب والبعد

يقول أس رضي الله عنه : بعث رسول الله ﷺ ريذاً ، وجمعراً وابن رواحة ، ورفع الراية إلى ريد فأصيب جميعاً ، فغاهم رسول الله ﷺ إلى الناس قبل أن يجيء أسجر ، ففاز « أخذ لراية ريد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب ، ويد عيني رسول الله ﷺ تذرهان . ثم أخذها خادس الويد من غير إمرة ، ففتح به »^(١) . قوله ﷺ يوم غزوة مؤتة .

لكشف في القرآن الكريم :

قال الله تعالى في حق إبراهيم خليل الله عليه السلام . ﴿ وَكَذَلِكَ بَرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ أَسْمَكُوتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِينَ ﴾ [الأنعام ٧٥]

وكذلك ما أخبر الله عز وجل عز المحصر عليه لسلام ، حين صحت موسى عليه السلام في المسائل الثلاثة

الأولى : انكشف للحضر أن السمينة التي ركبها مجاباً في طريقهم عر لبحر ، سياخذها ملك عاشم طمناً ، وحرقها ليعيها ولينقدها من شر ذلك لخاصب مكفأة للمعروف بالمعروف ﴿ أَمَّا السَّعِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَائِدٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾

[الأنعام ٧٩] .

الثانية : كشف به عن الغلام ، إن بقي حياً فسيقتل أبوه في كره ،

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب المجازات وكتاب المذهب

ويوقعهما في الكفر ، فقتله رحمة بأبيه المؤمنين ، واستجابة لإرادة الله تعالى بإيداله بخير منه زكاة ورحمة : ﴿ وَأَمَّا الْعَبْدُ فَكَانَ بَوَاقِ مُؤْمِنِينَ فَحَسِبْنَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۖ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ [الكهف : ٨٩-٩٠]

الثالثة : كشف له الكثر الذي تحت لجدار ، وكان لعلامين يتيم من أب صالح ، فأقام الجدار حفظاً للكر ، ورحمة للغلامين ، ومحنة لأبيهما الصالح ، بلا أجر وبلا مقابل ، مروءة و إخلاصاً . ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّهُ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾ [الكهف : ٨٢] .

الكشف عند الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين

الكشف عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

وهو الذي شهد الله له بالصديقية قوله : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ ﴾ [رسول الله ﷺ] وَصَدَّقَ بِهِ [أبو بكر رضي الله عنه] ﴿ وَإِنِّي أَذْكَرُ وَاقِعَةً وَاحِدَةً مِنْ كَثِيرٍ ، تَكْشِفُ لَنَا لِعِطَاءٍ عَنْ ذَلِكَ ، وَمَنْ أَيْنَ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَحْصِيَ مَا نَزَّلَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

عن عروة عن أبيه رضي الله عنه ، عن عائشة رضي الله عنها . أن أبا بكر لم حضرته الوفاة ، دعاها فقال . إنه ليس في أهلي بعدي أحد أحب إليّ غي منك ، ولا أعز عليّ فقراً منك وإني كنت سحلتك^(١) من أرض

(١) النحلة : انعطية والهبة انتداء من مير عوض ولا استحقاق كذا في غريب الحديث لابن الأثير ج ٤ ص ١٣٩ .

بالعافية حَدَادٌ^(١) - يعني . صرام - عشرين وسقاً^(٢) ، فلو كنتِ جدُّته تمرّاً
عاماً واحداً انحدرَ لك ، وربما هو مال الوارث ، وإنما هما أحواك
وأحتاك فقلتُ : إنما هي أسماء ، فقال وذتُ بطنِ امّةٍ خالصة ، قد
ألقي في روعي أنها جارية فاستوصي بها حيراً ، فولدت أمّ كلثوم^(٣)
قال الناح اسسكي رحمه الله تعالى (وفيه كرامتان لأبي بكر
رضي الله عنه :

إحداهما : إخبارُه أنه يموت في ذلك لمرص ، حيث قال . وإنما هو
اليوم مالٌ وارث .

والثانية : إخبارُه بموود يولد له ، وهو حرية . وأسر في إظهار
ذلك سيطرة قلب عائشة رضي الله عنها في استرجاع ماله وبه لها ولم
تقبضه ، وإعلامها بمقدار ما يخصها ، لتكون على ثقة ، فأحرها بأنه
مال وارث ، وأن معها أحوين لأحسين^(٤) .

الكشف عند عمر بن الخطاب أخيمة الثاني رضي الله عنه .

وقد شهد له رسول الله ﷺ أنه من الملهمين :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لقد كان
فيس قبلكم من الأمم رسٌ مُحدثون ، فإن يك في أمّتي أحدٌ فإنه عمر »^(٥)

(١) الحداد قال ابن الأثير الحداد بانصبغ والكسر صرام المحل وهو نطح ثمرتها
يقال جد الثمرة يجردها جدّاً ج ١ . ص ١٧٣

(٢) اوسق . قال في القاموس : ستون صاعاً أو حمل بعير ، وأوسق البعير حمته
حملاً

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات ، ذكر وصيه أبي بكر ج ٢ ص ١٩٥

(٤) أحجة الله على العالمين نلشع يوسف اسهاني البيروني ص ٨٦٠

(٥) رواه البخاري في صحيحه في كتاب المائت ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة

فإن أمته عليه الصلاة والسلام أفضل الأمم ، وإذا ثبت أنهم وجدوا في غيرها فوجودهم فيها أولى . وإنما أورده مورد لتأكيد ، كقول القائل إن كان لي صديق فلان يريد حنصا كمال الصداقة لا يهيا عن غيره . والمحدث . هو الملهم الصادق الطن ، وهو من أوفى في نفسه شيء من قبل الملائكة الأعلى ، فيكون كالذي حدثه غيره .

قال التاج السبكي رحمه الله تعالى (كان عمر رضي الله عنه قد أشر سارية بن زيم الخنصي على جيش من جيوش المسلمين ، وجهره على بلاد فارس ، فاشتد على عسكره الحال على باب نهوند وهو يحاصرها ، وكثرت جموع الأعداء ، وكذا المسلمون ينهزمون ، وعمر رضي الله عنه بآمديّة ، فصعد المبر وخطب ، ثم سخط في أثناء خطبته بأعلى صوته . [يا سارية! الجبل من أنكر عى اللئب انغم فقد ظلم] ^(١) . فأسمع الله تعالى سارية وجيشه أجمعين ، وهم على باب نهاوند صوت عمر ، فلجأوا إلى لجبل ، وفأجوا هذا صوت أمير المؤمنين ، فنجوا وانتصروا) .

وقال التاج السبكي رحمه الله تعالى : (لم يقصد إظهار الكرامة ، وإنما كُشف له ، ورأى لقوم عياناً ، وكان كمن هو بين أظهرهم حقيقة . وعاب عن مجلسه بالمدينة واشتغلت حواسه بما دهم المسلمين ، فحاطب أميرهم نصاب من هو معه ^(٢) ، ففي هذه القصة شيان :

الأول : الكشف الصحيح والرؤية العيانية على بعد آلاف الأميال ،

(١) قال المعجلوني : وإسناده كما قال لحافظ بن حجر حديث حسن ج ٢ ص ٣٨٠ .

(٢) حجة الله على العالمين ، للشيخ يوسف السباعي البيروتي ص ٨٦ .

وأين (لتلعزبون) في مثل هذه القصة لواقعة قبل أربعة عشر قرناً ؟

الثاني : إبلاغ صوته سارية على هذا البعد لتاسع

ورأى عمر رضي الله عنه قوماً من مذبح فيهم لأشتر فصعد النظر فيه وصوب ثم قال : (قتله الله إني لأرى للمسلمين منه يوماً عصياً فكن منه ما كان)^(١) .

وأخرج ابن عساکر عن طريق شهاب قال (إذا كان الرجل ليحدث عمر بالحدث فيكذب الكذبة فيقول : احبس هذه ، ثم يحدثه بالحدث فيقول احبس هذه ، فيقول له : كن ما حدثتك حتى إلا ما أمرتني أن احبسه)^(٢) .

وأخرج عن الحسن قال (إن كان أحد يعرف الكذب إذا حدث فهو عمر بن الخطاب)^(٣) .

وأخرج البيهقي في الدلائل عن أبي هذبة الحمصي قال : (أخبر عمر بأن أهل العراق حصنوا أميهم ، فخرج غصبن ، فصلى فسها في صلاته ، فلما سمع قال : اللهم إنهم قد لئسوا عني فالبس عليهم ، وعجل عليهم بالعلام الثقي يحكم فيهم بحكم الجاهلية ؛ لا يقبل من محسبهم ، ولا يتجاوز عن مسيئتهم) .

فت أشار به إلى الحجاج . قال ابن هبة . وما وُلد الحجاج يوماً^(٤)

(١) فيض القدير شرح لجامع الصغير للعلامة المناوي ج ١ . ص ١٤٣

(٢-٤) «تاريخ الخلفاء» للعلامة جلال الدين السيوطي ص ١٢٧ ١٢٨

الكشف عند عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه

ذكر التاج السكي رحمه الله تعالى في الطبقات وغيره (أنه دحس على عثمان رضي الله عنه دحس ، كان قد لقي امرأة في الطريق ، فتأملها ، فقال له عثمان رضي الله عنه . يدحس أحدكم ، وفي عينيه أثر الرما ؟ فقال ارجل : أوخني بعد رسول الله ﷺ ؟ قال : لا ، ولكنه هراسة المؤمن . وإنما أظهر عثمان هذا تأديباً للرجل ، وزجراً له عن شيء فعله ^(١)

الكشف عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه

الذي رآه رسول الله ﷺ في حجره ، ولما أحى النبي ﷺ بين أصحابه قال له . « أنت أخي » ^(٢) . وقال له أيضاً . « ألا ترصى أن يكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟ » ^(٣)

عن الأصابع رحمه الله تعالى قال : آتينا مع علي فمر بنا بموضع قبر الحسين ، فقال علي : (ههنا مناخ دكانهم ، وههنا موضع رحابهم ، وههنا مهراق دمائهم . فتية من آل محمد ﷺ يلقون بهذه العرصة ، فيكي عليهم لسماء والأرض) ^(٤) .

وقال علي رضي الله عنه لأهل الكوفة (سننزلكم أهلكم بيت رسول الله ﷺ ، فيستغيثونكم فلم يعاثوا) فكان منهم في شأن الحسين ما كان ^(٥) .

(١) « حجة الله على العالمين » للسهامي ص ٨٦٢ .

(٢) أخرجه ابن مديني في كتاب المنقب عن ابن عمر ، وقال حسن عريب

(٣) رواه البخاري في المغازي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

(٤) « الریاض المنيرة في مناقب العشرة » للمحب الطبري ج ٢ ص ٢٩٥

(٥) « فضل القدير شرح الجامع الصغير » للعلامة الماوي ج ١ ص ١٤٣

ولو أردنا أن نستقصي براحم الصحابة لكرام رضي الله عنهم في كشفهم وفراستهم ، لخرجنا عن موضوعنا في رسالتنا هذه .

كشف العارفين :

روي عن الإمام الشافعي ومحمد بن الحسن رحمهم الله تعالى (أنهما كانا بفناء الكعبة ، ورجل على باب المسجد فقل أحدهما أراه بجاراً ، وقل الآخر : بل حدادٌ ، فتأدر من حصر إلى الرجل فسأله فقال : كنت تجاراً وأنا اليوم حداد)^(١)

وعن أبي سعيد الخدري رحمه الله تعالى قال : (دخلت المسجد الحرام ، فرأيت فيراً عليه خرقة ~~تقال~~ ، فقلت في نفسي : هذا وأشباهه كل على الناس ، فناداني وقال ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ﴾ [لمرة ٢٣٥] فاستعمرت الله في سرِّي ، فناداني وقال ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ النَّبِيُّ عَنِ عِبَادِهِ ﴾ [الشورى ٢٥] ثم عاب عني ، ولم أره)^(٢)

ومثل هذا وقع لغيره . يقول حبر الساج رحمه الله تعالى (كنت جالساً في بيتي ، فوقع لي أن الجنيد بالبب ، ففيت عن قلبي ذلك ، فوقع ثياباً وثالثاً ، فخرجت ، فإذا الجنيد ، فقال لِمَ سم تحرج مع الحاضر الأول ؟)^(٣) .

وحكي عن إبراهيم الحواص رحمه الله تعالى قال (كنت في بغداد في جامع لمدينة ، وهناك جماعة من الفقهاء ، فأقبل شاب ظريف طيب

(١) «تفسير المصطفي» ج ١٠ ص ٤٤ .

(٢) «الإحياء» للمعالي ج ٣ ص ٢١ .

(٣) «الرسالة القشيرية» ص ١١٠ .

لرائحة ، حسن الحزمة حسن لوجه ، فقلت لأصحابنا : يقع لي أنه يهودي ، فكلهم كرهوا ذلك ، فخرجت وخرج أنشاب ، ثم رجع إليهم وقال إيش قال الشيخ ؟ فاحشموه ، فألح عليهم فقاتلوا قال إلك يهودي . قل . فحائي ، وأكبّ على يدي وأسلم ، فقيل : ما السبب ؟ قال نحد في كتنا أن لصدّيق لا يحطّء فراسته ففتت^(١) أمتحن المسممين ، فتأمتهم ففتت إا كان فيهم صدّيق ، فهي هاه الطائفة لأهم يقولون حديثه سبحانه ، فلأبست عليهم ، فلم أطلع عليّ وتعرّس في عمّت أنه صدّيق ، وصار لشاب من كبار لصوفيه^(٢) .

ولا عجب في ذلك فقد أحر عن هذا رسول الله ﷺ بهوه « إا لله عباداً يعرفون الناس بالتوسم »^(٣) .

ووقف نصرني على الجبر رحمة الله تعالى ، وهو ينكم في الجامع على الناس ، فقال : أيها الشيخ ! ما معنى حديث « اتقوا فراسة المؤمن فويه ينظر سور الله »^(٤) فأطرق الجبر ثم رفع رأسه وقال . أسلم فقد جاء وقت إسلامك ، فأسم العلام^(٥) .

وحديث الفراسة أصل في الكشف الذي يقع لكثير من الأولياء ، تجد الواحد منهم يكشف الشخص بما حصل له في غيبته ، كأنه حاضر معه . وهي فتنة في حق من لم يتخلق بخلاق الرحمن .

وقد يكون الكشف عن أصحاب القبور معتمين أو معدّين :

(١) الرسالة القشيرية ص ١١٠

(٢) رواه أنبرار والطراي في الأوسط عن أسير بن مالك وساده حسن ، كما في مجمع الروادح ١٠ ص ٢٢٨

(٣) رواه الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري . في كتاب التفسير .

(٤) الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيثمي ص ٢٢٩

قال العلامة عبد الرؤوف المناوي رحمه الله تعالى عند شرحه حديث رسول الله ﷺ «لَوْ لَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا لِدَعْوَتِ اللَّهِ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»^(١) وإنما أحبَّ إسماعهم عذاب الغير دون غيره من الأهوال لأنه أول المازن . وفيه أن لكشف بحسب انصافه ، ومن كُوشف بما لا يطيقه هلك .

تنبيه . قال بعض الصوفية . (والاطلاع على المعذِّبِ والمتعمِّين في قبورهم واقع لكثير من الرجال ، وهو هول عظيم ، يموت صاحبه في اليوم والليمة مودت . ويستعيث ويسأل الله أن يحججه عنه ، وهذا المقام لا يحصل لعبد إلا بعد غلبة روحانيته على جسمانيته ، حتى يكون كالروحانيين فالذين خاطبهم الشارع هذ هم الذين عبت جسمانيتهم لا من علبت روحانيتهم ، والمصطفى ﷺ كان يحاطب كل قوم بما يليق بهم)^(٢) .

وما حكى من فراسة المشايخ وإخبارهم عن اعتقادات الناس وضمائرهم يخرج عن الحصر ، إلا أن الجاحد لا تفيد هذه الشواهد والأخبار مما ذكرناه من النقول الصحيحة عن لصحة والسامعين ومن بعدهم ؛ مادام لا يؤمر إلا بالمادة ولا يصدَّق ما وراءها

قال تاج الدين السبكي رحمه الله تعالى (اعم أن المرء إذا صفا فيه صدر ينظر بنور الله ، فلا يقع بصره على كدر أو صافٍ إلا عرفه ثم تحتلف الحقائق ، فمنهم من يعرف أن هناك كدراً ولا يدري ما أصبه .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب حججه وفتحه بغيرها ، واللساني عن أنس بن مالك رضي الله عنه

(٢) «فيض القدير» شرح الجامع الصغير «للعامة المداي ح ٥ ص ٣٤٢

ومهم من يكون أعنى من هذا المقام فيسري أصله ، كما اتفق لعثمان رضي الله عنه ، فإن تأمل الرجل للمرأة أورثه كدراً فأبصره عثمان ، وفهم سببه

وهذه دقيقة : وهي أن كل معصية لها كدر ، وورث نكته سوداء في لقلب فيكون أبياً ، كما قال تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين ١٤] . إني أن يستحكم والعياد بالله ، فيظلم القلب وتعلق أبواب لنور فيطبع عليه ، فلا يبقى سبيل إلى التوبة . كما قال تعالى ﴿ وَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة ١٧٠]

إذا عرفت هذا ؛ فالصغيرة من المعصية تورث كدراً صغيراً بقدرها قريب المحو بالاستغفار وغيره من المكفرات ولا يدركه إلا ذو بصر حاد كعثمان رضي الله عنه ، حيث أدرك هذا الكدر ليسير ، فإن تأمل المرأة ونظر إليها أدركه عثمان وعرف أصله ^(١) وهذا مقام عالٍ يحصع له كثير من المقامات .

(١) قال العلامة الألوسي في كتابه « روح المعاني » عند قوله تعالى : ﴿ قُلْ لِمُؤْمِنِينَ يَعْصُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾ [النور ٣١] : « ثم إن عصى لبصر عما يحرم النظر إليه واجب . ونظرة الفجأة لا تنفع فيها - معصيتها - فقد أخرج أبو داود ، والترمذي وغيرهما عن بريدة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لَا تَنْتَهِ النَّظَرُ لِنَظَرَةٍ ، فَإِنْ لَكَ الْأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ » تفسير روح المعاني للعلامة الألوسي ج ١٨ . ص ١٢٥ .

وعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال : « كل عين زانية » رواه ابن ماجة وأبو داود وابن جرير

وعن علقمة عن النبي ﷺ قال : « زنا العيس النظر » رواه الطبراني . الحديثان في مجمع الروايات . ج ٦ . ص ٢٥٦

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ، يعني عن ربه -

وإد انصم إلى الصغيرة صغيرة أخرى ، ردد الكدر ، ويد تكثرت
الدوب حتى وصلت - ولعيد بالله - إلى ما وصفناه من طلام القنوب صار
بحيث يشاهده كل ذي بصر ، فمن رأى متصمماً ولمعصي قد أطم
قلبه ؛ ولم يتفرس فيه ذلك فليعلم أنه إما لم يبصره بما عنده من اعمى
المانع للأنصار ، ولا فلو كان بصيراً لأبصر هذا الظلام لدجي ، وبقد
بصره بصر ، ففهم ما نتحدث به ^(١) .

فأفراصة أمر جائز الوقوع ، وهي منحة إلهية يكرم الله بها عباده
الصالحين ، الذين تمسكوا بدينهم ، وحفظوا جوارحهم ، وصقلوا
قلوبهم ، وهذبوا نفوسهم .

قال المصوي في شرح الجامع لصعير عند قوله عليه الصلاة
والسلام . « إن لكل قوم فراصة » وإنما يعرفها الأشرف « (قاعدة
الفراصة وأشها . العنصر عن المحام ، قاب الكرمانني من عمر طهره
بديع السنة ، وباطنه بدوم المراقبة ، وكف نفسه عن الشهوات ، وعض
بصره عن المحالقات ، واعتاد لكل لحوال لم تخطر فرسه ابدأ . اهـ

« عرج » الطرد سهم مسموم من سهام إبليس ، فر تركها من مخفي نبله
إيماناً بجد خلاوته في قلبه » رواه الطبراني والحاكم من حديث حذيفة و .
صحيح الإسناد

وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لتعصر أبصاركم ولتتفظن
فرواحكم ، أو ليكسفن الله وجوهكم » . رواه الطبراني

وعنه أيضاً عن النبي ﷺ قال : « ما من مسلم يخطر إلى محاسن امرأة ثم بعض
بصره إلا أحدث له الله عبداً يجد خلاوته في قلبه » . رواه الإمام أحمد ، في

الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٣٤-٣٦

(١) « حجة الله على العالمين » لسهائي ، بيروت ص ٨٦٢

فمن وُفِّقَ لذلك أبصر الحقائق عياناً بقسه (١) .

وعلى كلِّ دلووبٍ تحتلف باختلاف صقلها وتنظيفها من أدران لدووبٍ لمطومة ، فهي كالزجاج كلما صقل ازداد ثمنه ، وكشف الجراثيم التي لا ترى . فإين زجاج نافذة من زجاج المحهر الذي يكشف الجراثيم له قيقة ؟ وكما لا يقاس زجاج النافذة بزجاج المحهر ، كذلك لا تقاس القلوب الصافية المصقولة بالقبوب المكدرة المظلمة ، ولا تقاس الملائكة بالشياطين .

فمن حدَّ وحد ، ومن سار على لطريق وصل ، ومن أتقن المقدمة وصل إلى النتيجة ، والبديت تدل على النهايت



(١) «بصير القدير شرح الجامع الصغير» للمصوي ج ٢ ص ٥١٥

الإلهام

قال الشريف الجرجاني رحمه الله تعالى في تعريفته . (الإلهام : ما يُلقَى في الرُوع بطريق الفيض وقيل : للإلهام ما وقع في القلب من علم . وهو يدعو إلى العمل من غير استدلال بآية ، ولا نظر في حجة)^(١) .

والإلهام إما أن يكون من قِبَلِ الله تعالى ، أو من قِبَلِ ملائكته ، يُنهم به أمر أو نهى أو ترعيب أو ترهيب .

أما الذي من قِبَلِ الله تعالى :

وحكى لك حصرة الله تعالى في كتبه عن مريم رضي الله عنها حينما أوتت إلى شجرة النخ في أيام الشتاء ، فخاطبها بإلهام ووحى من دون واسطه وقال لها . ﴿ وَهَرَيَّ إِلَيْكَ صَيْحٌ لِّحَلَةٍ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا خَبِيثًا ﴾ فكلى وأشربى وقري عيشة ﴿ [مريم : ٢٥] .

قال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى عند تفسير هذه الآية (إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عَلَى سَبِيلِ النَّمْثِ فِي الرُّوعِ وَالْإِلْهَامِ وَالْإِلْقَاءِ فِي الْقَلْبِ ، كما كان في حق أم موسى عليه السلام في قوله : ﴿ وَأَوْحَيْتَ إِلَيْكَ أَمْرًا مُوسَى ﴾^(٢) [القصص : ١٧] .

(١) «تعريفات» للشريف الجرجاني ص ٢٣

(٢) «التفسير الكبير» للإمام فخر الدين الرازي ج ٢ ، ص ٦٦٩

وكذلك أخبرنا عن أم موسى عليه السلام ، حسب صاق به لحال من
أمر ابنها عليه السلام ، وداهمها جنود فرعون لقله ، فألهمها ، وأوحى
إليها بلا واسطة ، فقال تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا جَعَلَتْ
صَدُّهُ فَالْقَبْهَ فِي السَّعَىٰ وَلَا تَحْزَنِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَازِقُوهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَجَاءَتْهُ مِنْ
الْمُرْسَلِينَ ﴿١١﴾ الْمَصْر ١٧

أنقذ ابنها وفنذ كده بين أمواج البحر الحميم إلى أين يذهب هذا
الولد ، لكريم بن هباح موح البحر يا ترى ؟! به الهلاك بعينه ، لكها
كانت عسى نفس من أمره ، لِمَ اعتادت من سماع الوحي الذي يأتيها من
ربها بلا واسطة ، في حلوتها وجلوبها .

هذه امرأة مؤمنة ، وولية وليست بية ^(٢) ، ونبت مريم رضي الله عنها
في أمة إسرائيلية ، فما بالك بالأمة المحمدية لني شهد الله لها بالخيرية
على سائر الأمم ^(٣) قال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ حَرًّا أُمَّةً تُخْرِجُ النَّاسَ تَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [ان عمرون ١٠٠] .

وأما الإلهام من قبل الملائكة :

فَلَمَّا كُنْتُمْ بِحَدِّثِ الْإِنْسَانِ ، كَمَا قُلَ ۖ ﴿١٦﴾ . وَأَمَّا لَمَّةُ الْمَلَكِ وَإِعَادَةُ

(١) قال العلامة لألوسي في تفسيره عنده ، آية ح ١٦ من ١٧٠ ر والمراد بالإلهام
عن الله هو ما كان يلهيهم ، كما في قوله تعالى ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّفْلِ ﴾ [الضحى
٦٨] . إلى أن قال : وإلهام الألفس العنسة مثل ذلك لا يُعد فيه ، فإنه نوع من
الكشف

(٢) انص ، لاكتشوت عسى ، أم موسى لم تكن سة لأن لبوة محصورة في الرحا ﴿ وَمَا
أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا فَوَحَّى إِلَيْهِمْ ﴾ [يوسف ١٩] والوحي جاء في القرآن
لا بمعنى السورة ، بل بالإلهام كما كان له في ﴿ وَوَحَّيْنَا إِلَى الْحَوَارِيِّينَ ﴾ [المائدة
١١١] ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ ﴾ [طه ٢٨]

الخير وتصديقاً بالحق ، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله
فليحمد الله » (١)

قال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى عند قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ
قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ
الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران ٤٢] . (اعلم أن مريم عليها السلام ما كانت من
الأنبياء لقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوْحِيْ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ
الْقُرْآنِ ﴾ [يوسف ١٠٩] . وإذا كان كذلك ، كان إرسال جبريل عليه السلام
كرامة لها ، وكلمها شعاعاً ، وليس هذا حاصلاً بها ، بل هناك كثير من
الصالحين كلمتهم الملائكة عليهم السلام (٢) فقد روي أن
رسول الله ﷺ قال : « إن رجلاً زار أخاه في قرية أخرى ، فأرصد الله
عسى ما رجبته ملكاً ، فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخاً لي
في هذه القرية . قال : هل لك عليه من منعمة ترثها ؟ قال : لا ، غير أبي
أحبته في الله عز وجل ، قال : فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما
أحبته فيه » (٣)

أرصد الله على مدرجته مكاناً أي وكنهه بحفظ لمدرجة ، وهي
لطريق وجعه رصد . أي حفظاً مُعداً ترثها أي تحفظها وتربيتها كما
يربي الرجل ولده .

(١) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي كِتَابِ التَّصْوِيرِ ، تَفْسِيرُ سُورَةِ الْقُرَةِ عَنْ مَنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
وَقَالَ . حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ وَلِلْمَلِكِ الْهَيْمَةُ وَالْحَطَّاءُ يَقَعُ فِي الْقَلْبِ كَمَا فِي
عَرَبِ الْحَدِيثِ .

(٢) «التفسير الكبير» للإمام فخر الدين الرازي ج ٢ . ص ٦٦٩ .

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ فِي كِتَابِ الْبِرِّ ، الصَّلَاةِ بَابُ فَضْلِ الْحُبِّ فِي اللَّهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

قال العلامة محمد بن علاء الصديقي الشافعي رحمه الله تعالى شارح رياض الصالحين عند قوله ١٠ « فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكاً ، فلما أرى عليه قال أين تريد ؟ » ١٠ (طهره أن لملك خاطبه وشافهه) (١) .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ إِلَیْكَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْهُوا سَتَرَلْ عَنْهُمْ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا يَخَافُوا وَلَا يَحْزَنُوا وَأَنْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [نَحْنُ أَوْلَىٰ بِكُمُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ] [ص ٣٠-٣١] .

قال لعلامة الأنوسي رحمه الله تعالى مفسراً تنزل الملائكة في هذه الآية (تنزل عند الموت والقبور وبعث روين تنزل عليهم يمدونهم فيما يعز ويطراً لهم من الأمور الدينية والدنيوية ، بما يشرح صدورهم ، ويدفع عنهم احواف واحزون ، بطريق الإلهام

وهذا هو الأطهر ؛ لما فيه من الإطلاق والعموم الشامل لترلهم في الموطن الثلاثة وغيرها ، وأنز جمعاً من الناس يقولون تنزل لملائكة على المتقين في كثير من الأحيان ، روين يأخذون منهم ما يأخذون ، فنذكر

ثم قل في قوله تعالى : ﴿ وَأَنْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [ص ٣١] أي التي كنتم توعدها في الدنيا على ألسنة الرسل عليهم السلام ، هذا من بشاراتهم في أحد المواطن الثلاثة .

وقال في قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ أَوْلَىٰ بِكُمُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [ص ٣٠] . من بشاراتهم في الدنيا ، أي أعرانكم في أموركم ، بلهمكم لحق ونرشدكم إلى ما فيه خيركم وصلاحكم . إلى أن قال إن الملائكة تقول

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ج ٣ . ص ٢٣٢ .

لبعض لمتقيين شفاهاً في غير تلك المواطن نحر أولياؤكم في الحياة الدنيا (١) .

وقال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآيات : (ثم إنه تعالى أخبر عن الملائكة أنهم قالوا للمؤمنين ﴿يَحْضُرُ أَوْلِيَائَكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [نصب ٣] : ومعنى كونهم أولياء للمؤمنين أن للملائكة تأثرت في الأرواح اشربة - لإلهامات و لمكاشفات النقية ، المقامات الحقيقية ، كما أن للشياطين تأثيرات في الأرواح بالقاء اوساوس فيها وتحيل الأباطيل إليها

وبالجملة فكون الملائكة أولياء للأرواح الطيبة الطاهرة حاصل من جهات كثيرة معلومة لأرباب المكاشفات والمشاهدات ، فهم يقولون . كم أن تلك الولاية كنت حاضرة في السب ، فهي تكون باقية في الآخرة ، فإن تلك العلائق ذاتية لا يمتد غير قريبة للروان ، بل كأنها بصير بعد الموت أقوى وأبقى ، وذلك لأن جوهر النفس من جنس الملائكة ، وهي كالشعلة بالنسبة إلى الشمس ، والقصر بالنسبة إلى البحر . وانعلاقات لجسمانية هي التي يحول بينها وبين الملائكة ، كم قال ﷺ . « لولا أن لشياطين يحومون على قلوب بني آدم لظروا إلى ملكوت السماوات » . فإذا رلت لعلائق الجسمانية والتدبيرات لدنية ، فقد زال العطاء والوطء ، فيتصن الأثر باموثر ، والفطره باموثر والشعلة بالشمس ، فهذا هو المرد من قوله ﴿يَحْضُرُ أَوْلِيَائَكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (٢) . فصلت ٢٣١

(١) روح المعاني في تفسير امرآء العظم والسبع المثاني للعلامة محمود الألوسي البغدادي رحمه الله تعالى المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ ج ٢٤ ص ١٠٧ .

(٢) تفسير الإمام الرازي ج ٧ . ص ٣٧١

وقد كن عمران بن حصين رضي الله عنه يسمع نسيح الملائكة حتى اكتوى، فاحبس ذلك عنه، ثم أعاده الله إليه وروى بن الأثير رحمه الله تعالى في أسد الغابة بسنده إليه، أن رسول الله ﷺ نهى عن الكي، قال عمر بن : فاكترينا، فب أفبنا ولا نجحنا .

قال . وكانت الملائكة هي مرصه تسب عليه ، فاكوى وفقد التسليم ثم عادت إليه^(١)

() وقد ألف العلامة الكبير جلاء الدين السيوطي رسالة سماها « توير اءءء في إماء روءة لبى والماء » نقر منها ما بهما في موضوعا لءى نكلم فيه

قال جلال الدين لىوطى رحمه الله تعالى . (أءءء مسم في صءىءه عن مطرف قال قال لى عمران بن ءصبن رضى الله عنه قد كان سلم على ءى اكءوىاء فءرك ثم ءرك الكى فعاء) وأءءء مسم من رءه آءر عن مطرف وا ءءء إى عمران بن ءصبن فى مرصءه الذى ءرمى فيه فقال : إى مءءءك فءن عءء فاكءم عى ، وإن مء فءءء بها إى ءءءء ساءة قد ءسم على

قال لىوى فى شرح مسلم معنى الءءء لأء أن عمران بن ءصبن كان به بواسبر ، فءن يصبر على أءه ، وكانت الملائكة تسب عليه ، واكءوى ، واقءع سلامهم عىه ، ثم ءرك لكى فعاء سلامهم عىه قال : وقوله فى الءءء الءانى فءن عءء فاكءم عى ، أراد به الإءب بالسلام عىه ، لأنه ءرد أن ءشاع عنه ءك فى ءىء له فى من الءءرمس لءءءة بءلاف ما بعد الموء

وقال المرطى فى شرح مسلم : يعى أ الملائكة ءءت سلم عىه إءراماً له واحءراماً ، إلى أن اكءوى ءركء السلام عىه ، ففىه إءءء ءرءماء الأءلاء

وقال القاصى أن ءر بن لءرى أء الأءمة اءاءكة ، شارء صءىء لءرمءى ، فى ءئاب ءانء لىأول ، ءهب الصوءة إلى أنه إءا ءصل للإسء طءارة اسءس فى بركه القىب ، وفضع العلاءى ، وءسم مواد أسباب اءىب من الءاء والماء والءىطه بالءس ، وإقءال عى الله تعالى بالءكلىة ، عءماً ءائماً وعءلاً مسمرأ ، ءءمء له بقبوب ، ورأى الملائكة وسمع أقوالهم ، واطبع على أرواح الأباء ، وسمع كلامهم ، ثم ءر أن العربى من عءه روءة الأباء والملاءة وسماع كلامهم =

ولقد سمي لصوفية اعلم الناتج من الإلهام علماً بدياً حاصلاً بمحضر
فصل الله وكرمه بغير واسطة عارة .

قال بعضهم :

تَعَلَّمْتُ بِلا حَرْفٍ وَصَوْتٍ قَرَأْتُ بِلا سَهْوٍ وَفَوْتٍ
يعني بطريق الفحص لإلهي ، والإلهام الرباني ، لا بصريق لتعليم
النقطي ، والتدريس القوي .

وقد سئل الإمام الغزالي عن الإلهام فقال (الإلهام ضوء من سراج
لنبي ، يسقط على قلب صافي لطيف فارغ) كل هذا يدل على إمكان
الكشف وصحة الإلهام ؛ إذ كن القلب صافياً فارغاً من علائق الدني
وهمومها ، ومن صدأ الذنوب وظلماتها . فاشياطين لطماية لا تقع إلا
على القلوب لعفنة ، كما يقع الذباب على الأرنبي الوسخة ، فتتحرك
القلوب عن مطاعة ما حُجب عنها ، يقول عليه السلام : « لولا أن الشياطين
يحومون على قلوب بني آدم لتظروا إلى ملكوت السماء » ^(١) . وتُصَرَّفُ
وسوستها عن تلك القلوب بذكر الله تعالى ومراقبته « إن الشيطان واضع
خطمه على قلب ابن آدم ، فَإِنْ ذَكَرَ اللهَ خَسِرَ وَإِنْ نَسِيَ انْتَقَمَ قَبْله » ^(٢) .
لأن القلب إذا اعتاد الوسوسة ، والعفنة عن ذكر الله تعالى مَرِضَ . وأم
إذا اعتاد الذكر ، وسقي بأبواره ، وسطعت عليه شمس تحديق الله تعالى
حيي وكان في عداد الأحياء ، يقول عليه الصلاة والسلام . « مثل الذي

= ممكن كرامة ، ولتكامل عقوبة الحادي للمدوي ج ٢ ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ لعلامة
جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ

(١) روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

(٢) روى ابن أبي الدنيا ، وأبو يعلى والبيهقي عن أنس ، كما في الرغب والرهف
خطمه . عنه ج ٢ ص ٤٠٠

يذكر ربه ، والذي لا يذكر ربه مثل الحي واسميت ^(١) .

فإذا واظب المؤمن على ذكر الله تعالى ، وكان مستقيماً على شرعه
منحلياً بالتقوى ، مستأنساً بربه صار حباً بالله . ويقول لقوم . اقلوب
نوعان قلب لا يولد ولم يأن له أن يولد ، بل يظل حنياً في بطن
الشهوات والغنى والضلال وقتب وُد ، وخرج إلى فضاء التوحيد ،
وحلق في سماء المعرفة ، وخلص من ظلمات النفس وشهواتها واتبع
هوها ، فقررت عينه بالله تعالى وأدبرت جوابته أشعة إيمين ، وجعلته مرآة
شفافة ، لا سبيل للشيطان إليه ، ولا سلطان له عليه وليس هذا بعيد ،
فالطاقة الروحية قد انطلقت إلى عالم الغيب ، وصار صاحبها حياً بعد أن
كان ميئاً ، وموراً بعد أن كان مظلماً ، ومكياً بعد أن كان شبعانياً ﴿ وَ
مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَمْ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّارِ ﴾ [الأنعام ١٢٢] .

ولا شك أن تلك الأسرار الروحية ، لا تدرك بمجرد الكلام ، فمن
لا نصيب له في شيء منها لا يحضره أن يكتلها إلى أربابها ، وأن يعطي
لقوس باريها :

فللكشفة أقوامٌ لها حُلُوفوا وللمحبة أكادُ وأجسمان
وأدى النصيب من هذا لعلم التصديق به وتسليمه لأهله ، وأقل
عصوبة من يكره أن لا يُرزق منه شيئاً وهو علم الصديقين
والمقربين ^(٢)



(١) رويه الحادي في صحيحه في كتاب الدعوات عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه

(٢) وهي الإجابة لعمري بحث مستفيض في الموضوع فليرجع إليه

كرامات الأولياء

إثبات الكرامات - لحكمة من الكرامات -

الفرق بين الكرامة والإستدراج - موقف الصحابة من الكرامات

كثير تساؤل الناس في هذا الزمان عن كرامات ، هل هي نعمة في الشرع ؟ هل لها دليل من الكتاب والسنة ؟ ما هي لحكمة من إجرائها على يد الأولياء والملتقيين ؟ إنا نحن وبما أن موجبات الإلحاد والمادية ، وتيارات التشكيك والتفصيل قد كثرت في هذه الوقت ، فأثرت في عقول كثير من أثبات ، وأضحت للعديد من مثقفين ، وحسبهم على الوقوف من الكرامات موقف المشكك الجاحد ، أو الشاك المتردد ، أو المستغرب المتعجب نتيجة لضعف إيمانهم بالله وقدرته وقلة تصديقهم بأوليائه وأحبابه .

فلا يسعنا إلا أن نعالج هذا الموضوع إظهاراً للحق ، ونصرة لشريعته الله تعالى

إثبات الكرامات :

لقد ثبتت كرامات الأولياء في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله ﷺ وفي آثار الصحابة رضوان الله عليهم ، ومن بعدهم إلى يومنا هذا ، وأقرها جمهور العلماء من أهل السنة ولجماعة ، من الفقهاء والمحدثين والأصوليين ومشايخ الصوفية ، وتصانيفهم ناطقة بذلك ، كما ثبتت كذلك بالمشاهدة العينية في مختلف العصور الإسلامية فهي ثابتة بالتواتر في المعنى . وإن كانت التفاصيل أحياناً ، ولم ينكرها إلا أهل

لبدع والانحراف ممن ضعف إيمانهم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله (١)

الدليل عليها من كتاب الله تعالى .

١- قصة أصحاب الكهف ويقائهم في ليل يوم أحدهم سالمين عن الأفت

مدة ثلاثمائة وتسع سنين ، وأنه تعالى كان يحفظهم من حر الشمس ﴿ وَنَرَى الشَّمْسَ إِذَا صَلَعَتْ تُرْوِدُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا عَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ ﴾ [الكهف ١٧] إلى أن قال . ﴿ وَنَحْصِبُهُمْ نُفُكًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَبُّهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ [الكهف ١٨] . إلى أن قال ﴿ وَلَيُتَوَأْنِيَ كَهْفُهُمْ تَلْتَلِئًا مَائَةً سَنِينَ ﴾ [الكهف ٢١] (٢)

[الكهف ٢٥] .

٢- هُرِّ مريم حذغ الخنة إلياس ، فأحصر وتنفط منه الرُّطْبُ الجنى

(١) قال العلامة في معنى رحمه الله تعالى (وإلياس في إنكار الكرامات محتشم ، فمنهم من ينكر كرامات الأنبياء مطلقاً ، وهؤلاء أهل مذهب معروف ، عن النوبختي معروف ، ومنهم من يخلط بكرامات أنبياء زمانه ويصدق بكرامات الأنبياء الذين يسبقون زمانه كمشهور الكرخي والإمام لجيد وسهل البستري وأئمة مذهبهم رضي الله عنهم ، وهؤلاء كما قال أبو الحسن الأشعري رضي الله عنه ، الله ما هي إلا إسرائيلية ، صدقوا موسى وكذبوا محمداً ﷺ لأنهم ذكروا زمانه ومنهم من يصدق بأن الله تعالى أولئك لهم كرامات ولكن لا يصدق بأحد معجز من أعلام زمانه)

روى ابن أبي عمير ، للإمام أبي جعفر ص ١٨

(٢) قال الإمام فخر الرازي رحمه الله تعالى في تفسيره الكبير عند قصة أصحاب الكهف (احتج أصحاب البصيرة بهذه الآية على صحة القول بالكرامات ، هو استدلال ظاهري ، فيقول الذي يدعي على جود كرامات الأنبياء القراء والأخبار ولائهم واستحقاقهم) انظره مفصلاً في تفسير الكبير للعلامة فخر الدين الرازي ص ٥٠

في غير أونه ، قال تعالى ﴿ وَهَرَيَّ إِلَيْكَ بِجَنَاحِ أَسْنَدِهِ فُتِفْتُكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴾ [مريم ٢٥] ،

٣- م قصص الله عليت في امرآه ، من أن ذكرها عليه السلام كان كلمة دخل على مريم المحراب ، وجد عندها ورقاً ، وكان لا يدخل عليها أحد غيره عليه السلام فيقول يا مريم أسي لك هذا ؟ تقول هو من عند الله . قال الله تعالى ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَنَزَّلُهُمُ أَفَى لَسِي هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران ٣٧]

٤- قصة آصف بن برخي مع سليمان عليه السلام على م قاله جمهور المفسرين في قوله تعالى ﴿ قَالَ لَأَبْلُغَنَّكُمْ عِلْمًا مِّنَ الْكِتَابِ وَأَنَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَسَ أُنَزِّلُ إِلَيْكَ طُفْرًا ﴾ [نمل ٤٠] فجاء عرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين قبل رتداد الطرف

الدليل عليها من السنة الصحيحة

١- قصة جريج العابد الذي كلمه الطفل في امهد وهو حديث صحيح أخرجه في الصحيحين^(١) ،

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « لم يتكلم في امهد إلا ثلاثة عيسى ، وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج ، كان يصلي فجاءته أمه ، فدعته ، فقال : أجيئها أو أصلي ؟ فقلت : البهم لا تمتد حتى تراه وحوه الحرمات ، وكان جريج في صومته فتمزجت له مرأة وكلمته ، فأبى فأتى راعياً ، فأمكنه من نفسه ، فولدت غلاماً ، فقالت : من جريج فأبوه فكسروا صومته ، وأنزلوه وسأوه ، فتوصا وصلى ، ثم أتى العلامة ، فقال : من أبوك يا علام ؟ فقال : لراعي ، قالوا : سي صومتك من ذهب ؟ قال : لا إلا من طس . ٤ »

٢- قصة العلامة الذي تكلم في المهدي^(١).

٣ قصة الثلاثة الذين دخلوا الغار ، وانفراج الصخرة عنهم بعد أن سَدَّتْ عليهم الباب وهو حديث متفق عليه^(٢)

(١) وهذا تمام الحديث المذكور آنفاً ، « وكنت امرأة ترضع ابناً بها من بني إسرائيل ، فمر بها رجل راكب ذو شاة ، فقالت : اللهم جعلني ابي مشه ، فترك ثديها وأقبل على الراكب ، فقال : انهم لا تجعلني مشه ، ثم أقبل على ثديها يمصه » . قال أبو هريرة : كأي أنظر إلى النبي ﷺ يمص إصبعه « ثم مرأمة ، فقالت : اللهم لا تجعلني مثل هذه ، فترك ثديها ، فقال : اللهم اجعلي مثلها . فقالت : لم ذاك ؟ فقال : الراكب حاد من الجبابرة ، وهذه لأمة يفوقون سرقت ، ربت ، ولم تفعل » . رواه البخاري في صحيحه في كتاب ذكر بني إسرائيل ، والمعظله . ومسلم في كتاب بر الوالدین

(٢) وعمر بن عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « اطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم ، حتى إذا لم يبق في الغار ، فدخلوه ، فاستدركت صخرة من الجبل ، فسدت عليهم الغار ، فقالوا : يا رب لا يسجيك من هذه الصخرة إلا الله فدهوا الله ففتح أعمالكم ، فقال رجل منهم اللهم كان لي أبوان شبحان كبيران ، وكنت لا أغني نعليهما أهلاً ولا مالاً ، فتأني بي في طلب شيء يوماً ، فلم أرح عليهما حتى نأما ، فحسنت لهما عتوقهما فوجدتهما نائمين ، فكرهت أن أوقظهما ، أو أعبر بقلبيهما أهلاً أو مالاً ، فلبثت والقديح على يدي أنتظر استيقظتهما حتى برق الفجر فاستيقظا ، فشربا عتوقهما اللهم إن كنت فعلت ذلك بعتاء وجهك فمخرج عما مانحني فيه من هذه الصخرة فمخرج نسا لا يستطيعون الخروج » قال النبي ﷺ « وقال الآخر : اللهم به كانت بي بنت عم . كانت أحب الناس إلي فأردتها على نفسها ، فامتنعت مني : حتى ألفت بها سنة من السنين فجاءني ، فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ، ففعلت ، حتى إذا قدرك عليها قالت : لا أحل لك أن تهضر احاتم إلا بحقه ، فتخرجت من الوفوع عنيها فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي ، وتركته وذهب الذي أعطيتها . اللهم إن كنت فعلت ذلك بعتاء وجهك فمخرج عما مانحني فيه ، فامخرج الصخرة ، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها » قال النبي ﷺ « وقال الثالث : اللهم استأجرت أجراء ، فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك =

٤- قصة البقرة التي كلمت صاحبها وهو حديث صحيح مشهور^(١)

الدليل عليها من آثار الصحابة :

وقد نُقِصَ عنهم من الكرامات لشيء الكثير .

- ١- قصة أبي بكر رضي الله عنه مع أصيافه في تكثير لطعمه ، حتى صار بعد لأكل أكثر مما كان وهو حديث صحيح في البحاري^(٢)
- ٢- قصة عمر رضي الله عنه ، وهو على سر أمدية يدي بقائده . يا سارية الحل ! وهو حديث حسن^(٣) .

٣- قصة عثمان رضي الله عنه مع الرجل الذي دخل عليه ، فأخبره عما

الذي له ودهت ، فنمّرت بأحمره ، حتى كثرت به لأموال ، فعاءني بعد حين . فقال يا عبد الله ! أدلي لي بحري . فقلت له : كل ما ترى من حرث من الإبل ولبقر ولغنم والرقيق فقال : يا عبد الله : لا تستهزئ بي . فقلت : إني لا أستهزئ بك . فأخذه كله ، فاستاقه ، فلم يترك منه شيئاً . اللهم فإن كنت فعلت ذلك لبعاء وجهك فافرج عما من نحن فيه . فانمرجت الصحرة ، فخرجوا يمشون . أخرجه البحاري في صحيحه في كتاب الإجارة واللفظ له ، ومسلم في كتاب الذكر

(١) روى بعد من المسب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : **بسم الله** ركب على بقرة قد حمل عليها ، فالتفت إليه البقرة فقالت : **إي بسم أحق بهد** وإنما خلقت للحرث ، فقال الناس : سبحان الله بقرة تتكلم ! فقال النبي ﷺ : **أمنت** بهذا أنا وأبو بكر وعمر . رواه البحاري في صحيحه في كتاب الإجارة ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ، والترمذي في كتاب المناقب

(٢) أخرجه البحاري أن أبا بكر كان عبده أصياف ، فقدم لهم الطعام فما أكلوا منه ربا من أسفله حتى إذا شبعوا فإن لامرأه : **يا أخت بني فراس ما هذا ؟ قالت** : **وبرء عسي لهي [تسمى القصعة] أكثر منها قبل أن يأكلوا** . أي آخر لقصة

(٣) انظر الحديث ص ٣٤٤

أحدث في طريقه من نظره إلى المرأة الأجنبية الحديث^(١)

٤- سماع علي بن أبي طالب رضي الله عنه كلام المولى كما أخرجه البيهقي^(٢).

٥- قصة عتاد بن بشر وأسد بن حضير رضي الله عنهم اللذين أصابت لهما عصا أحدهما عديم حرجا من عبد رسول الله ﷺ في ليلة مظلمة وهو حديث صحيح أخرجه البخاري^(٣)

٦- قصة خبيب رضي الله عنه في قطف العنب الذي وُجد في يده يأكله في غير أوانه . وهو حديث صحيح^(٤)

(١) نظر الحديث ص ٣٤٦

(٢) أخرج البيهقي عن سعيد بن المسيب قال (دحبا مقامر المدينة مع علي رضي الله عنه ، فنادى : يا أهل القبور سلام عليكم ورحمة الله ، بحسرونا بأخباركم أم بحسركم ؟ قال : فسمعنا صوتاً ، وعليكم سلام ورحمة الله وبركاته يا أمير المؤمنين خبرنا عما كان بعدنا فقال علي : أما أني وأحكم فقد تروجن ، وأب أموالكم فقد قُسمت ، ولأولاد قد حُشوا في دمرة التمس ، والنساء أندي نبتن فقد سكنه عداؤكم ، فهذه أخبار ما عندنا ، فما أخبار ما عندكم ؟ هـ أجابه ميت قد تحرقت لأكمال ، وانتشرت الشعور ، وتقطعت الجبود ، وسالت لأحدق على الحدود ، وسالت الماسح بالفتح والصديد ، وما فؤاده وحداه وما خلفه خسرناه ، ونحن مُرتَهون)

(٣) أخرج الحاكم في كتاب معرفة الصحابة وصححه البيهقي وهو يعين و بن سعيد ، وهو في بخاري من غير تسمية الرجيين : أن أسد بن حضير وعاد بن بشر رضي الله عنهما كانا عبد رسول الله ﷺ في حاجة حتى ذهب من الليل ساعة ، وهي ليلة شديدة لظلمة ، خرجا وسد كل واحد منهما عصا فأصابت لهما عصا أحدهما ممشا في صوتها ، حتى إذا هربت بهما لطريق صاءب للاحر عصاه ، فسلى كل واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغ أهله .

(٤) أخرج البخاري في صحيحه في باب غزو المرجع عن أبي هريرة رضي الله عنه أن حباً كان أسيراً عند بني لحيث بمكة في قصة طويلة ، وفيها أن است لحيث =

٧- قصة سعد وسعيد رضي الله عنهما ، وهي أن كلا منهما دعا على من كذب عليه ، فاستجاب له . أخرجه البخاري ومسلم^(١)

٨- قصة عبور العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه البحر على فرسه وبيع الماء بدعائه . أخرجه ابن سعد في الطبقات^(٢)

كنت تقول : (ما رأيت أسيراً قط حيراً من خبيب ، لقد رأيتُه يأكل من قطف عنه ،
و ما بمكة يومئذ ثمة و نه لمؤثر في الحديد ، وما كان إلا رزق رزقه الله) .

(١) الأول منهما سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، فقد أخرج الشيخ (البيهقي من طريق عبد الله بن عمرو بن عبد الرحمن بن جابر رضي الله عنه قال : شكنا ناس من أهل الكوفة سعد بن أبي وقاص إلى عمر (فبعث معه من سأل عنه بالكوفة ، فطفت به في مسجد الكوفة ، فلم يقل له إلا حيي يحيي) إلى مسجد ، فقال رجل يمدح أبي سعدة : أما إذا أشدنا فإيا سعداً كان لا يقسم بالسوية ولا يسير بالسرية ولا يعدل في القضية ، فقال سعد اللهم إني كاذباً فاطل عمره ، وأطى فقره وعرضه بلفتن ، قال من عمره فزيه شيخاً كسراً قد سقط حجاب على عيبه من الكبر وقد فتقر يتعرض لسجود في الطريق يعمره ، وقد قيل له كيف أنت ؟ بقول شيخ كبير مفترق أصابني دعوة سعد)

والثاني : سعيد بن زيد رضي الله عنه فقد أخرج مسلم في كتاب المساقاة عن عروة بن الزبير رضي الله عنه : (أن أروى بنت أويس ادعت على سعيد بن زيد أنه أخذ شيئاً من أرضها فخاصمه إلى مروان بن الحكم ، فقال سعيد : أد كنت أخذ من أرضها شيئاً بعد الذي سمعته من رسول الله ﷺ ؟ قال : وما سمعت من رسول الله ﷺ ؟ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أخذ شيئاً من الأرض ظمناً طوفه إلى سبع أرضين » فقد نه مروان ، لا أسألك سنة بعد هذا ، فقال اللهم إني كنت كاذباً فزيه بصرها واقلها في أرضها ، قال : فما ماتت حتى ذهب بصرها ، ثم بيضا هي بمشي في أرضها بد وقعت في حفرة فماتت

(٢) كان أبو هريرة يقول : (رأيت من العلاء بن الحضرمي ثلاثة أشياء لا أذكر أحده أبداً ، رأيتُه قطع البحر على فرسه يوم درين ، وقدم من المدينة يريد البحرين ، فما كانا بالدهناء فقد مذهبهم ، فدعا الله سبع لهم من تحت رملته ، فدنور وارتحبوا وأسي رجس منهم بعض متاعه ، فرجع فأحدهم به يجد الماء وخرجت معه من =

٩- قصه خالد بن الوليد رضي الله عنه هي شره السم . أخرجه البيهقي وأبو نعيم والطبراني وابن سعد بإسناد صحيح^(١) .

١٠- إصاءة أصابع حمزه لأسلمي رضي الله عنه هي ليلة مظلمة . أخرجه البخاري في التاريخ^(٢)

١١- قصة أم أيمن وكيف عطشت في طريق هجرتها ، فنزل عليها دلو من السماء فشربت . رواه أبو نعيم في الحلية^(٣) .

١٢- سمع بعض لصحابة سورة لميك ، من قبر بعد أن صر جيء فوقه ، رواه الترمذي^(٤) .

السحرين إلى صف لبصرة فلما كما يبدى صاب وجر على غير ماء ، فأبدى الله له سحره فمطرون فعمساه وحفر له سيوفاً ثم سجد له ، فرجع لتلجته به فوجد موضع قبره . فطلعت لكبرى لابن سعد . ج ٤ ص ٣٦٣

(١) أخرج البيهقي وأبو نعيم عن أبي سفيان قال : روى خالد بن الوليد الحيرة ، فقال له : أحذر اسم لا تقريكه لأعاجم فقال : أثرتي به ، فأخذ بيده وقال : بسم الله وشره ، فلم يضره شيئاً . انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٣ ص ١٢٥

(٢) أخرج البخاري في التاريخ عن حمزة لأسلمي رضي الله عنه قال : (كما مع النبي ﷺ في سفر ، فتعرقنا في ليلة ظلمة ، فأصابت أصابعي حتى جمعو ظهرهم وما هلك منهم وإن أصابعي لسير) . انظر تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٣٠

(٣) عن عثمان بن القاسم قال : (خرجت أم أيمن مهاجرة إلى رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة وهي ماشية ليس معها زاد وهي صائمة في يوم شديد الحر ، فأصابتها عطش شديد حتى كادت أن تموت من شدة العطش ، قال : وهي بأروحاء وقرية مدي ، فماعت الشمس قلت : إذا ما بحبيب شيء فوق رأسي ، فرفعت رأسي ؛ فإذا أنا بدو من السماء مدني برداء أبصر ، قالت : فدن مني حتى إذا دن حث أسمكت من ثابته فشربت منه حتى رويت ، فالتفت فوجدت بعد ذلك اليوم البحار أخوف في نفس كي أعطش . وما عطشت بعد ذلك . أخرجه أبو نعيم في الحلية ج ٢ ص ٦٧ .

(٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : صر بعض اصحاب النبي ﷺ حياءه على قبر =

١٣- تسبيح لقصة التي أكل منها سلمان الفارسي وأبو الدرداء رضي الله عنهما وسماعهما التسبيح رواه أبو نعيم^(١) .

١٤- قصة سفينة رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ مع الأسد أخرجه الحاكم في المستدرک وأبو نعيم في المحلية^(٢)

هذا عيض من فيض ، وفيل من كثير مما ورد عن كرامات صحابة رسول الله ﷺ ، ثم توالى ورود الكرامات الكثيرة على يد الأولياء في عهد التابعين وتابعي التابعين إلى يومنا هذا ، مما يصعب عدده ، ويضيق حصره^(٣) ، وقد ألف العلماء في ذلك مجلدات كثيرة ، وصنف أكار

وهو لا يحسب أنه قرأ ، فهذا فيه إسناد يقرأ سورة «تبارك الذي بيده الملك» حتى حمه ، فأبى السيّد ﷺ فقال يا رسول الله ، بي ضربت جاني على قم وأب لا أحسب أنه نير ، فهذا فيه إسناد يقرأ سورة تبارك الذي بيده الملك حتى حمه ، فقال رسول الله ﷺ «هي المايعة» هي المنجية تصحيه من عذاب القبر ، أخرجه الترمذي في كتاب فضائل القرآن ، وفي حديث حسن عريب

(١) أخرج البيهقي وأبو نعيم عن قيس قال (بينما أبر الدرداء وسلمان يأكلان من صحيفة قد سحبت وما فيها) .

(٢) عن محمد بن المنكدر أن سفينة مولى رسول الله ﷺ قال : (ركبت لبحر فاكسرت سفينتي التي كنت فيها ، فركبت لوحاً من ألواحها ، فطرحني اللوح بي أحسن فيها لأسد ، فأقبل إليّ يريدني ، فقلت يا أبا الحارث أما مولى رسول الله ﷺ ، فغطأ رأسه وقبل إني ، فدفعني بمنكه حتى أخرجني من الأجمة ووضعني على الطريق ، وهمهم فطست أنه يودعني ، فكان ذلك آخر عهدي به) . أخرجه الحاكم في المستدرک في كتاب معرفه الصحابة ح ٣ . ص ١٠٦ ، وقال : صحيح على شرط مسلم وأبو نعيم في المحلية ح ١ . ص ٣٦٨

وسيفيه هو قيس بن فروخ وكنيته أبو عبد الرحمن . ذكره ابن حجر في التهذيب ح ٤ . ص ١٢٥ .

(٣) قال العلامة إنتاج السبكي في الصفات الكبرى : لكأمة أنواع : لنوع لأول إحياء لموتى ٢- كلام لموتى ٣- لمشي على الماء ٤- انقلاب الأعيان ٥- نزوء =

الأئمة منهم مصنفات في إثبات لكرمة للأولياء ، منهم فخر الدين الرزوي وأبو بكر الباقلي ، وإمام الحرمين ، وأبو بكر بن هور ، وحنة الإسلام العراقي ، وناصر الدين أيساوي ، وحافظ الدين السفي ، وتاج الدين السبكي ، وأبو بكر لأشعري ، وأبو الفاس القشيري ، ولووي ، وعبد الله السافعي ، ويوسف السهتي ، وغيرهم من العلماء المحققين الذين لا يحصى عددهم ، وصار ذلك علماً قوياً يقيناً ثاباً ، لا تنطرق إليه الشكوك أو الشبهات .

وقد يتساءل بعضهم : لماذا كانت كرامات لصحابة على كثرتها أقل من كرامات الأولياء الذين جاؤوا بعد عصر الصحابة ؟! ... وحبب على ذلك تاج الدين السبكي في لطقات بقوله (لحوب ما أحاب به الإمام الجليل أحمد بن حنبل رضي الله عنه حين سئل عن ذلك ، فقال : أولئك كان إيمانهم قوياً ، ولما حادجوا إلى زيادة شيء يقولون به ، وغيرهم كان إيمانهم ضعفاً به يدعوا بغير أولئك ففوقوا بإظهار كرامات لهم)^(١) .

الحكمة من إحراء لكرامات على يد الأولياء .

اقتضت حكمة الله تعالى أن بكرم أحيائه وأوليائه أنواع من حوار العباد ، تكريماً لهم على إيمانهم وإخلاصهم ، وبأيديهم في جهدهم

الأرض ٦ - كلام الحداثات والحمدات ٧ - بدء العمل ٨ - طاعة الحيوان ٩ - طي الزمان ١٠ - شر الزمان ١١ - مساك لم يد عن الكلام وإطلاقه . إلى أن عد خمسة وعشرين نوعاً وذكر لكل نوع مثلاً وحكمة حوت للعلماء ومشيع الصوفية فرجعه هناك بحده مفصلاً

(١) جمع كرامات الأولياء لشع يومه النهائي البيروتي ج ١ ، ص ٢٠

وبصورتهم لدى الله ، وظهراً لقدرة الله تعالى ، ليرداد المذير امنوا
يمناً ، وساباً لئلا ينس أن لقواس اصصعية والوامس الكونية إنما هي من
صنع الله وتقديره ، وأن الأسباب لا تؤثر بذاتها ؛ بل الله تعالى يحل
النتائج عند الأسباب لا بها ، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة .

وقد يقول معترض . إن تأييد الحق وشكر دين الله لا يكون بخوارق
لعادات . بل يكون بإقامة الدين المطلق والرهان العقلي

فنقول : نعم لا بد من شر تعاليم الإسلام بتأييد لعقل السليم
والمسطق الصحيح والحجة الدامغة ، وكر اصصع والعباد يدعوون
إلى أن تخرق العادات بالكرامات كما اقتضت حكمة الله أن يؤيد أنسائه
ورسبه بالمعجزات إظهاراً لصدقهم ، وتأييداً لهم في دعوتهم ، وحملاً
للعقول المتحجرة والقلوب المقفلة أن تخرج من جمودها ، وتتحرر
من عصبيتها ، فتفكر بفقير سليم مستقيم يوصلها إلى الإيمان
الراسخ ، واليقين لجارم . ومن هنا يظهر أن الكرامة والمعجزة ملتصقان
في بعض الحكم والمقصود ، لا أن الفارق بينهما أن المعجزة لا تكون
إلا للأنبياء عليهم السلام . والكرمة لا تكون إلا للأولياء ، وكل كرامة
لولي معجزة لنبي

الفرق بين الكرامة والاستدراج :

لا بد من التبيه إلى الفرق بين لكرمة والاستدراج ، وذلك لأننا
نشاهد بعض الفسقة المنسوبين للإسلام تجري على أيديهم خوارق
العادات ؛ مع أنهم مجاهرون بالمعصية ، منحرفون عن دين الله تعالى
فالكرامة لا تكون إلا على يد ولي ، وهو صاحب لعقيدة الصحيحة ،
اسواطب على الطاعات ، امتجنب للمعصية ، المعرض عن الانهماك

في اللذات والشهوات ، وهو الذي قال الله تعالى فيه . ﴿ أَلَا إِنَّكَ وَفِيَّكَ
 اللَّهُ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الذِّكْرِ ١٦٢-١٦٣] . وأما ما يحري على يد الزنادقة ولمسقة من الحورق
 كقطع لجسم بالسيف وأكل النار والزجاج وغير ذلك ، فهو من قبيل
 الاستدراج

ثم إن الوبي لا يسكن إلى لكرامه . ولا يتفاخر بها على غيره . قل
 العلامة فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير : (إن صاحب الكرامة
 لا يستأس شك الكرامة ، بل عند ظهور الكرامة يصير خوفه من الله
 تعالى أشد . وحده من قهر الله أقوى ، فإنه يحاف أن يكون ذلك من
 باب الاستدراج

وأما صاحب الاستدراج ، فإنه يستأس بذلك لدى بظهر عليه ،
 ويظن أنه إنما وجد تلك لكرامة لأنه كان مستحقاً لها ، وحيث يستحق
 غيره ، ويشكر عليه ، ويحصل له أمن من مكر الله وعقابه ، ولا يخاف
 سوء العاقبة ، فإذا ظهر شيء من هذه الأحوال على صاحب الكرامة دل
 ذلك على أنها كانت استدراجاً لا كرامة ، فلهذا قال المحققون : أكثر
 ما اتفق من الانقصاع عن حضرة الله إنما وقع في مقام لكرامات ، فلا حجة
 أن ترى المحققين يخفون من لكرامات ، كما يخافون من أنواع البلاء ،
 والذي يدل على أن الاستئناس بالكرامة قاطع عن الطريق وحوه) ثم
 ذكرها حتى عد إحدى عشرة حجة ، نذكر منها واحدة

قال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى : (إن من اعتقد في
 نفسه أنه صار مستحقاً لكرامة بسبب عمله ، حصل لعمله وقع عظيم في
 قلبه ، ومن كان لعمله وقع عنده كان جاهلاً ، ولو عرف به لعلم أن كل
 طاعات الخلق في جنب جلال الله تقصير ، وكل شكرهم في جنب الإله

وبعمائه قصور ، وكلُّ معارفهم وعلومهم في مقابلة عزته حيوةٌ وحهلٌ .
رأيت في بعض الكتب أنه قرأ المقوى في مجلس الأستاذ أبي عبي لدقاق
قوله تعالى : ﴿ إِنِّي بَصْعَدُ الْكِتَابِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ يَرْفَعُهُ ﴾ [١٠] .
فقال علامة أن الحق مع عمك أن لا تنفى عندك رأي عمل [فإن بقي
عمك في نظرك فهو مدفوع ، وإن لم يبق معك فهو مرفوح] (١) .

وعلى هذا فإذا حين يرى أحداً من الناس يأتي بحوارق العادات
لا يستطيع أن يحكم عليه بلولابه ، ولا يمكن أن يعثر عمه هذا كرامه
حتى يرى سنوكه وتمسكه بشريعه الله فان أبو يزيد رحمه الله تعالى
(لو أن رجلاً بسط مُصْلَاهُ على الماء وترثع في الهواء فلا تعترّوا به حتى
تنظروا كيف تجدونه في الأمر والهي) (٢) .

موقف لصوفية من الكرامات

إن بعض المتحرفين عن الصوفية يدّعي أن مقصد الصوفية من سيرهم
هو الوصول إلى الكرامات (٣) وهم في هذا إما يُرحمون عما في نفوسهم
من أمراض خبيثة وعلل دقسة ؛ مع أننا نرى الصوفية يهتمون بتركية النفس
وتخليصها من صفاتها المذمومة كالرياء والسفاق ، وحليتها بالصفات
لعالية ، أن تكون سيره معهم بعيداً عن العلل والعايات ، وألا يتبعي إلا

(١) «تفسير الرازي» ج ٥ ، ص ٦٩٢ .

(٢) «اللمع» للطوسي ص ٤٠ .

(٣) من بينهم عبد الرحمن البركبي الذي دعه الحقد تدفیر واحلق السميم إلى الهجم
على أساده الصوفية وريف كلامهم ودرس عليهم ، فجمع لأشبه التي دسّت على
الصوفية وجعلها في كتاب له

وحه الله تعالى ورضاه . كما نراهم يستترون من الكرامة بعداً عن شبهة الرياء

قال الشيخ أبو عبد الله القرشي رحمه الله تعالى (من لم يكن كرهاً لظهور الآيات وخوارق العادات منه كراهية الخلق بظهور المعاصي فهو في حقه حجاب ، وستره عليه رحمة ، فإن من حرق عوائد نفسه لا يريد ظهور شيء من الآيات وخوارق العادات به ، بل تكون نفسه عنده أقل وأحق من ذلك ، فإذا قُبِيَ عن إرادته جملة فكد به تحقق في رؤيه نفسه بعين المحصرة والذلة ، حصلت له أهليه ورود الألطاف ، والتحقق بمرتب الصديقين)^(١)

وقال عبيد الخواص رحمه الله تعالى : (لَكُمَّن يحافون من وقوع الكرامات على أيديهم ، ويرادون بها وجللاً وحولاً لا احتمال أن تكون استدراجاً)^(٢) .

ثم إن الصوفية يسمعون بظهور الكرامة لا لغرض صحيح ، كنصرة شريعة الله أمام الكافرين والمعندين^(٣) وكإبطال سحر الكافرين والضالين

(١) نور التحقيق لحامد صفر ص ١٢٧ .

(٢) ابوابيت و تحواهر لعبد الرهاب الشعراي ج ٢ ص ١١٣ .

(٣) كما حدث مع الشيخ محي الدين بن عربي في قصته مع لئيسوف ، وهو يرويها لنا بقوله (حضر عندي مئة ست وثمانين وخمسمائة فلسوف بكر لئوة على الحد الذي شبهه لمسلمون ويكر ما جاءت به الأنبياء من حرق العوثل وأن الحقنق لا تبدل ، وكدن رمس البرد واشتاء ريبس أيديا منقل عظيم يشتمل باراً ، فقد المسكر المكذب : إن العامة تقول . إن إبراهيم عبه السلام ألقى في النار فلم تحرقه ، والنار محرقه بطلعها الجسم العائل بالاحتراق ، وإنما كدت اسرا مذكورة في القرآن في قصة إبراهيم عبادة عن عصب نمروود وحرقه ، فهي نار الغضب قلب فرغ من فوه قال له بعض الحاضرين [أي الشيخ محي الدين نفسه] . فإن أريتك ما =

أو لفسقة المشعوذين الذين يريدون أن يضلوا الناس عن دينهم ويشككواهم في عقائدهم ويمنهم^(١) أما إظهاره بدون سبب مشروع فهو مذموم، لما فيه من حط النفس ولفناخرة والعجب .

قال الشيخ محي الدين رحمه الله تعالى (ولا يخفى أن الكرامة عند أكبر الرجال معدودة من جملة رعونات النفس ، إلا إن كانت لتصرف دين أو جلب مصلحة ، لأن الله تعالى هو الفاعل عندهم ، لا هم ، هذا مشهدهم ، وليس وجه الخصوصية إلا وقوع ذلك للعمل الحارق على يدهم دون غيرهم ، فإذا أحيا كسباً مثلاً أو دجاجة فيما ذلك بقدره الله لا بقدرتهم ، وإذا رجع الأمر إلى القدرة فلا تعجب)^(٢)

= صدق الله في ظهري ما وده في النار أنها لم تحرق إبراهيم ، وأن الله جعله عليه - كما قال - برداً وسلاماً ، وإن أقوم بك في هذا المقام مقام إبراهيم في ذلك عه ؟ فقال لمكر هذا لا يكون ، فقال به ، أليس هذه النار المحرقة ؟ قال نعم . فقال : ترها في نفسك ، ثم ألقى النار لي في المص في حشر المكر ، وبقيت على نيابة مدة يقلبها استكر بيده ، فلم راما لم تحرقه تعجب ، ثم رها إلى المص ، ثم وا ؟ به . فزت يدك أيضاً منها ، فقرب يده فأحرقته . فقال به : هكذا كان الأمر ، وهي مأمورة ، تحرق بالأمر وتترك الإحراق كذلك ، والله تعالى لفاعل بما يشاء . فأسس ذلك المكر (واعترف) . الباب الخامس والشمسون ومائة من الفتوحات المكية ج ٢ ص ٣٧١ .

(١) ومن ذلك ما ذكره العلامة ابن حجر لهيتمي في الفتاوى الحديثية من أن صوفيّاً ظو برهياً ، والبرهية قوم تظهر بهم حواري صريد الرب صبت ، فطار البرهية في لجر ، فارتفعت إليه نعل لشيخ ولم يؤد بصوب رأسه وبضعه حتى وقع على الأرض مكوساً على رأسه بين يدي الشيخ وأسس ينظرون . انظر الفتاوى الحديثية لابن حجر ص ٢٢٢

(٢) الباب الخامس والشمسون والمائة من الفتوحات المكية . كذا في البواقي والجماهر للشعراني ج ٢ ص ١١٧ .

ثم إله الصوفية يعتبرون أن أعظم الكرامات هي الاستقامة على
شرع الله تعالى .

قال أبو لقاسم القشيري رحمه الله تعالى في رسالته . (واعلم أن من
أجل الكرامات التي تكون للأولياء دوم الوفاق بطاعات ، والحفظ من
المعاصي والمخالفات)^(١) .

وذكر عند سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى الكرامات فقال
(وما آيات وما الكرامات ؟ أشياء تنقضي لوفتها ، ولكن أكرم
الكرامات أن تبذل خُلُقاً مدموماً من أخلاق نفسك خُلق محمود)^(٢) .

وقال الشيخ أبو الحسن لشاذلي رحمه الله تعالى (لكرامه لتحقيقه
إما هي حصول الاستقامة ، والوصول إلى كمالها ومرجعها أمران
صحة الإيمان بالله عز وجل . واتساع ما جاء به رسول الله ﷺ طهر
وطناً ، فلو اجب على العبد ألا يحرص إلا عليهما ولا تكون به همة
إلا في الوصول إليهما . وأما الكرامة بمعنى جرى العادة فلا عبرة بها عند
المحققين ، إذ قد يُرزق بها من لم تكتمل استقامته ، وقد يُرزق به
لمستدرحون) وقال : (إما هي كرامتان جامعتان محيطتان : كرامة
لإيمان بمزيد الإيقان وشهود البصائر ، وكرامة العمل على الاقتداء
ولمتابعة ومجابهة الدعاوي والتمحادة ، فمن أعطيهم ثم جعل يشاق
إلى غيرهما فهو عبد مُفْتَرٍ كاذب ، ليس ذا حظ في لعم والعمل
بالصواب . كمن أكرم بشهود الملك على بحث ارضاء فحعل يشاق إلى
سياسة الدواب وخلع الرضا)^(٣) .

(١) «رسالة القشيرية» ص ١٦١

(٢) «كتاب التلمع» لنطوسي ص ٤٠٠

(٣) نور المحقق ص ١٢٨ .

وقال الشيخ محي الدين بن عربي رحمه الله تعالى (و علم أن
لكرامة على قسمين حسية ومعنوية ، ولا تعرف العامة إلا الحسية ،
مثل الكلام على الخطر ، والإخبار بالمعيبات الماضية والكثرة والآتية ،
ولأحد من الكون ، والمشى على الماء ، واحتراق الهواء ، وطي
الأرض ، ولاحتجاب عن الأبصار ، وإجاعة الدعاء في الحال ، وبحو
ذلك فالعامة لا تعرف لكرامات إلا مثل هذا وأما الكرامة المعنوية فلا
يعرفها إلا الخواص من عباد الله تعالى ، وأعمامه لا تعرف ذلك وهي أن
يُحفظ على لعدد آداب أشريفة ، وأن يُوفق لمعن مكرم الأخلاق
واجتناب مفسدها ، والمحافظة على أداء الواجبات مطلقاً في أوقاتها
والمسارعة إلى الخيرات ، وإزالة الغل والحقد من صدره لباس والحسد
وسوء الظن ، وطهارة القلب من كل ضيقة مذمومة ، وتحليته بالمراقبة مع
الأنفاس ، ومراعاة حقوق الله تعالى في نفسه وفي الأشياء ، وتفقد آثار
ربه في قلبه ، ومراعاة أنفاسه في دحوها وحروبها ، فيتلقاها بالادب إذا
وردت عليه ويُخرجها وعلمه حلة الحضور مع الله تعالى ، فهذه كلها عندنا
كرامات لأولياء المعنوية لي لا بدخلها مكر ولا استدراج ^(١)

ثم إن السادة لصوفة لا يعشرون ظهور الكرامات على يد ابولي
الصالح دليلاً على فضيلته على غيره قال الإمام أبي فمي رحمه الله
تعالى (لا يلزم أن يكون كل من له كرامة من الأولياء أفضل من كل من
ليس له كرامة منهم ، بل قد يكون بعض من ليس له كرامة منهم أفضل من
بعض من له كرامة ، لأن الكرامة قد تكون لتقوية يقين صاحبها ، ودليلاً

(١) باب الرابع والثمانون ومائة من الصوحات المكية ج ٢ . ص ٣٦٩

على صدقه وعلى فصله لا على أفضليته ، وإنما الأفضلية تكون بقوة اليقين ، وكمال المعرفة بالله تعالى (١) .

كما أن لصوفية يعنرون أن عدم ظهور الكرامة على يد لولي لصاح ليس دليلاً على عدم ولاسه .

قال الإمام القشيري رحمه الله تعالى في رسالته : (لو لم يكن ملوئي كرمه ظاهرة عليه في الدنيا ، لم يقدح عدمها في كونه ولياً) وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في شرحه لرسالة القشيري عند هذا الكلام (بل قد يكون أفضل ممن ظهر له كرامات ، لأن الأفضلية إنما هي بزيادة اليقين لا بظهور الكرامة) (٢) .



(١) كتاب بشر المحاسن العالية بعد الله اليافعي ص ١١٩

(٢) انرساله القشيرية ص ١٥٩

الباب الخامس

تصحيح الأفكار عن التصوف

١- بين الحقيقة والشرعية

٢- الدس على العلوم الإسلامية

أ- التفسير بـمـ الحديث

جـ- التاريخ بـمـ التصوف

٣- تأويل كلام السادة الصوفية

٤- وحدة الوجود والحوول والاتحاد

٥- بين الصوفية وأدعياء التصوف

٦- أعداء التصوف

٧- شهادات



بين الحقيقة والشريحة

تمهيد وتعريف :

لقد ورد في حديث حبريل المشهور الذي برويه عمر بن الخطاب رضي الله عنه تقسيم الدين إلى ثلاثة أركان ، بدليل قول الرسول ﷺ لعمر : « فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم »^(١)

١- فرك الإسلام هو الجانب العملي ؛ من عبادات ومعاملات وأمر تعبدية ، ومجمله لأعضاء الظاهرة احسنة وقد اصصح لعلماء على تسميته بالشرعية ، واحتص بدراسته اسادة لعقهاء .

٢- ورك الإيمان : وهو الجانب الاعتقادي لقلبي ؛ من إيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسنه ، واليوم الآخر ، والقضاء والقدر وقد احتص بدراسته السادة علماء التوحيد .

٣- ورك الإحسان : وهو لجانب الروحي لقلبي ؛ وهو أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فيه يراك ، وما ينتج عن ذلك من أحوال ودواى وجدنية ، ومقامات عرفيه ، وعلوم وهبيه ، وقد اصطلح العلماء على تسميته بالحقيقة ، واحتص ببحثه لسادة الصوفية .

والتوصيح الصلة بين الشريعة والحقيقة بصرف نذلك مثلاً الصلاة ،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان . والإمام أحمد في مسنده في باب

الإيمان والإسلام والإحسان ج ١ ص ١٤

فالإيمان بحركتها وأعمالها الطاهرة . والتزام أركانها وشروطها ، وغير ذلك مما ذكره علماء الفقه ، يمش حنب لشرعية ، وهو جسد الصلاة . وحضور القلب مع الله تعالى في صلاة يمش حنب لحقيقة ، وهو روح الصلاة

فأعمال الصلاة لبدنية هي جسدتها ، وانحشروع روحها . وبفائدة الجسد بلا روح ١٩ وكما أن الروح تحتاج إلى جسد تقوم فيه . فكذلك الجسد يحتاج إلى روح يقوم بها . ولهذا قال الله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ [البقرة : ١١٠] . ولا تكون الإقامة إلا بجسد وروح ، ولذا لم يقض أوجدوا الصلاة .

ومن هذا يدرك التلازم الوثيق بين الشريعة والحقيقة كتلازم الروح والجسد . والمؤمن الكامل هو الذي يجمع بين الشريعة والحقيقة ، وهذا هو نوجيه الصوفيه للناس ، يقتضيه بذلك أثر الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه الكرام .

وللوصول إلى هذا المقام لرفع ، والإيمان لكامل ، لا بد من سلوك الطريقة ، وهي مجاهدة النفس ، وبصعيد صفاتها النافسة إلى صفات كاملة . والترقي في مقامات انكماش بصحبه المرشدين ، فهي احسر الموصل من الشريعة إلى الحقيقة

قال السيد رحمه الله تعالى في تعريفته . (الطريقة هي السيرة المحتصة بالسالكين إلى الله تعالى ، من قنع المنار والترقي في المقامات)^(١) .

فالشرعية هي الأساس ، والطريقة هي لوسيلة ، والحقيقة هي الثمرة

وهذه الأشياء لثلاثة متكاملة مسحمة ، فمن تمسك بالأولى منها سبب
الثانية فوصل إلى الثالثة ، وليس بينها تعارض ولا تناقض . ولذلك يقول
الصوفية في قواعدهم المشهورة . (كل حقيقة خالفت الشريعة فهي
زندق) وكيف تخالف لحقيقة الشريعة وهي إنما تنحت من تطبيقها

يقول إمام الصوفية أحمد دروي رحمه الله تعالى . (لا تصوف إلا
بفقه ، إذ لا يعرف أحكام الله الظاهرة إلا به ولا فقه إلا بتصوف ، إذ
لا عمل إلا بصدق وتوجه لله تعالى ولا هما [التصوف والفقه] إلا
بإيمان ، إذ لا يصح واحد منهما دونه فلزم الجميع لتلازمها في
الحكم ، كتلازم لأجسام للأرواح . ولا وجودها إلا فيها ، كما لا حياة
لها إلا بها ، فافهم)^(١) .

ويقول الإمام مالك رحمه الله تعالى . (من تصوف ولم يتفقه فقد
تزندق ، ومن تفقه ولم يتصوف فقد فسق ، ومن جمع بينهما فقد
تحقق)^(٢)

تزيدق الأول لأنه نظر إلى حقيقة مجردة عن الشريعة ، فقال بالجبر
وأن الإنسان لا خيار له في أمر من الأمور ، فهو يتمثل قول القائل
القد في أيمن مكوفاً وقال له إياك إياك أن تبلى بالماء
فعطّل بذلك أحكام الشريعة والعمل بها ، وأصل حكمته والطر
إليها

وتفشت لثاني لأنه لم يدخل قلبه ور استقوى . وسر الإخلاص وو عطف

(١) قواعد التصوف ، للشيخ أحمد دروي قاعدة ٣ ص ٣

(٢) شرح ابن القيم وزير العدل للإمام ملا علي قاري ج ٣ ص ٣٣

المراقبة ، وطريقة المحاسبه ، حتى يحجب عن المعصية ، ويتمسك بأهداب لسنة .

وتحقق الثالث لأنه جمع كل أركان الدين الإيمان ، والإسلام ، والإحسان ، التي اجتمعت في حديث جبريل عليه السلام

وكم حفظ علماء اظهر حدود شريعته ، كذلك حفظ علماء التصوف أداها وروحها ، وكما أتيح لعلماء الصاهر الاجتهاد في استنبط الأداة واستخرج الحدود والفروع ، وانحكم بالتحليل والتحريم على ما لم يرد فيه نص ، فكذلك للعارفين أن يستنبطوا آدائاً ومناهج لتربية المريدين ونهذيب السالكين

؛ لقد تحقق السلف الصالح والصوفية الصادقون بالعبودية لحقة والإسلام الصحيح ، إذ جمعوا بين الشريعة والطريقة والحقيقة ، فكانوا منشروعين متحققين ، يهدون الناس إلى اصراط المستقيم فأنديس إن خلا من حقيقته حب أصوله ، وذوت أعصابه ، وفست ثمرته .

مناقشة المتحاملين على الصوفية :

أما هؤلاء المعارضون على السادة الصوفية :

- إن كانوا ينكرون هذا التفسير إلى [شريعته ، وطريقته ، وحقيقته] على لسحو الذي شأه آتفاً ، فهم لاشك يريدون بذلك أن يفصلوا روح الإسلام عن جسده ، وأن يهدموا ركناً هاماً من أركان الدين الثلاثة الموضحة في حديث جبريل عليه السلام ، ويحالفوا علماء لإسلام وكبر قتهائه .

يقول بن عابدين رحمه الله تعالى في حاشيته المشهورة ابرّد

(لمختار) (الطريقة . هي السيرة المحتصة بالسالكين من قطع لمارل ، والترقي في المقامات) ويقول في الصفحة التي تليها : (والحقيقة هي مشاهدة الربوبية بالقلب ، ويقال : هي سر معنوي لا حد له ولا جهة . وهي والطريقة والشريعة متلازمة ، لأن الطريق إلى الله تعالى له ظاهر وباطن ، فظاهرها الشريعة والطريقة ، وبطنها الحقيقة . فبطون الحقيقة هي الشريعة والطريقة ، كطون الرشد في لسنه ، لا يظفر من الملبس بربده بدون محضه ، والمرد من الثلاثة [الشريعة ، والطريقة ، والحقيقة] إقامة لعبودية على الوجه المراد من العبد) (١) .

ويقول الشيخ عبد الله لماعني رحمه الله تعالى : (إن الحقيقة هي مشاهدة أسرار الربوبية . ولها طريقة هي عزائم الشريعة ، فمن سلث الطريقة وصل إلى الحقيقة فالحقيقة نهية عزائم الشريعة ونهية الشيء غير محافه له ، فالحقيقة غير مخافة لعزائم الشريعة) (٢) .

وقال صاحب الظنون في حاشيته عن علم التصوف (ويفان علم التصوف علم لحقيقة أيضاً ، وهو علم الطريقة ، أي تزكية النفس عن لأحلاق لردية ، وتصفية لقلب عن الأعراض الدنية وعدم لشريعة بلا علم الحقيقة عاقل ، وعلم الحقيقة بلا علم الشريعة باطل

علم اشريعة وما يتعلق بإصلاح الظاهر بمرولة العلم بلو زم الحح . وعلم اصريقة وما يتعلق بإصلاح الباطن بمرولة العلم بالمازل ، وعقدت اصريق فكك أن مجرد علم اللوادم ، ومجرد علم المازل لا يكتمان في الحج الصوري بدون إعداد اللوادم وسوك المازل ، كذلك مجرد العلم

(١) حاشية ابن عابدين ح ٣ ص ٣١٢

(٢) بشر المحاسن العالية ح ١ . ص ١٥٤

بأحكام الشريعة وآداب لطريقة لا يكفيان في الحج المعنوي ، بدون العمل بموحييهما ^(١) .

- وإن كان المعترضون يفرّون فكرة اتقسام السالمة الذكر ، ولكنهم ينكرون هذه التسمية : [لشرعة ، ولطريقة ، واحقيقة]

نقول لهم : هم يعبرون على العلماء ، وجرى عليه لمقهاء كما بينا وهو اصطلاح ، ولا مشاحة في الاصطلاحات

- وإن كانوا يقولون التفسير والتسمية ، ولكنهم ينكرون على الصورية أحولهم لقلبية ، وأذوقهم الوجدانية ، وعلمهم الوهية

نقول لهم : إن هذه أمور يكرم الله تعالى بها عباده المخلصين ، وأحبابه الصادقين ، ولا حرج على ^{الكثرة الإلهية}

إنما هي أذواق ومفاهيم ، ^{الكشوفات} وفتوحات ، منحهم الله إياها ، فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : ^{زر} العيني عماك علم هي القلب ، وفي رواية : علم ثابت في الصب ، فذلك العلم النافع وعلم على اللسان ، فذلك حجة الله على خلقه ^(٢)

ويدل على ذلك حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ، فقد أخرج أبو عبيد في الحلية عن أس بن مالك رضي الله عنه أن معاذ بن جبل دخل على رسول الله ﷺ فقال : « كيف أصبحت يا معاذ ؟ » قال : أصبحت مؤمناً بالله تعالى . قال : « إن لكل قول مصداقاً ، ولكل حق حقيقة ،

(١) كشف الطول عن أسامي الكتب والقول ، لحاجي خليفة ج ١ ص ٤١٣

(٢) رواه الحافظ أبو بكر الخطيب في تاريخه بإسناد حسن ، ورواه ابن عبد البر النمري

في كتب العلم عن الحسن مرسلاً بإسناد صحيح كما في الترمذي والتهذيب ج ١

فما مصداق ما تقرب ؟ قال يا بني الله ! ما أصبحت صبحاً قط إلا ظننت أنني لا أمسي ، وما أمسيت مساء قط إلا ظننت أنني لا أصبح ، ولا خطوت خطوة إلا ظننت أنني لا أتبعها أخرى ، وكأني أنظر إلى كل أمة جاثية تدعى إلى كتابها ، معها نبيها ووثنها التي كنت تعبد من دود الله وكأني أنظر إلى عقوبة أهل النار ، وثواب أهل الجنة قال : « عرفت فالزم »^(١)

فمن يصل الصالحون إلى هذه الكشوفات والمعارف إلا متمسكهم بالكتاب والسنة ، واقتفائهم أثر الرسول الأعظم وأصحابه الكرام ، ومجاهدتهم لأنفسهم ، من صيام وقيام ، وورعهم في هذه الدنيا انقائية ، كما أكرم الله معاداً رضي الله عنه بهذا الكشف الذي أقره عليه رسول الله ﷺ قوله « عرفت فالزم »

وهذا الإمام الشعراوي رحمه الله تعالى يتحدث عن إكرام الله تعالى للصوفية الذين ساروا على نهج رسول الله ﷺ وأصحابه من أمثال معاد رضي الله عنه فيقول :

(اعلم يا أحي أن علم التصوف عباره عن علم انقذح في قلوب الأولياء حين استنارت بالعمل بالكتاب والسنة ، فكل من عمل بهما انقذح له من ذلك علوم وآداب وأسرار وحفاتي ، تعجز الألسنة عنها ، بطير ما انقذح لعلماء الشريعة من أحكام . حين عملوا بما علموه من أحكامها)^(٢)

وقد كثر علماء السلف الصالح رضي الله عنهم يعملون بكل

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ج ١ ص ٢٤٢

(٢) التصوف للإسلامي والإمام الشعراوي لفظ عبد الباقي سرور ص ٧٠

ما يعلمون على وجه الإخلاص لله تعالى ، فستارت قلوبهم ، وخلصت من العلل القاذحة أعمانهم ، فلما ذهبوا وحلف من عددهم أقوام لا يعملون بالإخلاص في علمهم ولا في عملهم أطلمت قلوبهم ، وُحِجَّت عن أحوال القوم فأنكروها .

وهناك مغرضون يتحاملون على لصوفية مستشعدين بكلام ابن تيمية وغيره ، ويتهمونهم زوراً وبهتاناً ، بأنهم يهتمون بالحقيقة فقط ، ويهملون جانب الشريعة ، وأنهم يعتمدون على كشفهم ومفاهيمهم ولو خالفت الشريعة ، فهذا كله افتراء باطل ، يشهد على بطلانه كلام ابن تيمية نفسه . فقد تحدث ابن تيمية رحمه الله تعالى عن تمسك السادة الصوفية بالكتاب والسنة في قسم علم السبوك من فتاواه فقال (واشيخ عبد القادر [اجلاني رحمه الله تعالى] ونحوه من أعظم مشايخ زمانهم أمراً بالزام الشرع والأمر واسهي وتقديمه على الذوق ولقد ، ومن أعظم امشايخ أمراً بترك الهوى والإرادة لنفسية ، فإن الخطأ في الإرادة من حيث هي إرادته إما يقع من هذه الجهة ، فهو يأمر السالك أن لا تكون له إرادة من جهته هو أصلاً ؛ بل يريد ما يريد لربك عز وجل ؛ إما إرادة شرعية إن تبين له ذلك ، وإلا جرى مع الإرادة القدرية . فهو إما مع أمر الرب وإما مع حبه وهو سبحانه له التحلو والأمر وهذه طريقة شرعية صحيحة)^(١)

وقال أيضاً : (فأما المستقيمون من السالكين كجمهور مشايخ السلف مثل الفضيل بن عياض ، وإبراهيم بن أدهم ، وأبي سليمان السارني ، ومعروف الكرخي ، ولسري الأسقطي ، والعجيب بن محمد ، وغيرهم من

(١) . مجموع فتاوى أحمد بن تيمية ج ١٠ . ص ٤٨٨-٤٨٩ .

المتقدمين . ومثل لشيخ عبد القادر الجيلاني ، والشيخ حماد ، والشيخ أبي البيهقي ، وغيرهم من المتأخرين ، فهم لا يسوِّعون للسالك ولو طار في الهواء ، أو مشى على الماء ، أب يخرج عن الأمر والنهي الشرعيين ، بل عليه أن يفعل المأمور ، ويدع المحذور إلى أن يموت وهذا هو الحق لدي دل عليه الكتاب ولسنة وإجماع السلف وهذا كثير في كلامهم (١) .

وهذه نبذة بسيرة من أقول أئمة السادة لصوفية وتوجيهاتهم تشهد على تمسكهم بالكتاب والسنة

قال الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالى : (كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهي زندقة . طرأ إلى الحق عز وجل بحاجي الكتاب والسنة ، ادخل عليه ويدك في يد الرسول ﷺ) (٢)

وقال منكر أعلى من يعتقد أن التكليف الشرعي تسقط عن السالك في حال من الأحوال . (ترك العبادات المفروضة زندقة . وارتكاب المحظورات معصية ، لا تسقط المفرائض عن أحد في حال من الأحوال) (٣) .

ويقول سهل التنسري رحمه الله تعالى . (أصولنا سعة أشياء التمسك بكتاب الله تعالى ، ولاقتداء بسنة رسوله ﷺ ، وأكل الحلال ، وكف الأذى ، واحترام الآثام ، والتوبة ، وأداء الحقوق) (٤)

وكان لشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى يقول : (إذا عرض

(١) «مجموع فتاوى أحمد بن تيمية» ج ١٠ ص ٥١٦-٥١٧

(٢) «الصح الرباني» للشيخ عبد القادر الجيلاني ص ٢٩

(٣) «طبقات الصوفية» لسبكي ص ٢١٠

كشفتك الصحيح الكتاب والسنة فاعمل بالكتاب والسنة ودع الكشف ،
وقل لنفسك : إن الله تعالى ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة ، ولم
يضمنها لي في جانب الكشف والإلهام (١)

وقد أبو سعيد الخرز رحمه الله تعالى : (كل باطل يخالفه طهر فهير
باطل) (٢)

وقد أبو الحسين الوراق رحمه الله تعالى (لا يصل العبد إلى الله
إلا بالله ، وبموافقة حبيبهِ ﷺ في شرائعه ، ومن جعل الطريق إلى
النوصون في غير الافتداء يصل من حيث يظن أنه مهتد) (٣)

وقد الشيخ عبد الوهب الشعراني رحمه الله تعالى (إن طريق
القوم محررة على الكتاب والسنة كتحرير الذهب والحوهر ، فيحتاج
سالكها إلى ميران شرعي في كل خطوة مسكون) (٤)

وقد أيضاً : (إن حقيقة طريق القوم علم وعمل ، سداها ولحمتها
شريعة ، وحقيقة ، لا أحدهما فقط) (٥)

وقد الشعراني أيضاً : (فمن دقق النظر علم أنه لا يخرج شيء من
علوم أهل الله تعالى عن الشريعة وكيف يخرج وللشريعة صلتهم إلى الله
عز وجل في كل لحظة) (٦)

وشن أبو يزيد السطامي رحمه الله تعالى عن الصوفي فقال : (هو

(١) إيشاط الهمم ج ٢ ، ص ٣٠٢-٣٠٣

(٢) الرسالة القشيرية ص ٢٧ .

(٣) طبقات الصوفية لسلي ص ٣٠٠

(٤) لطائف المنن والأخلاق للشعراني ج ١ ، ص ٢ .

(٥) لطائف المنن والأخلاق للشعراني ج ١ ص ٢٥

(٦) التصوف الإسلامي والإمام الشعراني ص ٥٤٠ الثاني سرور ص ٧١

لدي يأخذ كتاب الله بيمينه وسنة رسوله بشماله ، وينظر بيمينه إلى
لجنه ، وبالأخرى إلى النار ، ويأثر بالديا ، ويرتدي بالأخرة ، وينبي
من بينهما للمولى : لبيك اللهم ليث ^(١) .

ومن جملة توحيه أبي برز رحمة الله تعالى : (عشرة أشياء
فريضة على البدن . أداء الفرائض ، واجتناب المحارم ،
والتواضع لله ، وكف الأذى عن الإخوان ، والصبر للصحة للترق ، والتفاجر ،
وطلب مرضاة الله في جميع أموره ، وطلب المغفرة ، وترك
الغضب ، والكبر والبغى والسمعة من ظهور الجفا ، وأن يكون
وصي نفسه ينهي للموت ^(٢) .

ومع كل هذا نجد أحاقدين عبيد للتصوف إذا سمعوا شيء من أخلاق
القوم قلوا [هذه متزع صوفي] لا شرعي ، فيبوههم لسمع أن الصوف
أمر خارج عن أصل الشريعة ، ^{والحال أنه لب الشريعة كما رأيت وإن}
من يطلع كتب انقوم السكينة من الناس من كتب الحلية لأبي
نعيم ، ولرسالة القشيرية ، وكتب التعرف لمذهب أهل التصوف
للكلاباذي ، واللمع لطرسي ، والإحياء للعراقي ، وطبقات الصوفية
لنسيمي ، والرمزية لحقوق لله للمحاسبي ، والوصايا لشيخ محي
الدين بن عربي ، وغير ذلك من كتب لصوفية . لا يكاد يجد خلفاً مما
فيها يحالف الشريعة أبداً ، كثرة محاسنة الصوفية لأنفسهم وأخذهم
بالعرائم ، فإن حقيقة طريق انقوم علم وعمل ، سداها ولحمته شريعة
وحقيقة

(١) «شذحات الصوفية» لعمد لرحمن الدوي ص ٩٦

(٢) «شذحات الصوفية» ص ١٠٣

التحذير من الفصل بين الحقيقة والشرعة :

هناك أساس ادَّعَوْا التصوف كديناً وتديناً ، منحرفوا عن الإسلام ، وقالوا : إن المقصود من الدين هو الحقيقة فقط ، وعطلوا أحكام الشريعة ، فأسقطوا عن أنفسهم لتكاييف ، وأماحو المخلفات . وقالوا : إن الْمُعَوَّل عليه صلاح القلب . ويهتدون [نحن أهل الباطن ، وهم أهل الظاهر] . فهؤلاء صالون منحرفون زنادقة ، لا يجوز أن نأخذ أعمالهم وأحوالهم حجة على السادة الصوفية الصادقين المخلصين .

وإن السادة أئمة الصوفية قد بيهوا إلى خطوهم ، وحذرو من صحتهم ومجاستهم ، وتبرؤوا من سيرهم وانحرافهم قال أبو يزيد البسطامي رحمه الله تعالى لبعض أصحابه : (قم يا حنى نظري إلى هذا الرجل الذي قد شهر نفسه بالولاية ، وكان رجلاً مقصوداً مشهوراً بالرهدة ، فمضينا إليه ، فلما خرج من بيته ودخل المسجد رمى ببصاقه تجاه القبلة ، فابصر أبو يزيد ولم يسلم عليه ، وقال : هذا غير مأمور على أدب من آداب رسول الله ﷺ فكيف يكون مأموراً على ما يدعيه)^(١) . وقال أيضاً : (لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتقي في الهواء فلا يعتروا به حتى ينظروا كيف يجدوه عند الأمر والهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة)^(٢)

وقال الشيخ أحمد روق رحمه الله تعالى في قوله : (وكل شيخ

(١) الرسالة الفقهية ص ١٦

(٢) الرسالة الفقهية ص ١٦

لم يظهر بألسنة فلا يصح ابعده لعدم تحقق حاله ، وإن صح في نفسه
وظهر عليه ألف ألف كرامة من أمره ^(١) .

وفاء سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى . (احذر صحة
ثلاث من أوصاف اناس : لجبابره العقلين ، ولقراء المداهن ،
والمتصوفة الجاهلين) ^(٢)

وفاء السيد أحمد الرفاعي رحمه الله تعالى (لا تقبوا كما يقول
بعض المتصوفة : نحن أهل الباطن ، وهم أهل الظاهر) . هذا الدين
الجامع بطنه لب ظاهره ، وظاهره ظرف باطنه . ولا الظاهر بما بطن ،
ولا الظاهر لما كان ابصر ولما صح . لقلب لا يقوم بلا حسد ، بل
لولا الحسد لفسد ، ولقلب نور النجس . ها ااعلم الذي سماه بعضهم
بعم الباطن ، هو إصلاح القلب ، فالأول عمل بالأركان وتصديق
بالجنان . إذ انفرد قلبك بحسن نيتك وطهارة طويته ، وقتلت وسرقت
وزنيت ، وأكلت لوما ، وشربت الخمر ، وكذبت وتكبرت وأعلست
القول ، فما الفائدة من نيتك وطهارة قلبك ؟ وبدا عبت الله وتعصمت ،
وصمت وتصدقت وتواصعت ، وأطعت قبلك الرياء والعباد ، فما الفائدة
من عملك ؟) ^(٣) .

ويكر الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالى على من يعتقد أن
التكاليف الشرعية تسقط عن السالك في حال من الأحوال ، كما مرّ بك

(١) «قواعد الصوف» لشيخ أحمد وردق ص ٧٦

(٢) «شرح الحكم» لابن عجمه ج ١ ، ص ٧٦

(٣) «الرهان لمؤيد» للسيد أحمد الروعي رحمه الله تعالى توفي سنة ٥٧٨هـ بأه عنده
بالعراق ص ٦٨ .

قوله (ترك لعبادات المفروضة زندقه ، ورتكب المحظورات معصية لا تسقط امرائص عن أحد في حان من الأحوال)^(١)

وقال شيخ الصوفية الإمام الجنيد رحمه الله تعالى . (منهجا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة)^(٢)

وقال أيضاً (الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من افتنى أثر لرسول عليه الصلاة والسلام ، واتبع سننه ولم طريقته ، فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه)^(٣) .

وذكر رجل عنده المعرفة فقال . أهل لمعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات [الأعمال] من باب البر وانتقرب إلى الله عز وجل فقال الجنيد رحمه الله تعالى (إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال [الصالحات التكيفية] وهو عدي عظيم ، والذي يسرق ويزني أحسن حالاً من الذي يقول هذا ، فإن لعديقين بالله تعالى أخذوا الأعمال عن الله تعالى ، وإله جعروا فيها ، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة إلا أن يحال بي دونه)^(٤) . وقال أيضاً . (ما أحسن التصوف عن ائبل والقال نكن عن اجوع [الصوم] وترك الدنيا وقطع السالوات والمستحسات)^(٥)

وقال إبراهيم بن محمد البصر أباذي رحمه الله تعالى . (أصل المصوف ملازمة الكتب والسنة ، وترك الأهواء والبدع ، وتعظيم

(١) «الفتح الرباني» للشيخ عبد القادر الجيلاني ص ٢٩ .

(٢-٣) «طبقات الصوفية» للسلمي ص ١٥٩

(٤-٥) «الرسالة القشيرية» ص ٢٢ .

حرمات المشايخ ، ورؤية أعذار الخلق ، وحسب صحة الرفقاء ، والقيم
بخدمتهم ، واستعمال الأخلاق الحميلة ، ولمدائمة على الأوراد وترك
ارتكاب الرخص والتأويلات ، وما ضل أحد في هذا الطريق إلا بفساد
الابتداء ، فإن فساد الابتداء يؤثر في الانتهاء ^(١) .

الفقهاء الصوفية :

لقد كان علماء الشريعة الإسلامية من الفقهاء والمحدثين ، يسبرون
على أثر الرسول الأعظم ﷺ ، فيجمعون بين الشريعة والصريفة
والحقيقة ، ويؤدون لعبادات العملية متحققين بسر الإخلاص فيها ،
متذوقين حلاوتها ، مدركين أسرارها ، وقد كانت لهم مجاهدات لتهديب
نفوسهم وإصلاح قلوبهم . ولجأ فحلوا بهم من صلاح وتقوى ومعرفة بلوا
هذه لمراتب العلمية ، ومبجهم الله تعالى هذا لهم نكتابه والتعمق في
شرعه ، ونفع الله الأمة بعلومهم على مر السنين والأيام ، فكانتهم أحياء
بأثارهم لخالدة وجهودهم العنمة المباركة .

نقل الفقيه الحنفي الحصكفي صاحب الدرر أن أب علي لدفاق
رحمه الله تعالى قال (أنا أخذت هذه الطريقة من أبي القاسم النصر
أدزي ، وقال أبو القاسم أنا أخذتها من الشسلي ، وهو من لسري
لسقطي ، وهو من معروف الكرخي ، وهو من داود لطائي ، وهو أخذ
العلم والطريقة من أبي حنيفة رضي الله عنه ، وكل منهم أشي عليه وأقر
بفصله . .) ثم قال صاحب الدرر معنقاً (يا عبالك يا أخي ألم بكر
لك أسوة حسنة في هؤلاء السادات الكبار ؟ أكنوا متهمين في هذا الإقرار

والافتخار ، وهم أئمة هذه الطريقة وأرباب الشريعة والحقيقة ؟ ومن
بعدمهم في هذا الأمر فلهم نفع ، وكل ما حالف ما اعتمدوه مردود
مندع^(١) .

وبعلك تستعرب عندما تسمع أن الإمام لكبير ، أبا حنيفة النعمان
رحمه الله تعالى ، يعطي الطريقة لأمثال هؤلاء الأكابر من الأولياء
والصلحين من الصوفية ! .

فهل تأسى اخفهاء بهذا الإمام ، فسدروا على بهجه ، وجمعوا بين
الشريعة والحقيقة ، لينفع الله بعدمهم ، كما نفع بإمامهم لأعظم ، الإمام
الكبير ، معدن التقوى والورع أبي حنيفة رحمه الله تعالى !

يقول ابن عابدين رحمه الله تعالى في حاشيته من حديثاً عن أبي حنيفة
رحمه الله تعالى ، تعليقاً على كلام صاحب اندر لائف انذكر (هو
فارس هذا الميدان ، فإن ميسر علم الحقيقة على العلم والعمل وبصفية
الفس ، وقد وصفه بذلك عامة السلف ، فقال أحمد بن حنبل رحمه الله
تعالى في حقه . إنه كان من العلم والورع والزهد وإيثار الآخرة بمحل
لا يدركه أحد ، ولقد ضرب ناسيوط ليني القصاء ، فلم يعمل وقال
عبد الله بن المبارك [رحمه الله تعالى] : ليس أحد أحق من أن يُقتدى به
من أبي حنيفة ، لأنه كان إماماً نقياً نقياً ورعاً عالماً فقيهاً ، كشف العلم

(١) اندر لمختار ج ١ ص ١٣ وعليه حاشية ابن عابدين وهو محقق من غير من
عد لمعز عابدين الدمشقي فقيه الديار الشامية وإمام الحنفية في عصره ، له من
الأساليب [رد المحتار عن اندر المختار] في حقه مجلدات يعرف بحاشية بن
عابدين ، وله رفع الأنظار عند أورده لحاشي عن اندر المختار وأحقود (سرية في
تنقيح الفتاوى الحامدية ج ١) ، ونسب الأسفار شرح لمبار ، ومجموعة
الرمائل . . مولده ووفاته في دمشق سنة ١٩٨ - ٢٥٢ هـ .

كشفاً لم يكشفه أحد ببصر وفهم وفطنة وتقى وقال اشوري لمن قال له :
حُثُّ من عند أبي حنيفة : لقد جئت من عند أئمة أهل الأرض (١) .

ومن هذا نعلم أن الأئمة السجتهدين والعلماء العاملين ، هم لصوفية
حقيقة

وقد قال قائل : لو أن طريق التصوف أمر مشروع ، لوضع فيه الأئمة
المجتهدون كتاباً ، ولا نرى لهم قط كتاباً في ذلك ؟

يجيب الشرعي رحمه الله تعالى على هذا فيقول (إنما لم يضع
المجتهدون في ذلك كتاباً قلّة الأمر في أهل عصرهم ، وكثرة
سلامتهم من الرياء والتناق ، ثم بتقدير عدم سلامة أهل عصرهم من
ذلك ، فكان ذلك في بعض أناس قليلين ، لا يكاد يظهر لهم عيب
وكان معظم همم المجتهدين إذ ذاك إنما هو في جمع الأدلة المنتشرة في
لسان الناس والشعور مع أئمة التابعين وتلميذهم ، التي هي مادة كل علم ، وبها
يُعرف موازين جميع الأحكام ، فكان ذلك أهم من الاشتغال بمناقشة بعض
نفس في أعمالهم القلبية التي لا يظهر بها شعار الدين ، وقد لا يقعون بها
في حكم الأصل .

ولا يقول من فط إن مثل الإمام أبي حنيفة أو مالك أو الشافعي أو
أحمد رضي الله عنهم ، يعلم أحدهم من نفسه رياء أو عُجاً أو كبراً أو حسداً
أو عاقاً ثم لا يجاهد نفسه ولا يفتشها أبداً ولولا أنهم يعملون سلامتهم
من تلك الآفات ولأمرض علمهم الاشتغال بعلاجها على كل علم (٢)

(١) «حاشية ابن عابدين» ج ١ . ص ٤٣

(٢) «طائفة المتقربين والأخلاق» للشرعاني ج ١ ص ٢٥٠ ٢٦٠

الدرس على العلوم الإسلامية

التفسير - الحديث - التاريخ - التصوف

لقد تعرض الإسلام منذ انبثاق فحره إلى حصوم أشداء ، وأعداء ألداء حاولو تقويض بنيانه ، وتحطيم أركانه ، عن طريق تشويه معالمه ، ودس لأباطيل وإخراقات في علومه ، كما نرى ذلك في لتفسير والحديث وفي التاريخ والتصوف وغيرها

أما التفسير فكثيراً ما نقى في كسبه بعض الإسرائيليات التي ليست إلا أساطير كذبة ، وعقائد غير إسلامية ، فقلب إلى الدين الإسلامي اليهود لدين عتقوا الإسلام غير محليين ، أو محليين ولكن علقب بأذهاهم هذه لأساطير حين كانوا على دين اليهودية ، فقلوها عن كتب أسباطهم التي دخلها اتحريف والتعيير ، وتقلها بعض المسلمين على أنها صحيحة

وقد وفق الله تعالى علماء المسلمين إلى تمحيص هذه الإسرائيليات وتنبيه المسلمين إلى ضررها ، وخصوصاً منها ما يصر بالعميدة ، كالإخبار بأن أيوب عليه السلام مرض حتى ظهر الدود على حسده ، وكنيسة لمعاصي إلى بعض الأنساء ، فقد زعموا أن داود عليه السلام عشق امرأة بعض حوده ، ثم أرسل زوجها نعض الموقع الحربية لقتله ، فقتل وتزوجها كما زعموا أن يوسف عليه السلام همّ بامرأة العزيز همّ ففُخس وسوء ، ولَمَقُوا في ذلك قصصاً وحكايات لا تنبى بمقدم الرس

الكرام ، الذين عصمهم الله من كل سوء وقاحشة
فالواجب على كل مسلم بذّ هذه لإسرائيليات ، والاعتماد على
المصادر الإسلامية الصحيحة المشهورة .

وأما الحديث فلقد حول الدّسّاسون المغرضون تشويه معالم
الإسلام عن طريق وضع أحداث مكدوبة مفتراة على لسان الرسول ﷺ ،
يقصدون بذلك تحطيم لعقيدة ، ودس الأفكار الهدّامة ؛ كالتجسيم
والتشبيه والفوقية والجهة ، وغير ذلك من العقائد الفاسدة .

كما وضعوا أحاديث في الترغيب والترهيب من نزل الله بها من
سلطان وإذا قيل لهم : لم تكذبوا على رسول الله ﷺ ، وهو يقول
« من كذب عليّ متعمداً فبيّتنا مقعده من النار »^(١) ؟ قالوا : نحن نكذب
له لا عليه . كما كان بعضهم يضع الحديث تقريباً إلى الحكام ، وترلاً إلى
الملوك ، رغبة في مطمع دنيوي ومكسب مادي

ولكن الله تعالى قيّض لسنه رسوله ﷺ علماء محصين غيريين ،
محصوا تلك الأحاديث ، وبينوا الصحيحة من الضعيفة ، والموصوعة من
الحسنه ، والمشهورة من الغريبة ، كالقزّي ولزّين لعراقي ولذهبي وابن
حجر وغيرهم^(٢) .

وأما التاريخ فقد كان مبداً حصصاً للندس والافراء ، حيث أنصق
المصلون في تاريخ الإسلام قصصاً وحوادث من نسج خيالهم حولوا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ومسلم

في كتاب الإيمان ، وترمذي في كتاب العلم ، وابن ماجه في أبواب السنه

(٢) وقد جمع بعض العلماء الغيورين على الأحاديث السوية كتباً شواهاها لأحاديث

لموصوعة منها ثلاثي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة لسيوسي ، وكشف

لخفاء للعجلوتي ، وأمنى المطالب لمخوت البيروتي

بذلك شويه سيره الحلفاء وملوك الإسلام . كما نسوا إلى هارون لرشد
أمر عرسه منكراً ، بحده في أكاذيب ألف ليلة وبيته

ولا يخفى ما أحدثه المصطلون الصليبيون والمشرقون ومن لف
لهم في تزيح الإسلام من افتراءات وتزوهات وأضاليل واصحة البطلان لم
يقصدوا بها إلا التهديم والتشكيك

ولكن المؤرخين المسلمين المحققين كالذهبي ، واصبري ، وابن
كثير ، وابن الأثير ، واس هشام وغيرهم ، قد دؤبو التاريخ الإسلامي ،
وهذبوه ونفرو عنه لدخائل ، وأخرجوه نقياً سليماً . فعلى طالب الحقيقة
أن يعود إلى هذه المراجع الصحيحة ، كي يميز لخيث من لطيف ،
والعث من السمين .

وأما التصوف : فكثيره من العلوم الدينية ، لم يسلم من الدس
والتحريف من هؤلاء الدخلاء والمفسدين

فمنهم من أدخل في كتب الصوفية أفكاراً منحرفة ، وعبارات مئة
ما أنزل الله به من سلطان ، كقولهم

وم الكذب والخ ريز إلا إله وم الربك إلا راهب في كيسة

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ يُذَوِّبُونَ بِهَا كَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾ [الحج ١٥]

ومنهم من أورد أفسد دين المسلمين بأشياء أحر تسمى عقائدهم
فسبب إلى بعض رجال الصوفية أقوالاً تحاف عبدة أهل السنة ، كالقول
بإحلول والاتحاد ، بأن الحالف عين لمحقوق ، والكوا عيس
المكوّن

ومنهم من حاول تشويه تاريخ رجال الصوفية ، ونزع ثقة الناس بهم ،
فدس في كتبهم حوادث وقصصاً من سجع خياله ، فيها ارتكبت للمنكرات

واقتراف للآثام والكثائر ، كما نجد ذلك كثيرًا في الطبقات الكبرى للإمام
الشعراني رحمه الله تعالى ، وهو منها بوليء كما سيأتي .

ومهم المشترون والمستشرقون ، وأوراق الاستعمار الذين درسوا
كتب السادة الصوفية ، وكثير عنهم لمؤلفات لأجل التحريف والتروير
والدس ، بقصدون بذلك أن يطعنوا لإسلام في صميمه ، وأن يسلمحوا
روح الدين عن جسده ، وقد خضع بهم أقوام أرادوا أن يمهوا التصوف
من كتب هؤلاء المستشرقين ، كأمثال [نكلسون الإنكليزي ، وجولد ريهير
اليهودي ، وماسيون الفرنسي وغيرهم] ، فوقعوا في أحايينهم ،
وسمّموا من أفكارهم ، وانحرفوا في تمار محاربة الصوفية ولا أدري
كيف يثق مسلم صادق بأقوال عدوه المتحاذع الماكر ؟

ومهم استُدْحِجُ لدين يصدقون هؤلاء وهؤلاء ، فيعتقدون بهاء
الأمور المدسوسة ويشتونها في كتبهم . وكان هذا بعيد عن لصوفية
والتصوف

فإن قال قائل : إن ما نسب إلى الصوفية من أقوال مخالفة هي حقاً من
كلامهم بدليل وجودها في كتبهم لمطوعة المنشورة

نقول : ليس كذلك في كتب الصوفية لهم ؛ لأنها لم تسلم من
حملات الدس والتحريف وما أحوحنا إلى تضافر جهود المؤمنين
المختصين لسقفة هذا التراث الإسلامي الثمين ممّا لحق به من دس
وتحريف .

ولو ثبت بطريق صحيح عن بعض الصوفية كلام مخالف لحدود
لشريعة فنقول : ليست كلمة فرد واحد حجة على جماعة ، شعاره
ومذهبها لتمسك بالكذب والسنة حتى إنهم ليقولون : إن أول شرط
الصوفي أن يكون واقفاً عند حدود شريعته ، وألا ينحرف عنها قيد

شعرة فإذا هو تخطى هذا الشرط ، ووصف نفسه بأنه صوفي ، فقد اختلق لنفسه صفة ليست فيه ورغم ما ليس له

وإن من إضاعة الوقت لنemis الأشغال بمثل هذه الترهات والأطيل المفتراة على هؤلاء القوم في هذه الأوقات التي يوجد ما هو أهم من المحادثة بها ، فهي معروفة لدى الصوفية المحققين والعلماء المدققين وعلى أن نعرف أن التصوف ليس علماً نلناه براءة الكتب ومطالعة الكراريس ، ولكنه أخلاق وإيمان ، وأدواق ومعارف ، لا ينال إلا بصحبة الرجال ، الذين اهتموا بهدي رسول ﷺ . وورثوا عنه العلم والعمل والأخلاق والمعرفة وهو علم يتقل من لصدر إلى الصدر ، ويفرغ القلب في القلب .

وهناك أقوام معرضون ، درسوا كتب السادة الصوفية وتبعوا ما فيها من دس ونشوية وتحريف واعتبروها حقائق ثابتة ، وارتكزوا عليها في حملاتهم العيفة وبهجماتهم الشديدة على السادة الصوفية الأبرار . ولو أنهم قرأوا ما يعلنه رجال التصوف في جميع كتبهم من استمسكهم بالشريعة واعتصمهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وتقيدهم بامذاهب إسلامية لمعتبرة ، وتبينهم عقيدة أهل السنة والجماعة ، كما بيانه أنف في بحث بين الحقيقة والشريعة ، لأدركوا تماماً أن ما ورد في كتبهم مما يافض هذا المدأ النصح والمنهج لسوي ، إنما هو مؤول و مدسوس

وإست بعض أمثلة الدس المفتراة على الصوفية والعلماء هي كتبهم يقول ابن الفراء في طبقاته نقلاً عن أبي بكر المرودي ومسدد وحرب إنهم قد رروا الكثير من المسائل ، وسوها للإمام أحمد بن حنبل وبعد أن يفيض في ذكر هذه المسائل يقول :

(رحلان صالحان بُني بأصحاب سوء . جعفر الصادق ، وأحمد بن حنبل ، أما جعفر الصادق فقد نسبت إليه أقول كثيرة ، دوست في فقه الشيعة الإمامية على أنها له ، وهو بريء منها ، وأما الإمام أحمد ، فقد نسب إليه بعض الحنابلة آراء في لعنائه لم يقل بها)^(١)

وسئل الإمام الفقيه ابن حجر لهيتمي رحمه الله تعالى ونفعنا به في عقائد الحنابلة ما لا يحفى على شريف علمكم ، فهل عقيدة الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه كعقائدهم ؟

فأجاب بقوله : (عقيدة إمام السنة أحمد بن حنبل رضي الله عنه وأرضه وجعل حنان المعارف مثقبه ومأواه ، وأفاض علينا وعليه من سوابغ امتنانه ، وبوأه المردوس الأعلى من حنانه ، موفقة عقيدة أهل السنة والجماعة من المصانعة العامة في خبر به الله تعالى عما يقول الضاحمون ولجاحدون علواً كبيراً : من لجهة والجسمية وغيرها من سائر سمات لقصر ، بن وعن كل وصف ليس عنه كمال مطلق ، وما اشتهر بين جهلة المسويين إلى هذا الإمام الأعظم المجتهد من أنه قائل بشيء من الجهة أو نحوها فكذب وبهتان وافتراء عليه . فلعل من نسب إليه ، أو رماه بشيء من هذه المثالب التي يراه الله معها ، وقد بين لحافظ الحجة الفدوة الإمام أبو الفرج بن الجوزي من أئمة مذهبه المرئيين من هذه لوصمة الفبيحة الشيعة أن كل ما نسب إليه من ذلك كذب عليه وافتراء وبهتان ، وأن نصوبه صريحة في بطلان ذلك وتبريه الله تعالى عنه ، فاعلم ذلك ، فإنه مهم)^(٢) .

(١) التصوف الإسلامي والإمام لسع بن طه عبد الباقي سرور ص ٨٢

(٢) الفتاوى الحديثية لابن حجر المكي ص ١٤٨

وأما الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقد دُسَّ عليه كتب بهج
 البلاعة أو أكثره ، فقد ذكر الأدهبي رحمه الله تعالى في ترجمته علي بن
 الحسين الشريف المرتضى أنه . (هو لمتهم بوضع كتاب بهج البلاعة ،
 ومن صالعه جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، وفيه
 السب الصراح والخط على السيدين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وفيه
 من الناقض ولأشياء لم كبكة والعبارة التي من له معرفة بنفس القرشيين
 الصحبة ، وبنفس غيرهم ممن بعدهم من لماخرين جزم بأن الكتاب
 أكثره باطل)^(١)

ومن دُسَّ عليهم الإمام الشعراي رحمه الله تعالى ، وأكثر ما دُسَّ
 عليه في الصبغات الكبرى ، ولقد أوضح ذلك في كتابه لطائف المنن
 والأخلاق فقال : (وما من الله ^{تبارك وتعالى} به علي ، صبري على
 الحسدة والأعداء ، بما دسوا علي كتيبي كلاماً يخالف طهر لشريعه ،
 وصاروا يستفتون علي ^{رواه الشيخان} في ما كاتبتهم في باب السلطان ،
 ونحو ذلك . إعلم يا أخي أن أول ابتلاء وقع لي في مصر من نحو هذا
 النوع ، أنني لم حججت ستة سبع وأربعين وتسعمائة ، زور علي جماعة
 مسانة فيها حرق لإجماع الأئمة الأربعة ، وهو أنني أفتيت بعض الناس
 بتقديم الصلاة عن وقتها إذ كن وراء العبد حاجة . قلوا وشاع ذلك
 في الحج ، وأرسل بعض الأعداء مكاتبات بذلك إلى مصر من لجبن ،
 فما وصلت إلى مصر ، حصل في بضو زج عظيم ، حتى وصل ذلك إلى
 إقليم الغربية والشرقية و لصعيد وأكار الدولة بمصر . فحصل لأصحابي
 غابة الضرر ، فمد رجعت إلى مصر إلا وأحد غالب لناس ينظر إلي

شدرأ ، فقلت : ما بال اساس ؟ فأحبروني بلمكتتاب التي حذتهم من مكة ، فلا يعمد عدد من اعنسي ، ولات بعرضي إلا لله عز وجل

ثم إني لما صفت كتاب لبحر لمورد في سواثيق والعهود ، وكتب عليه علماء المذهب الأربعة بمصر ، وقد راع اساس كتابته ، فكتبوا منه نحو أربعين نسخة . عدد من ذلك الحسدة ، فاحتالوا على بعض المفعلين من أصحابي ، واستعاروا منه نسخته ، وكتبوا بهم منها بعض كراريس ، ودرسوا فيها عقائد رائعة ومسائل خارقة لإجماع المسلمين ، وحكايات وسخریات عن حجة ، وابن لراويدي ، وسكوا ذلك في غضون الكتاب في مواضع كثيرة ، حتى كأنهم لمؤنف . ثم أخذوا تلك الكراريس ، وأرسلوها إلى سوق لكتيبين في يوم لسوق ، وهو مجمع طلبة العلم ، فمضوا في تلك الكراريس ، وقرأوا اسمي عليها ، فشرفاه من لا يخشى الله تعالى ، ثم دار بها على علماء جامع الأزهر ، ممن كان كتب على الكتاب ومن لم يكتب ، فأوقع ذلك فسة كسرة ، ومكث الناس يوثون بي في المساحد والأسواق وبيوت لأمرأ نحو فسة ، وأنا لا أشعر . وبتصر لي الشيخ ناصر لدين اسقني ، وشيخ الإسلام الحسلي ، وشيخ شهاب الدين بن احببي . كل ذلك وأنا لا أشعر ، فأرسل بي شخص من اسمحيين بلجامع لأزهر ، وأحبرني الخبر فأرسلت نسختي التي عندها خطوط لعلماء ، فطروا فيها ، فم يحدوا فيها شيئاً مما دسه هؤلاء الحسدة ، فسئوا من فعل ذلك ، وهو معروف

وأعرف بعض جماعة من المتهورين ، يعتقدون في لسوء إني وفي هذا ، وهذا بناء على ما سمعوه أولاً من أولئك الحسدة ، ثم إن بعض الحسدة ، جمع تلك المسائل لتي دُست في تلك الكراريس وجعلها عنده ، وصدر كما سمع أحداً يكرهني ، يقول له : إن عندي بعض

مسائل تتعلق بفلان ، فإن احتجت إلى شيء منها أصليت عليه ، ثم صار يعطي بعض المسائل لحاسد بعد حسد إلى وقتي هذا ، ويستمتون عني وأنا لا أشعر ، فلما شعرت ، أرسلت لجميع علماء لأزهر أنني أنا المقصود بهذه الأسئلة ، وهي مفتاة عني ، فامتنع العلماء من الكتابة عليها ^(١)

وقد ذكر المؤرخ الكبير عبد الحي بن لعماد الحنلي رحمه الله تعالى في كتابه شذرات الذهب في أخبار من ذهب ترجمة الشيخ عبد الوهاب لشعراني رحمه الله تعالى وبعد أن أثنى عليه ، وذكر مؤلفاته الكثيرة ، وأثنى عليها أيضاً قال فيه (وحسده طوائف قدسوا عليه كدمات يحالف طهرها الشرع ، وعقائد زائغة ، ومسائل تحاف الإجماع ، وأقامو عليه لقيامه ، وشنعوا وشبوا ، وزموا بكل عظمة ، فخلد لهم الله ، وأطهره الله عليهم وكان مواظباً على الصلاة ، ومبالغاً في الورع ، مؤثراً ذوي الفاقة على نفسه حتى يملأوا به ، متحملاً للأذى ، مورعاً أوقاته على لعبادة : ما بين تصيب وتصيب وإفادة . . وكان يُسمع لراويته دوي كدوي ليل ليلاً ونهاراً ، وكان يحيي ليلة الجمعة بالصلاة على لمصطفى ﷺ ، ولم يرل مقيماً على ذلك ، معظماً في صدور الصدور ، إلى أن نقله الله تعالى إلى دار كرامته) ^(٢) .

وقال الشعراني رحمه الله تعالى في كتبه ليواقيت والجواهر : (وقد دس الربادفة تحت وسادة الإمام أحمد بن حنبل في مرض موته ، عندئذ

(١) كتاب «لطائف المنن والأحلاق» للشعراني ج ٢ . ص ١٩٠-١٩١

(٢) «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» للمؤرخ الفقيه الأديب عبد الحي الحنلي

لمتوفى سنة ١٠٨٩ هـ ج ٨ ص ٣٧٤

ذائغة ، ولو لا أن أصحابه يعلمون منه صحة الاعتقاد ، لافتسوا بما وجوده تحت وسادته (١) .

وكذلك ذكر الشرح مجدد لدين القيروز آبادي صاحب القاموس في اللغة . أن بعض الملاحدة صنف كتاباً في تنقيص الإمام لأعظم أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه وأوصافه إليه ، ثم أوصله إلى الشرح جمال الدين بن الحياط اليمني ، فشجع على الشرح أشد الشجع ، فأرسل إليه الشيخ مجدد الدين يقول له . (إني معتقد في لإمام أبي حنيفة غيبة الاعتقاد ، وصنفت في مناقبه كتاباً حافلاً وبالغت في تعظيمه إلى اغابة ، وأحرق هذا الكتاب الذي عندي ، أو اغسله ، فإنه كذب وامراء علي) (٢) .

وقال لعقبة الكبير أحمد بن حجر الهيتمي المكي رحمه الله تعالى . (رأيك أن تغتر بما وقع في كتاب تنقيص الإمام العارفين . وقطب لإسلام واسلمين ، الشيخ عبد القادر الجيلاني فإنه دسه عليه فيها من سيقم الله منه ، وإلا فهو بريء من ذلك . وكيف تروج عنه هذه المسألة الواهية مع تضعفه من الكتاب والسنة وفقه الشافعية والحنابلة ، حتى كان يفتي على المذهبين هذا مع ما انصم لذلك من أن الله من عليه من المعارف والخوارق الظاهرة والباطنة . وما أنشأ عنه ما ظهر عليه ونواتر من أحواله . إلى أن قد . فكيف يُصور أو يُتهم أنه قاتل تلك القبائح التي لا يصدر مثلها إلا عن اليهود وأمثالهم ممن استحکم فيهم الجهل بالله

(١) ليواقيت والجوامع في بيان عقائد الأكابر للشيخ عبد الوهاب الشعراوي ج ١ ص ٨ .

(٢) لطائف المنن والأخلاق للشعراوي ج ١ . ص ١٢٧ .

وصفته وما يجب له وما يجوز وما يسجل مسحات هذا بهتان عظيم^(١)

وكذلك دسوا على الإمام الغراني عدة مسائل في كتاب الإحياء ، وظهر الفاسي عيص بنسحة من تلك النسخ فأمر بإحراقها^(٢)

قل الشعراني رحمه الله تعالى ، (ومما دشو على لغراني ، وأشاعه بعضهم عنه ، قولهم عنه إنه قال [إن لله عبداً لو سأله أ لا يقيم الساعة لم يقمها ، وإن لله عبداً لو سأله أ لا يقيم أساعه الآن لأقامها] فإن مثل ذلك كذب وزور على الإمام حجة الإسلام رضي الله تعالى عنه وأرضاه ، يجب على كل عاقل تربيته الإمام عنه ، لأنه يرد النصوص القاطعة الواردة في مقدمات الساعة ، فيؤدي ذلك إلى تكذيب الشارع ﷺ فيما أحر ، وإن وجد ذلك في بعض مؤلفات الإمام فذلك مدسوس عليه من بعض الملاحدة ، وقد رأيت كتاباً كاملاً مشحوناً بالعقائد المخالفة لأهل السنة ولجماعة ، صنعه بعض الملحدين وسبه إلى الإمام العراقي ، فاطلع عليه الشيخ بدر الدين بن جماعة ، فكتب عليه : كذب والله واقتري من أضاف هذا الكتاب إلى حجة الإسلام)^(٣) .

وقال أيضاً . (وكذلك دسوا عني أنا في كتابي المسمى بالبحر المورود جملة من لعقائد لرافعة ، وأشاعوا بك العقائد في مصر ومكة نحو ثلاث سنين ، وأنا بويء منها كما نيت في حطه الكتاب لما غيرتها ، وكان العلماء كتبوا عليه وأحاروه ، فما سكنت الفتة حتى

(١) «اعتاوى الحديثية» لابن حجر ص ١٤٩

(٢) «ابو الفيت والجواهر» ج ١ . ص ٨ .

(٣) «الطائف المنن والأخلاق» للشعراني ج ١ . ص ١٢٧

أرسلت إليهم النسخة التي عليها خطوطهم^(١) .

هذا وقد ملأ حصونه الدنيا حوله حقداً وحسداً ، وافترأ ، وكذباً وتصليلاً ، لاسيما في كتبه المعروفة ، وأشهرها لطقات الكبرى .

فلو قدر أن المُنصِف س كلام لشعراني رحمه الله تعالى الذي يعلن فيه بحسك الصوفية بالشرعية ، وقد مر بك في بحث بين الحقيقة والشرعية^(٢) وبين كلامه في لطقات الكبرى لرى تاباً طهرأ ، ولظهر له كذب ما في لطقات

وكذلك دسوا على لشح محي لدين س عربي رحمه الله تعالى ، قال الشعراني . (كان رضي الله عنه متقيداً بالكتب والسنة ، ويقول : كل مَنْ رمى ميزن لشرعية من يده لحظة هلك إني أن قل . وهذا اعتقاد الجماعة إلى قديم الساعة ، وجميع ما لم يفهمه الناس من كلامه إنما هو لغتو مراقبه ، وجميع ما عارض من كلامه ظاهر لشرعية وما عيه الجمهور فهو مدسوس عليه ، كما أخبرني بذلك سيدي أبو طاهر المغربي بزيل مكة المشرفة ، ثم أخرج بي نسخة انفتوحات التي قائلها على نسخة الشيخ التي بحظه في مدينه قويه ، فلم أرى فيها شيئاً مما كنت توقعت فيه وحدفته حين اختصرت انفتوحات . ثم قال شعراني رحمه الله تعالى إذا علمت ذلك ، فيحتمل أن الحسدة دسوا على الشيخ في كتبه ، كما دسوا في كتبي أن ، فإنه أمر قد شاهده عن أهل عصري في حقي ، والله يعفرك ولهم آمين^(٣))

(١) « بيوفيت وانجوها » ج ١ . ص ٨ .

(٢) انظر بحث بين الحقيقة والشرعية ص ٣٨١ من هذا الكتاب

(٣) « البوست » انجوها للشعري ج ١ ص ٩ .

ذكر الفقيه الحنفي صاحب الدر المختار أن - (من قال عن فصوص الحكم للشيخ محي الدين بن عربي ، إنه خارج عن الشريعة ، وقد صنفه للإصلاح ، ومن طالعه ملحد ، ماذا يلزمه ؟ أحب نعم ، فيه كلمات بباين الشريعة . وتكلف بعض المتصنفين لإرجاعها إلى الشرع ، لكن الذي نهيته أن بعض اليهود افترأها على الشيخ قدس الله سره ، فيجب الاحتياط بترك مطالعة تلك الكلمات فإن العلامة ابن عابد بن رحمه الله تعالى في حاشيته على الدر المختار عد قوله . [لكن الذي نقضه] وذلك بدليل ثبت عنده ، أو بسبب عدم اطلاعه على مراد الشيخ فيها ، وأنه لا يمكن تأويلها ، فتعيّن عنده أنها مفسدة عليه ، كما وقع للشيخ لشعراني أنه افترى عليه بعض الجاحدين في بعض كتبه أشياء مكفرة ، وأشاعها عنه ، حتى اجتمع علماء عصره ، فأخرج لهم مسوده كتابه التي عيبها خطوط لعلماء فإذ هي حائبة عما فترى عليه وقال بن عابد أيضاً عند قوله [فيجب الاحتياط] لأنه قد ثبت فتراؤها فلا أمر ظم ، وإلا فلا يفهم كل أحد مرادها فيها ، فيحشى على الناظر فيها من الإنكار عليه ، أو فهم خلاف المراد (١) .

ومن المدسوس على لشيخ محي الدين رحمه الله تعالى أيضاً القول بأن أهل النار يتلددون بدحولهم النار ، وأنهم لو أخرجوا منها ، تعذبوا بذلك الخروج .

قل الشعر بن رحمه الله تعالى - (وإن وُجد نحو ذلك في شيء من كتبه فهو مدسوس عليه ، وهي مررت على كتاب لمتوحات المكية جميعه

(١) حاشية ابن عابد بن ج ٣ ص ٣٠٣ وصاحب لدرامحة لشيخ محمد علاء لدين الحصكفي المتوفى سنة ١٠٨٨ هـ .

فرأيت مشحواً بالكلام على عذاب أهل الباطن^(١)

وقال أيضاً : (كذب من دسّ في كتاب الفصوص وفتوحات ، أن الشيخ محي الدين بن عربي قال بأهل النار يتلذذون بالنار ، وأهم ما أخرجوا منها لاستغاثوا ، وطلبوا الرجوع إليها ، كما رأيت ذلك في هذين لكتابين وقد حذف ذلك من الفتوحات حل اختصاري له حتى ورد عن الشيخ شمس الدين الشريف ، بأنهم دسوا على الشيخ في كتبه كثيراً من لعنات الزئفة التي نقلت عن غير الشيخ ، فإن الشيخ من كمل العرف بأجماع أهل الطريق ، وكان حليماً رسول الله ﷺ على لدوام ، فكف بكلمة بما يهدم شيئاً من أركان شريعته ، ويسوي بين دينه وبين جميع الأديان الباطنة ، وجعل أهل الدارين سوءاً لا يحد لا يعتقده في الشيخ إلا من عولّ عنه عقله . فإنك تعلم أنني أن تصدق ، من يصيب شيئاً من لعنات الزئفة إلى الشيخ ، فإنه سمعك وبصرك وقست ، وقد بصحتك والسلام . وقد رأيت في لعنات الشيخ محي الدين الواسطي ما صه . ويعتقد أن أهل الحق والهدى مخلصون في دأبهما ، لا يخرج أحد منهم من دأبه أبداً الأبدية ودهر الدهرين . قال ومرادنا بأهل النار الذين هم أهلها من الكفر والمشرية وأنما فتن ولعظتين . لا عصاة الموحدين منهم يخرجون من النار بالنصوص^(٢))

ويؤيد ما ذكرنا بأن هذا لقول مدسوس على الشيخ محي الدين ما ذكره الشيخ نفسه في الباب الحادي والسبعين وثمّة من الفتوحات ،

(١) «الكبرى لأحمد» ص ٢٧٦ طبعه ٢٧٧ . قد بي محلة العشي والمحمدية عدد

محرم ١٣٨١ ص ٢١

(٢) «لوقت واجوه» لشعري ج ٢ . ص ٢٠٥

عندما تغلق أبواب النار، كيف يصير أهلها كقطع اللحم حينما تعلو بهم النار ويصير أعلاها أسفلها . وكذلك ما ذكره الإمام لاجوري الشافعي في شرحه على حروقة استوحشده . (وما يقال بتمرّن أهل النار بالعذاب ، حتى يوفّقوا في الجنة لتألموا مدسوس على لقوم [اصصوية] كيف وقد قال تعالى : ﴿ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾^(١) [الباء ٣٠])

فكيف يعتمد مسلم هذه لعقيدة لماسدة التي تخالف عقيدة أهل السنة ولجماعه ؟ وقد نعت على ذلك الشيخ محمد بن يوسف الكافي ، بعد أن ذكر فريق لجنة ، وأنهم محللون فيها ومنعمون ، ذكر فريق أهل الدر فقال : (وفريق السعير حادون فيه أبدأ ، لا يقطع عنهم ألم العذاب ، وثان معصمهم : [يقطع عنهم] ، وينقلب في حقهم اسلنداداً ، بحيث لو عُرِضت عليهم لجنة لأنوّه ، لما هم فيه من الاستداد) ومعتقد هذا كافر بلا شك ولا ريب ، لكنّ الله تعالى في حشره ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ حديد فيها لا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿ [المرء ١٦١-١٦٢] وفي حشره أيضاً ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَابِعُنَا سَوْفَ نُصِيبُكُمْ دَرَكًا كُلًّا نَبْصَتُ جُلُودَهُمْ بِذَلَّتْهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ الله كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿ [الباء ٥٦] وغير ذلك من الآيات الدالة على استمرار عذابهم^(٢))

ومما نسب إلى الشيخ محي الدين رحمه الله تعالى أيضاً فراءؤه عليه القول : يسقوط التكليف

يقول العلامة الشعراي رحمه الله تعالى : (وقد ذكر الشيخ محي

(١) حاشية العلامة شيخ الإسلام إبراهيم الجوزي ص ١٠٨

(٢) المسائل الكافية للشيخ محمد بن يوسف الكافي الترنسي ص ١٨

الدين أنه لا يحوز لولي قط المصادرة إلى فعل معصية اطلع من طريق كشفه على تقديرها عليه ، كما لا يحوز لمن كشف له أن يمرض في اليوم الفلاني من رمضان ، أن يبادر للفطر في ذلك اليوم ، بل يحب عليه البصر حتى يتلصص بالمرض ، لأن الله تعالى ما شرع الفطر إلا مع التلصص بالمرض أو غيره من الأعذار ، قال وهذا مذهبنا ومذهب لمحققين من أهل الله عز وجل (١)

ومما دُسَّ على العارف الكبير الشيخ إبراهيم لدسوقي رحمه الله تعالى قوله : (أذن لي ربي أن أتكلم وأقول أنا الله ، فقال لي : قل أنا الله ولا تنال) وفي هذا من الشناعة والاحتراء ، ما يغني عن الإطالة (٢)

ومما دُسَّ عن رابعة العدوية رحمه الله تعالى ، قولها عن الكعبة [هذا الصم المعبود في الأرض] (٣) . وهذا من تسمية نفسه يكذب نسبة هذا القول إليها وبس أنه مدسوس ومكذوب عليها ، فقد قال حبر سئل عن ذلك . (وأما ما ذكره عن رابعة من قولها عن البيت : إنه الصم المعبود في الأرض ، فهو كذب على رابعة لمؤممة التقية ، ولو قال هذا من قال لكان كافراً بسباب ، فإن تاب وإلا قتل ، وهو كذب فإن البيت لا يعبد المصلون ، ولكنهم يعبدون رب البيت بالطواف به والصلاة إليه) (٤) .

(١) مجلة العشيرة لمحمدية عدد محرم ١٣٨١ ص ٢١ .

(٢) مجلة العشيرة لمحمدية عدد محرم ١٣٨١ ص ٢٣ .

(٣) وقد عمد بعض المعرّضين الدسائس إلى تفصي جميع انصراف المدسوسة والمكذوبة على الصوفية ببعضها درعة في حمية المعرّض ، وتهجمه الشيع على انصوفيه بأسلوب مقدع وعبارات منحطة بعيدة عن أخلاق الإسلام وخصائص المومنين لا يدعونه إلى ذلك ، لا حقد دفين وهوى نفسي ومارب شخصية

(٤) مجموعة المسائل والمسائل لاس تيميه ج ١ ص ٨١-٨٢

ولو ذهب ستقصي ألوان الترييف في اتريخ الإسلامى ولتصوف لما
وسعتنا هذه الرسالة ، إدا التصوف كان مصيه من لدس و لا فتراء أعظم من
غيره ، لأن امزيقين أدركوا أن لتصوف هو روح الإسلام ، وأن الصوفية
هم قوته النافذة الضخمة وشعلته الوضاء لشرق ، فأرادوا أن يطفنوا
هذا النور قال تعالى : ﴿ تَرِيدُونَ لَظُتُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْهِيهِمْ وَاللَّهُ عِيمُ نُورِهِ وَلَكِنَّ كَرِهَ
لَكُتِيرُونَ ﴾ [الصفا ، ٨] ،

وإننا لا ننسى أن الذي ساعد على الدس والصليل والافراء عدم
انطباع لعنية والمراقبة الشديدة في المصبي ، كما هي عليه ليوم في
عصرنا الحاضر من الطمع لمطم ، ومن العقوبات لقانونية لمن يتجرأ
على طمع شيء من لكتب نغير إذن مؤلفها ، بحلاف عصر لتسبح لكتب
الحطية ، فقد كان الدساسون الكذابون يروحون كتباً فيها ما فيها من
الدجل والكذب ما الله به عليم ، ويدجون على كتب لعلماء وخصوصاً
الصوفية الدساس والأباطيل .

ونكر الله تعالى - وبه الحمد - قبض بهذا الدين رجالاً سهروا على
تنقية الكتب الإسلامية ، وبتنوا المدسوس فيها من الصحيح .

وبحس بهذا الكتب المتواضع نسهم في تنقية استصوف الإسلامى مما
علق به من دساس وأمور دحيلة عليه ، ليعبد له صفاءه وبريقه وليسفع
الناس من طاقاته الروحية وبمحنته الإيمانية في هذا العصر الذي خيئت
عليه ضلمات المادية وأثم لإباحية وتيارات الإلحاد والوحودية .

تأويل كلام السادة الصوفية

إن ما نره في كتب تصوفية من الأمور التي يحالف طاهرها بصوص الشريعة وأحكامها ، هي

• إما أن تكون مدسوسة عليهم من قبل الردقة والحسنة وأعداء الإسلام كما يتَّ

• وإما أن يكون كلاماً قديماً للأوس ، تحدثوا به من باب الإشارة أو الكذبة أو المجاز ، كما يرى ذلك في كثير من الكلام لعربي ، ونجده برز في كتاب الله تعالى في مواطن عديدة ، كما في قوله تعالى ﴿ وَأَشِيرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْبُحْلَ ﴾ [البقرة ٩٣] أي حب البخل

وقوله تعالى ﴿ وَسَتَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف ٨٢] أي أهل القرية وقوله عز وجل ﴿ أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ [الأنعام ٢٢] أي كان ميت القلب ، فأحياء الله تعالى

وقوله تعالى ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ [البقرة ٢٥٦] أي من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان .

كما نلاحظ في بعض آيات لقراءة الكريمة تعارضاً في الظاهر ، ولكنا لو تعمقنا في فهمها ، ودققنا في مدلولها وسمعتها ، لوحدناها فبينة للتأويل ، وبدلت لا نستطيع أن نقول إن في القرآن تعارضاً أو تضاماً فمثلاً : يقول الله تعالى ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [قصص ٥٦] ،

و يقول في موطن آخر ﴿ وَإِنَّكَ تَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [شورى - ٥٢]

فقد يرى مَنْ ليس عنده علم في التفسير أن بين النصين تعارضاً ؛ لأن الأول يهي عن الرسول ﷺ الهدية . والثاني يثبت له لهداية . ولكنه لو سأل أهل الذكر لأخبروه أن الهداية في الآية الأولى بمعنى خلق لهداية ، وأن معناها في الآية الثانية الدلالة والإرشاد . فلا تعارض بين النصين عند أهل الفهم

وكذلك نجد أن بعض الأحاديث النبوية الشريفة لا يصح حملها على طاهرها ، بل لابد من تأويلها على معانٍ تلائم باقي نصوص الشرع ، وتطابق صريح القرآن الكريم ، وفي هذا المعنى يقول الإمام الشعراوي رحمه الله تعالى (وقد أجمع أهل الحق على وحوب تأويل أحاديث انصافات ، كحديث « يرسل الله نذيراً ، تعالى كر ليلة إني سماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فأغفر له » (١) وقد بلغ بأحد الصالحين أن يقول ، وكان على سر ، فرل درحة منه وقال لندس ينزل ربكم عن كرسية إلى السماء ، كروبي عن مبري هذا ، وهذا جهن يس هوه جهل (٢) .

ومن حملة لتأويل في الحديث ، تأويل حديث « إني الله خلق آدم علي صورته » (٣) . قل العلامة بن حجر الهيثمي رحمه الله تعالى مؤولاً

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب أبواب العهد عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء

(٢) « التصوف الإسلامي والإمام الشعراوي » لظه عبد الباقي ص ١٠٥

(٣) رواه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصله عن أبي هريرة رضي الله عنه وأول حديث « قد فاق أحدكم أحداً عليه روحه »

ذلك . (ويصح أن يكون الضمير لله تعالى كما هو ظاهر السياق ، وحينئذ يتعين أن اسماء بالصورة لصفة ، أي أن الله تعالى خلق آدم على أوصافه من العلم والقدرة وغيرهما ، ويؤيد هذا الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها : « كُنْ مُحَمَّدٌ خُلِقَ لِقُرْآنٍ »^(١) . وحديث « تَخْلُقُوا بِأَحْلَاقِ اللَّهِ تَعَالَى » .

فالمطوب من الكامل أن يظهر أخلاقه ، وأوصافه من كل بقصر ، ليحصل له نوع تأسر بأحلاق ربه ، أي صفاته ، ولا فشتان ما بين أوصاف القديم والحادث وبهذا التقرير يُعَمَّمُ أن هذا الحديث غاية المدح لآدم عليه السلام ، حيث أوجد الله فيه صفات كصفاته تعالى باسمي الذي قورته . إلى أن قل : ولحاصل أن الحديث إن أعيد الضمير فيه لله تعالى ، وجب تأويله على ما هو المأمور به من مذهب الحنفية الذي هو أحكم وأعلم ، خلافاً لفرقة ضلوا عن الحق ، ورتكوا عظامهم من الجهة والحسين اللذين هم كفر عند كثير من العلماء ، أعادنا الله من ذلك سوء وكرمه^(٢) .

قل لعلامة المناوي في شرحه على إجماع الصغير ، عند قوله ﷺ : « يا رب ، كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قل : أما علمت أن عبدي يا رب ، يقول يوم القيامة ، يا ابن آدم مرصت فم تعدني . قل :

(١) هذا الحديث بقراءة من حديث طويل ولفظه « قال سعد بن هشام : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : سألت رسول الله ﷺ قال : أَلَسْتُ نَقَرُ الْقُرْآنَ ؟ قل : بلى قال : فإن خلق بي الله ﷻ كان لقرآن » رواه مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب جامع صلاة الليل .

(٢) الفتاوى الحديثية لأسرة حجة الهيئتي ص ٢١٤

فلاناً مريضاً فم تَعَاه ؟ أما عَمِتَ نَكْ لو عُثِنَتْ لوجدتني عده ١١٢٢
 إيج الحديث (سئل بعض العارفين عن شُرُلَاتِ لِحَقِّ فِي إِصَافَةِ الْحَوَجِ
 وَاطْصَافِ لِنَفْسِهِ ، هَلْ الْأَوَّلَى إِيقَاؤُهَا عَلَى مَا وَرَدَتْ ، وَتَأْوِيلُهَا كَمَا أَهَّهَا
 احَقُّ لِعَدِهِ حِينَ قَالَ كَيْفَ أَطْعَمَكَ الْخُ ؟ فَقُلْ أَنْوَاحِبُ تَأْوِيلُهَا
 لِعَوَامٍ لِّئَلَّا يَقَعُوا فِي جَانِبِ احَقِّ بِرَدِّكَ مَحْظُورٍ وَانْتِهَاكَ حَرَمَةٍ ، وَأَمَّا
 الْعَارِفُ فَعِنْدَهُ الْإِيمَانُ بِهَا عَلَى حَدِّ مَا يَعْلَمُهُ اللَّهُ ، لَا عَلَى حَدِّ سَبْتِهَا
 لِمَخْلُوقٍ لَا اسْتِحْجَانَهُ ، وَحَقِيقَتَهُ نَعَالَى مُحَافَظَةً لِسَانِ الْحَفَظِ ، فَلَا يَجْتَمِعُ
 قَطُّ مَعَ حَقِيقَةٍ فِي حَسٍّ وَلَا بَوَاحٍ وَلَا شَحْصٍ ، وَلَا يُلْحَقُهُ صِفَةُ تَشْبِيهِ ،
 لِأَنَّهُ لَا تَكُونُ إِلَّا لِمَنْ يَجْتَمِعُ مَعَ حَقِيقَةٍ فِي حَدٍّ مِنَ الْأَحْوَالِ وَلَا أَنْفَاقِهَا
 السَّيْفُ عَلَى ظَاهِرِهِ لِّئَلَّا يَهْوِيَهُمْ كَمَالُ الْإِيمَانِ ، لِأَنَّهُ مَا كَلَفَهُمْ إِلَّا
 بِالْإِيمَانِ بِهِ لَا بِمَا أَوْلَوْهُ ، فَقَدْ لَا يَكُونُ مَرْدًّا لِلْحَقِّ ، فَالْأَدَبُ إِضَافَتُهُ إِلَيْهِ
 كُلُّ مَا أَضَافَهُ لِنَفْسِهِ نَعَالَى . إِيَّاهُ

فَإِذَا كَانَ كَلَامُ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ﷺ وَقَدْ أَوْبَى الْمَصَاحَةَ وَالْبَلَاغَةَ
 وَوَصُوحَ اللَّفْظِ وَشِرَاقَ لُغَيْهِ وَحُرُومَ لِكَلِمَةٍ ، فَدَ احْتِجَاجٌ فِي عَضْرِ
 الْأَحْصَانِ إِلَى الْأَوَّلِينَ ، نَحْمِلُ مَعَايِيهِ عَلَى غَيْرِ مَا يَفِيدُهُ ظَاهِرُ بَقِيَّةِ ، فَرَدَّ
 كَلَامَ غَيْرِهِ مِنْ أَمْنِهِ مِمَّنْ لَمْ يَلْعَ شَأْنُهُ فِي لَيْلٍ وَفَصَاحَةِ قَبْلِ التَّأْوِيلِ
 مُحْتَمَلٌ لِلتَّفْسِيرِ مِنْ بَابِ أَوَّلَى

وَمِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى ، فَإِنَّ لِكُلِّ وَنٍ مِنَ الصُّنُوفِ أَوْ عِلْمٍ مِنَ الْعُلُومِ كَالْفَهْمِ
 وَالْحَدِيثِ وَالْمَطْوِيِّ وَالْحَوِيِّ وَالْمُهَنْدِسَةِ وَالْحَرِّ وَالْفَلَسَفَةِ صِلَاحَاتٍ حَاصَّةٍ
 بِهِ ، لَا يَحْتَمِلُهَا إِلَّا أُنَابَ ذَلِكَ الْعِلْمِ ، فَهَلْ يَفْهَمُ لَطِيبُ اصْطِلَاحِ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الوصية ، الأصل عن أبي هريرة رضي الله عنه

(٢) فصل المفيد شرح الجامع الصغير للعلامة الحارثي ج ٢ ص ٢١٣

المهندس ، أو يفهم المهندس اصطلاح الطبيب حين يعبر كل منهما عن آلاته ومسميات فنه ؟

ومن قرأ كتب عنه من العلوم دون أن يعرف اصطلاحه ، أو يطلع على رموزه وإشارات ، فإنه يؤوب الكلام بأويلات شتى معايره لما يقصده العلماء ، ومنافسة لما يريد الكاتبون فيتيه ويصل .

والمصوفية اصطلاحاتهم التي قامت بعصر الشيء مقام العبارة في تصوير مدركاتهم ومواحيدهم ، حين عجزت اللغة عن ذلك فلا بد لمن يريد لفهم عنهم من صحبتهم حتى تتصح له عبارتهم ، ويتعرف على إشاراتهم ومصطلحاتهم ، فيستبين به أنهم لم يخرجوا عن الكتاب والسنة ، ولم يحرفوا عن لشريعة العراء ، وأنهم هم المهتمون لروحهم ، الواقفون على حقيقتهم ، الحارسون لتراتثها

قال بعض العارفين (نحن قوم يحرم الطر في كتبنا على من لم يكن من أهل طريف)^(١) لأن العوية من تدوين هذه العلوم إيصالها لأهلها ، فإذا اطبع عيها من ليس من أهلها جهلها ، ثم عادها ، لأن الإنسان عدو لما جهل ولدلت قال لسيد علي بن وف رحمه الله تعالى (إن من دؤن المعارف والأسرار لم يدونها لمجهور ، بل لو رأى من يطالع فيها من ليس هو بأهلها لنهاه عنها)^(٢)

وتوصيحاً للموضوع نقول .

إن كلام السادة الصوفية في تحديد مر لا يفهم كلامهم ولا يعرف اصطلاحاتهم من قراءة هذه الكتب ليس مر فصل كتب لعدم ، ولكن حرصاً

(١) «البوقيت والمحاور» للشعرني ج ١ ص ٢٢ .

(٢) نفس المصدر السابق

من أن يفهم الناس من كتبهم غير ما يقصدون ، وحشية أن يؤولوا كلامهم على غير حقيقته ، فيفعلوا في الإنكار والاعتراض ، شأن من يجهل علماً من العلوم لأن المطلوب من المؤمن أن يخاطب الناس بما يسببهم من الكلام وما يتفق مع مستواهم في العلم والفهم والاستعداد ، ولهذا أورد البخاري في صحيحه باباً في ذلك فقال « باب من حص بالعلم قوماً دون قوم كراهيه أن لا يفهموا ، وقال علي رضي الله عنه : (حدثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله ؟)^(١) . قال العلامة العيني رحمه الله تعالى في شرحه لهذا الحديث (برك بعض الناس من التخصيص بالعلم بقصور فهمهم ، والمراد كلموهم على قدر عقولهم ، وفي كتب العلم لآدم بن إياس عن عبد الله بن داود عن معروف في آخره : « ودعوا ما يتكروا » أي ما يشبه عليهم فهمه ، وفيه دليل على أن التشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة . ومثله قول ابن مسعود رضي الله عنه ، ذكره مسلم في مقدمه كتابه بسند صحيح قال « ما أتت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة » . لأن الشخص إذا سمع ما لا يفهمه ، وما لا يتصور إمكانه يعتقد استحالة جهلاً ، فلا يصدق وجوده ، فإذا سُئل إلى الله ورسوله يلزم تكديهما)^(٢) .

وقال الشيخ أحمد زروق رحمه الله تعالى في قواعد : (في كل علم ما يخص وما يعم ، فليس التصوف بأولى من غيره في عمومته وخصوصه ، بل يلزم بدل أحكام الله المتعلقة بالمعاملات من كل

(١) « صحيح البخاري » كتاب العلم .

(٢) « عمدة القاري شرح صحيح البخاري » للإمام العيني ج ٢ ص ٢٠٤-٢٠٥

عموماً ، وما وراء ذلك على حسب قابله لا قدر قابله ، حديث .
 « حدثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله ؟ »^(١)
 وقيل للجنيد رحمه الله تعالى يسئلك الرجال عن أمثاله الواحد
 فتحيب هذا بخلاف ما تجيب هذا ؟ فقال الحواريون على قدر أسئلة
 قال عليه السلام « أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم »^(٢) (٣) .

ولهذا ذكر الشيخ محي الدين بن عربي رحمه الله تعالى في الباب
 الرابع والخمسين من الفتوحات ما يصفه (اعلم أن أهل الله هم يصعدون
 للإشارات التي اصططحوا عليها فيما بينهم لأنفسهم ، فإنهم يعملون لحق
 لصريح في ذلك ، وإنما وضعوها منعا لدخول ستم ، حتى لا يعرف
 ما هم فيه . شفقة عليه أن نسمع شيئا لم يصل إليه فسكره على أهل الله ،
 فتعقب بحرمانه ، فلا ناله نعلم ذلك أدنى ؟ قال ومن أحب الأشياء في
 هذه الطريق ، بل لا يوجد إلا فيها ، أنه ما من طائفة نحمل علما من
 لمصطفين والسحاة وأهل الهندسة والحساب والمكلمين والفلاسفة ؛ إلا
 ونهم اصطلاح لا نعلمه الدخيل فيهم إلا توقيف منهم ، لابد من ذلك .
 لا أهل هذه لطريقة خاصة ، فإن امرئ صادق إذا دخل طريقهم ،
 وما عده حرم بما اصططحوا عليه ، وحسن معهم ، وسمع منهم
 ما يتكلمون به من الإشارات ، فهم جميع ما تكلموا به ، حتى كأنه
 لو اصنع لذلك لاصطلاح ، ويشركهم في الحوص في ذلك العلم
 ولا يستعرب هو ذلك من نفسه ، بل يجد علم ذلك ضروريا لا يفدر على

(١) رواه البخاري تعليقا في كتاب العلم باب من حرص يوما دون آخر من عز علي
 رضي الله عنه

(٢) رواه البيهقي بسند ضعيف عن بن عباس رضي الله عنهما

(٣) قواعد التصوف للشيخ دروي ص ٧ .

دفعه ، فكأنه ما زال يعلمه ، ولا يدري كيف حصل به ذلك هذا شأن
المريد الصادق ، وأما الكاذب فلا يعرف ما يسمع ، ولا يدري ما يقرأ ،
ولم يزل علماء الظاهر في كل عصر يتوقنون في فهم كلام القوم ، ونهيت
بالإمام أحمد بن سريح ، حصر يوماً مجلس الحسد ، فقليل له
ما فهمت من كلامه ؟ فقال : لا أدري ما يقول ، ولكن أحد بكلامه صولة
في لقلب ظاهرة . تدل على عمل في لباطر وإخلاص في الصمير ،
وليس كلامه كلام مطل . ثم إن لقوم لا يتكلمون بالإشارة إلا عند
حضور من ليس منهم ، أو في تأليفهم لا غير ثم قال ، ولا يحق أن
أصل الإنكار من الأعداء المظلمين إنما ينشأ من الحسد ، ولو أن أولئك
المكبرين تركوا الحسد ، وسلكوا صريق أم الله ، لم يظهر منهم إنكار
ولا حسد ، ورددوا علماً إلى غيبتهم ولكن هكذا كان الأمر ،
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (١)

وقال العلامة ابن عابد بن رحمه الله تعالى في حاشيته شارحاً كلام
صاحب الدر المختار ، حين سئل عن فصوص الحكم للششيخ محي
الدين بن عربي (حب لأخيه) ، لأنه إن ثبت افتراؤها فالأمر ظاهر ،
وإلا فلا يفهم كل واحد مراده فيها ، فيحشى على لباطر فيها من الإنكار
عليه . أو فهم خلاف المراد ولحافظ لسيوطي رسالة سماها [تنبيه
الغني سرثة ابن عربي] ، ذكر فيها أن الناس اختلفوا فيه فرقتين : العرف
المصيبة نعتقد ولايته ، والأخرى بحلافها ثم قال وافق الفصل
عندي فيه طريقة لا يرصدها افرقتان ، وهي اعتقاد ولايته وتحريم لصر
في كتبه ، وقد نقل عنه أنه قال : [نحن قوم يحرم النظر في كتبنا] ، وذلك

(١) البواقيت ، النجود للشمعاني ص ١٩ .

أن الصوفية تراطؤو على ألفاظ، اصطلاحو عليها، وأرادوا بها معاني غير المعاني المتعارفة منها بين الفقهاء، فمن حملها على معانيها المتعارفة كفر، نص على ذلك لعزالي في بعض كتبه وقد إيه شبيهه بامتشابه في القرآن والسنة، كاتوجه وايد والعين والامتواء وإذا ثبت أصل الكتب منه [عن الشيخ محي الدين] فلا بد من ثبوت كل كلمة لاحتمال أن يُدس فيه ما ليس منه، من قبيح عدو أو ملحد أو زنديق، وثبوت أنه قصد بهذه لكلمة المعنى المتعارف، وهذا لا سبيل إليه، ومن ادّعاء كفر لأنه من أمور القلب التي لا يطلع عليها إلا الله تعالى وقد ساء بعض أكار لعلماء بعض لصوفة ما حكمكم على أنكم اصطلاحتم على هذه لألفاظ التي تُششع طهرهم؟ فقال: غيرة على طريقنا هذا أن يدّعيه من لا يُخسه وبدخل فيه من ليس أهله



وسئل العلامة ابن حجر رحمه الله تعالى: ما حكم مطالعة كتب من عربي وبن لعارفين؟ فأجاب بقوله: (حكمها أنها جائزة مطالعة كتبهما، بل مستحبة، فكم اشتملت تلك الكتب على فائدة لا توجد في غيرها، وعائدة لا تنقطع هوطن خيرها، وعجيبه من عجائب الأسرار لإلهية التي لا ينتهي مدد خيرها، وكم ترجمت عن مقام عجز عن الترجمة عنه من سواه، ورمزت برموز لا يفهمها إلا العارفون، ولا يحوم حول حومة حماها إلا الربانيون، انذين هم بين موص الشريعة العراء وأحكم طواهرهم على أكمل ما ينبغي جامعهم. ولذلك كانوا يفضون مؤلفيهم معترفين. . إلى أن قال: هذا وإنه قد طالع هذه الكتب أقوام عوم جهة طعام، فادسوا مطالعتها، مع دقة معانيها

ورقة إشارته وغموض مبادئها ، وشدتها على اصطلاح انقوم السالمين
عن المحذور ولسوم . ونوف فهمها بكمالها على إتقان العلوم لظاهرة ،
والنحي بحقائق الأحوال والأحلاق الباهرة ، فلذلك ضَعُفَتْ أفهامهم ،
ورَلَّتْ أقسامهم ، وفهموا منها خلاف لمراد ، وعتقدوه صواباً فاضوا
بحسار يوم التناد ، والحدو في الاعتقاد ، وهوت بهم أفهامهم القاصرة
إلى هوة لحدول والانحد ، حتى لقد سمعتُ شيئاً من هذه المماسد
الفييحة ، والمكفرات الصريحة ، من بعض من أدمر مطالعة تلك
لكتب . مع جهه بأساليب وعظم ما لها من الخطب . وهذا هو لسي
أوجب لكثير من الأئمة الخط عليها ، والمبدرة بالإيكر إليها ، ولهم هي
ذلك نوع حذر ، لأن قصدهم فطم أوتت الجهلة عن بك السموم لعائنه
لهم ، لا لإنكار على مؤلفها من حيث ذتهم وحاهم (١)

وقل الشعراني رحمه الله تعالى (٢) وبالحملة فلا تحل قراءة كتب
التوحيد الحاص ، وكتب الباطنية لا لعالم كامل ، أو من سلك طريق
القوم . وأما من لم يكن واحداً من هذين لرحيين ، فلا ينبغي له مطابقة
شيء من ذلك ، خوفاً عليه من دخال أشبه التي لا يكدر الفطر أن يخرج
منها ، فضلاً عن غير الفطر ، ولكن من شأن النفس كثرة لمصول ،
ومحبه الخوض فيما لا يعيها (٣) .

وقال لشح عبد الكرم الحلبي رحمه الله تعالى في كتابه الإنسان
الكامل . (ثم ألمس من انضر في هذا الكتاب ، بعد أن أعلمه أبي
م وصحب شيئاً في هذا الكتاب لا وهو مؤيد بكتاب الله وسنة
رسوله ﷺ ، وأنه إذا لاح له شيء من كلامه بخلاف الكتاب والسنة .

(١) الصاوي الحديثية لابن حجر لهشمي المكي ص ٢١٦

(٢) التصوف الإسلامي ، لإمام الشعراني لطله عبد الباقي سرور ص ١٠٤-١٠٥

عليه علم أن ذلك من حيث مفهومه ، لا من حيث مرادي الذي وضعت الكلام لأجله ، فليتوقف عن العزم به مع التسليم ، إلى أن يفتح الله عليه معرفته ، ويحصل له شاهد ذلك من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ . إلى أن قل واعزم أن كل عزم لا يؤيده الكتاب والسنة فهو ضلالة ، لا لأجل ما لا تجد أنت به ما يؤيده ، فقد يكون العلم في نفسه مؤيداً بالكتاب والسنة ، ولكن قلة استعدادك منعتك من فهمه ، فم تستصع أن تتدوله بيدك من محله ، فظن أنه غير مؤيد بالكتاب والسنة ، ولطريق في هذا التسليم^(١)

يتبين لنا من هذه النصوص التي نقلتها عن الفقهاء الأعلام والسادة الصوفية أمور أهمها :

١- أنه لا يصح تغير السالك في طريق الصوفية ، أد يصلح كتبهم ، خشية أن يفهمها على غير حقيقتها ، وحال ما يريد مؤلفوها ، لأنه بعيد عن فهم اصطلاحاتهم ، ومعرفة إشاراتهم .

غير أن كتب للصوفية إجمالاً تنقسم إلى ثلاثة أقسام .

١- القسم الأول : يبحث عن تصحيح العبادات ، وحسن إقامتها بصورتها وروحها ، من الخشوع والاحضور فيها مع الله تعالى ، مع مراعاة أدائها الظاهرة كذلك .

٢- القسم الثاني يبحث في محاهدة النفس وتركيتها ، ولقلب

(١) الإنسان لكامل بعد الكريم الجليل ص ٥ . ولحذر القارئ من مطالعة هذا الكتاب لأن فيه كلمات محللة لمقيدة أهل السنة ، ولا تقبل التأويل بحال مع أنه لا أف كتابه مؤيداً بالكتاب والسنة ، كما نص عليه مؤلفه في مقدمة كتبه . ونحن متأكدون أن الكثير مما فيه مفسوس عليه . انظر بحث لدس من هذا الكتاب ص ٣٩٨ .

وأحواله ؛ من تحليله عن صفاته الناقصة كالشكوك^١ ولوساوس ولرباء
والحقن والغفل والسمعة والجاه والحسد وغيرها من الصفات المدمومة .
وتحلته بالصفات الكاملة كالتوبة والتوكل والرضا والتسليم واللمحة
والإخلاص ، والصدق والخشوع والبراعة وغيرها من الصفات
الحسنة .

وهذان القسمان المذكوران في كتب الإحياء للإمام الغرالي ، وقوت
القلوب لأبي طائب لمكي . وأمثالهما وتسمى هذه العلوم علوم
المعاملة .

٣- القسم الثالث . يبحث عن المعارف الرئيسة والعلوم الوهية
والأذواق لوحيدانية والحقائق لكشفية ومعظم كتب الشيخ محي الدين
ابن عربي رحمه الله تعالى من هذين القسمين ، كالتوحيدات المكية
والفصوص وكذلك كتاب الإنسان الكامل للشيخ عبد الكريم الحلي
رحمه الله تعالى وعلى أمثال هذه الكتب ينصب التحذير من فرائدها لغير
الساكنين العارفين من الصوفية وتسمى هذه العلوم علوم المকাশه

ب- أن لتصوف لا يُبان بقراءة الكتب ، ولا لمعرفة الاصطلاحات بل
لابد من السلوك مع روحه ومحاسنة أهله قال لشيخ شعراي
رحمه الله تعالى : (سمعت سدي علياً أحواس رضي الله عنه يقول ،
إياك أن تعتقد يا أحي إذ طالعت كتب القوم ، وعرفت مصطلحهم في
الفاضهم أنك صرت صوفياً ، إنما التصوف التحلق بأحلاقهم ، ومعرفة
طرق استنباطهم لجميع الآداب والأخلاق التي تحلوا بها من الكتاب
والسنة)^(١)

(١) طائفة المن والأخلاق للشعراي ج ٢ ص ١٤٩

ج - أن السادة لصوفية بما وضعوا هذه الرموز والإشارات كي لا يأخذ علمهم إلا من سار في طريقهم وقد بينا أن لتصوف لا يتال براءة الأوراق ، بل بصحة أهل الأدق

د - أن النصوص التي فيها الكفر والربيع و لمؤوق من لدين مدسوسة على القوم حتماً ، لما ثبت من تمسكهم بالكتاب والسنة مما مر معك من نقول

هـ - أن ما ثبت عنهم بالتأكيد ، ويمكن تأويله وحمله على وجه صحيح من عقيدة أهل الحق ؛ أهل السنة والجماعة ، وجب تأويله عليها ، لأنها هي عقيدتهم التي يعتقدونها ويصرحون بها ، ويثبتونها دائماً في مقدمات كتبهم كما هي سنتهم ، وانظر إن شئت مقدمة الرسالة انقشورية ، والفتوحات المكنية ، والتعرف لمذهب أهل لتصوف ، وإحياء علوم الدين وغيرها من الكتب

و - أن ما نسب إليهم مما لا يمكن تأويله على وجه صحيح ، إن صح عنهم فهو مردود على صاحبه ، لا نسلمه له ولا نعتقد به ، بل نقول نكفر معتقده ، ولكنا لا نكفر شخصاً معيناً ، لأن لا بدري خاتمته ، ولأنا مسؤولون أولاً وآخرأ عن عقيدة أهل الحق ، أهل السنة والجماعة ، لا عن عقيدة أي إنسان آخر .

وإليك أيها لقارئ الكريم بعض الأمثلة عن أمور وعبارات أنكروا الجاهلون ، فتحاملوا على الصوفية ووضموهم بالخروج عن الشريعة ، ولكم حين نفهم مرادهم ، وتطلع على قصدهم ، ينس لك أن إنكار المكربين كن إما عن جهل وتسرع ، أو عن حسد وتحامل .

١- يقول الإمام الشعراني رحمه الله تعالى : (مما يُقَلَّ عن القوم قولهم : دخلك حضرة الله ، وخرجنا عن حضرة الله) ليس مرادهم

بحصره الله عز وجل مكاناً معيناً ، فإن ذلك ربما يفهم منه التحيز للحق ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، وإما مرادهم بالحضرة حيث أطلقوا شهوذاً أحدهم أنه بين يدي ربه عز وجل ، فما دام يشهد أنه بين يدي ربه عز وجل فهو في حضرته ، فإذا خرج خرج عن حضرته (١)

٢- وقال الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي رحمه الله تعالى (كنت ذات يوم مع بعض إخواني فأشدت قائلاً :

يَا مَنْ يَرَانِي وَلَا أَرَاهُ كَمْ ذَا أَرَاهُ وَلَا يَرَانِي

فقال ذلك الأخ لدي كان معي لما سمع هذا البيت : كيف تقول إنه لا يراك ، وأنت تعلم أنه يرك ؟ قال : فقلت مرتجلاً :

يَا مَنْ يَرَانِي مَذْهَباً وَلَا أَرَاهُ أَخْـسَـداً

كَمْ ذَا أَرَاهُ مِنْعِماً وَلَا يَرَانِي لَأْئِـداً (٢)

٣- وقال لشعراي رحمه الله تعالى سنداً ومما نقل عن العزائي أنه قال [ليس في الإمكان أبدع مما كان] . ويعل مراده رضي الله تعالى عنه أن جميع للممكيات أبرزها الله على صورة ما كنت في علمه تعالى القديم ، وعدمه القديم لا يقلل الريادة ، وفي انقرون لعظمه : ﴿ أُعْطِيَ كُلُّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ [ص ٥٠] . فلو صح أن في الإمكان أبدع مما كان ، ولم يسبق به علم الله تعالى لرم عنه تفدده جهل ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، وهذا هو معنى قول الشيخ محي الدين بن عربي رحمه الله تعالى في تأويل ذلك إن كلام حجة الإسلام في عاية التحقيق ، لأنه

(١) لطائف المنن والأحلاق لشعراي ج ١ ص ١٢٧

(٢) كتب لنصرة النبوة لشيخ مصطفى امصدي على ه مثل الراهبة ص ٨٢

ما ثمَّ إلا رتبةان . فإدَّة وحدوث ؛ فالحق تعالى له رتبة القِدم ، والحادث له رتبة الحدوث ، فهو حق الله تعالى ما خلق إلى ما لا يساهى عقلاً ، فلا يرقى عن رتبة الحدوث إلى رتبة القِدم أبداً^(١) .

٤- وقال محمد أبو الموهب الشاذلي رحمه الله تعالى مؤولاً كلام أبي يزيد رحمه الله تعالى : [حضت بحراً وقفن الأنبياء بساحه] (قلنا خاص العارفون بحر لتوحيد أولاً باليسين ، وبعد ذلك وصنوا إلى مرتبة الشهود والعيان ، والأنبياء عليهم السلام وقفوا بأول رهبة على ساحل العيان . ثم وصنوا إلى ما لا يعبر عنه بالعرفان فكانت بدايتهم عليهم السلام نهاية العارفين)^(٢) .

٥- ومما نقل عن أبي الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى قوله : [يصل الوبي إلى رتبة برول عنه فيها كلفة الكلف] فأجاب أبو المواهب بقوله (قلد يكون أولي أولاً بعد كلفة النعب ، فإذا وصل ، وجد بانتكيف الراحة والطرب ، من ساء قوه ﷺ .) أرخب بها يا بلال^(٣) . ذلك مقصد الرحا^(٤) .

٦- ومن لكلمات اتى بها تأويل شرعي صحيح كلمة [مدد] لتي يُرَدِّدها بعض الصوفية ، فينادي بها أحدهم رسول الله ﷺ أو يخاطب بها شيخه

(١) «صانف المنن والأخلاق» للشعراني ج ١ ص ١٢٦

(٢) قوانين حكم الإشراف إلى كاتبة الصوفية في جميع لأفق قانون أولالة حمصه ص ٥٨

(٣) يا بلال أرخا باصلاة رواد الإمام أحمد في مسنده ، واه أبو داود في كتاب الأدب باب في صلاة لعتمة يا بلال أقم الصلاة أرخا بها عن سالم بن أبي الجعد

(٤) «قوانين حكم الإشراف» ص ٥٩ .

وحجة المعترض عليهم أن هذه الكلمة هي مؤول لغير الله واستعانة
بسواه ولا يجوز السؤل إلا له ولا الاستعانة إلا به ؛ حيث قال
الرسول ﷺ « إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله » (١) .
ثم إن الله تعالى بيّن في كتبه العزيز أنه هو مصدر الإمداد حين قال :
﴿ كَلَّا تُجِدُّ هَتُولَاءَ وَهَتُولَاءٌ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ﴾ [الإسراء ٢٠] .

وقد جهل هؤلاء المعترضون أن السادة الصوفية هم أهل التوحيد
الخالص ، الذين يأخذون بيد مريديهم ليزيدوهم حلاوة الإيمان ، وصفاء
اليقين ، ويخلصوهم من شوائب الشرك في جميع صورته وأنواعه .

وتوضيح المراد من كلمة [مدد] نقول لابد للمؤمن في جميع
أحواله أن تكون له نظرتان .

نظرية توحيدية لله تعالى بأنه وحده مسبب الأسباب ، ولفاعل
المطلق في هذا الكون ، المنفرد بالإيجاد والإمداد ، ولا يجوز للعبد أن
يشرك معه أحداً من حقيقته ، مهما غلا غفلة أو سميت رسته من نبي أو ولي .
- وبصرة للأسباب التي أثبتها الله تعالى بحكمته . حيث جعل لكل
شيء سبباً .

فالمؤمن يتحاشى الأسباب ولكنه لا يعتمد عليها ولا يعتقد بتأثيره
الاستقلالي ، وإذا نظر العبد إلى السبب وعقد تأثيره المستقل عن الله
تعالى فقد أشرك ، لأنه جعل الإله الواحد آلهة متعددين وإذا نظر للمسبب
وأهمل اتحاد الأسباب ، فقد حلف سنة الله الذي جعل لكل شيء سبباً

(١) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة عن عبد الله بن عبد الله رضي الله عنهم

وقال : حديث حسن صحيح

واكتمان هو اسطر بالعينين معاً ، فنشهد انمست ولا نهض لسب
ولتوصيح هذه لفكرة نسوق بعض الأمثلة عليها .

- إن الله تعالى وحده هو خلق البشر ، ومع ذلك فقد جعل بعضهم
مساً عادياً ، وهو التقاء الزوجين ، وتكون الحين في رحم الأم ،
وخروجه منه في أحسن تقويم .

- وكذلك فإن الله تعالى هو وحده المميت ، ولكنه جعل للإمامة مساً
هو ملك الموت ، فإذا لاحظنا مسبب قتل ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ ﴾

[الزمر : ٤٢] .

وإذا قلنا : إن فلاناً قد توفاه منك بموت ، لا نكون قد أشركنا مع الله
إلهاً آخر ، لأننا لاحظنا السبب ، كما بينه الله تعالى في قوله ﴿ قُلْ
يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي ذُكِّرَ بِكُمْ ﴾ [السجدة : ١١]

- وكذلك فإن الله تعالى هو الذي ، ولكنه جعل لمررق أصبأباً عديدة
كالتجارة والرياسة فإذا لاحظ السبب في معرض التوحيد ، أدرك
قوله تعالى ﴿ إِنْ أَلَّهَ هُوَ الرَّافِقُ دُو الْفَوْقِ أَمَّيْنُ ﴾ [الذاريات : ٥٨] . وإذا
لاحظنا السبب وقلنا : إن فلاناً يترق من كسبه ، لا نكون بذلك قد
أشركنا ، فرسول الله ﷺ يقول « ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن
يأكل من عمل يده »^(١) . وقد جمع الرسول ﷺ بين ليطرتين توصيحت
للأمر وبيأاً لكامل في قوله « رأيت أن قاسم والله يعطي »^(٢)

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب ليوع ، باب كس الرجل وعمه يده ، عن
المقدم رضي الله عنه

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العلم ، باب من يرد الله به خيراً ، عن معاوية
رضي الله عنه

- وكذلك الأمر باللسة للإيعام ، ففي معرض الوحد قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَكُم مِّن يَّمَعُورٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ [الحج ٥٢] لأنه لمعم احقيقي وحده وفي معرض اجمع بين ملاحظة المسبب والسبب قوله تعالى ﴿ وَإِذْ يَقُولُ لِلَّذِي أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾ [الأحزاب ٢٧] فيس الرسول ﷺ شريكاً لله في عطائه ، وإيما سبق اسعم لريد من حارثة رضي الله عنه سمه ﷺ ، فقد أسلم على يديه ، وأعتق فصله ، ونزوح باختياره

- وكذلك بالسية للاستعانة ، إذا نظرتا لمسبب قلنا : « إذا استعنت فاستعن بالله » وإذا نظرتا للسبب قلنا ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ [المائدة ١٧] « والله في عون لعدما كان اعد في عون حيه »^(١) فإذا قلنا لمؤمن لأحيه - أعني على حمل هذا لمتاع - لا يكون مشركاً مع الله تعالى أحداً أو مستعين بغير الله ، لأن المؤمن ينظر بعينه ، فيرى المسبب والسبب ، وكن من يتهمه بالشرك فهو صالٍ مصل

- وهكذا الأمر بالسة للهداية : إذا نظرنا للمسبب ، رأينا أن لهادي هو الله وحده ، لهذا قال الله تعالى لرسوله ﷺ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص ٤٦] وإذا لاحظنا السبب ، يرى قول الله تعالى لرسوله ﷺ ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ . شوري ٥٢ أي تكون سبباً في هداية من أراد الله هداية

واعلماء اعارفون لمرشدون هم ورثة الرسول ﷺ في هديه المخلق ودلالهم على الله تعالى . فإذا استرشد مريد بشيحه ، فقد اتخذ سبباً من أسباب الهداية التي أمر الله بها ، وجعل لها أئمة يدلون عليها ﴿ وَجَعَلْنَا

(١) خرجه مسلم في كتاب الذكر ، باب فصل الاحتجاج على تلاوة لقراء ، عن أبي هريرة رضي الله عنه

وَمِنْهُمْ أَيْمَةٌ يَهْدُونَكَ بِأَمْرٍ قَالَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِثَابِتٍ يُوقِنُونَ ﴿[سجده ٢٤] .

وصلة التمريد هي صلة روحية ، لا تفصلها المسافات ولا الحواجز
انمادية ، وإذا كانت الجُدُر والمسافات لا تفصل أصوات الأثر فكيف
تفصل بين الأرواح لمطفة ؟! لذا قالوا (شيخك هو الذي ينفعت نفعه
كما ينفعت غيره) وبما أن الشيخ هو سبب هداية التمريد ؛ فإن التمريد إذا
تعلق بشيخه . وطلب منه المدد ، لا يكون قد أشرك بالله تعالى ، لأنه
يلاحظ هذا السبب ، كما أوضحنا سابقاً ، مع عتفاده أن الهدى والمُهمِّد
هو الله تعالى ، وأن الشيخ ليس إلا سبباً ، أقامه الله لهداية خلقه ،
وإمدادهم بالنفحات القلبية ، والتوجيهات الشرعية ورسول الله ﷺ هو
ابحر الزاخر الذي يستمد منه هؤلاء الشيوخ وعنه يصمدون

فإذا سلمنا قيام أصله لروحيه بين التمريد وشيخه ، سلمنا قيام المدد
المرتب عليها ، لأن الله يرزق المعصم بالعص في أمر الدين والدنيا .

ولعل انفاريء الكريم بعد هذا ، قد كفى بهذه الأمثلة من كلام
القوم ، وتلك القول الصريحة من عباراتهم ، حتى إذا ما رأى كلاماً
مشتبهاً يحتمل ويحتمل ، أحسن الظن بهم ، واتمسك سداً لبأويل كلامهم
بعد أن تبين له أن التأويل حائر في كلام الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وكلام
المفقه والمحدثين والأصريين والحنوفيين وغيرهم ؛ لهذا قل الإمام
النووي رحمه الله تعالى (يحرم على كل عدل أن يسيء لطن بأحد من
أولياء الله عز وجل ، ويجب عليه أن يؤول أقوالهم وأفعولهم مادام له
يلحق بدرجتهم ، ولا يعجز عن ذلك إلا قبيح النوفين)^(١)

* * *

وحدة الوجود والحلول والاتحاد

الحلول والاتحاد

إن من أهم ما ينجح به المعرصون على السادة الصوفية بهامهم جهلاً وروراً بأنهم يقنونون بالحلول والاتحاد ، بمعنى أن الله سبحانه وتعالى قد حلّ في جميع أجزاء الكون ، في البحار والصحار والصحور والأشجار والإنسان والحيوان إلخ ، أي بمعنى أن المخلوق عين الخلق ، فكل الموجودات المحسوسة والمشاهدة في هذا الكون هي ذات الله تعالى وعينه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

ولاشك أن هذا القول كفر صريح يخالف عقائد الأمة وما كان للصوفية وهم المتحققون بالإسلام والإيمان والإحسان أن يرنقوا إلى هذا ادرك من لصلال والكفر ، وما ينبغي لمؤمن منصف أن يرميهم بهذا الكفر حرافاً دون تمحيص أو تثبت ، ومن غير أن يفهم مرادهم ، ويطلع على عقائدهم الحققة ليذكرها صريحة واضحة في أمهات كتبهم ، كالتوضيحات المكية ، وإحياء علوم الدين ، والرسالة القشيرية وغيرها

ولعل بعض المعرصين المتحامين على الصوفية يقولون إن هذا القول بتبرئة السادة الصوفية من فكرة الحلول والاتحاد ، إنما هو نهرب من الواقع أو دفاع معرض عن الصوفية بواقع عصبي والهوى ، فهلاً تأتون بسليبي من كلامهم يرىء ساحهم من هذه التهم^{١٩}

فليبين الحقيقة الصعبة نورد بدأ من كلام السادة الصوفية نسب

براءتهم مما اتُّهموا به من القول بالحلول والاتحاد . وتحذيرهم اندس من الوقوع في هذه العقيدة الزائفة ، وتُظهر بوضوح أن ما نسب إليهم من أقوال تعيد الحلول أو الاتحاد إما مدموسة عندهم ، أو مؤولة^(١) بما يلائم هذه النصوص الصريحة التالية ، الموافقة لعقيدة أهل السنة والجماعة

يقول الشعراي رحمه الله تعالى (ولعمري إذا كان عبّاد الأوثان لم يتجرؤوا على أن يجعلوا آلهتهم عين الله ؛ بل قالوا . ما نعبدهم إلا ليفربوا إلى الله رضى ، فكيف يُطَن بأوليء الله تعالى أنهم يدعون الاتحاد بالحق على حد ما تتعقبه لعمول الصغيمه ١٩ هذا كالمحال في حقهم رضي الله تعالى عنهم ، إذ ما من وليٍّ إلا وهو يعلم أن حقيقته تعالى مخالفة لسائر لحقائق ، وأنها خارجة عن جميع معلومات الخلائق ، لأن الله بكل شيء محيط)^(٢) ١

والحلول والاتحاد لا يكونان إلا بالأجساد ، والله تعالى ليس بجنس حتى يحلّ بالأجساد . وكف بحس القديم في الحادث ، واستخلق في المخلوق ! ؟ إن كن حلول عَرَض في جوهر فالله تعالى ليس عرضاً ، وإن كان حلول جوهر في جوهر فلس الله تعالى جوهرأ ، وبما أن الحلول والاتحاد بين المخلوق محال ؛ إذ لا يمكن أن يصير حلان وحلاً واحداً لسابهما في الذات ؛ فالسابق بين الحائق والمخلوق ، وبين الصانع والصنعة ، وبين أواحب الوجود والمكن الحادث أعظم وأولى سائر الحقائق .

وما زال العبناء ، ومحضو الصوفية يبينون بطلان القول بالحلول

(١) انظر موضوعي الدس ص ٣٩٨ والتأريين ص ٤١٥ في هذا الكتاب

(٢) اليواقيت ولجوامرج ١ ص ٨٣

والإتحاد ، وينبهون على فساد ، ويحذرون من ضلاله . قال الشيخ محي الدين بن عربي رحمه الله تعالى في عقيدته لصغرى (تعالى الحق أن تحله الحوادث أو يحلها)^(١)

وقال في عقيدته الوسطى (اعلم أن الله تعالى واحد بالإجماع ، ومقام لوحيد يتعالى أن يحل فيه شيء ، أو يحل هو في شيء ، أو يتحد في شيء)^(٢) .

وقال في باب الأسرار . (لا يجوز لعارف أن يقول : أن الله ، ولو بلغ أقصى درجات القرب ، وحاشا لعارف من هذا القول حاشاه ، إنما يقول : أنا لعبد الدليل في لمسير والمقييل)^(٣)

وقال في الباب التاسع واستين ومائة . (القديم لا يكون قط محلاً للحوادث ، ولا يكون حالاً في المحدث)^(٤) .

وقال في باب الأسرار . (من قال بالحلول فهو معبول ، فإن القبول بالحلول مرض لا يرول ، وما قال بالإتحاد إلا أهل الإلحاد ، كما أن القائل بالمحلول من أهل الجهل والفضول)^(٥) .

وقال في باب الأسرار أيضاً . (لحدث لا يخلو عن الحوادث ، ولو حل بالحدث لقديم لصح قول أهل التجسيم ، فالقديم لا يحل ولا يكون محلاً)^(٦) .

وقال في الباب التاسع والخمسين وخمسمائة بعد كلام طويل : (وهذا يدل على أن لعالم ما هو عين الحق ، ولا حل فيه الحق ، إذ لو

(١) نفوحات مكة بشرح الأكبر محي الدين بن عربي ، كما في لوقت ، الجواهر

كان عين الحق ، أو حلّ فيه لم كان تعالى قديماً ولا بديعاً^(١) .

وقال في كتاب الرابع عشر وثلاثمائة : (لو صحَّ أن يرقى الإنسان عن إنسانيته ، واسمك عن ملكيته ، ويتحد بحالقه تعالى ، يصحَّ انقلاب الحقائق ، وخرج الإله عن كونه إلهاً ، وصار الحق خلقاً ، والخلق حقاً ، وما وثق أحد بعده ، وصار لمحال واحداً ، فلا سبيل إلى قلب الحقائق أبدأ)^(٢) .

وكذلك جاء في شعره ما ينمي الحلول والاتحاد كقوله

ودع مفالة قوم قال عالمهم بأنه بـإله الواحد اتخدا
الاتحاد مُحَلٌّ لا يقول به لا جهولٌ به عن عقله شَرِدَا
وعن حقيقته وعن شريحته فأعِذْ إلهك لا تشرك به أخدا

وقال أيضاً في الباب الثاني والتسعين ومائتين (من أعظم دليل على نهي الحلول والاتحاد الذي ينوهمه بعضهم ، أن تعلم عقلاً أن القمر ليس فيه من نور الشمس شيء ، وأن الشمس ما انتقلت إليه بذاتها ، وإنما كان القمر محلاً لها ، فكذلك العبد ليس فيه من حلقه شيء ولا حل فيه)^(٣) .

قال صاحب كتاب بهج الرشاد في ابود عبي آهل انوحدة و لحلول والاتحاد (حدثني الشيخ كمال الدين امراعي قل حتمعت ، بالشيخ أبي لعباس المرسي تلميذ الشيخ لكبير أبي لحسن لشادلي - وهاوضته

(١-٣) ، نفوحات المكنة بالشيخ الأكبر محي الدين بن عربي ، كما في المائت والجواهر

في هؤلاء لاتحادية، فوحدة شديدة لإنكار عليهم ، واليهي عن طريقهم ، وقان : تكون الصعقة هي عين الصانع (١٠) (١١)

وأما ما ورد من كلام لسانة لوصفية في كتبهم مما يبيد ظاهره الحلول والاتحاد، فهو إما مدسوس عليهم ، بدليل ما سبق من صريح كلامهم في نفي هذه العقيدة الضالة . وإما أنهم لم يقصدوا به لقول بهذه الفكرة الخبيثة والسحرة الدخيلة ، ولكن للمعرضين حملوا لمتشابه من كلامهم على هذا الفهم الخاص ، ورموهم بالبدقة والكفر .

أما الراسخون في العلم والمدققون المصنفون من العلماء فقد فهموا كلامهم على معناه الصحيح لموافق عقيدته أهل السنة والجماعة ، وأدركوا تأويله بما يناسب ما عرفوا عن تصوفه من إيمان وبقوى

قال العلامة جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى في كتبه الحاروي للفتاوي : (واعلم أنه وقع في تصوف بعض المحققين لفظ الاتحاد ، إشارة منهم إلى حقيقة التوحيد ، فإن لاتحاد عندهم هو المبالغة في التوحيد . والتوحيد معرفة الواحد بالأحد ، فاشتبه ذلك على من لا يفهم إشاراتهم ، فحملوه على غير محمله ؛ فغلطوا وهلكوا بذلك . إني أن قال فإذا أصل الاتحاد باطل محال ، مردود شرعاً وعقلاً وعرفاً لاجتماع الأنبياء ومشايخ الصوفية وسائر العلماء والمسميين ، وليس هذا مذهب الصوفية ، وإنما قاله طائفة غلاة لقلّة علمهم وسوء حفظهم من الله تعالى ، فشابهوا بهذا اقرب انتصاري لدين قالوا في عسى عليه السلام : اتّحد نسوته بلاهوته . وأما من حفظه الله تعالى بالعبادة ، فإنهم لم يعتقدوا

() الحاروي لفتاوي في الفقه وعلوم التفسير للعلامة جلال الدين السيوطي ج ٢

اتحاداً ولا حولاً ، وإن وقع منهم لفظ الاتحاد فإنهم يريدون به محو أنفسهم ، وإثبات الحق سبحانه .

قال وقد يُذكر الاتحاد بمعنى فناء المخالفات ، وبقاء السواغات ، وفناء حظوظ النفس من الدنيا ، وبقاء لرغبة في الآخرة ، وفناء الأوصاف الذميمة . وبقاء لأوصاف الحميدة ، وفناء الشك ، وبقاء إيتين ، وفناء الغفلة وبقاء الذكر

قال وأما قول أبي يزيد لست بمسي رحمه الله تعالى : [سبحاني . ما أعظم شأني] فهو في معرض الحكاية عن الله . وكذلك قول من قال : [أنا الحق] محمول على الحكاية ، ولا يُظنُّ بهؤلاء العارفين الحلول والاتحاد ، لأن ذلك غير مطعون بعقل ، فضلاً عن المتميزين بخصوص المكاشفات والبقيس والمشاهدات . ولا يُظنُّ بالعقلاء المتميزين على أهل زمانهم بالعلم ابراجح والعمل الصالح والمجاهدة وحفظ حدود الشرع اعطى بالحلول والاتحاد ، كما عُلِّقَ التصوف في ظنهم ذلك في حق عيسى عليه السلام . وربما حدث ذلك في الإسلام من واقعات جهنة امتصوفة ، وأما العلماء العارفون المحققون فحشاهم من ذلك . . إلى أن قل :

والحاصل أن لفظ لاتحاد مشترك ، يطلق على المعنى لم موم لدي هو أخو الحلول . وهو كسر . ويطلق على مقام انناء اصطلاحاً اصطلاح عليه الصوفية ، ولا مشاحة في الاصطلاح ، إذ لا يسمع أحد من استعمال لفظ في معنى صحيح ، لا محذور فيه شرعاً ، ولو كان ذلك ممنوعاً لم يحز لأحد أن يتموه بلفظ الاتحاد ، وأنت تقول : يبي وبين صاحب يري اتحاد

وكم ستعمن المحلّون ولعمفاء والنحة وغيرهم لفظ لاتحاد في معانٍ حديثية وفقهية وبحوية

كقول المحدثين اتحاد مخرج لحديث

وقول الفقهاء : اتحاد نوع الماشية

وقول النحاة : اتحاد العامل لفظاً أو معنى

وحيث وقع لفظ لاتحاد من محققى الصوفية ، فإيمان بدون به معنى
لفناء الذي هو محور النفس ، وإثبات الأمر كنه لله سبحانه ، لا ذلك
لمعنى المسموم الذي يقشعر له اتحاد وقد أشار إلى ذلك سيدي
علي بن وفا ، فقال من قصيدة له :

يظنُّوا بي حلولاً واتحاداً وقلبي من سوى لتوحيد حالي
فتراً من الاتحاد بمعنى الحول ، وقال في أبيات أخر :

وعلمُك أن كلَّ لأمرٍ أمري هو المعنى المسمى باتحاد
فذكر أن معنى الذي يريدونه بالاتحاد إذا أطلقوا ، هو تسليم الأمر
كله لله ، وترك الإرادة معه والاحتياز ، والجري على موقع أقداره من
غير اعتراض ، وترك نسبة شيء ما إلى غيره ^(١) .

ونقل الشعراني عن سيدي علي بن وفا رحمهم الله تعالى قوله
(المراد بالاتحاد حيث جاء في كلام القوم فناء العبد في مراد الحق
تعالى ، كما يقال : بين فلان وفلان اتحاد ، إذا عمل كل منهما بمراد
صاحبه ، ثم أنشد :

وعلمُك أن كلَّ الأمرِ أمري هو لمعنى المسمى باتحاد ^(٢)

(١) الحوي بلقاروي في الفقه وعلوم التفسير والحديث والاصول والنحو والإعراب
ومسائر لغو للعلامة حلال الدين انسبوطي صاحب الدلائل الكثيرة المتولى سنة
٩١١ هـ - ج ٢ - ص ١٣٤

(٢) البوقت راسجواهر الشعراني ج ١ - ص ٨٣ .

وقال العلامة ابن قيم لجورية رحمه الله تعالى في كتابه مدارج السالكين شرح مدارج السالكين (الدرجة الثامنة من درجات الصفاء ، فناء الخوص الأولياء وأئمة المقربين ، وهو الفناء عن إرادة سوى ، شتتاً برق الفناء عن إرادة ما سواه ، سائكاً سبيل الجمع على ما يحبه ويرصاه ، فانياً بمراد محبوبه منه ، عن مرده هو من محبوبه ، فضلاً عن إرادة غيره ، قد اتحد مراده بمراد محبوبه ، أعني لمراد الديني لأمره ، لا المراد لكوني القدري ، فصار لمراد واحد واحداً ثم قال : ويس في العقل اتحاد صحيح لا هدم ، والاتحاد في العلم والخبر هيكون المرادان والمعلومان والمذكوران واحداً مع تبيين الإرادتين والعميين والحيرين ، فغاية المحبة اتحاد مراد المحب بمراد المحبوب ، وفناء إرادة المحب هي مراد للمحبوب فهذا لاتحاد وانقياد هو اتحاد خوص للمحبين وفناءهم ؛ قد فكروا بعبادة محلوهم من عبادة ما سواه ، وبعبادة وخوفه ورجائه والوكل عليه والامتناع به والطاعة له عن حب ما سواه ومن تحقق بهذا الفناء لا يحب إلا في الله ، ولا يبغي إلا فيه ، ولا يولي إلا فيه ، ولا يعادي إلا فيه ، ولا يعطي إلا لله ، ولا يسمع إلا لله ، ولا يرجو إلا فيه ، ولا يستعين إلا به ، فكون دمه كله ظاهراً وباطناً لله ، ويكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، فلا يواؤد من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب الحلو إليه ، بل .

يُعدي لدي عادي من لاسر كنهم جمعاً ولو كان الحسب لمصافيا

وحقيقة ذلك فائده عن هوى نفسه ، وخطوطها بمراسي ربه تعالى وحقوقه ، وانجم لهد كنه تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله علماً ومعرفة وعملاً وحالاً وقصد ، وحقيقة هذا النفي والإثبات لدي بصمته هذه

الشهادة هو انماء والبقاء ، فيفنى عن تآله من سواه علماً وقراراً وتعبد ، ويصمى بتآله وحده ، فهذا الفناء وهذا البقاء هو حقيقة التوحيد ، الذي اتفقت عليه المرسلون صوات الله عليهم ، وأنزلت به الكتب ، وحجت لأجله الخليفة ، وشرعت له الشرع ، وقامت عنده سوق لجنة ، وأسس عليه الخلق والأمر . . . إلى أن قال : وهذا الموضع مما غلط فيه كثير من أصحاب الإرادة . ولمعصوم من عصمه الله ، وبالله انمستعد والتوفيق والعصمة (١) .

وفاء في موضع آخر : (وإن كان مشمراً لفناء اعالي ، وهو الفناء عن إرادة لسوى ، لم يبق في قلبه مراد ، براحم مرده انديي الشرعي النبوي القرآني ، بل يتحد المرادون ؛ فصير عين مراد الرب تعالى هو عين مراد العبد ، وهذا حقيقة المحبة الحالصة ، وفيها يكون الاتحاد الصحيح ، وهو الاتحاد في المراد ، لا في المريد ولا في الإرادة) (٢)

ورغم أن بن تيمية مخلصاً للسلطنة الصوفية ، وشديد لعداوة لهم ، فإنه يرى ساحتهم من تهمة القوب بالاتحاد ، ويؤوب كلامهم تأويلاً صحيحاً سليماً . أم تبرئته لساحتهم ، فقد قال في فتاويه . (ليس أحد من أهل المعرفة بالله ، يعتقد حول الرب تعالى به أو بعيره من لمخلوقات ، ولا اتحاده به . وإن شمع شيء من ذلك منقول عن بعض أكابر الشيوخ فكثير منه مكذوب ، اخلفه لأفاكون من لاجاديه المباحية ، الذين أضلهم الشيطان وأحقهم بالطائفة انتصارية) (٣)

(٢-١) مدرج السالكين شرح منار السائرين ج ١ . ص ٩٠ و ٩١ للعلامة لشهير بن فيم الجوزية المتوفى ٧٥١هـ

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية قسم التصوف ج ١١ ص ٧٤-٧٥

وقال أبصاً . (كل لمشيخ الذير يُقْدَى بهم في الدين متفقون على ما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها من أن لخالق سبحانه مايس للمخلوقات وليس في مخلوقاته شيء من ذاته ، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته ، وأنه يجب إفراد القديم عن الحادث ، وتمييز الخالق عن المخلوق ، وهذا في كلامهم أكثر من أن يمكن ذكره هنا)^(١)
وأما تأويله لكلامهم فقد قال هي مجموعة رسائله . (وأما قول الشاعر في شعره .

أَنَا مَنْ أَمْوَى وَمَنْ أَهْوَى أَنَا

فهذا إما أراد به الشاعر الاتحاد لمعوي ، كاتحاد أحد المحبين بالآخر ، لدي يحب أحدهما ما يحب الآخر ، ويبغض ما يبغضه ، ويقول مثل ما يقول ، ويعمل مثل ما يعمل ، وهذا تشبه وتمثيل ، لا اتحاد العين بالعين ، إذا كان قد استغرق في محوهِ ، حتى في به عن رؤية نفسه ، كقول لآخر .

عَبَسْتُ بِكَ عُنِّي فطَشْتُ أَنتَ أُنِّي

فهذه الموافقة هي لانحاد السانع)^(٢)

من هذه النصوص لمتعددة تبين لنا أن كل ما ورد في كلام لسانه الصوفية من كلمة [اتحاد] إنما يراد بها هذا لهم السليم الذي يوفق عقيدة أهل السنة والجماعة ، ولا يصح أن يحمل كلامهم على معان تخالف ما صرحوا به من تبنيهم عقيدة أهل السنة والجماعة . وما على

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية قسم علم السلوك ج ١٠ ص ٢٢٢

(٢) مجموع رسائل ابن تيمية ص ٥٢

المنصف إلا أن يحسن لظن بالمؤمنين ، ويؤوّن كلامهم على معنى شرعي مستقيم^(١) .

وحدة الوجود :

ختلف علماء لصر في موقعهم من العرفين لمحتقنين القائلين بوحدة الوجود ، فمنهم من تسرع بتهامهم بالكفر والضلال ، وفهم كلامهم على غير المراد . ومنهم من لم يتورط بتهمهم عليهم ، فتثبت في الأمر ورجع إليهم ليعرف مرادهم . لأن هؤلاء لعارفين مع توسعهم في هذه المسألة لم يبحثوا فيها بحثاً يزيل إشكال علماء النظر ، لأنهم تكلموا في ذلك ودوّنوا لأنفسهم وتلاميذهم لا لمن لم يشهد تلك الوحدة من غيرهم ، لذلك احتاج الأمر للإيضاح لتعمين به قلوب أهل التسليم من علماء النظر .

ومن العلماء الذين حققوا في هذه المسألة ، وفهموا لمراد منها السيد مصطفى كمال الشريف حيث قال : « الوجود واحد ، لأنه صفة ذاتية للحق سبحانه وتعالى ، وهو واجب فلا يصح تعدده ، والموحد هو الممكن ، وهو العالم فصيح تعدده باعتبار حقائقه وقيامه إنما هو بذلك الوجود لواجب ذاته ، فإذا رآب بقي الوجود كما هو ، فالموحد غير الوجود ، فلا يصح أن يقال الوجود اثنان - وجود قديم ووجود حادث ، إلا أن يراد بالوجود الثاني الموجود من إطلاق المصطلح على المفعول ، فعنى هذا لا يترتب شيء من المحاذير التي ذكرها أهل النظر على وحدة الوجود اغائل بها أهل التحقيق . إلى أن قال : لجسّ لا يرى إلا الهيكس أي لموحد ، والروح لا تشهد إلا لوحود ، وإذا شهدت لموحد فلا

(١) انظر بحث تأويل كلام السادة الصوفية ص ٤١٥ .

تشهده إلا ثاماً ، على حد من قل - ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قلبه ،
وأراد بهذه الرؤية الشهود لا رؤية البصر ، لأن الرؤية من خصائص
البصر ، والشهود من خصائص البصرة ، لست ورد أشهد أن لا إله
إلا الله ، ولم يرد أرى ، بل ولا يصح أن يقال (أرى) (١)

وهكذا شأن العلماء لمصنفين ، يعارون على الشريعة العراء ،
ويتشعرون في الأمور ، دون أن يتسرعوا بتكفير أحد من المؤمنين ،
ويرجعون في فهم كل حقيقة إلى أهل الاختصاص بها

ويفضراً لأن مسألة وحدة الوجود أحدث خطأ كبيراً من اهتمام بعض
العلماء ، وشملت أذهان كثير منهم ، أردت أن أريد الموضوع بصاحياً
وتبسيطاً خدمة للشريعة وتويراً للأفهام فنقول

إن الوجود نوعان . وجود قديم أزلي ، وهو وحب ، وهو الحق
سبحانه وتعالى ، قال تعالى ﴿ قُلْتُ يَا أَيُّهَا اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ ﴾ [الحج ٢٢] . أي
الثابت الوجود ، المحقق

ووجود جائز عرضي ممكن ، وهو وجود من عده من المحدثات
وإن لقول بوحدة الوجود ، وأن الوجود واحد هو الحق تعالى يحتمل
معنيين أحدهما حق ، والثاني كهر ، ولهذا فالمتشككون بوحدة الوجود
فريقان :

١- الفرق الأول : أرادوا به اتحاد الحق بالخلق ، وأنه لا شيء في
هذا الوجود سوى الحق ، وأن الكل هو ، وأنه هو الكل ، وأنه عين
الأشياء ، وفي كل شيء له آية تدل على أنه عنه . فقولهم هذا كفر وزندقه
وأشد ضلالة من أباطيل اليهود ولصدي وعدة الأوثان

(١) رسالة وحدة الوجود للعلامة مصطفى كمال بشر صفح ٢٧-٢٨ .

وقد شدد الصوفية الكبير على فائله ، وأفتوا بكفره ، وحذروا الناس من مجالسته قال العارف بالله أبو بكر محمد بناني رحمه الله تعالى :
(فاحذر يا أخي كلَّ لحذر من الجلوس مع من يقول : ما شئ إلا الله ،
ويسترسل مع الهوى ، فإن ذلك هو لزندقة لمحضة ، إذ العرف المحقق
إذا صحَّ قدمه في الشريعة ، ورسخ في الحقيقة ، وتقوّ بقوله : ما شئ
إلا الله ، لم يكن قصده من هذه العبارة إسقاط الشرائع وإهمال
التكاليف ، حاش لله أن يكون هذا قصده)^(١)

٢- الفريق الثاني : قانوا بطلان وكفر ما ذكر ؛ من أن الخلق عين
المخلوق ، وإنما أرادوا بوحدة الوجود وحدة الوجود القديم لأرلي ،
وهو الحق سبحانه ، فهو لا شك واحد مره عن التعدد ولم يقصدوا
بكلامهم الوجود العرضي المتعدد وهو الكون الحادث ، بطراً لأر
وحدوده محاذي ، وفي أصله **يَحْدُمِي لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ** فالكون معدوم في
نفسه ، هالك فإن في كل لحظة **قَالَ تَعَالَى ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا
وَجْهَهُ ﴾** [المصدر : ٨٨] وإنما يُظهره الإيجاد ، ويُثبتُه لإمداد الكائنات
ثانية بإثباته ، وممحوة بأحدثية ذاته ، وإنما يُفسكه سر لفيومية فيه
وهؤلاء قسمان :

- ١- قسم أخذ هذا لفهم بالاعتقاد والبرهان ، ثم بالدوق والعيان ،
وغيب عليه لشهود ، فاستغرق في لُجج بحر اتوحيد ، فغني عن همه
فصلاً عن شهود غيره ، مع استقامته على شرع الله تعالى وهذا قوله حق
- ٢- وقسم ظن أن ذلك علم لفظي ، فتوغل في تلاوه عبارته ،
وتمشك بصواهر إشاراته ، وغاب في شهودها عن شهود الحق ، فربما

(١) مدارج اسلك إلى ملك لملوك للعارف الكبير محمد بناني المتوفى ١٢٨٤هـ

هانت الشريعة في عينيه، لما يلتد به من حلاوة تلك الألفاظ، فبقع على أم رأسه، ويتكلم بما ظاهره أن الشريعة في حجة يحتص بها أهل الغفلة، والحقيقة في حجة أخرى يحتص بها أهل العرفان، ولعمري إن هذا لهو عين الزور ولهتان، وما ثمَّ لا شريعة ومقدم إحسان

وعلى كلِّ فلاؤلى بالصوفي في هذا الزمان أن يبتعد عن الألفاظ والتعابير التي فيها إيهام أو غموض أو اشتباه^(١) لتلا يوقع السوء الظن به، أو تأويل كلامه على غير ما يقصده، ولأن كثيراً من الزدقة والدخلاء على الصوفية قد تكلموا بمش هذه العبارات لموهمة والألفاظ المتشبهة، ليظهروا ما يَكُونُونه في قلوبهم من عقائد فاسدة، وليصنوا بذلك إلى إباحة المحرمات، وليبرِّروا ما يفعلون فيه من المنكرات والفواحش، فاخترط الحق بالباطل، وأجد المؤمن الصادق بجريرة الفاسق المنحرف.

لهذا سيجَّ الصوفية بواطنهم وقصوا بصرهم بالشريعة انعزَّاء، وأوصوا تلامذتهم بالتمسك بها قولاً وعملاً وحلاً، فهي عندهم باب الدخول وسلم الوصول، ومن حاد عنها كن من الهالكين، وقد مر بك كلام الصوفية في التمسك بالشريعة فارجع إليه في هذا الكتاب^(٢)

وختاماً نقول: إن تلك النقول عن لعلماء الأعلام، وعن الصوفية

(١) انظر بحث بين الحقيقة والشريعة ص ٣٨١ من هذا الكتاب

(٢) ما نلت من كلام أعلام الصوفية مما فيه غموض أو اشتباه مرَّده أحد سبب

أ - لأنهم الترموا اصطلاحات ورموزاً وشارات لا يفهمها غيرهم كما أشرنا إلى ذلك في بحث التأويل

ب - ولأنهم تكلموا بها في حالات الغيبة والشطح. ولذلك لا يجوز لمن م بدو مدقهم ولم يبلغ من فهم أن يقلدهم في هذه عبارات ويشفق بها أمم الناس

أنفسهم ، تكشف لك رياء الكريم أن الصوفية مُبرؤُونَ مما تُسبب إليهم من
القول بالحلل والاتحاد ، ووحدة الوجود ، وأن كلامهم مؤوَّل على وجه
شرعي ، وموافق لما عليه أهل نسه والجماعة ، من العقيدة الصحيحة
السليمة ، وأهم ما نال هذه الموهب العرفانية إلا بالتمسك بكتاب
واسنة ، وأنهم حفيظة رجاء السلف الصالح رضي الله عنهم - الذين
تمسكوا بهدي رسول الله ﷺ ، فأفلحوا وتحققوا بالاتباع لكامل له عليه
الصلاة والسلام ، فالوا لرعى من الله تعالى ، وفرو سعادة لدارين .
﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ
وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَوْفِقًا ﴾ [١٦٩]



بين الصوفية وأدعياء التصوف

لقد شَوَّهَ التصوفَ رجلٌ مغرَّصونَ تزيُّوا به ، وانتسوا له ، وأسأوا إليه بأقوالهم وأفعالهم وسيرتهم ، والتصوف منهم براءٌ .

فمرَّحِلُ خدمة الحق وظهاره عينا أن يهرف بين أدعياء التصوف لمحرِّفٍ ، وبين السادة الصوفية الصادقين لعارفين ، ويخصر صاعاً الأئمة منهم الذين كانت لهم برجات عليا في الإيمان والتقوى والورع . وتُرَى كبرى في نشر الأخلاق والدين والدعوة إلى الله تعالى في سائر العصور والبلدان ، وعليه أن يقف وقفة وجل متمسك بشرعه ودينه ويقول : هنالك فرق كبير بين التصوف والتصوفي ، والتصوف المتصوف بالحرفه وشذوده ممثلاً للتصوف ، كما أن المسلم بأفعاله المنكرة ليس ممثلاً للإسلامه ودينه .

ومتى كان في شريعة الحق والدين أن يؤخذ لجار بصلم الحار ؟ وأن يتحمل الإسلام في جوهره استقي أخطاء المسمين المحرفين ؟ وأن تنسب إلى هذه لفئة الطيبة النقية أخطاء المتصوفة الشاذين ؟ .

ويذكر بعض العلماء على أفعال شاذة مسبوقة إلى الصوفية إنما يستهدف هؤلاء العللاء لمحرِّفين من أدعياء التصوف ولطائفاً حذر مرشدو الصوفية انفس منهم . قل الشيخ أحمد رروق رحمه الله تعالى هي كتبه قواعد التصوف (فعلاهُ امتصوفة كأهل الأهواء من الأصوليين ، وكالمطعوب عليهم من لمتفقيين ، يُرَدُّ قولهم ، ويُجتنَبُ

فمنهم ، ولا يُترك السبب الحق لثلاث سببهم ، وظهرهم فيه (إنخ^(١)) .

ب الحير والشر موحود في كل طائفة من السبب إلى يوم القيمة .
فليس كل لصوفية سواء ، كما أنه ليس كل لعلماء ولعقهاء ولمدربين
والقصاة والتجار والأمراء سواء ؛ إذ فيهم الصالح ومنهم الأصحح ،
وفيهم الفاسد وفيهم الأفسد ، هذا امر ظاهر لا شبهة فيه عند الجمهور
اعرف الحق تعرف أهله ، ويعرف الرجل بالحق لا الحق بالرجال

ونحن نكر ما أنكره العلماء على هؤلاء لأدعياء من المتصوفة
المحرفين ، الشاذين عن دين الله تعالى ، وأما المتمسكون بالكتاب
والسنة ، المستقيمون على شرع الله تعالى فهم الدين نعتيهم ، ونقنمي
أثرهم ، وسعرض لك في الفصل التالي شهادة علماء لأمة الإسلامية من
سلمها إلى خلفها بهم



(١) توعد التصوف بشيخ أحمد رروق قاعده ٣٥ ، ص ١٣

أعداء التصوف

إن الذين طعنوا في التصوف الإسلامي ، وتهكموا عليه ، واتهموه
بشتى أنواع الأكاذيب والافتراءات ، ورموه بالانحرف والتريع ؛ إما أن
يكون ناعتهم على ذلك لحقد و لعداوة المأصلة للإسلام ، وإما أن يكون
سب وقوعهم في هذا الإثم جعلهم اسطق بحقيقة التصوف

١- أما الصنف الأول : فهم أعداء الإسلام من البرودة للمستشرقين
وأذئابهم وعملائهم الذين صنعتهم الصليبية الماكرة والاستعمار
البغيض ، طعن الإسلام وذلك خصومه ، وتشويه معالمه ، وبث سموم
الفرقة والخصام بين صفوف أبنائه .

وقد كشفهم السيّد محمد أسد ، في كتابه الإسلام على مفترق
الطرق في بحث ' شح الحروب الصليبية ^(١)

وقد عكف هؤلاء المغرضون على دراسة الإسلام دراسة دقيقة
مستغضة كي يعرفوا سرّ قوّته ، وليعلموا من أي باب يلهون ، وفي أي
طريق سيروا للوصول إلى أهدافهم لماكرة ومردبهم لحشة . ومن أشهر

(١) نثر كتاب الإسلام عبر مفترق الطرق ص ٥٢ أما المؤلف فمساوي الأصل وكان
اسمه بيربولد فايس ، فاعتنق الإسلام وتسمى باسم محمد أسد ، ويصرف في
بوقت الحاضر إلى ترجمة معاني القرآن الكريم وصحيح البخاري إلى اللغة
الإنكليزية .

كتابهم . نكسون الإنكليزي ، وجولدير اليهودي ، وماسينيون
افرنسي وغيرهم .

فتارة يدسّون السم في الدسم ، ويمدحون الإسلام في بعض كتبهم
كي سالوا ثقة القديء ، فإذ صمأ إليهم ، وركن إلى أقوالهم شكّوه في
عقائده ، وحشو قلبه بأبضيل أنصفوها للإسلام روراً وبهتاناً

وتارة ينتحلون صفة الباحث العممي المتجرب ، أو يسبون ثوب
العبور على لدين ، المتباكي على ترائه . فيشون حملة شعواء على
التصوف ، وقد عرفوا أنه روح الإسلام وقبسه النبص ، فيدعون أنه
مقتبس من ايهودية أو النصرانية أو البوذية ، ويتهمون رجائه بعقائد
مكفرة وأفكار مسخرقة صالة ، كالقول بالحلول والاتحاد ، ووحدة
الوجود ، ووحدة الأدين ، وغير ذلك

وبحق لا نعبئ عنهم لأنهم أعداء ، وهم شأن لعدو الماكر ،
ولا ندحر في تفاصيل الردّ عليهم ، تنفيذ افتراء نهم بعد أن علما
أغراضهم ، ما زلهم الحسنة وكسا عنت على جماعة يدعون للإسلام ثم
يشون راء هؤلاء الحصوم لأداء وخصوصاً في طعن الإسلام في روحه
وحوهره ، ألا وهو التصوف فهل يصيح لمسلم عاقل أن يتحد أقوال
الأعداء المحاملين المعرضين الكافرين حجة لظعن إخوانه المؤمنين ؟
سحابت هذا بهن عظيم

ونو دد هؤلاء لمستشرقون صادقين في دفاعهم عن الإسلام
مخلصين في دعمهم تنقيته من الشوائب وعبرتهم عيب ووجهه ، فلماذا
لم يعتقوه ؟ ولم لم يتحدوه مهجاً لهم في حياتهم ؟

٢- وأما الصنف الثاني ، فهم الذين جهوا حقيقة التصوف الإسلامي
ولم يأحدوه عن رحله الصادقين وعمائه المحصين ، بل نظروا إليه

نظرة سطحية بعيدة عن التمهيد والتبيين ، وهؤلاء أقسام

أ - قسم حددوا فكرهم عن التصوف من خلال أعمال وسلوك عصر الدحلاء ولمنحرفين من أدعياء التصوف ، دون أن يفرقوا بين التصوف الحقيقي الناصع ، وبين بعض الوقائع المشوهة التي صدر عن الدحلاء على الصوفية والتي لا تمت إلى الإسلام بصلة^(١)

ب - وقسم حددوا بمحدوده في كتب لسانة الصوفية من أمور مدسوسة أو مسائل دحيلة ؛ فأخذوها على أنها حقائق ثابتة ، دون تحقيق أو تثبت^(٢) أو إنهم أخذوا الكلام لثابت في كتب الصوفية ففهموه على غير مراده ، حسب فهمهم سطحي وعميق لمحدود ، وأهوانهم الخاصة ، دون أن يرجعوا إلى كلام الصوفية الواضح الذي لا يحيد عن لب الشريعة والذي يعطي الصوفية صبغ والنور لكشف تآويل هذا الكلام المتشبه^(٣) .

مثلهم في ذلك كمثل الذي في قسم ربيع ومرص ، فأخذ الآيات القرآنية المتشبهة في لقرآن الكريم فأولها حسب هواه وحرفه ، دون أن يلتفت إلى سائر آيات القرآنية المتشبهة التي تنهي النور على معاني هذه الآيات المتشبهة ووضح معانيها . وسين أعراضها قل الله تعالى في حقهم ﴿ هُوَ أَنزَلَ رَبَّكَ عَلَيْكَ يُكَيِّبُ بِهِ ءَايَاتٍ يُخَكِّمُ هُنَّ أَمْ الْكُفِّ وَأُخْرُ مُشْتَبِهَاتٍ وَمَا أُنزِلَ فِي فَلَوْ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ مَا تُنْزِلُ مِنْهُ أُلُوهَا وَبِئْسَ تَأْوِيلُهَا ﴾

٧٧٧

(١) انظر بحث بين الصوفية وأدعياء التصوف ص ٤٤٩ في هذا الكتاب

(٢) انظر بحث ليس على العلوم الإسلامية ص ٣٩٨ في هذا الكتاب

(٣) انظر بحث لتأويل ص ٤١٥ في هذا الكتاب

لهذا ولثلا يلتبس الأمر على جاهل أحمق أو معرض متحامل ، وضع علماء الصوفية عقائدهم صريحة و صريحة لا تحيد عن مذهب أهل السنة والجماعة ، ومهم الشيخ محي الدين رحمه الله تعالى ، فقد ذكر عقيدته وأصحها مفصلة في مطبع كتبه افتوحات المكية ، وكذلك صاحب الرسالة القشيرية وغيرهما

ج - وفهم هم المعشوشون لمخدوعون لدين أخذوا ثقافتهم وعلومهم عن المستشرقين كما يبت ساقاً ، وتبوا مزعمهم وأبصليهم كأهل بدهيت لا تقبل الجسد ، أو تتريل من حكيم حميد ، ولم تسعهم الفطنة والدكاء إلى إدراك حقيقة هؤلاء المستشرقين الذين نصبوا أنفسهم وجندوا ثقافتهم لهدم الإسلام ، يتشويه معالمه ، وطعمه في جوهره وروحه .

إلا أن هذه الأمة الإسلامية لا تزال فيها طائفة ظاهرة على الحق لا يصرهم من خسرهم ولا من عائلهم حتى يأتي أمر الله^(١) ، ولو اجتمع الثقلان على حربهم قبيلاً ، يدعون من صل إلى الهدى ، ويصبرون منهم على الأذى ، ويصبرون بنور الله أهل لضلال والعمى ، اهتموا بهدي النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، واستضاءوا بنوره على مر الأزمان والدهور . . .

* * *

(١) أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الاعتصام أن رسول الله ﷺ قال « لا تزال طائفة من متي طاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم طاهرون » ومز الحديث وعروه ص ٤٢

شهادات

علماء الأمة الإسلامية

من سبها إلى حلفها للتصوف ورجاله

حتماً لهذه الرسالة أنقل لك طرفاً يسيراً من لأقوال والشهادات عن التصوف لبعض أكابر علماء الأمة ، ورجال الفكر والدعوة من الصدر الأول إلى يومنا هذا .

ولا أرك محتاجاً إلى هذه الشهادات بعد أن عرفت جوهر التصوف وتبين لك أنه روح الإسلام ، ~~وأحد أركان الدين~~ الثلاثة : الإسلام والإيمان والإحسان .

ولكن هناك بعض النفوس قد عسيت عن رؤية النور ، وتجاهلت حقائق الإسلام ، وحكمت على الصوفية من خلال أعمال بعض المصحفين والمستعبرين من أدياء التصوف دون تدبّر ولا تمحيص ، فإلى هؤلاء وإلى كل جاهل بحقيقة التصوف نسوق هذه الأقوال ، كي يدركوا أثر التصوف وضرورته لإحياء لقلوب ، وتهذيب النفوس ، وكي يصلحوا على ثمرات التصوف وسأججه في انتشار الإسلام في مختلف لبلاد وشتى الأمصار

١- الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى :

وقد مر بك في بحث بين الشريعة والحقيقة الكلام المفصّل عن الإمام الأكر أبي حنيفة النعمان رحمه الله تعالى ، وكف أنه كان يعطي الشريعة

والطريقة ، وأنه كان فارس هذا الممدان ، كما ذكر العلامة ابن عبيدين في حاشيته المشهورة^(١)

٢- الإمام مالك رحمه الله تعالى

يقول الإمام مالك رحمه الله تعالى (مَنْ تَعَفَّى وَهَمَ يَتَصَوَّفُ فَقَدْ تَفَسَّقَ ، وَمَنْ تَصَوَّفَ وَلَمْ يَتَفَعَّهْ فَقَدْ زِيدَ ، وَمَنْ جَمَعَ بَيْنَهُمَا فَقَدْ تَحَقَّقَ)^(٢) .

٣- الإمام الشافعي رحمه الله تعالى :

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى^(٣) (صحبت الصوفية فلم أستفد منهم سوى حرفين ، وفي رواية سوى ثلاث كلمات قولهم : الوقت مبغ إن لم ~~تطعم~~ تطعمك وقرنهم نفسك إن لم تشعهدهم بالحق شغلكتك بالباطل وقرلهم العدم عصمة)^(٤) .

(١) أبو حنيفة أحد الأئمة الأربعة ، أشهر من أن يعرف ، توفي في بغداد سنة ١٥٠ هـ . انظر (٣٩٥-٣٩٦) من هذا الكتاب

(٢) حاشية العلامة علي بن عدي علي شرح الإمام سرقاني علي متن المعر في تفعفه المالكي ج ٣ ص ٩٥ وشرح غير لعلم و . ب . اعلم بالإمام ملا علي الفاري الصوفي ١٠١٤ هـ ج ١ ص ٣٣ والإمام مالك رحمه الله تعالى أحد الأئمة الأربعة المشهورين توفي سنة ١٧٩ هـ في المدينة المنورة .

(٣) الإمام الشافعي رحمه الله تعالى أحد الأئمة الأربعة المشهورين توفي في مصر سنة ٢٠٤ هـ

(٤) تأييد الحنفية العلية للإمام جلال الدين السيوطي ص ١٥

وفان أيضاً . (حُبَّيْ إِلَيَّ مِنْ دِيَاكُمْ ثَلَاثَ : نَرُكُ لِكَلَفٍ ، وَعَشْرَةُ
الْحَلَقِ يَنْلَطُفُ ، وَلاَقْتِدَاءَ بِطَرِيقِ أَهْلِ اتَّصُوفٍ)^(١)

٤- الإمام أحمد رحمه الله تعالى :

كان الإمام أحمد رحمه الله تعالى^(٢) قل مصاحبه للمصوفية يقول
لولده عبد الله رحمه الله تعالى : (ي ولدي عيتك بالحديث ، وبيك
ومجالسة هؤلاء الذين سمروا أنفسهم صوفية ، فإنهم ربما كان أحدهم
جاهلاً بأحكام دينه فلم يصحب أبا حمزة اسفغادي لصوفي ، وعرف
أحول الفوم ، أصبح يقول لولده : ولدي عليك بمجالسة هؤلاء
الفوم ، فإنهم ردوا عليك بكثرة العثم والمراقبة والحشية ولرهد وعلو
الهمة)^(٣)

ونقل العلامة محمد لسفريني الحنبلي رحمه الله تعالى عن
إبراهيم بن عبد الله القلانسي رحمه الله تعالى أن الإمام أحمد رحمه الله
تعالى قال عن لصوفية (لا أعلم أقواماً أفضل منهم قيل : بينهم
بسمعون ويواحدون ، قل : دعوهم يفرحوا مع الله ساعة . .)^(٤)

٥- الإمام المحاسبي رحمه الله تعالى :

ويقول الإمام المحاسبي رحمه الله تعالى ، متحدثاً عن جهاده لمسير
للمصوف إلى الحق حتى اهتدى إلى التصوف ورجاله ، وهو من أروع

(١) كشف لحداء ودليل للإس عم مشهور من الأحاديث على ألسه بأس للإمام
المجلوني المتوفى سنة ١١٦٢ هـ ، ج ١ ، ص ٣٤١ .

(٢) الإمام أحمد رحمه الله تعالى . أحد الأئمة الأربعة المشهورين توفي سنة ٢٤١ هـ .

(٣) «تذير القلوب» ص ٤٠٥ للعلامة لشيخ أمين الكوفي المتوفى سنة ١٣٣٢ هـ .

(٤) «غذاء الألباب شرح مطبوعة الادب» ج ١ ، ص ١٢٠ .

ما كتب في وصف الحياة الصوفية والحلقة والإيمانية : (أما بعد ، فقد انتهى ليل إلى أن هذه الأمة تفترق على صبح وسعين فرقة ، منها فرقة ناجية ، والله أعلم بسائرهما ؛ فلم أزل برهة من عمري ، أنظر خلافا الأمة ، وأتلمس المتهاج الواضح وأنسيل انقاصه ، وأطلب من العلم والعمل ، وأستدل على طريق الآخرة بإرشاد العلماء ، وعقلت كثيراً من كلام الله عز وجل بتأويل لعقهاء ، وتدرت أحوال الأمة ، ونظرت في مداها وأقاريلها ، فعقلت من ذلك ما قدر لي ، ورأيت اختلافهم حراً عميقاً ، غرق فيه ناس كثير ، وسبهم عصابة قليلة ، ورأيت كل صنف منهم ، يرفع أن لهجة لمن سبهم ، وأن المهالك لمن حالهم ، ثم رأيت الناس أضاعاً :

فمنهم العالم بأمر الآخرة ، يتأوه بحسب ، و هو حوده عرير
ومنهم الجاهل ، فالعد عنه غنيمته

ومنهم المنشئ بالعلماء ، مشغوف بديته ، مؤثر لها
ومنهم حامل علم ، منسوب إلى الدين ، ملتزم بعلمه التعظيم
والعلو ، يتأن بالدين من عرض الدنيا

ومنهم حامل علم ، لا يعلم تأويل ما حمل ،
ومنهم متشبه بالشك ، متحرر لبحير ، لا عاء عده ، ولا نفاذ نعلمه
[إلى قلوب السامعين] ، ولا معتمد على رأيه

ومنهم منسوب إلى العقل والدهاء ، معقود ابورع والتقى
ومنهم متواكفون ، على الهوى وفقون ، ونلدنيا يدلون ، ورب سنه
يطلون

ومنهم شاطس الإنس ، عن الآخرة يصدون ، وعلى الدين

يتكالبون ، وإلى جمعها يُهرعون ، وفي الاستكثار منها يرغبون ، فهم في الدنيا أحياء ، وفي العُرف مومي ، بل نُعرف عندهم منكر ، ولا استواء [بين الحي والميت] معروف

فتفقدت في الأصناف نفسي ، وصيقتُ بذلك درعاً ، فقصدت إلى هدى لمهتدين ، بصلب السداد ولهدى ، سترشدت العلم ، وأعملت لمكر ، وأطلب انظر ، فتشّيتُني من كتاب الله تعالى وسنة نبيه وإجماع الأمة ، أن انساع الهوى يعمي عن الرشيد . ويصل عن الحق ، ويطيل المكث في العمى

فبدأت بإسقاط لهُوى عن قلبي ، ووقفبُعد احلاف الأمة مرتاداً لطلب الفرقة الساجنة ، جذراً من الأهواء المُزدية والفرقة لهالكة ، منحرداً من الافتحام قيل البيان ، وألتمس سبيل النجاة بِمُنهجة نفسي .

ثم وجدتُ باجتماع الأمة في كتابات الله المرسل أن سبيل السجاة في التمسك بتقوى الله وأداء فرائضه ، ولورع في حلاله وحرامه وجميع حدوده ، والإخلاص لله تعالى بطاعته ، والسائي برسوله ﷺ . فطلبت معرفة الفرائض واستر عند العلماء في الآثار ، فرأيت اجتماعاً واختلافاً ، ووجدتُ جمعهم مجتمعين على أن علم الفرائض والسنن عند العلماء بالله وأمره ، لعقهاء عن الله لعاممين برضونه النورعين عن محارمه المناسين برسوله ﷺ والمؤثرين لآخرة على لُدي ؛ أولئك المتمسكون بأمر الله ورسولهم

ولتمست من بين الأمة هذا الصنف المحتسج عليهم واموصوفين بأثارهم ، واقتست من علمهم ، فرأيتهم أقل من القليل ، ورأيت علمهم مندرساً كما قال رسول الله ﷺ : « بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود غريباً »

كما بدأ فطوى للغراء»^(١) ، وهم المتعبدون بدينهم ، فعظمت مصيبتني
لعقد الأولياء لأتقاء ، وحشيت بغمة الموت أن بفجئتي على اصصراب من
عمري لاختلاف الأمة ، فانكمست في طلب عاده لم أحد لي من معرفه
بدأ ، ولم أنصر في الاحتياط ولا في لصح فميص لي الرؤوف بعاده
قوماً وحدث فيهم دلائل التعمى وأعلام الورع وإيثار الآخرة على الدنيا ،
ووجات إرشادهم ووصاياهم موافقه لأفعيل أنمة ، هدى ، [ووجدتهم]
مجتمعين على صبح ، لأمة ، لا يترخون أدا في معصيته ، ولا يقبطون أبدأ
من رحمته ، يرصون أبدأ بانصر على البأساء والنصرء والمرصا بالقضاء
والشكر على النعماء ، يحثبون الله تعالى إلى اعباد بذكرهم أياديه
وإحسانه ، ويحثون لعناد على الإيانة إلى الله تعالى ، عماء بعظمة الله
تعالى ، عدمات بعظم قدرته ، وعلمات بكتابه وسنته ، فقهاء في دينه ،
علماء بما يحب ويكره ، ورعين عن الدخ والأموء ، تاركين السعيق
والإغلاء ، معصين للحدال وللمراء ، مبرعين عن الاعساب والظلم
مخالفين لأهوائهم ، محاسنين لأنفسهم ، مالكين بحوارحهم ، ورعين في
مصادمهم وملايسهم وجميع أحوالهم . فحسن للشهاب ، دركين
للشهوات ، مجترئين بالبلعة من الأفراط ، متصليين من المباح ، راشرين
في الحلال ، مشفقين من الحساب ، وجلين من المعداد ، مشعولين
بينهم ، مژرين على أنفسهم من دود غيرهم ، لكل امرئ منه شأن
يغنيه ، علماء بأمر الآخرة وأقاول انقيامة وحريل الثواب وأيم العقاب
ذلك أورثهم الحزن الدائم وانهم المقيم ، فغفلوا عن سرور الدنيا
ونعيمها ولقد وصلوا من آداب الدين صفات ، وحذرو لمورع حدوداً

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان عن أبي هريرة رضي الله عنه

صافق لها صدري ، وعلمت أن آداب الدين وصدق الورع بحر لا ينجو من العرق فيه شبهي ، ولا يقوم بحاوده مثلي ، فتبين لي قصدهم ، واتضح لي بصحتهم ، وأيقنت أنهم يعملون بطريق الآخرة ولمتأسون بالمرسلين ، والمصاييح من استضاء بهم ، وإسهادون لمن سترشد

فأصحت رغباً في مذهبهم مفتبساً من فوائدهم قالاً لأداهم محاً لطاعتهم ، لا أعدل بهم شيئاً ، ولا أؤثر عليهم أحداً ، ففتح الله لي عنماً انصح لي برهانه ، وأدر لي فضله ، ورحوت الحجة لمن أقر به أو اتحلله ، وأيقنت ما عوث لمن عمل به . ورأيت لا عوجاج فيمن حلله ، ورأيت لزئير متراكماً على قلب من جهله وحجده ، ورأيت الحجة العظمى لمن فهمه ، ورأيت استحاله والعمل بحدوده واجباً عليّ ، فاعتقدته هي سربرتي ، ونطويت عليه بضميري ، وجعلته أساس ديني ، وببيت عليه عمالي ، وتقربت إليه بأحوالي . وسألت الله عز وجل أن يرزقني شكر ما أعم به عليّ ، وأن يقريني على القيم بحدود ما عرفتني به ، مع معرفتي بتقصيري في ذلك ، وأني لا أدرك شكره أدناً (١) .

٦- عبد القاهر البغدادي رحمه الله تعالى .

قال الإمام الكبير حجة المتكلمين عبد القاهر البغدادي رحمه الله تعالى في كتابه الفرق بين الفرق (الفصل الأول من فصول هذا الباب في بيان أصناف أهل السنة والجماعة اعلموا أسعدكم الله أن أهل السنة والجماعة ثمانية أصناف من الناس

(١) كتاب الوصايا ص ٢٦-٢٢ للإمام أبي عبدالله الحارث المحاسبي المومني ٢٤٣هـ وهو من أمهات كتب الصوفية المعتمدة

١- صنف منهم أحاطوا عمداً بآداب التوحيد والنبوة وأحكام الوعد والوعيد ، لنواب واعقاب وشروط لاجتهاد وإمامة والرعامة

٢- والصنف الثاني منهم : أئمة الفقه من فريقي الرأي والحديث من الذين اعتقدوا في أصول الدين مذهب اصماتية هي الله وفي صفاته الأزلية وتبرؤا من انقذر والاعتزال ، وقالوا بدوام نعيم الجنة على أهلها ، ودوام عذاب النار على لكفرة ، وقالوا بإمامة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وأحسنوا لثناء على السلف انصالح من الأمة ، ورأوا وحوب الجمعة حيف الأئمة الذين تبرؤا من أهل الأهواء الضالة ، ورأوا وحوب ستباط أحكام الشريعة من القرآن والسنة ومن إجماع الصحابة ، ويدخل في هذه الجماعة أصحاب مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل رضي الله عنهم

٣- والصنف الثالث منهم هم الذين أحاطوا عمداً بظرف الأخبار والسنن المأثورة عن النبي عليه الصلاة والسلام ، وميروا بين الصحيح والسقيم منها ، وعرفوا أسباب لخرج والتعدين ، ولم يحصوا علمهم بذلك بشيء من بدع أهل الأهواء الصائفة

٤- ولصنف الرابع منهم قوم أحاطوا علماً بأكثر أبواب الأدب والنحو والتصريف ، وجرؤ على سمن أنمة اللغة كالحليل وتبي عمرو بن العلاء وسيبويه .

٥- والصنف لخامس منهم هم الذين أحاطوا علماً بوجوه قراءات لقرآن وبوجوه تفسير آيات القرآن وتأويلها على وفق مذهب أهل لسة دون تأويلات أهل الأهواء الصائفة

٦- والصنف السادس منهم . الزهاد الصوفية الذين أنصروا فأقصروا ، واحترروا فاعتبروا ، ورصوا بالمقدور وقنعوا بالمسور ، وعمموا أن

السمع و البصر والفؤاد كل أولئك مسؤول عن الخير والشر ، ومحاسب على مستقبل الذر ، فأعدّو حير لإعداد ليوم السعاد ، وحرى كلامهم في صريفي العبادة والإشارة على سمنب أهل الحديث دون من يشتري لهو الحديث ، لا يعملون بحير رباء ، ولا يركوه حياء ، دينهم التوحيد وفيه لشبيه ، وعدهبهم القويصن إلى الله تعالى ، والتوكل عيه والتسليم لأمره . والقباغة بما درقوا ، والإعراض عن الاعراض عليه ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الحج ٤٤]

٧- و لصف السابع سهم . قوم مرابطون في ثغور المسلمين في وحوه الكهرة ، يجاهدون أعداء المسلمين ويحمون حمى المسلمين .

٨ والصنف الثامن منهم : عامه البندان التي علب فيها شعائر أهل السنة ، دون عامه البقع التي ظهر فيها شعار أهل الأهواء المضالة .^(١)

٧- الإمام القشيري رحمه الله تعالى :

وقل لإمام أبو العاسم القشيري رحمه الله تعالى في مقدمة رسالته المشهورة متحدثاً عن الصوفية (جعل الله هاد الطائفة صفوة أوليائه ، وفصلهم على الكافة من عباده بعد رسله وأبيائه صلوات الله وسلامه عليهم ، وحمل قلوبهم معاد أسرارهم ، واحتضنهم من بين الأمم بطولع أنوارهم ، فهم أعيان للحلق ، واللائق في عموم أحوالهم مع الحق بالحق صفاهم من كدورات الشريعة ، ورفاههم إلى محل المشاهدات

(١) الفرق بين الفرق للإمام عبد لظاهر العددي الموفى سنة ٤٢٩ هـ ص ١٨٩

بما تجلى لهم من حقائق لأحادية ، ووقفهم للقيام بأداب العبودية ،
وأشهدهم مجري أحكام الربوبية ، فقاموا بأداء ما عليهم من واجبات
التكليف ، وتحققوا بما منه سبحانه لهم من التقلب و التصريف . ثم
رجعوا إلى الله سبحانه وتعالى بصدق لاقتدار ونعت الانكسار ، ولم
يتكبروا على ما حصل منهم من لأعمال أو صف بهم من الأحوال ، عما
منهم بأنه جلّ وعلا يفعل ما يريد ، ويخار من شاء من العبد ، لا يحكم
عليه خلق ، ولا يتوجه عليه لمخلوق حق ، ثوبه اسداء فضل ، وعدائه
حكم بعدل ، وأمره قضاء فصل ^(١)

٨- الإمام الغرالي رحمه الله تعالى

وها هو ذا حجة الإسلام الإمام أبو حامد الغرالي رحمه الله تعالى
يتحدث في كتابه المقدم من الصلاة عن الصوفية وعن سلوكهم وطريقتهم
الحقة الموصلة إلى الله تعالى فيقول :

(ولقد علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة
وأن سيرتهم أحسن السيرة ، وطريقتهم أصوب الطرق ، وأخلاقهم أركى
الأخلاق ثم يقول رداً على من أنكر على الصوفية وتهنأ عليهم
وبلجملته فماد يقول القائلون في طريقة طهارتها - وهي أول شروطها -
تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى ، ومفتاحها لجاري فيها مجرى
التحریم من الصلاة استغرق القلب بالكلية بذكر الله ، وآجره الصاء
بالكلية في الله) ^(٢)

(١) الرسالة التفسيرية للإمام أبي القاسم التستري الصوفي سنة ٤٦٥ هـ ص ٢

(٢) المقدم من الصلاة لحجة الإسلام الغرالي صوفي سنة ٥١٥ هـ ص ١٢١

٩- الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى :

قال العلامة الكبير والمفسر الشهير الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى في كتابه عتقادات فرق المسلمين والمشركيين : (كتاب الثامن في أحوال الصوفية : اعلم أن أكثر من حَصَرَ فرق الأمة ، لم يذكر الصوفية وذلك خطأ ، لأن حاصل قول للصوفية أن انصربق إبي معرفة الله تعالى هو التصفية والتجرد من العلائق الدنية ، وهذا طريق حسن وقال أيضاً ، وللمنصوفة قوم شتعلون بالفكر وتجرد النفس عن العلائق الحسماية ، وجهدون ألا يحلو سرهم وباههم عن ذكر الله تعالى في سائر تصرفاتهم وأعمالهم ، مطبوعون على كمال الأدب مع الله عز وجل ، وهؤلاء هم خير فرق الأدميين)^(١) .

(١) عتقادات فرق المسلمين والمشركيين للإمام فخر الدين الرازي ص ٧٢ ٧٣ توفي سنة ٦٠٦ هـ بمدينة هراة . يقول محرر كتاب عتقادات فرق المسلمين عني سامي لششار : (وفي أواخر أيامه [فخر الدين الرازي] وقد بلغ أوج كماله العلمي حدث له ما حدث لأبي حامد الغزالي من قبل ، ففقد ثقته بالعقل الإنساني ، وأحسن عجره ، وأدرك ساماً أنه لا يستطيع لإحاطة بالوجود في ذاته . فأدركته حادثة صوفية كانت تنابه منها في بعض مجالس وعظه يوماً فصرح مستمناً ،

وعط يوماً بحضوره السلطان شهاب الدين الغوري وحصل له حال ومبغات

(يا سلطان العاسم لا مبعثات يبقى ، ولا تلبس الرازي يبقى)

ونظم أشعاراً تغلب عليها النزعة الصوفية كقوله

نهيةً قد علمت قول عقاب وأكثرت سعي العالمين ضلالاً
وأرواح في وحشة من جسموم وحاصل دبتا أدى ووسائل
ولم يستمد من بحث طول عمرت سوى أن جمعاً فيه قيل وقالوا
وكان للإمام فخر الدين الرازي صفة فوه ناشج الأكبر محي الدين بن عربي

١٠- العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى

قال سلطان العلماء عر الدين بن عبد السلام رحمه الله تعالى^(١) .

(قعد القوم من اصفوية على قواعد الشريعة الني لا نهدم دينا
وأخرى ، وقعد غيرهم على الرسوم ، ومما يدل على ذلك . ما يقع على
يد القوم من الكرامات وحوارق العادات ، فإنه فرع عن هربت الحق
لهم ، ودرصاه عنهم . ونو كان اعلم من غير عمل ، برصي الحق تعالى كل
لرصي ، لأجرى الكرامات على أيدي أصحابهم . ولو لم يعمرو
بعلمهم ، هيهات هيهات)^(٢)

١١- الإمام النووي رحمه الله تعالى :

قال الإمام اسوي رحمه الله تعالى في رسالته الحقايد أصول طريق
لنصوف حمسة :

= على أثر إرسال رسالته من الشيخ محي الدين بن عربي ، بين له فيها قيمة
المعلوم لعرافية ، ووهية وشؤنه لها ، وهذه الرسالة مطبوعة بالمصبعة السلعية بمصر
وسمى « رسالة شبح الطريقة محي الدين بن عربي إلى الإمام بن الحظيب الرري
المعروف بفخر الرري » نسجها وأبررها وصححها عبد العزيز الميسي الراجقوني
الأثري لمقرىء بالجامعة الإسلامية في عيكرة بالهد عام ١٣٣٤ في مجموعة ثلاث
رسائل .

(١) عر الدين بن عبد السلام يتقب شيخ العلماء ورسطان العلماء ولد سنة ٥٧٧هـ ،
ونوي سنة ٦٦٠هـ انتهب إليه الإمامة ، وبلغ مرة لاحتهااد مع الزهد والورع
ونديالشم ، ووفد مصر فأقام بها أكثر من عشرين عاماً ، نأثر ألعلم أمراً نالمعروود
سالياً عن المسكر رألف كتبا كثيرة ، وأحد لنصوف عر شهاب الدين اسهروردي ،
وسلك عر بد الشيخ أبي الحسن اشادني رحمه الله تعالى . وكان يهون إذا حضر
مجلسه وسمع كلامه : هذا كلام قريب العهد بالله

(٢) نور لنحقيق للشيخ حامد صقر ص ٩٦

- ١- تقوى الله في أسر والعلاية
- ٢- اتباع اسنة في الأقوال والأفعال
- ٣- الإعراص عن الحلز في الإقبال والإدبار
- ٤- الرصى عن الله في القليل والكثير
- ٥- الرجوع إلى الله في السراء والصراء^(١)

١٢- ابن تيمية رحمه الله تعالى :

تحدث أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى عن تمسك الصوفية بالكتاب والسنة في الجزء العاشر من مجموع فتاويه فتدلى (فأما المستقيمون من السابقين كجمهور مشيخ السلف مثل لعصل بن عياض ، وإبراهيم بن أدهم ، وأبي سليمان الداراني ، ومعدوف الكرخي ، والسري لسقطي ، والحنيد بن محمد ، وغيرهم من المتقدمين ، ومن الشيخ عبد القادر [لحيلائي] والشيخ حماد ، والشيخ أبي أسود ، وغيرهم من المتأخرين ، فهم لا يسوغون لسانك ولو ظا في أهواء ، أو مشى على الماء ، ن يحرج عن الأمر واليهي الشرعيس ، بل عليه أن يعص الأوامر ويدع المحصور إلى أن يموت وهذا هو الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف ، وهذا كثير في كلامهم)^(٢) .

(١) مقاصد الإمام النووي في التوحيد والعبادة و صول التصوف ص ٢٠ توفي الإمام

النووي سنة ٥٦٧٦ هـ في قرية من قرى الشام تسمى نوى

(٢) مجموع فتاوى أحمد بن تيمية ج ١٠ ص ٥١٦-٥١٧

١٣- الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى

ذَكَرْتُ «المسلم مجنة العشيرة المحمدية» تحت عنوان . الإمام الشاطبي^(١) صوفي سني لنسب أبي التقي أحمد حليل (كتب الاعتصام من الكتب التي يعتبرها المؤسسة مرجعاً أساسياً لبعض آرائهم ، ويرون في الشيخ أبي إسحاق الشاطبي إماماً لهم ، وقد عقد الإمام الشاطبي في كتابه هذا فصلاً كريماً عن التصوف الإسلامي ، وأثبت أنه من صميم الدين ، وليس هو مبتدعاً ، ووفى لمقامه ذلك بما تحرس به لالس ، وتسلم له لعقول والقلوب ، فاستمع إلى الإمام لشاطبي يقول :

إن كثيراً من الجهال ، يعتقدون في الصوفية أنهم متساهلون في اتباع ولتزم ما نه يأت في الشرع ^{للتزام} مما يقوون به ويعملون عليه ، وحاشاهم من ذلك أن يعتقدوا أو يقولوا ^{لأنهم} فأول شيء نوا فيه طريقهم تناع اسنة واجتنب ما يحلها ، حتى رعم مدكرهم وحفظ مخدمهم ، وعمود نحتهم أو لقسمة لقصير . إنهم إنما احتصروا باسم التصوف نمراداً به عن أهل البدع فذكر أن لمسلم بعد رسول الله ﷺ سم يتسم أقاصليهم في عصرهم باسم عني سوى لصحة ، إذ لا فضيلة فوقها ، ثم سمي من بلهم التابعون ، ثم اختلف الناس ، وتفاوت المراتب ، فقليل خواص الناس ممن لهم شدة عناية في الدين . نرهاد وعتاد قال : ثم طهرت البدع وادعى كل فريق أن فيه هاد وعتاداً ، فانفرد خواص أهل لسة ، امرأون أنفسهم مع الله ، والحفظون قلوبهم عن الغفلة باسم لتصوف ، فأمر نعم ، والله أعلم^(٢) .

(١) الشاطبي هو إبراهيم بن موسى النحوي الشاطبي المالكي المتوفى سنة ٧٩٠هـ

(٢) المسلم مجنة العشيرة المحمدية ، عدد دي المدة سنة ١٣٧٣هـ

١٤- ابن خلدون رحمه الله تعالى :

وقال ابن خلدون رحمه الله تعالى في كلامه عن علم الصوف (هذا
اعلم من العلوم الشرعية الحادثة هي لمة ، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم
لم ترل عند سلف الأمة وكبرها من اصحابه واستبعين ومن بعدهم طريقة
الحق والهدية ، وأصلها العكوف على لعباده والانقطاع إلى الله تعالى ،
والإعراض عن دحرف الدنيا ورقتها ، وازهد فيم يُهمل عليه لجمهر
من لذة ومدل وجاه ، والانهرد عن لخلق في الحيرة للعبدة وكاد ذلك
عماماً في لصحابة ولسف ، فلما فشا الإقال على الدنيا في القرن لثاني
وم بعده ، وجنح الناس إلى مخالطة لدي ، تختص المقبلون على
العبادة باسم الصوفية ^(١) .

١٥- فاح الدين السبكي رحمه الله تعالى .

وقال الشيخ تاج الدين السبكي رحمه الله تعالى في كتابه معبد العلم
وميد القم ، تحت عنوان الصوفية . (حَيَّاهُمُ اللهُ وَيَّاهُم وَجَمَعَنَا فِي
الْحَنَّةِ نَحْنُ وَيَّاهُم . وقد تشعبت الأقوال فيهم تشعباً ناشئاً عن اسهول
بحقيقتهم كثرة لمتلئسير بها ، بحيث قال الشيخ أبو محمد الحويسي
لا يصح الوقف عليهم لأنه لا حد لهم والصحيح صحبه ، وأنهم
المعرضون عن الدنيا المشتغلون في أغلب لأوقات بالعبادة ثم تحدث
عن تعاريف التصوف إلى أن قال : والحاصل أنهم أهل لله وخاصته الذين

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٣٧٨ وهو عند لرحمر بن الشيخ أبي بكر محمد بن خلدون
الحضرمي ولد عام ٧٢٢هـ ، توفي سنة ٨٠٨هـ

ترتحي الرحمة بذكرهم ، ويستنزل الغيث بدعائهم ، فرحني الله عنهم
وعناهم (١) .

١٦- جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى :

وقد العلامة المشهور جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى في كتابه
بأييد الحفيظة لعلية : (إن التصوف في نفسه علم شريف ، وإن مداره
على اتباع السنة وترك البدع ، والنبزي من النفس وعوائدها وحصولها
وأعراضها ومراداتها واختياراتها ، والتسليم لله ، والرعي به وبقضاءه ،
وطلب محبته ، واحتقار ما سواه . وعلمت أيضاً أنه قد كثرت فيه لدخيل
من قوم تشبهوا بأهله وليسوا منهم ، فدخلوا فيه ما ليس منه ، فآدى ذلك
إلى إساءة الظن بالجميع ، فوجه أهل الإلحاح للتمييز بين الصنفين ليُعلم
أهل الحق من أهل الباطل ، وقد تأملت الأمور التي أنكرها أئمة لشرع
على لصوفية فلم أر صوفياً متحققاً بقول بشيء منها ، وإنما يقول بها أهل
البدع والغلاة الذين ادَّعوا أنهم صوفية وليسوا منهم) (٢)

١٧- ابن عابدين رحمه الله تعالى :

وتحدثت خاتمة المحققين العلامة الكبير والفقيه الشهير الشيخ محمد
أمين المشهور ناس عابدين رحمه الله تعالى في كتبه المسمى مجموعة
رسائل أس عابدين الرسالة لسابعة [شفاء الخبيث ونل الغيب في حكم

(١) كتاب معيد النعم ومسيد النقم ص ١١٩ للإمام تاج الدين عبد الوهاب السكي السوفي
سنة ٧٧١هـ

(٢) تأييد ، بحقيقة العلية ص ٥٧ - بالعلامة جلال الدين السيوطي المحتوى سنة ٩١١هـ

الوصية بالحتمات والتهليل [عن البدع الدخيلة على الدين] من يحرى في
 المآثم والحتمات ، من قبل أشخاص قريّوا بري العلم ، وانتحلوا اسم
 لصوفية ، ثم استترك الكلام عن الصوفية ، صدق حتى لا يُظن أنه
 يتكلم عنهم عامة فقال . (ولا كلام لنا مع الصُّدُق من سادات الصوفية
 المبرّنين عن كل حيلة رديّة ، فقد سُئلَ إمامُ الطائفة سيدنا الحيد : إن
 أفر ما يتواجدون ويتميلون ؟ فقال دعوهم مع الله تعالى يرحون ،
 فإنهم قوم قطع الطريق كبدّهم ، ومُرّق الصبّ فؤادهم ، وصافوا ذرعاً
 فلا حرج عليهم إذا تنصّوا مدواه لحالهم ، ولو ذُقت مدافعهم عذريتهم في
 صياحهم ويمثل ما ذكره لإمام الحيد ، أجاب العلامة الشحرير ابن
 كمال بثب ما استمعتي عن ذلك حيث قال

ما في لتواخذ إن حققت من خرج
 ولا تتميل إن أخلضت من بأس
 فقمّت تسعى على رخصتي ~~والحق للفقير~~

دعاه مولاه أن يسعى على الرّاس

الرخصة فيما ذكر من الأوصاف عند الذكر والسماع لعارفين الصّرفين
 أوفاتهم إى أحسن الأعمال ، السالكين لملكين لصبط أنفسهم عن قبائح
 الأحوال ، فهم لا يستمعون إلا من لإله ، ولا يشتاقون إلا له ؛ إن ذكره
 سحوا ، وإن شكروه بحور ، وإن وحدوه صاحوا ، وإن شهدوه
 استراحوا . وإن سرحو في حصرات فربه ساحوا . إذا غلب عليهم الوحد
 بعلماته ، وشربوا من موارد إراداته ، فمنهم من طرقته طوارق الهيبة محرّ
 ودب ، ومنهم من يرفث له بورق اللطف فتحرك وطاب ، ومنهم من
 طلع عليهم الحب من مصلح لقرب فسكر وعذب هذا ما عرّ لي في
 الجواب ، والله أعلم بالصواب .

وأيضاً فإن سماعهم ينتج المعارف الإلهية ، والحقائق الربانية ، ولا يكون إلا بوصف الذات العلية و لمواظب الحكيمه ، ولمدايح النبوية .

ولا كلام لما أيضاً مع من اقتدى بهم ، وراك من مشربهم ، ووجد من نفسه لشوق والهييم في ذات لمك العلماء ، من كلام مع هؤلاء العوام ، الفسفة الشام . . إلخ (١)

١٨- الشيخ محمد عبده رحمه الله تعالى

ذكرت مجلة المسلم مفاة تحت عنوان رأي الشيخ محمد عبده في التصوف ، نقلها عنه المرحوم الشيخ علي محفوظ في رسالة الإبداع فكان (قال الشيخ محمد عبده رحمه الله تعالى قد اشتبه على بعض الباحثين في تاريخ الإسلام وما حدث فيه من البدع ، لعدت التي شوهت جماله . السب في سقوط المسمين في الجهل ، فظنوا أن التصوف من أقوى الأسباب لوقوع المسمين في الجهل بدينهم وتعددهم عن التوحيد لخالف لدي هو أس الحاة ، ومدا صحة الأعمال ، وليس الأمر كما ظنوا ، فذكر لك لعرص مه عى وحه الإجمال ، وما ل إليه أمر بعد ذلك .

ظهر التصوف في العرور الأولى للإسلام ، فكان له شأن عظيم ، وكان المقصود منه في أول الأمر تدعيم لأخلاق وتهذيب النفوس ،

(١) الرسالة السابعة ، شفاء العليل وبل العليل في حكم الرخصة بالحتمات واليهليل من ١٧٢ ١٧٣ للمقيه الكبير ابن عابدين ولد سنة ١١٩٨ و توفي ١٢٥٢ هـ وقد ذكرنا سابقاً شيئاً من ترجمته .

وترويضها بأعمال الدين وجسدها إليه ، وجعله وحداناً لها ، وعريفها بحكمه وأسرره بالتدريج . وكان الفقهاء الذين وقفوا عند صواهر لأحكام المتعلقة بأعمال الجورح والمعاملات ينكروا عيهم معرفة أسرار الدين ، ويرمونهم بالزيغ والإلحاد ، وكانت لسلطة الفقهاء لحاجة لأمراء ولسلاطين إليهم ، فاضطر الصوفية إلى إخفاء أمرهم ، ووضع لرموز والاصطلاحات الخاصة بهم ، وعدم قبول أحد معهم إلا بشروط وحسار طويل ، فقلوا لاند فيمن يحب أن يكون معاً أن يكون أولاً طالباً فمربداً فسالكاً ، وبعد السوك إما أن يصل وإما أن يقطع ، فكانوا يحتبرون أخلاق لطلاب وأطوارهم سماً طويلاً ، ليعلموا أنه صحيح الإادة صادق العزيمة ، لا يقصد مجرد لوقوف على أسرهم ، وبعد الثقة يأخذونه بالتدريج شيئاً شيئاً (١)



١٩- الأمير شكيب أرسلان رحمه الله تعالى

جاء في كتاب حاصر اعالم الإسلامي للأمير شكيب أرسلان رحمه الله تعالى بحث عنوان : بهضة لإسلام في أفريقيا وأسبابها (وفي القرن ثامن عشر ولتاسع عشر حصلت بهضة جديدة عند أتباع لطريقتين : القادرية واشاذية ، ووجدت طريقتان ، هما : التيجانية ولسنوسية

فالقادرية هم أحسن مشري الدين الإسلامي في عربي أفريقيا من السبغال إلى نين التي بقرب مصب البحر . وهم بشرون الإسلام

(١) مجلة المنصور - العدد السادس - عره : محرم ١٣٦٨ هـ - ص ٢٤ ولد لشبح محمد عبده ١٢٦٦ هـ وتوفي ١٣٢٣ هـ في مصر

بصريفة سلميه باستجارة ولتعليم ، وتجد التجار الذين من السنوسية والماندحولة المستشرين على مدن ليجر وفي بلاد كارتا وماسية ، كلهم من مريدي الطريقة القادرية . ومن مريديهم من يخدمون في مهنة الكفاة والتعقيم ، ويمتحنون كتابات ليس في رواب الطريقة فقط ، بل في كل القرى ، فيلقون صغار النح ادين لإسلامي أثناء التعليم ، ويرسلون النجباء من تلاميذهم على نفقة الروا إلى مدارس طرابلس والفيروا وحامع القرويين نفاس واحامع الأزهر بمصر فيخرجون من هناك طلبه محازين ، أي أساتذة ، ويعودون إلى تلك البلاد لأجل مقدومة التشير المسحي في السودان (١) .

وتحدث عن شيع الطريقة القادرية فقار : (وكان عند القادر اجيلاتي الموحد في جيلان من فارس متصوفاً عظيماً زكي الشاة ، وله أتبع لا يحصى عددهم ، ووصلت طريقته إلى أسابيا ، فلما زالت دولة العرب من عرصة انتقل مركز الطريقة القادرية إلى فس ، وبواسطة أوار هذه الطريقة زالت البدع من بين العرب ، وتمسكو بالسنة والجماعة ، كما أن هذه الطريقة هي التي في القرن الخامس عشر ، اهتدى على يدها ريوخ غربي أفريقيا

وتحدث عن السنوسية فقال : فالسنوسية شروا صريقتهم في ودي والباثيرمي وبوركو ، وتبعوا نهر بيوى إلى أن بلغوا النيجر الأدنى حيث وجدهم يهدون تلك القائل إلى الإسلام . وبواسطة السنوسية صارت نواحي بحيره تشاد هي مركز الإسلام لعدم في أوسط أفريقيا ، ويقوم عدد مريدي اضرiffe لسنوسيه بأربعة ملايين ، وطريقة هؤلاء الجماعة في

(١) حاصر العالم لإسلامي ج ٢ . ص ٣٩٦

التبشير هي أن بشرو الأرقاء صغراً من السودان ، ويرثوهم في حبوب وعذامس وغيرها ، ثم منى بنغوا أشدّهم وأكموا تحصين العلم أعتقوهم ، وسرحوهم إلى أصراف السودان ، يهدون أثناء جلدتهم الدقير على الصنيشية .

وهكذا ير حل كل سنة عدت من مبشري السنوسية لبث دعاية الإسلام في جميع أفريقيا الداخلية ، من سواحل الصومال شرقاً ، إلى سواحل السينغامبية غرباً ، وبقد حدا سيدي محمد لمهدي وأخوه سيدي محمد الشريف حده والدهما في السعي إلى الغرض الذي توخاه ، ألا وهو تخليص الإسلام من النفوذ الأجبي ، وإعادة الإمامة العامة كما كانت في عصر الخلفاء وبالإجمال . فإن مرادي هذه الطرق هم الذين سعوا في نشر الإسلام ، ووقفوا إليه في أفريقيا (١) .

وتحدث عن السنوسية أيضاً بقوله : (رأيي ديس أقطع من لمشرين السنوسيين الخمس انغير الذين جرّحتهم ذواب لصحراء ، وهم يُعَلّوون بالآلوف المؤلفة ، وما انكوا يجوبون كل بلاد وثنية مبشرين بالوحدانية داعين إلى الإسلام . وهذه الأعمال التي قام بها المبشرون المسلمون في غربي أفريقيا وأوسطها خلال لقرن التاسع عشر إلى اليوم تعجيب من العجائب الكبرى ، وقد اعترف عدد كبير من الغربيين بهذا الأمر ، فقد قال أحد الإنكليز في هذا الصدد منذ عشرين سنة . إن الإسلام ليفوز في أواسط أفريقيا فوراً عظماً ، حيث الوثنية تختفي من أمامه خفاء الطلام من فلق الصباح ، وحيث الدعوة البصرنية كأنها خرافة من الخرافات .) (٢) .

(١) «حاضر العالم الإسلامي» ج ٢ . ص ٤٠٠

(٢) «حاضر العالم الإسلامي» ج ١ . ص ٣٠١ .

وتحدث عن الطريقة الشاذلية فقال (وأما الشاذلية فنسبتها إلى أبي الحسن الشاذلي ، أخذ عن عبد السلام بن مشيش ، الذي أخذ عن أبي مدين وكانت ولادة أبي مدين في إشبيلية سنة ١١٢٧ ميلادية ، وقرأ في فاس ، وحج البيت احرام ، ثم سافر يعلم التصوف في بحاية ، وتبعه خلق كثير وهي من أويات الطرق التي أدخلت التصوف في المغرب ، ومركزها بوبريت هي مراکش وكان من أشياحها سيدي العربي الدرقوي المتوفى سنة ١٨٢٣م الذي أوجد عند مريدبه حماسة دينية شديدة امتدت إلى المغرب الأوسط ، وكان للدرقوية دور فعال في مقاومة المنح لفرنسي)^(١) .

وحتم الأمير شكيب أرسلان موضوعه عن نهضة الإسلام في أفريقيا فقال (وأكثر أسباب هذه النهضة الأخيرة راجعة إلى التصوف والاعتقاد بالأولياء)^(٢) .

٢٠- الشيخ رشيد رضا رحمه الله تعالى .

قال الشيخ رشيد رضا رحمه الله تعالى (لقد انورد الصوفية بركن عظيم من أركان الدين ، لا يصوابهم فيه مصاوغ ، وهو التهذيب علماً وتحققاً وتحققاً ، ثم لما دوت العلوم في الأمة ، كسب شيوخ هذه لطائفة في الأخلاق ومحاسبة النفس .)^(٣) .

(٢٠١) «حاضر العالم الإسلامي» ج ٢ . ص ٢٩٣ ، ٢٩٦

(٢) مجلة المنار السنة الأولى ص ١٢٦

٢١- الشيخ محمد راجب الطباخ رحمه الله تعالى :

قال الأستاذ والمؤرخ محمد راجب الطباخ رحمه الله تعالى في كتبه الثقافة الإسلامية : (فإذا كان التصوف عبارة عن تركية النفوس وتصفية الأخلاق ، فنعم المذهب ونعم المقصد ، وذاك هو العاية من بعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ففي الحديث عنه عليه الصلاة والسلام « إنما بُعثت لأنعم مكرم الأخلاق »^(١) . وقد تأمننا سيرة لصوفية في القرون الأولى من الإسلام ، فوجدناها سيرة حسنة حميلة مسية على مكارم الأخلاق والورع والعبادة ، مطبقة على الكتاب والسنة وقد صرح بذلك سيد هذه الطائفة أبو القاسم لحيد رحمه الله تعالى كما في ترجمته في تاريخ بن حنبل حيث قال . مذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة

وفي شرح الإحياء للعلامة الزبيدي ص ١٧٤ . وقال لحيد الطرق كلها مسدودة على الحق ، إلا على من قفى أثر الرسول ﷺ . وهي في ترجمته في الرسالة [الفسيرية] ص ١٩ . وفيها . قال لحيد من لم يحفظ لقرآن ، ولم يكتب الحديث ، لا يقتدى به في هذا الأمر ، لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة . ثم قال بعد أسد عن الحنيد . مذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة . وقال الحنيد علمنا هذا مشيد بحديث رسول الله ﷺ

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد في باب حسن الحق عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وأخرجه الإمام أحمد والبيهقي وأماكم في ترجمة السوية وقول صحيح على شرط مسلم

وقال سري اسقضي : التصوف سم لثلاثة معان : وهو الذي لا يصفىء نور معرفته نور ورعه ، ولا يتكلم بطن عدم ينقضه عنه ظاهر الكتاب ، ولا تحمله لكرامات على هتك محارم الله تعالى .

وفي شذرات لذهب ج ٥ ص ٢٧٩ في ترجمة أبي الحسن الشاذلي ، ومن كلامه كن عدم تسبق إيت فيه الحواطر ، وتميل النفس وتلتد به فارم به ، وحد بالكتاب والسنة

ولغيرهم في هذا الباب عذرات كثيرة ، تحدها مشورة في كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف للإمام كلابذي ، وفي ارسالة لقشيرية وغيرهما .

وهؤلاء فوق ما انصهوا به هم تهذيب انفس والورع والزهد وعبادة ، قد قاموا في عصورهم بالواجب عليهم ، من إرشاد اسحق إلى الحق ، والدعوة إليه ، وحذهم الناس عن اتكالب على لذيذ وجمع حطامها من أي وجه كان ، والاسترسال في الشهوات والملكيات مما يؤدي إلى الانهماك في المحرمات والغفلة عن الواجبات وما خلق للإنسان له ، وتكون نتيجة ذلك انتشار لموضى ، وظهور الفساد ، وكثرة السغي والهرج .

فكان هؤلاء يعطهم ويرشادهم ، واليحكم والحقانو لتي تفجرت من سابع قلوبهم ، هم حراس لأخلاق ، والأحدين بيد الأمة إلى مذهب الحق وسبل الرشاد ، والدعاة إلى السعادة الحقيقية ، وهي قيام الإنسان بجميع ما أمر به مع عدم نسبته بصبية من الدنيا . فكانوا في جملة السامعين في هذه الأمة والمحبيين لقوله تعالى : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران ١٠٤]

فسلفُ لصوفية هم أعلام الملة وسدده الأمة وسراحها الوهاج ونورها
الوضاح ، وبهم وبأمثالهم من المحدثين والفقهاء اهتدت الأمة إلى
الصراط المستقيم ، وسلكت المنهاج القويم ، وتنظمت أحوال
معاشهم ، وصلحت أمور معادهم ، وهزوا فوراً عظيماً

وإذا تتبعنا أثر الصوفية وراحهم ، نجد أن الكثير منهم قد كان
للواحد منهم أتباع يعدون بالآلاف ، كلما انتسب إليه شخص حتى يبه
وبين سابقه ، فتمكنت بين أتباعه وانتميين إليه أواصر الألفة وروبط
المحبة ، وتواسوا فيما بينهم ، وتوصوا بالحق ، وعطف عشهم على
فقيرهم ، ورحم كبيرهم صغيرهم ، وأصبحوا بعمدة الله إخواناً ،
وصاروا كاجسد الواحد ، وكانوا في منتهى الصداقة والانقياد لشيوخهم ،
يقومون لقيامه ، ويقعدون لقعوده ، ويمشون بأوامره ، ويتبدرون لأدب
إشارته .

ومن جليل أعمال الصوفية وتأثيرهم في الأمة الإسلامية أن
المسوك والأمراء متى قصدوا الجهاد ، كان لكثير من هؤلاء إيعار ،
وبعير إيعار يُحرّصون أتباعهم على الخروج إلى الجهاد . ولعظم
عتمادهم فيهم ، وانقيادهم لهم كانوا يسدرون إلى الانظام في سلك
لمجاهدين ، فيجتمع بذلك عدد عظيم من أطراف ممالكهم ، وكثير
ما كان أولئك يرافقون لجيش بأنفسهم ، وبدافعون وحرّصون ، فكانوا
ذلك سبباً للظفر والنصر .

وإذا تتبعنا بطون التاريخ وحدثت من ذلك شيئاً كثيراً ، على أنه
لا ننسى أن مثل هذا العمل قد كان في كثير من المحدثين ولعلماء
العالمين .

ومن آثار الصوفية أنه إذا حصل اختلاف بين الناس في أمور دينهم

وخصوصاً بين إخوانهم المنسويين إليهم ، فإنهم يرجعون إلى شيخهم ،
فيحصل بينهم بما أنزل الله ، ويعودون وهم رصوص ، ويستغفون عن
الترافع إلى الحكام لفصل ما بينهم من الخصومات

وهذا مما شاهدناه بأعياننا ، وسمعناه بأذاننا في أرائل هذا القرن من
عصر نقاياهم ، بل كان بعض الناس يُنذر أحياه بالشكوى إلى الشيخ إن لم
يتصفه ، فيعود هذا إلى حظيره الحق حشية أن يبلغ الشيخ عنه شيئاً ، وهو
يحرص أن نقى سمعته لديه طيبة وسيرته حسنة ^(١)

٢٢- أحمد الشرباصي

قال الأستاذ لشيخ أحمد الشرباصي الكاتب الإسلامي المعروف
والمدرس في الأزهر الشريف في مجلة الإصلاح الاجتماعي تحت
عنوان : الأخلاق عند الصوفية ، بعد أن تحدث عن التصوف وتعريفه
واشتقاقه (وأنا أعتقد أن حقيقة التصوف الكاملة ، هي مرتبة الإحسان
الذي حدده رسول الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام في حديث حريص
حين قال : الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإياه
يراد ^(٢)) ومن هذا تبهم أن كثيراً من أدعياء التصوف لا ينطق عليهم
ذلك العانول الدقيق العميق ، فهم عن حقيقته خارجون

وأساس الصوف في الواقع هو برقة الدوق ولخلق الكريم يس إلا
دوق سيمياً ، تتعلب به شخصية الإنسان على شخصية لحيوان في حياه
الناس

(١) الثقافة الإسلامية للمؤرخ الكبير الأستاذ محمد رابع الصباح ص ٣٠٢-٣٠٤ ولد

١٢٩٣ هـ ونوفى ١٣٧٠ هـ في حلب

(٢) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان عن عمر رضي الله عنه

وقد اهتم الصوفية أكثر الاهتمام بالأخلاق ، بل لقد جعلوا الأخلاق في مباحثهم ، هي العماد والسدد ، وهي عمود أمرهم كله ، بحيث لو رفعت كلمة التصوف ، ووضعت بدلها كلمة الأخلاق لما عارفت الحقيفة . ولما جابت الوقع في قليل أو كثير ، لأن العمدة في التصوف على مجاهدة النفس ونظهيرها ، وبحليتها بكل حمل وكمل ، وهذا جمع مكارم الأخلاق

ولقد كان من مظهر اهتمام الصوفية بالجوانب الأخلاقية أنهم تسوّ حركة الفتوة ومبادئ المرومية ، ومرجوا بين مبادئهم ومبادئ افئنان ، حتى تكوّن من ذلك في دريخ الفتوة فصل مستقل ، يخذ عنوان فتوة الصوفية . ومن هذا أحد الصوفية مبراً لإيثار ، وقديم لغير على النفس ، حتى قال القشيري : أضلّ الفتوة أن يكون العبد أداً في أمر غيره . وقال بن أبي بكر الأهوازي : أضلّ الفتوة ألا يرى لنفسك فضلاً أداً

وأخذوا بمبادئ كفّ لأفئى عبوديتهم ، وكفّ الشكوى ، وسرّ ليلوى ، والعفو عن أعداء ، والسئو إلى أعلا .

وهم يأخذون بالمدأ الأخلاقي المحمدي « طوبى لمن شغفه عيّه عن عبوب الناس »^(١) ، لذلك يقول ابن عطاء الله السكندري ، وهو ممن جمع بين عمق التفكير وروعة التعبير : تشوّفك إلى ما بطن فيك من لعيوب خيرٌ من تشوّفك إلى ما حُجبَ عنك من العيوب .

ومن منهاج لصوفية الأخلاقي عملهم بمختلف لوسائل و لأسباب على إمّة المصطام ، لفوى الشخصية الروحية في نفس الإنسان . ولذا قال أبو بكر الوراق وهو من أعلام القوم : لو قيل لنطمع من أبوك ؟

(١) رراه لديمي في المردوس عن أنس رضي الله عنه

لأجابه الشك في المقهور فلو قيل له فما هي حرفتك ؟ لأجاب .
اكتساب الذن ، فلو قيل له فما هي عايتك ؟ لأجاب الحرامان . وفي
هذا المجاز يقول ابن عطاء الله لسكندري ما سَقَفْتَ أَغْصَانُ ذَنْبٍ إِلَّا عَلَى
بَدْرٍ طَمَعٍ

وقد قدم الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه البصرة ، فدخل
حامعها ، فوجد القُصَّاص يقصون على الناس ، فأقدمهم ، حتى إذا جاء
إلى الحسر البصري ، وهو سيد القيان عبد الصوفية ، فقال له عبي
يا فتى ! إني سائلك عن أمر ، فإن أحسنتي أُنَبِّئُكَ ، وإلا أقصك كما أقص
أصحابك . وكان قد رأى عليه سُمّاً وهدياً . فقال الحسر : من
ما شئت فقال علي : ما مِلَاكُ الدين ؟ فقال الحسر : النور . قل .
فما فسد الدين ؟ قال الطمع . قال الحسر ، فمثلك من يتكلم على
الناس

وهم ابن عطاء الله السكندري يوماً يشيء من الصمغ ، فسمع هتافاً
يقول به لسلامة في الدين بترك الطمع في المحلوقين

وصاحب الصمغ لا يشبع أبداً ، ألا نرى أن حروفه كلها معجزة ،
إطاء و لمية والعين ؟ ولما علم الصوفية أبعادهم القناع والاستعناء
فتحوا أمامهم الباب إلى الألف والعرة ، ومن هنا نراهم يحدثون كثيراً عن
استحقاقهم بالنبي والبناء ، وعدم اكتراثهم بالطغيان أو الطغاة ، وعدم
اغترارهم بلجاء أو أصحاب الجاه

ومن مهاج الصوفية الأخلاقي الدعوة إلى التضحية والجهاد ،
والتحريض على استجابة داعي الكفر والاستشهاد

ومن مهاجهم الأخلاقي تعليم الصبر والمبالغة فيه ، وكذبت أقول
والإسراف فيه ، فلم يدخل دو النور على أح له صوفي مريض ، وشتت

الداء به فإنَّ الله ، فقال له ذو النون ليس بصادق في حبه من لم يصبر على ضربه فقال المريض كالمستدرِك : بل يس بصادق في حبه من م يتلدد بضربه . .

ومن منهاجهم الأخلاقي التنشئة على المرافة لله ، حتى يرث العبد من وراء هذه لمراقبة صلة بالله وقرأ منه ومن لصائفهم في اتربية الأخلاقية ، أهم يطالون إخوانهم باليسر والسهولة والمطوعة في الصداقة ، حتى لا تكون هناك كلفة ، وما دام الصوفي قد وثق بأخيه ديناً وخلقاً وتصرفاً ؛ فلا محل لاعتراضه عليه في شيء . ويتصل بهذا تنفيرهم من الاختارار بلطعة ، وإبعادهم عن ليأس من المغفرة .

ومن منهاجهم الأخلاقي تعميم الثبات والبراعة وعدم الاستحابة لدواعي الاستخفاف^(١)



وقال الأستاذ أحمد الشرباصي أيضاً في تقديمه لكتاب نور التحقيق : (هذا هو التصرف الجليل انبيى ، أضاعه أهله ، وحاف عليه أعداؤه الصرحاء ، وشوّه حماله أدعيؤه الخثاء ، وتطاول عليه الزمن ، وهو مجهول منكور ، أو مدموم محذور ، عسى الرغم من حماله وعظم رجاله لمضين وأبطاله ، واتسع اختصاصه ومجمله ، وخطورة أقواله وأعماله ، فعدا كاندرة اشمينة حجبته المفضف السود ؛ فظننها لحاهدون سوداء بسواد لفائفها ، وهم لو وصنوا إبيها ، وجلّوا عنها ما حاق بها و حاطها من أستار لانبهرت أعينهم من ساطع الضياء وفريد البهاء

لهي على التصرف الحق الناطق بنقائه وصمائه ، أين الدين يطيعون لجباري من أبناء الكون على ما فيه من أخبار وأسرار ؟ أين الدين

يصرخون بين القطعان الضالة من اسشر ، سفولو لها . إن لتصوف حرم من الإسلام وجانب من هدي الرسول عليه الصلاة والسلام ، وأن التصوف مظلوم ، فقد أصيب إليه كثير مما ليس منه عن حسن بية أو سوء قصد ، وقد كتم أدعيائه كثير من أموره ، وقد تطاول عليه بالتحريف مؤم نكرك حسابهم إلى الله ، وقد تسرع بالسحرية منه من لم يتركوا له ، ولم يذوقوا شراره ، ولم يطالعوا كتابه ولم يجد لتصوف الكريم الذي أصابعه الناس مع هذه العوامس الهدامة كلها من يأخذ بتصره ، أو يجلو الغياهب عن مآثره ، أو يعرض على الشائين أو الخطئين سلاسل مفخره وقد علمتنا الدراسات ولتجرب أن الحق إذ لم يجد أهلاً ، ولم يمز مؤيد أو مستجيب انطوي وتوارى ، حتى يهيء الله له بعد قليل أو طوي من يُذكر به أو يدعو إليه ، ثم يحمل الناس رغبة أو رهبة عليه ، فإذا هو بعد انطوائه السيد المطاع .

أرأيت إلى كسر وسيع عجيب وفيه تدخل العرير الذي لا يحصى ، وفيه أدوية الجسم الشافية التي لا تحوون ، وفيه علاج النفس الذي يهيء ، وفيه نور القرب الذي لا يحسو ماذا يكون من شأنك لو أن إسماً أحبرك بوجود هذا الكثر في مكان ما ، ورسم لك الطريق إليه ، وذكر لك ما تحتاجه الرحلة نحوه من مجهود وتكاليف ؟ ألا تحاول أن تدل جهدك وتستنفد طاقتك ، وتعمل وسعك حتى تصل إلى هذا الكثر الذي ستجد عنده جاء لدنيا وعز الآخرة ؟

كذلك شأن التصوف يا صاحب ، إنه لدواء المخمي والكثر المظوي والسر العلمي ، إنه الدواء الذي يحتاج إليه جسمك وفهمك وخلقك ، ولكك لن تصل إليه ولن تسفع به حتى تتجه بمشاعرك نحوه ، وحتى تُقبل بصرك وبصيرتك عليه ، وحتى تدل من دات يدك ، ودات نفسك ومن

وقئت وسحكت ما يهني لك البلوغ إليه ، والوقوف عليه ، فهل فعلت من ذلك شيئاً وقد عرفت الطريق إلى النعم ؟ .

إنه لا يعيبي أبداً أن تكون صوفياً أو لا تكون ، ولا يهمني كثيراً أن تكون من أعداء الصوفية أو من أوليائهم ، ونكر يهمني أولاً وقبل كل شيء أن تكون على بصيرة من أمرك ، وأن لا نجهل شيئاً جليلاً يطالك دينك وعقلك بأن تعرفه ، ومن هن يتحتم عليك أن تدرس التصوف لتتصوره وتفهمه وتفقهه ، وبعد ذلك تحكم به أو عليه ، وأزيدك بياناً فأقول لك إنه قد يكون في التصوف وتاريخه وسير رجاله ما أضيف إليه أو افتراه المفسرون عليه ، ومن هنا يستتر حق وراء باطل ، ومن هنا أيضاً بضالبت دينك بأن تقوم لتهتك حجاب باطل ، وتستضيء بنور الحق . . . فهلاً يكفي ذلك لتحريصك على دراسة التصوف ؟ .

وكم أود في النهاية أن تقوم حركة علمية واسعة شتى ، تدور حول دراسة التصوف ونشر أسفاره ، وتمحيص أموره وموضوعاته ، بل وسط ما بلحى به من شطحات باية وحرافات منكزه ودمشس حيثة ، حتى يعرف لاطل وتبين حدوده ، ثم نكّر عليه بالحجة الدامعة ، فإد لاطل راهى ، وإدا الحق سيد مطع

يا أبناء الإسلام ! إن التصوف يحفل من أخلاقكم وتريحكم حاشاً كبيراً ، وقد صيغتموه أرمياً طرالاً ، فحشكم ما كان ، وأقبلوا على التصوف فيه عذاء ودراء ، والله ليهادي إلى سبيل السواء (١)

٢٣- أبو الحسن السدي :

يقول أبو الحسن علي الحسني السدي عضو المجمع العلمي العربي بدمشق ومعتمد لدوه العلماء بالهند في بحث الصوفية في الهند وبأثيرهم في المجتمع ، من كتابه المسلمون في الهند (إن هؤلاء الصوفية كانوا يبايعون الناس على لتوحيد والإخلاص واتباع السنة ، ولتوبة عن المعاصي وطاعة الله ورسوله ، ويحذرون من لمحشاء والمنكر والأحلاق السيئة والظلم والقسوة ويرغبونهم في التحلي بالأحلاق الحسنة ، والتحلي عن الرذائل مثل الكبر والحسد والبغضاء ولطم وحب الجاه ، وتركه انفس وإصلاحه ، ويعلمونهم ذكر الله ونصح لعهده والقناعة والإيثار ، وعلاوة على هذه البيعة لم يكن كانت رمز الصلة العميقة الخاصة بين الشيخ ومريديه إنهم كانوا يعطون الناس دائماً ، ويحاولون أن يُلهموا فيهم عاطفة الحب لله سبحانه ، ولحبيب إلى ربه . ورغبة شديدة لإصلاح النفس وتغيير الحال .

ثم تحدث عن مدى تأثير أخلاقهم وإخلاصهم وتعليمهم وتربيتهم ، ومحاسنهم في المجتمع والحياة ، وضرب بعض الأمثلة التي تلقى الصوة على هذا الواقع التاريخي فتحدث عن الشيخ أحمد الشهيد رحمه الله تعالى فقال : إن الناس أقبلوا عليه قبالاً منقطع النظير ، وإنه لم يمر ببلدة إلا وقاب عليه ، وبايعه عدد كبير من الناس ، وإنه أقام في كلكتة شهرين ، ويقدر أن الذين كانوا يدخلون في البيعة لا يقل عددهم عن ألف نسمة يومياً ، وتستمر البيعة إلى نصف الليل ، وكان من شدة لرحم لا يتمكن من مبايعتهم وحداً واحداً فكان يمد سبعة أو ثمانية من العمائم ، ولناس

يمسكونها ويتوبون وعاهدون الله ، وكان هذا دأبه كل يوم سبع عشرة أو ثمانى عشرة مرة .

وتحدث عن شيخ الإسلام علاء الدين رحمه الله تعالى فقال : إن السنوات الأخيرة من عهده ، تمتاز بأن كسدت فيها سوق المسكرات من الحمر والعرم ، والفسس والفحور ، والميسر والمحشاء بجميع أنواعها ، ولم تنطق لألسن هذه الكلمات إلا قليلاً ، وأصبحت الكبرياء تشبه الكمر في أعين الناس ، وطلأ الناس يستحيون من التعامل بلربا والادحار ولاكتار علماً ، وندرت في السوق حوادث الكذب والتطعيم والعش ثم قال : إن تربيته هؤلاء للصوفية والمشييع ومجالسهم كانت تشيء في الإنسان رغبة في إعادة لباس وحرصاً على خدمتهم ومساعدتهم

ثم بين الأستاذ الشوي أنه تأثر هذه لمواعظ ، ودخول الناس في الدين ، وسقيادهم للشرع أدى إلى أن تعطلت تجارة الخمر في كلت وهي كبرى ما ن الهند ومركز الإنجليز ، وكسدت سوقها ، وأفقرت الحانات ، واعتذر الخمارون عن دفع الضرائب للحكومة ، متعللين بكساد لسوق ، وتعطل تجارة الخمر . ثم قال إن هذه الحالة كانت نتيجة أخلاق هؤلاء المصحيح والدعاة والصوفية والمشييع وروحانيتهم ، أن اهتموا بهم في هذه البلاد الواسعة عدد هائل من الناس ، وتبراعوا المعصية والمنكرات واتباع لهوى . لم يكن توسع حكومة أو مؤسسة أو قانون أن يؤثر في هذه المجموعة البشرية لصحة ويحبها سياح من الأخلاق ولما دىء اشريعة لرمي طويس . .

وفي ختام البحث قل الأستاذ الشوي حفظه الله تعالى : لقد كانت هناك بحورد هؤلاء الصوفية أشجار كثيرة وارفة الظلال في مئاث من بلاد

الهند ، استراحت في ظلها القوافل لئلا تنهت ولمسافرون المتعبون ،
ورجعوا لنشاط حديد وحياة جديدة (١)

وتحدث الأستاذ نور الحسن الدوي في كده دحان الفكر ولدعوة
في الإسلام عن لصوفية وأثرها في شر الإسلام بصدد حديثه عن
لصوفي الشهير والمرشد الكبير سيدي عبد القادر الجيلاني قدس الله
روحه ، فقال : (وكان يحضر مجلسه نحو من سبعين ألفاً ، وأسلم
على يديه أكثر من خمسة آلاف من اليهود والصوري ، وقاب على يديه
من العيارين والمسالحة (٢) أكثر من مائة ألف ، وفتح باب البيعة والتوبة
على مصراعيه ، فدخل فيه خلق لا يحصيه إلا الله ، وصلحت
أحوالهم ، وحسن إسلامهم ، وطلّ لشيوخ يربهم ويحسبهم ، ويشرف
عليهم وعلى ندمهم وأصبح هؤلاء التلاميذ الروحانيون يشعرون
بمسؤولية بعد البيعة والتوبة وتجديد الإيمان ، ثم يجيز الشيخ كثيراً
منهم ممن يرى فيه البوع نور الاستقامة واليقظة على التربية ، فينتشرون
في الآفاق يدعون الخلق إلى الله ، ويربون النفوس ، ويحاربون الشرك
وابدع والجاهلية والنفاق ، فتنتشر الدعوة الدينية وتقوم ثبات الإيمان
ومدارس الإحسان ، ومرابط الجهاد ومحامع الأخوة في أنحاء العالم
الإسلامي

وقد كان لحلفائه وتلاميذه ، ولمن سر سيرتهم في الدعوة وتهذيب
النفوس من أعلام الدعوة وأئمة اتريبه في القرون التي تتب فصل كبير في
المحافظة على روح الإسلام وشعبه الإيمان ، وحماسة الدعوة والجهاد

(١) المسلمون في الهند ص ١٤٦-١٤٧ للعلامة الكبير أبي الحسن الدوي

(٢) المسالحة : الجماعة أو القوم ذوو السلاح

وقوة اسمرد على الشهوات ولسلطات ولولا هم لانتلعت المادية التي كانت نسير في رحاب الحكومات والمدنيات هذه الأمة ، وانطفأت شريرة الحياة ولحب في صدور أفرادها . وقد كان لهؤلاء فضل كبير لنشر الإسلام في الأمصار ابعيده التي لم نعزها حيوش المسلمين ، أو هم تستطع إحصاءها للحكم الإسلامي وانتشر بهم الإسلام في أفريقيك لسوداء وفي أندونيسيا وحزر المحيط الهندي وفي لصين وفي الهند^(١) .

وتحدث الأستاذ أبو الحسن الندوي في كتابه روائع إقبال عن زيارته لشاعر بعد أن ذكر إقبال التصوف ورحله والسعيد الإسلامي في الهند بواسطتهم ، وبعد أن أتى على الشيخ أحمد السرهندي والشيخ ولي الله دهلوي والسلطان محي الدين أورد بك ريب رحمهم الله تعالى ، قال .
 بني أقول دائماً : لولا وجودهم سرجهاتهم لانتلعت الهند وحضارتها وفلسفتها الإسلام^(٢)

٢٤- أبو الأعلى المودودي :

فان العلامة الكبير الأستاذ أبو الأعلى المودودي في كتابه مبادئ الإسلام تحت عنوان التصوف (إب علاقة الله بما هي بظاهر عمل الإنسان فقط ، ولا ينظر إلا هل قمت بما أمرت به على الوجه المطلوب ، أم لا ؟ فإن قمت فلا نهمه حل فبك وكميته . أما انشيء الذي يتعلق بالقلب ويبحث عن كميته فهو التصوف . إن الله لا يصر في

(١) راجع لأمكر والدعوة في الإسلام لأبي الحسن الندوي ص ٢٤٨ . ٢٥٠

(٢) روائع إقبال للأستاذ أبي الحسن الندوي ص ٧

صلاتك مثلاً ؟ لا هل قد أتممت وضوءك على الوجه الصحيح أم لا ؟ وهل صليت مولياً وحبك شطر المسجد الحرام أم لا ؟ وهل أدت ركبان الصلاة كلها ، أم لا ؟ وهل قرأت في صلاتك بكل ما يجب أن تقرأ فيها أم لا ؟ فإن قمت بكل ذلك فقد صحت صلاتك بحكم الفقه .

لأن الذي يهم التصوف هو ما يكون عليه قلبك حين أدائك هذه الصلاة من الحالة هل أثبت فيها إلى ربك أم لا ؟ وهل تحرر قلبك فيها عن هموم الدنيا وشؤونها أم لا ؟ وهل أنشأت فيك هذه الصلاة خشية الله وليقين بكونه خيراً بصيراً ، وعاطفة ، ابتغاء وجهه لأعلى وحده أم لا ؟ وإلى أي حد نزلت هذه الصلاة روحه ؟ وإلى أي حد أصلحت أخلاقه ؟ وإلى أي حد جعلته مؤمناً صدقاً عاملاً بمقتضيات إيمانه ؟ . فعلى قدر ما تحصل به هذه الأمور ، وهي من غايات لصلاة وأعراضها الحقيقية ، في صلاته تكون صلاته كاملة في نظر التصوف ، وعلى قدر ما يقصها الكمال من هذه الوجهة ، تكون ناقصة في نظر التصوف .

فهكذا لا يهم الفقه في سائر الأحكام الشرعية إلا هل أدى لمرء الأعمال على الوجه الذي أمر به لأدائها أم لا ؟ أم التصوف يبحث عما كن في قلبه من الإخلاص وصفاء السيرة وصدق انقطاعه عما في يده لأعمال .

ويمكنك أن تدرك هذا الفرق بين الفقه والتصوف بمثل ضربه لك ، إنك إذا أتاك رجل ، نظرت فيه من وجهين . أحدهما . هل هو صحيح لبدن كامل لأعضاء ؟ أم في بدنه شيء من العرج أو العمى ؟ وهل هو جميل الوجه أو دميمه ؟ وهل هو لاس زياً فاحراً أو ثامناً بالة ؟

والوجهة الأخرى إنك تريد أن تعرف أخلاقه وعبادته وحصانه

ومبعه من العلم والعمل والصلاح . فلوحة الأولى وجهة الفقه ،
والوحة الثانية وجهة التصوف

وكذلك إذا رُدَّتْ أن تتخذ أحداً صديقاً لك ، فإنك تتأمل في
شخصه من كلا الوجهين ، وتحب أن يكون جميع لمظهر وجميع
الباطن معاً .

كذلك لا نَجْمُنُ في عين لإسلام ، لا الحياة التي فيها تناع كمر
صحيح لأحكام الشريعة من الوجهتين الظاهرة والباطنة

ومثل الذي طعته صحيحة في الظاهر ، ولكن يعوره روح الطاعة
لحقيقية في الباطن ، كمثل جسد جميل قد هارقه روحه .

ومن الذي في عمله لكمالات لباطنة كلها ، وليست طعته صحيحة
على حسب اوجه المراد في الظاهر كمثل رجل صالح دميم الوجه
مطموس العين أعرج القدمين . وسهل عليك بهذا امثال أن تعرف
لعلاقة بين الفقه والتصوف

ثم تحدث الأستاذ المودودي عن الدخلاء الذين تشبهوا بالصوفية
لبسهم وكلامهم ، وباينوهم بأفعالهم وأخلاقهم وقيوبهم ،
والتصوف منهم براء . وهكذا شأن كل مصنف غير على دينه . ثم
حذر لأستاذ المودودي من هؤلاء المدَّعين فقروا : (ولا يستحق من
لا يتبع الرسول ﷺ اتباعاً صحيحاً ، ولا يتفقه به أرشد إليه من
صراط الحق ، أن يُسمي نفسه صوفياً إسلامياً ، فإن مثل هذا التصوف
لبس من الإسلام في شيء أبداً . ثم بين حقيقة الصوفي الصادق
وحالته لمثالية التي تطبق تعاليم التصوف السامية فقال إنما
التصوف عبارة - في حقيقة الأمر - عن حب الله ورسوله الصادق بل
الولوع بهما واستغنى في سبيلهما ، والذي يقتضيه هذا الولوع والتفاني

ألا يحرف المسلم قيد شعرة عن اتسع أحكام الله ورسوله ﷺ .
فليس التصوف الإسلامي لحالصر شيء مستثنى عن الشريعة .
وإما هو القيام بأحكامها بغاية من الإخلاص ، وصفاء النية وطهارة
القلب (١) .

٢٥- صبري عابدين .

قال الأستاذ صبري عابدين في حديثه في ندوة لواء الإسلام في
موضوع تصوف وعلاقتها بالدين (شهدت بعصي كيف حال الصوفية
في السودان وأريتريا والحبشة والصومال إن السلطة الصوفية للسيد
الميرغني لها اعتبارها ، وبصورة خاصة ولاية القاصي في أريتريا لا توبىها
الحكومة ، إنما هو يولي القاصي والخطيب واسمؤدن ، وله حق لولاية
الدينية بصفته رئيس الطريقة الطوقية

والتواقع أن الصوفية ينشرون الإسلام في العلم . وأذكر لكم أنه مد
حمسين عاماً ، كتب الشيخ البكري كتاباً ذكر فيه نقلاً عن المشير
يقول إن هؤلاء يقولون ما ذهبنا إلى أقاصي لسناطق لعيدة عن
الحصار والمدينة في أريف وأقاصي آسيا إلا وجدنا الصوفي يسقنا
ليها ، وينتصر عليها .

ليت المسلمين يفهمون ما هي الصوفية من قوة روحية ومادية ،
وحدودهم محدود للإسلام رأيت على حدود الحبشة والسودان
وأريتريا بعثة سويديه للتبشير ، ووجدت إلى جانبهم أكوخاً أقامها

(١) مدى للإسلام لأبي لأعلى المودودي ، موضوع التصوف من ١٤- ١١٧

الصوفيون ، وفسدوا على لمشرين السويديين إقامتهم أربعين سنة
ولذلك أرحر أن نتعاون لإخماد هذه الحركات التي تؤدي ، ديباً
وسياسياً ، وإن الدين يحمون على الصوفية ليسوا فوق مستوى
الشبهات ، بل هم غارقون في شبهات إلى أن قل : أكر المصائب
التي أصبت المسلمين أنهم لم يأخذوا بالإسلام كله ، أما الصوفية فقد
أرموا أنفسهم أن يأخذوا بالإسلام كله ، بل زادوا عليه إلههم أرموا
أنفسهم ألا يأخذوا بالرحص بل بالعزائم . مع أن الله يحب أن تؤتى
رحصه كما تؤتى عزائمه . ماذا ؟ لأن مذهبهم يقوم على الزهد
بالمعنى الذي يفهمه العلم ، وأريد على ذلك أن أساس الزهد جاء عن
النبي ﷺ ، فقد كان رسول الله ﷺ راحداً في هذه الحياة ولذا نزلها . عيش
الرسول ﷺ وانتقل إلى الرفيق الأعلى ولم يكل رغيماً مرققاً ، ولا أكر
على حوان .

فرسول الله ﷺ هو المثل الأعلى للخلفاء الراشدين ومن تبعه
والمسلمين كافة والصوفية قد أرموا أنفسهم ، كما نصور على ذلك
في كتبهم ، على أن لا يكون بينهم صوفياً إلا من استمسك بالكتاب
ولسنة ، ووصعوا لك أصولاً في كتبهم : الرسالة لقشيرية لأبي
لحسم القشيري وإحياء علوم الدين للغزالي ، وكتاب حبة الأولياء
لأبي يعيم لأصفهسي ، وكتاب قواعد الصوف لأحمد دروق .

وإنا نقول إن الذين سحنون في بعض العلوم وينتقدونها ، ويكررونها
وهم لم يطلعوا عليها ، مشهم مثل رجل لا يفهم في الطب شيئاً فينكر
الطب . وكالإسكافي الذي سكر الهندسة .

وفي مصر هنا ، في الوقت الذي جاءت حيوش الصليبية إلى دمياط ،
كان للصوفية أمثال أبي الحسن الشاذلي وعز الدين بن عبد السلام ، وأبي

الفتح اس دقيق العيد ، وأحرين من العلماء خدمه حيلة في مقاومة النصيبين^(١) .

٢٦- محمد أبو زهرة :

قال الأستاذ العلامة محمد أبو زهرة في حديثه عن التصوف في بدوة لواء الإسلام . (إن التصوف في ظاهره يتضمن ثلاث حقائق

الحقيقة الأولى محاربة الهوى والشهوة ، والسطرة على النفس وكان لمنصوفة يأحدون بقول أمير المؤمنين عمرو بن الخطاط رضي الله عنه يد يقول أيتها النفس قذعوا^(٢) هذه النفوس عن شهواتها ، فإنها مريئة وبينة أي إن الإنسان يستمرؤها ، ولكن عاقبتها وحيمة

والحقيقة الثانية التي تتضمنها ظاهرة التصوف هي : الاتصال الروحي ومخاطبة الوجدان والنفس .

والحقيقة الثالثة . أن التصوف يقتضي في وقتعه التي برها تابعاً ومتوَعاً ، شيخاً ومريداً ، يقتضي موجهاً وشخصاً يوجهه . يقتضي استهواءً نفسياً وتوحيهاً نفسياً .

وهذه المظاهر ، بصرف النظر عن أن الإسلام قررهما نظاماً ، أولم يقررهما هذه الوقائع الثابتة ، هل يمكن أن تتخذ سبيلاً للإصلاح ، أو أنها ضرر محض ؟

(١) مجله لواء الإسلام العدد ١٤٠ شرب سنة التسعة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م بدوة لواء

الإسلام . الصوفية وعلاقتها بالدين ص ٦٤٥-٦٤٧

(٢) اذعوا من قذع بمعنى مع وكف ، اذع فربه كبحه ، كذا في الفاموس

أمر أنها ضرر محض ، فما نظر أحداً بوافق على ذلك . لأن التصوف حقيقة وافعة ككل الأشياء ، يقل أن يكون ضراً ويقس أن يكون نافعاً ، يقل أن يكون مدموحاً ، ويقل أن يكون مدموماً وحسبنا أن نقول إن الصلاة ذاتها مُدَحَّتْ وذُمَّتْ ، فقال الله تعالى : ﴿ قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴾ [١] أَيْدِيَهُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿ [المعرون : ٥٤] وقال سبحانه في وصف المؤمنين : ﴿ لَدَيْهِ يُسَبِّحُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [٢] وكذلك التصوف لتصوف كما قال الأستاذ فودة هي عصوراً المتأخرة كان له مزيد ، وكانت له آثار واضحة ، فالمسلمون في عرب أفريقيا وفي وسطها وفي جنوبها كان إيمانهم ثمرة من ثمرات التصوف .

والإمام السنوسي الكبير عندما أراد أن يصحح بين المسلمين ، اتجه أول ما توجه إلى أن نهج مهاجراً صوفيّاً ، وكان منهاجه في ذاته عجباً غريباً ، فإنه اتخذ المريدين ، ثم أراد أن يجعل من هؤلاء المريدين رجال أعمال كالحسن ما يكون رجال الأعمال ، ولذلك أنشأ نزوايا . وأول زاوية أنشأها في حسن حول مكة ، ثم انتقل نزوايا في الصحراء ، وهذه الروايات كانت واحات عمرة في وسط الصحراء ، وعمل رجالهم وقواتهم وتوجيههم ، استنط الماء وحمل فيها رعاء وعراساً وثماراً ، ووخَّهم وعصمهم الحرب والرمابة حتى أقضوا مضجع الإيطاليين أكثر من عشرين سنة ، عندما عجزت الدولة العثمانية عن أن تعين أهل ليبيا ، وسمرت المقاومة السنوسية بهذه الروايات ، إلى أن أدلَّ الله الدولة الإيطالية ، وإذ السنوسية تحيا من جديد ، وكما نودُّ أن نحيا كما أسدأب طريقة صوفية عاملة قوية .

لا أودُّ أن أتعرض لشأن التصوف في الإسلام وقلل للإسلام ، ولكني

لا أستطيع أن أقرب إيا عمر بن الخطاب ثم يكن متصوفاً ، وهو الذي قال فيه محمد بن عبد الله ﷺ : « لو كان في هذه الأمة محدثون لكان عمر بن الخطاب »^(١) والذي كان يعتقده فيه رسول الله ﷺ أنه كان من أقرب أصحابه إلى الله ، حتى إنه عندما كان ذهب إلى العمرة وجّه إليه لقول ، وفار له : « لا تسنا من دعائك يا أخي »^(٢) .

ولا أستطيع أن أقول : إن أبا بكر الصديق الذي كان يركب الصعب من لأمر صاعداً نفسه ، والذي نُثر عنه أنه قال كلاماً نسب إلى النبي ﷺ ، واحتلت لروايه هي فائله : « رجعت من لجهاد الأصغر [وهو لقتال] إلى لجهد الأكبر [وهو مجاهدة النفس] »^(٣) وأبو بكر الذي يقول : « من الشرف يتبعك لشرف »

وقد كان وما راها هناك موجهون وشيوخ لهم يريدون ولهم أتعاف وهؤلاء هم الذين نرحو أن يعود لتصوف على أيديهم كما ابتداء

هل نحن الآن في حاجة إلى التصوف المصلح المثمر ؟

أقول إيا كان الماصون لم يكونوا في حاجة إليه ، بل كان المتصوف يعمل لله ولنفسه ولمريدته ، فبحر في عصرون هذا أشد الناس

(١) من أممي محدثين ومكلمين وإن عمر منهم « أخرج إسحاري في صحيحه في كتب لمذهب عن أي هزيمة رضي الله عنه ، وأخرج مسلم في صحيحه » لقد كان بيما قبلكم من الأمم محدثون فإن يث بني أممي أحد بونه عمر « من حديث عائشة رضي الله عنها في كتب فضائل الصحابة

(٢) ه أبو دود في باب الدعاء عن عمر رضي الله عنه ، و ترمذي في كتب الدعوات وقال : حديث حسن صحيح ، ونقطه « أي أحي أشرك في دعائك ولا تسنا »

(٣) هو من حديث رسول الله ﷺ ورواه الديلمي عن حاتم رضي الله عنه . رجع كشف الحفاء لمخلوبي ح ١ ص ٢٤٤

حاجة إلى متصوف يعمل بنظام التصوف الحقيقي ، وذلك لأن شبيباً قد استهوته الأهواء ، وسيطرت على قلبه ، فأصبحت دور لسينما أشد المعريات وأشد الوسائل جساً لها ، والمجلات المارغة ، والإذاعة اللاهية اللاعبة ، أصبح كلُّ هذا يستهويه ، وإذا سيطرت الأهواء والشهوات على جبل من الأحياء أصبحت خُطتُ الخطباء لا تُجدي ، وكتابة الكتب لا تُجدي ، ومواعظُ لوعاظ لا تُجدي ، وحكم العلماء لا تُجدي ، وأصبحت كل وسائل الهداية لا تُجدي شيئاً وحسب أن يرى المحلات الدبية تورع بأقل من نصف العشر أو ربع العشر مما تورعه المجلات اللاهية العبيثة

إذن لا بد لنا من طريق آخر للإصلاح ، هذا انصريق أن نتحه إلى لاستيلاء على نفوس الشباب ، وهذا لاستيلاء يكون بطريق الشيخ ومريديه . بحيث يكون في كل قرية ، وفي كل حيٍّ من أحياء المدن ، وفي كل بيئة علمية أو اجتماعية أو ميدانية ، رجل يقفون موقف الشيخ الصوفي من مريديه

إن العلاقة بين المريد والشيخ ، وبين مراتب هذا المريد هي التي يمكن أن تهذب وأن توحه . يقول الشاطبي في كتابه الموفقات إن بين المعلم والمستمع روحانية تجعله يصنع بفكره ، ويصنع بكل ما يلقنه من معلومات نحن في حاجة إلى هؤلاء لذب بسهوان الشباب لبصر فوهم عن هذا الهوى الماجن ، وليوجهوهم

كانت منذ بضع سنين أو عشر سنين رجلاً اتجه إلى الشباب ، وحاول أن يتخذ معهم في إصلاحهم ما يتخذه الصوفي مع المريدين ، وقد نجح إلى حد كبير ، ولولا اشتغاله بالسياسة ما فسد أمره قط .

وبذلك أُوجبُ أن تتجه إلى الصوفية كعلاج أخير لوقاية الشباب من الفساد ، ولا أعتقد أن هناك علاجاً أجدى منها) .

وخلاصة لحديث عن التصوف في ندوة لواء الإسلام أن التصوف كأمر واقع ، كان فيه خير ، وخاطفه بعض الشر ، وإذا حرص من شره ، واتجه إلى المعاني الروحية ، كان سبيل إصلاح للمجتمع الإسلامي . وإن الشباب المسلم وقع تحت ستهواءات مخدفة تؤدي إلى الانحراف ، ولا مسير إلى رده إلى الاستقامة الإسلامية إلا باستهواء يكوي كاستهواء الشيخ الصوفي لمريديه ، وحينئذ تعمل الصوفية أفضل الأعمال لإصلاح الشباب^(١) .



(١) مجلة لواء الإسلام ، المجلد الثاني عشر ، شعبان ١٣٦٩ هـ الموافق ١٩٦٠م ندوة لواء الإسلام ، انصوف في الإسلام - ص ٧٥٨ و٧٦٦

شيخنا محمد الهاشمي

رحمه الله تعالى

هذا ويسعدني في نهاية هذا البحث أن أنوه بفضل شيخنا لمربي
لكبير ، والعارف بالله ، المرشد سيدي محمد الهاشمي رحمه الله تعالى
في نقله هذه المحدثي الروحانية ، والحقائق الروحية التي تكلمنا عنها إلى هذا
بلادنا الكريم ، وتحسدها في صورة واقعة ، تحدثنا عنها أرواح مرديه
وتلاميذته ، وتشهدون بها حياتهم لذكر الله وحق عبادته ، كما
شهد له بذلك معاصروه من أكابر السادة العلماء لدا أحتم كنابي بطيب
ذكراه ، وسرد نبذ عن حياته الطيبة .

ولادته :

ولد سماحة الأساذ المرشد الكبير سيدي محمد بن الهاشمي
قدس الله روحه من أبوين صالحين ، كلاهما من آل بيت السوة ، برجع
سبيهما إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما ، يوم اسبب ٢٢ شول
١٢٩٨هـ في مدينة سبدة تابعة لمدينة بلسان ، وهي من أشهر المدن
لجزيرة وكد ولده من علمائها وقاصياً فيها ، فلم توفي ترك أولاداً
صغاراً ، واشيخ أكبرهم ساً .

بقي الشيخ مدة من الزمن ملازماً للعلماء ، قد تنضم في سلوكهم حاداً
في الازدياد من العلم ، ثم هاجر مع شيخه محمد بن يلس إلى بلاد الشام

فأرأى من ظلم الاستعمار الإفريقي ، لدى مع الشعب الجزائري من
 حضور حلقات العلماء وترجيحهم وكنت هجرتهم في ٢٠ رمضان سنة
 ١٣٢٩هـ عن طريق طنجة ومرسيليا ، متوجهين إلى بلاد الشام فمكثا
 في دمشق أياماً قلائس ، وعينت الحكومة التركية آنذاك على تفريق جميع
 المغاربة الجزائريين ، وكان نصيبه رحمه الله تعالى أن ذهب إلى تركيا
 وأقام في أضنة ، وبقي شيخه بن يونس في دمشق وعاد بعد سنتين إلى
 دمشق ؛ فالتقى بشيخه ابن يونس وصحبه ولازمه .

وفي بلاد الشام تابع أحد أعلم عن أكابر علمائهم . ومن أشهرهم
 المحدث الكبير بدر الدين الحسني ، والشيخ أمين سويد ، والشيخ جعفر
 الكتني ، والشيخ نجيب كيوان ، والشيخ توفيق الأيوبي ، والشيخ
 محمود العصار وأخذ عنه علم أصول الفقه ، والشيخ محمد بن يوسف
 المعروف بالكافي وأخذ عنه الفقه المالكي ، وقد أجازة أشيخه بالعلوم
 العقبية ولقلية .

فما من ناحية التصوف فقد أذن له شيخه محمد بن يونس بالورد لعدم لما
 رأى من تصرفه على تلامذته ، من حيث العلم والمعرفة والصح لهم
 وخدمتهم . ولما قدم المرشد الكبير أحمد بن مصطفى العلوي من الجزير
 لأداء فريضة الحج ؛ نزل في دمشق بعد وفاة سيدي محمد بن يونس سنة
 ١٣٥٠هـ ، وأذن له بالورد لخاص [تلقين الاسم لأعضم] والإرشاد العام .

أخلاقه وسيرته

كان رحمه الله تعالى متخلقاً بأخلاق النبي ﷺ . مباحاً له في جميع
 أقواله وأحواله وأخلاقه وأفعاله . فقد كان الوراثة الكاملة عن
 الرسول ﷺ .

وَكَانَ مَتْرُوضاً حَتَّى شَتَّهَ بِذَلِكَ وَلَمْ يَسْقَهُ أَحَدٌ مِنْ رِجَالِ عَصْرِهِ فِي تَوَاضُعِهِ

وَكَانَ بِعَامِلِ النَّاسِ كَمَا يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلُوهُ دَحَلَ عَلَيْهِ رَحْلٌ فَهَلَّلَ يَدَ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَأَرَادَ لِشَيْخٍ أَنْ يَقْبَلَ يَدَهُ ، فَمَتَنَعَ أَرَجُلٌ عَنْ ذَلِكَ وَقَالَ : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ يَا سَيِّدِي أَنْ سَتَّ أَهْلًا لَدَيْكَ ، أَنَا أَقْبَلُ رَجُلَكُمْ فَقَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : إِذَا قَبَّلْتَ رَجُلًا فَحَنَ رَجُلًا رَجُلَكُمْ

وَكُنْ يُحِبُّ أَنْ يَخْدُمَ إِخْوَانَهُ نَفْسَهُ ، فَآتَى الرَّائِي ، وَيَأْتِي التَّمَنُّدَ فَبَيْتَ عِنْدَهُ فَيَقْدُمُ لَهُ الطَّعَامَ ، وَيَحْمِلُ لَهُ الْفِرَاشَ مَعَ صَعْفِ حَسَمِهِ ، وَكَمْ جُثَّاهُ فِي مَتْنَصِفِ اللَّيْلِ ، وَطَرَفَ بَابِهِ ، فَيَفْتَحُ لِبَابٍ وَهُوَ شَيَانُهُ الَّتِي بِقَابِلٍ بِهَا إِنْسَانٌ ، كَأَنَّهُ جُلْدِي مُسْتَعِدٌّ فَمَا رَأَيْدُهُ فِي ثَوْبٍ يَوْمَ أُنْدَا

وَكَانَ حَلِيمًا لَا يَعْضِبُ إِلَّا قَلِيلًا . أَخْبَثَ أَنْ جَاءَهُ رَحْلٌ مِنْ دِمَشْقٍ إِلَى بَيْتِهِ وَأَحْذَ يَتَهَجَّمُ عَلَيْهِ ، وَيَنْهَكُمُ لَهُ ، وَيَنْكَلِمُ بِكَلِمَاتٍ يَقْشَعِرُ لَهَا جِلْدُ الْمُسْلِمِ ، وَلَكِنَّ الشَّيْخَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمْ يَزِدْ عَلَى قَوْلِهِ لَهُ : اللَّهُ بِحَرِيكَ أَحْيَرُ ، إِنَّكَ تُبْرِئُ عَيْنِي ، وَسَوْفَ نَتْرُكُ ذَلِكَ وَنَتَحَلَّى بِالْأَحْلَاقِ الْبَاصِلَةِ وَمَا أَنَّ طَالَ الْمَقَامَ بِالرَّجُلِ إِلَّا وَأَقْبَلَ عَلَى الشَّيْخِ ، يَقْبَلُ قَدَمَيْهِ وَيَدِيهِ ، وَيَطْلُبُ مِنْهُ الْمَعْدَرَةَ .

وَكَانَ كَرِيمًا لَا يَرُدُّ سَائِلًا وَكَمْ رَأَيْنَا شَحْصًا يَأْتُونَ إِلَيْهِ فَيُعْظِيهِمْ وَيَكْرُمُهُمْ ، وَلَا سِيَّمَا فِي مَوَاسِمِ الْحَيْرِ ، حَيْثُ يَأْتِي الْبَاسُ لَيْتَهُ . وَبَرَى مَوَائِدَ الطَّعَامِ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَفْوَاجًا أَفْوَاجًا يَأْتُونَ مِنْهَا ، وَلَا تَرَاهُ ابْتِسَامَتَهُ فِي وَجْهِهِ ، وَقَدْ سَعَى مِنْ كَرَمِهِ أَنَّهُ نَبَى دَارَهُ الَّتِي فِي حَيٍّ لَمْ يَهَاجِرِينَ بِمَشْوَى قَسَمِينَ ، قَسَمَ لِأَهْلِهِ ، وَقَسَمَ لِتَلَامِيذِهِ وَمُرِيدِيهِ .

وَكَانَ مِنْ صِفَاتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَاسِعَ الصَّدْرِ وَتَحَمَّلَ لِمَشَقَّةٍ وَاتَّوَجَّهَ ، وَشَدَّةِ الصَّبْرِ مَعَ شَاشَةِ الْوَجْهِ ، حَتَّى إِنِّي اسْتَغْرَبْتُ مَرَّةً صَبْرَهُ

فقال لي : يا سيدي ! مشرتك هذا حمالي وكان يأتي إليهِ الرجل العاصي فلا يرى إلا الشاشة من وجهه وسعة الصدر ، وكم تاب على يابه عصاة محرفون ، فانقبوا بفصل صحته مؤمنين عزمين بالله تعالى

حدث أنه كان سائراً في الطريق بعد انتهاء الدرس ، فمر به سكران ، فما كان من الشيخ رحمه الله تعالى إلا أن رآه العار عن وجهه ، ودعا له وبصحه ، وفي اليوم الثاني كان ذلك اسكران أول رجب يحضر درس الشيخ ، وتاب بعد ذلك وحسنت توبته

وكان رحمه الله تعالى يهتم بأحوال المسلمين ويتألم بما يصيبهم ، وكان يحضر جمعية لعلماء لتي تقدم في الجامع الأموي ، يبحث في أمور المسلمين ويحذر من تفرقتهم ، وقد طبع رسالة تبين سبب التفرقة وضررها ، وفائدة الإجماع على الله والإعتصام بحبل الله سماها انصوب الفصل القويم في سان المر دمر وصية الحكيم

وكان رحمه الله تعالى يكره الاستعمار بكل أساليبه ، ويبحث في توجيهه عن مدى صلة الحوادث مع الاستعمار وكيفية الخلاص من ذلك ولما نددت الحكومة الشعب إلى التدرب على ارماية ، ونظمت المقاومة لشعبية ، سارع الشيخ تسحق اسمه بالمقاومة لشعبية ، فكان يتدرب على أنواع الأسلحة مع ضعف جسمه ونحوه وكبر سنه وبهذا صرب للشعب لمثل الأعلى لقوة الإيمان والعقيدة والجهاد في سبيل الله ، وذُكرن بمن قبله من المرشدين الكُمل الذين حاهدوا الاستعمار وحاربوه ؛ أمثال عمر المخدر والسموسي وعبد الصادر الجرائري وما انمحاءدون الذين قدموا في المغرب ، لإخراج الاستعمار وأذئابهم إلا الصوفية .

وكان رحمه الله تعالى حسن السيرة والمعاملة ، مما جعل الناس ،

تقلون عليه ويأخذون عنه التصوف الحقيقي ، حتى قيل : لم يشتهر الهاشمي بعلمه مع كونه عالمًا ، ولم يشتهر بكر ماته مع أن له كرامات كثيرة ، ولكنه اشتهر بأخلاقه ، وتواضعه ، ومعرفته بالله تعالى .

وكان رحمه الله تعالى إذا حضر مجلسه ، شعرت كأنك في روضه من رياض الجنة ؛ لأن مجلسه ليس فيه ما يشوبه من المكدرات والمكرات فكان رحمه الله تعالى يتحاشى أن يذكر في حضرته رجل من المسلمين وبقص . ولا يحب أن يذكر في مجلسه الفساق وغيرهم ، ويقول عند ذكر الصالحين قول الرحمة .

وبقي رحمه الله تعالى دئماً في جهاده مستقيماً في توجيهه للمسلمين وإخراجهم مما وقعوا فيه من الضلال والزيف . فقد كنت خلفاته لعلميه متواليه من لصاح حتى لمساء ، ولا سيما علم التوحيد لدي هو من أصول لدي ، فيس العقائد الإسلامية والإلحادية ، مع بيان عقيدة أهل السنة والجماعة ، والرجوع إلى الله تعالى ، والتعلق به دون سواه .

نشاطه في الدعوة والإرشاد

كان بينه قلة للعلماء والمتعلمين والزوار ، لا يضر من مقابلتهم ، ويقسم - مع ضعف جسمه - حقائق منظمة دورية نلعم والذكر في المساحد واسبواب ، ويطوف في مساجد دمشق ، يجمع الناس على العلم وذكر الله والصلاة على رسول الله ﷺ . ولم يزل ماثراً على همته ونشاطه ودعوته حتى أدامه الأخرة

تتلمذ عليه نخبة طيبة صابحة من العلماء وطلاب العلم ، ومن مختلف طبقات الأمة يهتدون بإرشاداته ، ويغترفون من علومه ، ويقتبسون من إيمانه ومعارفه لسوقه ، ويرجعون إليه في أمورهم

وقد أذن للمستفيدين منهم بالدعوة والإرشاد ، وبذا انتشرت هذه لطاقة الروحية الكبرى في دمشق وحلب ، وفي مختلف امدد السورية والمدان الإسلامية .

مؤلفاته :

- ١- مفتاح الجنة شرح عميدة أهل السنة .
 - ٢- الرسالة الموسومة بعقيدة أهل السنة مع نظمها .
 - ٣- البحث الجامع والبرق الالامع والغث الهمع فيما يتعلق بالصعة والصانع .
 - ٤- لرسالة الموسومة بسبيل السعادة في معنى كنمتي الشهادة مع نظمها
 - ٥- الدرة الهمة .
 - ٦- الحل السديد لما استشكله المريد من جوار لأخذ عن مرشدين
 - ٧- القول الفصل لمؤيم في بيان المراد من وصية الحكيم .
 - ٨- شرح شطرنج العارفين لشيخ محي الدين بن عربي
 - ٩- لأجوبة العشرة .
 - ١٠- شرح نظم عقيدة أهل السنة .
- وغير ذلك من الرسائل .
- وقد أخذ التصوف عن سيدي الهاشمي رحمه الله تعالى كثير من العلماء وغيرهم لا يعلم عددهم إلا الله .
- وهكذا قضى لشح الهاشمي حياته في جهاد وتعليم ، يربي

لنهرس ، ويزكي القلوب الراجعة في لتعرف عني مولاها ، لا يعتريه ملل ولا كسل . واستقامته على شريعة رسول الله ﷺ قولاً وعملاً وحلاً ، ووصيته في آخر حياته : عليكم بالكتاب والسنة ، شهد له بكمال وراثته .

وهكذا رحل الشيخ الكبير إسماعيل دصوان الله تعالى وقبه يوم الثلاثاء ١٢ من رجب ١٣٨١ هـ الموافق ١٩ كانون الأول ١٩٦١ م . وصي عليه بالجامع الأموي ، ثم شيعته دمشق تحميه على الأكف إلى مفرة الدحداح ، حيث ووري مثواه ، وهو معروف ومُزار . ولئن وارى انقراض جسده الطاهر الكريم ، فما ورى عنه وفصه ومعارفه وما أسدى للناس من معروف وإحسان ، فيبش هذا فيعمل العاملون وهذا من بعض سيرته الكريمة ، وما قدمناه غيض من فيض ونقطة من بحر ، وإلا فسيرة العارفين ، منظومة في تلامذتهم ، وعن أين للإنسان أن يحيط بما تكه صدورهم وأسرارهم ؟

وفي مثله دل القائل :

إِنْ تَسَلَّ أَيْنَ قُورٌ لِعَطْمَا فَعَلَى الْأَفْوَهِ أَوْ فِي الْأَفْسِ

ويمثل هذه الشخصيات أحياء يقتدي ويمثلهم تشبه

فَتَشْهَرُوا إِنْ لَمْ تَكُونُوا مِثْلَهُمْ إِنَّ الشُّبُهَةَ بِالْكَرَامِ فَلَاحُ

وقد قيل :

مَوْتُ التَّقِيِّ حَيَاةٌ لَا انْقِصَاعَ لَهَا قَدْ مَاتَ قَوْمٌ وَهُمْ فِي النَّاسِ أَحْيَاءُ

وقد أدن لنا رحمه الله تعالى ، قبل رحيله عن دار الدنيا ، بالورد العام

والخاص ، والشرية والإرشاد ، كما هو مبين في نص الإحارة لني تقدمها

لك على انصفحات التالية .

مرکز تحقیقات و توسعه علوم اسلامی

الإجازة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله
المنعم المجيد ، المزه عن التقيد بالإطلاق ولتقييد ، الذي نور به ثر
العارفين نور معرفته ، وقذف في قلوبهم أنواراً وصلو بها إلى ميادين
مكاشفته ، وجعل الاقتداء بهم سبباً لئيل الآمال ، والرصاص منه عنهم سلباً
موصلاً إلى الإخلاص في الأعمال ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد
رسول الله ، لمزل عليه : ﴿ إِنَّ الدِّينَ بِأَيْحُونَكَ ثُمَّ بِأَيْحُونَكَ اللَّهُ ﴾ [الفتح
١١٠] ، وعلى آله وأصحابه الذين أدل لهم سبباً لعلم وشبه في الأمة
المحمدية ، حتى صار الإذن سنة توبة ، ودولها أهل الهمم العلية ،
وعلى التابعين بهم برحمن ، لداعين إلى الله بؤذه ، الذين لا تروا
شمسهم على الآفاق طالعة ، وأبورهم في أسرائر وقلوب لامة ،
الذين يحفظون على أمة الله حتى يلعوبها إلى نظرائهم في استقوى
والعلم بالله .

أما بعد فإنني بهذه المناسبة أدنت وأجزت أفراداً من إخواني في
طريقنا الشاذلية الدرقوية لعدة مما تفرسته في أخلاقهم ، واعتمده من
أحوالهم ، إدناً عاماً مطلقاً في سائر الأوراد والأحزاب الشاذلية ، وفي
أورادها خاص ، الذي هو ذكر الاسم المفرد [الله] الذي هو الاسم الأعظم
عند أهل الله ، بشروطه المعروفة عندهم ، فيتأكد على كل واحد منهم أن
يُرثي كل من اتحذه شيخاً له في طريق الله ، ورؤى الله أن ينفهم وينفع

بهم ، ومن جمعتهم . أحوالي لله الأبر الأود . الفقيه العارف بالله ،
التقي الأمجد ولي الله ، الصادق في السمحة والعهد ، سيدي الشيخ عبد
المادر بن عبد الله عيسى عزيزي الحبي ، كما أدن لي أستاذي سيدي
أحمد بن مصطفى العموي المستغامي رضي الله عنه ، وأرجو الله أن
أكون مأذوناً من الله تعالى ، ومن رسوله ﷺ ، وأرجو له مثل ذلك ، ثم
أقول :

فاعرف يا أحي فصل الإذن وسره ، ولا تجهله ، إذ المأذون مأثور ،
إذ هو في صمان الله تعالى ، ثم في صمان رسول الله ﷺ ، ثم في صمان
شيوخ الطريقة رضي الله عنهم

فاعرف هذا ، واعتقده ولا تجهله ، وعلم أن الإذن الحقيقي
والإجازة الحقيقية هي ما حصل لكم من الإذن الشفهي الباطني والإجازة
القبية الحقيقية ، فهي التي يعمل بها ، وهي التي تنفع لها القلوب ،
وتنقد لها المنوس ، ولولا الضرورة لما عتد عليه الناس من الإجازة
بالكتابة ، لما كتب أهل الله إجازة لمأذون من الله ومن الرسول ثم منهم
إجازة شفوية قسبة حقيقة . وكن ذا حرد وعزم في تربية كن من اتخذك
شيخاً له من عباد الله ، ولا تسبح من أحد في حق الله ، وأوصيت
بالتصبيحة للإحرون بقدر الإمكان ، وبالمحافظة على حدود الله في السر
والإعلان ، وكى بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً ، محبة في الله وقناعة
برسول الله ﷺ ، وأرجو الله للجميع التوفيق ، وأن يقيس وإياهم من سوء
الطوارق ، ويسلك بها وبهم أحسن انضائق ، ويحميهم وإياهم من كل
عائق ، ونسأل الله بكل من رآه الانتظم في سلك أهل الله نفحة خير من
نفعات الله ، نسلك بها سبيل النجاة ، ونصل بها إلى حقيقة تقوى الله
نجاه صاحب النجاه ، سيدنا محمد ﷺ ، يوم يتحى الحق تعالى لعباده

برضاه ، وأنظن في الله حميل ، وهو حسنا ونعم الوكيل ، والحمد لله رب العالمين .

قله وكتبه العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن أحمد بن الهاشمي بن عبد الرحمن التلمساني أصلاً ، اندمشقي سكناً ، الشاذلي الدرقوي طريقة . عمله لله وللمسلمين باللطف والإحسان . آمين .
حررت هذه لإجارة المباركة في ١٦ ربيع لأول ١٣٧٧ .

خادم الطريقة القادرية الشاذلية لدرقوية علوية

عبد الله محمد بن الهاشمي التلمساني

دمشق

صورة الإجارة

اجازتنا من شيخنا المرشد والمربي الكبير سيدي

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
 أسعدنا بالأخلاق العظيمة الفاضلة، ورزقنا من بركاته العظيمة، وفقدنا في طوعه
 إجارا وصلوا بنا إلى بياديين بك شفاعة ومسل الأعمدة، ثم سبنا لبطل الأكمال
 والخاصة عنهم سلفا مودلا بالأخلاق والآداب والصلوات والسلام على سيدنا
 محمد رسول الله وآله وصحبه وسلم، ثم سبنا نحن أبا بياض عن الله وعلى آله وأهله
 الذين أذن لهم به السمع، شره والامة الصديقة حتى صاروا إلى منتهى
 به به جوارها أهل القوم العظماء علمنا من نعمهم بأحسن التدابير والآداب
 بوجه الخلق لا تزال منسوبة عن الآداب طائفة وأما رهم والسر الرزق القلوب لا معة
 الذين عاقلون على حاية الله حتى يستعزوا المرستهم والنقون والعلم بالله
 (أما بعد) ما وجد الله سنة أذن وأمر أهدأ من أهدأ ما في هديتنا
 الشاذلة الذرة القوية العلية لنا توستة وإحلاقهم واعتمدته من نعمهم أذنا عا
 مطلقا وسائر الأوراد والأحزاب الشاذلة والأوراد الخاضعة هو ذكر الاسم المعدد
 الله، الذي هو الاسم الأعظم عند أهل الله بشره الحمد المبرورة عندهم مع تأكيد
 على كل واحد منهم أن يرف كل من الحمد، شجاعة وطريق الله وأمرهم العظماء بحمد
 نعمهم وسبحهم وحر جملهم (سبحنا والله الأبرار) والحمد لله العظماء بالله في
 الأجد وفي الله الصادق في المحبة وأشهد بسيرة الشيخ صدق القادرين بحمد
 الله عيسى بن مريم (عليه السلام) كما أذن في إسناده سيدي أحمد بن مصطفى
 القادر بن الحسين رضي الله عنه وأرحمه الله أن يكون مأثورا من الله تعالى
 وبه وبالله عليه وسلم وأرحمه الله مثل ذلك، ثم أقول فاعرف يا أحمي

صورة الإحازة

محمد الهاشمي الشلمساني قدس سره العظيم

عصا الادب وسره ولاجهته اذ اعمادون مأموران فوق طهارة الله تعالى ثم طهارة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم طهارة شيوخ الطريقة رضي الله عنهم ما عرفت
هذا واعتقد ولا يخفى . وما علم ان الإقراض الخفي في الإجازة الحقيقية هو ما حصل
للم الإقراض الضمني اليه في الإجازة الحقيقية الحقيقية وهو ان جعل يرد على الله
سفل لها الغيوب وسفل لها المحسوس ولولا لا اله الا الله تعالى لكان من الإجازة
بالكتابة لما كتب على هذه الإجازة بما دون من الله من الرتبة ثم منهم اجازة شفوية
تليها حقيقة . مكن دأهم وعزم ونزيرة كل من احدث شيئا له من عبادة الله ولا
سبحي من احد وثانيه وامر حاكم بالمصحة للاسوة بعقد الامكان وبما يعلق على
بعد ورد انموذ السر والاعتقاد . مكن الكسب . رعا رعا عناية والله واقتدا .
رسول الله صلى الله عليه وسلم . فانه الله الحق القوي وان عينا وانما
من سوء الظن . فانه يستلزم . فانه يستلزم . فانه يستلزم . فانه يستلزم .
ونفس الله لكل من رام الاستقام . فانه يستلزم . فانه يستلزم . فانه يستلزم .
بواسطته . فانه يستلزم . فانه يستلزم . فانه يستلزم . فانه يستلزم .
صلى الله عليه وسلم يوم يغفر الحق تعالى لعباده . فانه يستلزم . فانه يستلزم .
وهو حسناء مع التوكل . فانه يستلزم . فانه يستلزم . فانه يستلزم .
ان الله غفار . فانه يستلزم . فانه يستلزم . فانه يستلزم . فانه يستلزم .
السادة في الدارين . فانه يستلزم . فانه يستلزم . فانه يستلزم . فانه يستلزم .
موت عزه الا سائرته . فانه يستلزم . فانه يستلزم . فانه يستلزم . فانه يستلزم .



سند الطريقة الشاذلية

لم كان الإسناد من الدين ، وبولا الإسناد لقل من شاء ما شاء
ولما كان مشرب القوم رصوا الله عليهم أجمعين أبلغ المشارب في
الحقيق ، وأسنى المعارج في التدقيق ، نعين على كل متسب إليهم أن
يحقق مستنده على الوجه الأحق ، لأن الحقائق لا تؤخذ من كل دي
دعوى ، إلا بعد تحقق صحة دعواه على الوجه الأكمل

ولم كان سبب طريق انقوم مسنداً إلى رسول الله ﷺ ، فقد أثبتنا هذا
السند على الصفحات التالية مسنداً شيخاً عن شيخ إلى سيدنا الحسن
البصري ، ثم سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ثم إلى حضرة
سيدنا رسول الله ﷺ .

إلا أن بعض لعلماء أنكر سماع لحسن البصري من الإمام عبي بن
أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه ، ولكن الحافظ لمحدث الفقيه
جلال لدير السيوسي رحمه الله تعالى ، أثب سماع لحسن البصري من
علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، ونعه في ذلك الفقيه لمحدث
الحجة أحمد بن حجر لهبشي المكي رحمه الله تعالى .

وإليك تحقيق كن منهما في هذا الموضوع :

أولاً - قال الحافظ لمحدث جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى في
كنانه لحاوي لفتاوي . (أنكر جماعة من الحفاظ سماع الحسن البصري
من عبي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وتمسك بهذا بعض المتأخرين ؛

فخدش به طريق ليس اخوة . وأثبت جماعة ، وهو الراجح عندي لوجهه ، وقد رجحه أيضاً الحافظ ضياء الدين المقدسي في المختارة وتبعه على ذلك لحافظ بن حجر [لعسقلاني] في أطراف المختارة^(١)

الوجه الأول إن العلماء ذكروا في لأصوب في وجوه ترجيح أن المثبت مقدم على النفي ، لأن معه زيادة علم .

الوجه الثاني : إن الحسن ولد لستين بهت من خلافة عمر بتمام . وكانت أمه خيرة مولاة أم سلمة رضي الله عنها ، فكانت أم سلمة تخرجه إلى الصحابة يباركون عليه ، وأخرجته إلى عمر ، فدعا به اللهم ففه في الدين وحببه إلى الناس . ذكره الحافظ جمال الدين المزي في التهذيب ، وأخرجه العسكري في كتاب المواضع بسنده وذكر لمزي أنه [الحسن المصري] حضر يوم الدار وفيه أربع عشرة سنة ومن المعهود أنه من حين بلغ سبع سنين أمر بالفضلة ، فكان يحضر الجماعة ويصلي حلف عثمان إلى أن قتل عثمان ، وعُلي إذ ذاك بالمدينة ، فإنه لم يخرج منها إلى الكوفة إلا بعد قتل عثمان فكيف يُستنكر سماعه منه وهو كل يوم يجتمع به في المسجد خمس مرات من حين ميّز إلى أن بلغ أربع عشرة سنة ؟

وريدة على ذلك إن علماً كان يزور أمهات المؤمنين ، وممن أم سلمة ، والحسن في بيتها هو وأمه

الوجه الثالث . إنه ورد عن الحسن ما يدل على سماعه منه . أورد

(١) وكذلك أثبت لحافظ ابن حجر العسقلاني سماع الحسن المصري من علي كرم الله وجهه في كتابه تهذيب التهذيب ج ٢ . ص ٢٦٤

المري في التهذيب من طريق أبي يعين قال : حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن العباس بن عبد الرحمن بن ركري حدثنا أبو حبيبة محمد بن صفية الراسطي حدثنا محمد بن موسى الحرشي حدثنا ثمامة بن عسدة حدثنا عطية بن محارب عن يونس بن عبيد قال : سألت الحسن قلب يا أبا سعيد إياك تقول : قال رسول الله ﷺ ، وإنك سم تدركه ؟ قل : يا ابن أخي ! قد سألتني عن شيء ما سألي عنه أحد قبلك ، ولولا منزلت مني ما أحبتك . إني في زمان كما نرى - وكان في عمل الحجاج - كل شيء سمعتني أقول قال رسول الله ﷺ فهو عن عبي بن أبي طالب ، غير أنني في زمان لا أستطيع أن أذكر علماً

ثم ساق الحافظ السيوطي عدة أحاديث رواها الحسن عن علي رضي الله عنهما منها قال أحمد بن محمد بن مسدد حدثنا هشيم أخبرنا يونس عن الحسن بن علي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « رُفِعَ اِقْلَمُ عن ثلاثة عن الصغير حتى يبلغ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن المصطب حتى يكشف عنه » أخرجه لترمذي وحسنه (١) ، والسيوطي ، والحاكم وصححه ، والضياء المتدسي في المختارة قال الحافظ زين الدين العراقي في شرح لترمذي عند الكلام على هذا الحديث قل علي بن المديني : الحسن رأى علياً بالمدينة وهو غلام وقال أبو زرعة : كان الحسن لمصري يوم تُويعَ لعلي ابن أربع عشرة سنة ، ورأى علياً بالمدينة ثم خرج [علي رضي الله عنه] إلى الكوفة ولصرة وسم يلقه الحسن بعد ذلك . وقال الحسن رأيت الرسر يساع علياً . اهـ

(١) رجع تحفة الأحرفي شرح جامع لترمذي عند شرحه لهذا الحديث (ج ٤/ ص ١٨٦)

قلت : وفي هذا لقدرة كفاية ، ويحمل قول النفاي على ما بعد خروج علي من المدينة ^(١) .

ثانياً - وسئل الحافظ بن حجر الهيثمي - نفع الله بعلمه - هل سمع الحسن البصري من كلام علي كرم الله وجهه ، حتى يتم للسادة الصوفية سد خرقته وتلقيبهم الذكر امروي عنه عن علي كرم الله وجهه ؟

فأجاب بقوله . (اختلف الناس فيه ، فأنكره الأكثرون ، وأثبتته جماعة . قال الحافظ السيوطي : وهو اراجح عندي كالحافظ ضياء الدين المقدسي في المختارة ، والحافظ شيخ الإسلام بن حجر [لعسقلاني] في أطراف المختارة لوجوه

الأول : إن المثبت مقدم على النفاي

الثاني : إنه ولد لستين لقباً من خلافة عمر ، وميز لسبع وأمر بالصلاة ، فكان يحضر الجماعة ويصلي خلف عثمان إلى أن قُتل ، وعلي إذ ذاك بالمدينة يحضر الجماعة كل فرض ، ولم يخرج منها إلا بعد قتل عثمان ، وبن الحسن إذ ذاك أربع عشرة سنة . فكيف يُنكر سماعه منه مع ذلك ، وهو يجتمع معه كل يوم بالمسجد خمس مرات مدة سبع سنين ^(٢) ومن ثم قال عبي بن المديني : رأى الحسن علياً بالمدينة وهو غلام وزيادة على ذلك إن علياً كان يرور أمهات المؤمنين ، ومنهن أم سلمة ولحسن في بيتها ، هو وأمه خيرة إذ هي مولاة بها . وكانت أم سلمة رضي الله عنها تخرجه إلى لصحابة يباركون عليه . وأحرقته إلى عمر رضي الله عنه فدعا به اللهم فقهره في الدين وعلمته وحته إلى الناس .

(١) الحوي ليفاري للحافظ لمحدث الفقه حلال لدين لسيوطي ج ٢

ذكره المري ، وأُسده العسكري ، وقد أورد المري في المَهْذِب من ضَرِيق أبي نعيم . أنه سئل عن قوله . قال رسول الله ﷺ ولم يسرْكَه ؟ فقال . كل شيء قُتِه فيه فهو عن علي ؛ غير أبي في رمان لا أستطيع أن أذكر علياً ، أي رمان الحجاج ثم ذكر لحافظ أحاديث كثيرة ، وفعت له من رواية الحسن عن عبي كرم الله وجهه وفي بعضها ورحاله ثقات قول الحسن : سمعت علياً يقول : قال رسول الله ﷺ : « مثل أمتي مثل السطر . » الحديث (١) .

وبعد أن ثبَت سماع الحسن البصري من عبي رضي الله عنهما ، وصح سند لسادة التصوفية إلى رسول الله ﷺ من غير ريب ولا شك ، ولا أدنى شبهة أقول .

قد أخذ انبغ الفقيه الطريق عن سبيدي ومولاي انشيخ محمد الهاشمي صاحب الأخلاق المحمدي طيب الله ثراه ، وجزاه عما حير الجزاء وقد بَقْنَتْ وأدركنا بالورد لعام والورد لخص وهو تقيس الاسم الممرد : الله .

وشيخنا محمد الهاشمي أخذ عن شيخه السيد محمد بن يونس وعن شيخه أحمد بن مصطفى العنوي (٢) ، وهما عن الشيخ محمد بن الحبيب

(١) لعنوي الحديثية لحائمة لعقهاء والمحدثين الشيخ أحمد بن حجر لهيتمي المكي . ص ١٢٩ .

وتمام الحديث : لا يدرى أوله خير أم آخره « رواه الترمذي في كتاب لأمثال وقال : حسن عريب

(٢) حين ترى في اسناد أن أحد المرشدين قد أخذ الطريق عن شيخين فالمراد أنه يتأ سيرة عند أحدهما ، وبعد وفاة الشيخ الأول التقى بالشيخ الثاني فلقنه الطريق وأدركه بالإرشاد

البوزيدي الشريف المستعامي إلى آخر أسد كما هو مذكور في شجرة
لسند التي أتناها على الصفحة التالية .

وقد رسمنا هذه الشجرة من الكتب التالية :

١- إرشاد اراعيين للشيخ حسن بن عبد العزير أحد مریدی الشيخ
أحمد بن مصطفى العلوي المستعامي رحمه الله تعالى .

٢- الأوار اقدسیه للشيخ محمد طاهر المدي .

٣- أورد الساده الشاذلیة ادرقاویة لتلمسایة .

٤- مجموع الأورد المسمى الدرة البهیة فی أورد الطائفة لعلویة
للعارف بالله سیدی عدة بن تونس المستعامي .

والحمد لله انذی شرفنا بالانضمام فی سلك هذه السلسلة لدهسة
للطريقة اشاذیة لدرقاویة ، وسأله بحالنی أن یكرمنا بما أكرم به رجائها ،
وأن یحشرنا فی رمرتهم تحت لواء سید المرسلین ﷺ ، وأن یجعلنا معهم
ومهم ، إنه سمیع مجیب آمین

الختام

وبعد . فلعلك أيها القارئ - وقد عرفت انتصوف الحق ، واطلعت على كلام لأئمة الأعلام ، وما ذكروه عنه ، وعرفت صحة سنده وتسلسله إلى رسول الله ﷺ - أن تتخذ انتصوف لك مهجاً ، ونُحْلُق في أحوائه الصافية ، وتتعبد في محاريبه ، وسبح في أنواره ونعرج في معارجه ، فتكون صورة مثاليه عن هؤلاء الصوفية ، الذين ورثوا لورثة الكاملة من رسول الله ﷺ . إياهم العلماء بالله تعالى ، لدعون إلى الله على هدي رسول الله ﷺ ، فهو إمامهم في جميع حالاتهم ، والعسم بالله تعالى صفتهم ، والعبادة حليتهم ، والتقوى شعارهم ، وحقائق الحقيقة أسرارهم . لهم من اساعات من إمداد فضل الله مزيد ، ولهيب شوقهم يتأحج ويقول : هل من مزيد ؟

لقد تفدى الصوفية في حب مولاهم ، وعاشوا في ذكره ومباحاته ، فعلمهم وطهرهم ، وركابهم وأديهم ، واصطفاهم وحباهم ، وأحبهم ورصي عنهم ، ففتح لقلوبهم منكوته السموات ، وأرهم عجائب كونه وبدائع قدرته وأسرار حليفته ، وأفاض عليهم هداياه وعطاياه عذوماً وأذواقاً .

فما أجدر الباحثين والمفكرين ورود الحقيقة بما بحث عن ذلك التراث الإسلامي العظيم الذي تركه لهم أسلافهم من قبل وديعة في أيديهم ، وأمانة في أعناقهم ، فياخذوه عن أمه ، ويقدروه حق قدره ، ثم بعد

ذلك يخلصوه من كل شائبة تعكر صفوه ، أو تهبط به إلى المكاد الذي لا يليق به .

فهل فكَّر المنصفون من أوي الرأي والمكر والقسم ، أن يشحدوا هممهم فيسيروا في فافلة أهله ، حتى ينهلوا من منهبه العذب ، فينفوا عن التصوف تزهاته ودخيه ، كما نفى أهل الحديث عن الحديث أكاذيبه ، وأهل التفسير عن تفسير إسرائيليته ، حتى يتسنى لناشد لحقيقة أن يجدها سليمة صحيحة ، ويحيرها عما سواها ؟

هذا ما وفقنا الله لإثباته في هذا الكتاب ، وهو الموهق لبهاية والمرشد إلى الصواب جعه الله حاصباً بوجهه الكريم . ونفع به من قرأه وهداه إلى الصراط المستقيم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين



الفهارس

- ١- فهرس الأحاديث .
- ٢- فهرس لأعلام
- ٣- مصدر الكتاب
- ٤- فهرس الكتاب

فهرس الأحاديث

حرف الألف

- ٢٥٠ - آية المصافى ثلاث إذا حدث كذب
- ٧٧ - أبابك عني أن لا تشركي بالله شيئاً
- ٧٦ - أبابك عني أن بعد الله وحده
- ٢٣٤ - اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها
- ٢٩٣ - اتق المحارم تكن أعبد الناس
- ٣٤٩-٣٣٨ - اتقوا مراصة المؤمن فإنه ينظر بنور الله
- ١٦٤ - أجب عني ، اللهم أبله روح القدس
- ٣٢٥ - أحبوا الله لم يعدوكم من نعمه
- ٥٢ - أحيي ربيك ؟ قال نعم - قال ثم فقيهم في حق الله
- ١٨٥ - أخبرك بم هو أيسر عليك من هذا ؟
- ٣٤١ - أحد الرتبة زيد فأصيب
- ٣٢٣ - إذا أحب الله اعبد دعا جبريل فقال
- ٩٣ - إذا أراد الله بعد خيراً فقهه في الدين
- ١٠٧ - إذا تقرب إلي المعبود شبراً
- ٢٥٥ - إذا جمع الله الأولين والآخرين
- ٤٣٠ - إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله
- ٢٦٧ - إذا سقطت لعمد من الله تعالى منزلة لم ينلها بعمده
- ٤١٦ - إذا غاب أحدكم أحاده فليجتنب الوجه
- ١٠٩ - إذا قدم التور في قلب عبده
- ٣١٣ - إذا مات ولد اعبد قال الله تعالى سمعته
- ١٣٦-١٣٥-١١٩ - إذا مودتم برياض الجنة فارتعوا
- ٢٥٤ - رأيت رجلاً عزاً ينتمس لأجره الذكر

- ٤٢٩ - أرحنا بها يا بلال
- ١٧٤-١٧٦ - ارفعوا أيديكم فقولوا لا إله إلا الله
- ٧٩ - ارفع يديك أبايك عني ما بايعت عليك من حنك (موقوف على أس)
- ٢٨١ - ارحم في الدنيا يحبك الله
- ١٦١ - أشبهت خلقي وخلقي
- ٢٢٨ - أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد
- ٣٠٣ - عملها وبوكل
- ٩٣ - اخذ عالماً أو متعبداً
- ١٨٩ - أفصل الذكر لا إله إلا الله
- ٣١٤-٣١٢ - أفلا أكون عبداً شكوراً ؟
- ٣٤٠ - أقيموا صفوفكم وتراصوا
- ١٢٠ - ألا أبيتكم بحير أعمالكم وأركاها
- ٣٤٦ - ألا ترعى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى
- ٢٩ - ألا ورن في الجسد مصعة إذا صاححت
- ٢٦٩ - اللهم احمر لقمي فإني لا يعمون
- ١٠٠ - اللهم احمر لقمي فإني لا يعمون
- ٤٢١ - أمنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم
- ٧٧ - أن لا تزيب ولا تسرقين
- ٢٥٥ - إن أحرف ما أحرف عنيكم الشرك الأصغر
- ٢٧٣ - إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما أمور
- ٢٨٢ - إن الدنيا حدة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها
- ٣٥٥ - إن رجلاً رآه أحياه في قرية أخرى
- ٣٥٨ - أن رسول الله ﷺ نهى عن الكمي
- ٣٥٩ - إن الشيطان واضح خطمه على قلب ابن آدم
- ٢٤٨ - إن الصالح يهدي إلى الرور وإن الرير يهدي إلى الجة
- ٣١١ - إن عبداً من عباد الله قال ، يا رب لك الحمد
- ٣٥١ - إن لكل قوم مرادة وإنما يعرفها الأشراف
- ١٣٦ - إن الله يعلى سبارة من الملائكة يطلبون خلق الذكر

- ١٣٥ - إن الله تبارك وتعالى ملائكة سيارة وفضلاء
- ٣٤٨ - يا الله عباداً يعرفون الناس بالتوسم
- ١١٨ - إن الله ملائكة يطوفون في الطرق
- ٢٩٦ - إن من أمتي محدثين ومكتمين ، وإن عمر منهم
- ١٦٨-١٦٣ - إن من الشعر حكمه
- ٤٨ - إن من عباد الله لأناساً ما هم بأسياء ولا شهداء
- ٤١٦ - إن الله خلق آدم على صورته
- ١١٥ - إن الله عز وجل يقول : أنا مع عبدي إذا هو ذكرني
- ٢٥٤-٢٩ - إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم
- ١٥٢ - إن الله تعالى يقول : أنا مع عبدي ما ذكرني
- ٣٠١ - إن الله يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة
- ٤١٧ - إن الله يقول يوم القيامة : يا ابن آدم مرغت فليم نعدي
- ١٦٤ - إن الله يؤيد حسان بروح القدس
- ١٤٤ - أن انبي الله كان جالساً فأقبل أبوه من الصباغة
- ٤٧٧ - إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق
- ٤٨ - إنما مثل المجنيس الصانع وجليس السوء
- ٢١٥-١٢٠ - أنا عبد ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني
- ١٨٠ - أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه
- ٢٤٣ - أنا عند ظن عبدي بي
- ٣٤٦ - أنت أخي
- ٣٢٥ - أنت مع من أحببت
- ٤٩ - أنت يا أنا در مع من أحببت
- ٣٦٤ - انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا للمبيت إلى عار
- ٢١٥-١٨٠-١١٤ - أهل ذكرني أهل مجاسني
- ٣١٤ - أوصيك يا معاذ لا تدع في دهر كل صلاة
- ٣١٣ - أول ما يدعى إلى الجنة الذين يحمدون الله
- ٢٠٠ - أول ما يدعى به رسول الله ﷺ من الوحي الرب
- ١٨٨ - أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة

- ١٩٦ - أي أحي أشركنا بي دعائك ولا تست
١٤٨ - أيعجز أحدكم أن يكسب في كل يوم ألف حسنة
٢١٨ ٢٨٠ - الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه
٣٠ - الإيمان بضع وسبعون شعبة

حرف أباء

- ٧٦ - بابت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة (موقوف على حرير)
٧٤ - بابت عيسى أن لا تشركوا بالله شيئاً
٢٥٩ - بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ
٣٦٥ - بينما رجل راكب بقرة قد حمل عليها
٢٧٤ - البر حسن الخلق والإثم ما حاك

حرف ألتاء

- ٧٧ - تأخذ ماله فتحيي به غيره
٢١٧ - تأملوا بأخلاق الله
٧٥ - تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
٣١٠ - التحدث بعبادة الله شكر

حرف التاء

- ٢٧٦ - ثلاث من كن فيه استوجب الثواب واستكمل الإيمان
٣٢٣ - ثلاث من كن فيه وجد خلوة لإيمان

حرف التميم

- ١٢٦ - جاءني جبريل قال مر أصحابك بعباد أصواتهم
٩٨ - جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم
١٩٧ - جاورت بحراء شهر أفلما قصيت جوارى
١٨٩ - جددوا إيمانكم قيل يا رسول الله وكيف تجدد الإيمان ؟

حرف الحاء

- ٣٠٥ - حسنا الله ونعم الركيل قالها إبراهيم
٤١-٤٢٠-٨٨ - حدثوا الناس بما يعرفون أنريدون

حرف الهاء

- ٢٣ - خير أنقروا قروبي

حرف الدال

- ٢٧٤-٢٤٩ - دع ما يريبك إلى ما لا يريبك

حرف الذال

- ٢٩٦-٢٤٦ - داق طعم الإيمان من رضي بالله رباً
١٨٢ - اندين لا نزال أنستهم وطعة تذكرك الله

حرف الراء

- ٤٩٦ - رجعا من الجهاد الأصغر
٥١٤ - رفع القلم عن ثلاثة، من الصمير
١٦٧ - ويدك يا أجنشة سمقت بالقول
٤٨ - الرجل عني دين حليله

حرف الزاي

- ٣٥٠ - زنا اعيبين النظر
٢٨٥ - الزهدة في الدنيا ليست بتحريم الحلال

حرف السين

- ٢١٤-١٣٨ - سعة يظنهم الله تحت ظل عرشه

- سيد القوم خادهم ٨٩
 - سيروا هذا جمداً سبق امير دون ١١٩
 - سيكون في هذه لأمة قوم يعتدون بالدعاء ١٢٩

حرف الشين

- الشعر بمرة الكلام بحسه كحس الكلام ١٦٦

حرف الطاء

- طوبى لمن وجد في صحيفته استعماراً كثيراً ١٨٧
 - طوبى لمن شبعه عبه عن عبوب الناس • ٢٨٦
 - الطاعم الشاكر بمرة الصائم الصامر ٣١٦

حرف العين

- عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير ٢٦٨
 - عرص علي ربي ليحبل بعنقاه مكة دعياً ٣١
 - عليت بمداد به ذكر الله سرأ ٧٥
 - العلماء ورثة الأنبياء ٨٠
 - العلم عمامة : علم في القلب عليك انعلم النافع ٣٨٦

حرف الميم

- مائة جبريل أتاكم يعلمكم دينكم ٣٨
 - فضل انعم خير من فضل العبادة ٢٧٦
 - ميم مستطعم ٧٦
 - ميم مستطعم وأصقن ٧٧
 - فجعلنا سائر من روادنا مقبل بد ١٤٠

حرف لقا

- ١٤١ قم بنا إلى هذا النبي
١٤٥ - قوما إلى سيدكم أو إلى خيركم
١٤١ - قتلوا يد النبي ﷺ حين تاب الله عليهم

حرف الكف

- ٤١٧ - كن ﷺ حلقه انقرآن
١٤٧ - كان رسول الله ﷺ يذكر الله
٣٢٤ - كن من دعاء داود عليه السلام : اللهم إني أسألك حبك
٢٧٦ - كج كج أرم بها
١٩٥ - كل أمتي معاداة إلا ايمجاهرين
٣٥٠ - كل عين زانية
٢٨٢ - كن في الدنيا كأنك غريب
٣٨٦ - كيف أصبحت يا معاذ ؟
٢٣٥ - لكيس من دال نفسه وعمل لما بعد الموت
٤٥ - كنت في المسجد قد نخل رجل فصلي ، فقرأ



حرف الملام

- ٣٥١ لتغض أبصاركم ولتحتظن فروجكم
٤٩٦-٣٤٣ - لقد كان فيمن قتلكم من الأمم ناس محدثون
١٧٨ - لقيت ليلة أسري بي إبراهيم عليه السلام
٣٦٣ - لم يتكلم في المهد ، لا ثلاثة - عيسى
٢٦٢ - من يدخل أحدكم الجنة بعمله
٣٠٥ - لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم
٢٨٣ - لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة
٤٩٦ - لو كان في هذه الأمة محدثون لكان عمر
٣٥٩ - بولا أن الشياطين يحومرون على قلوب بني آدم

- ٣٤٩ - لو لا أن لا تدافعوا الدعوات الله أن يسمعكم من عذاب القبر
- ٢٧٦ - لو لا أنني أخاف أن تكون من الصدقة لأكلها
- ١١٩ - لتعش الله أنوياً يوم القيامة في وجوههم نور
- ١٥٦ - ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم
- ١٣١ - لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك
- ٢٦٩ - لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله عز وجل
- ٣٥١ - لا تتبع النظرة النظرة
- ٤٥٤-٢٦٩-٤٢ - لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين عن الحق
- ١٥١ - لا تقوم الساعة حتى لا يقان نبي الأرض : الله ، الله
- ١٥١ - لا تقوم الساعة على أحد يقول : الله ، الله
- ٤٩٦ - لا تنسنا من دعائك يا حي
- ٢٩٥ - لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك
- ١٢٦ - لا ولكنه أواه
- ٢٧٦ - لا يبلغ العبد أن يكون من المنقذين
- ٢٣ - لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر
- ٤٥٤-٢٦٩-٤٢ - لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتي أمر الله
- ١٤٧- ١٥ - لا يزال سائلك رطباً من ذكر الله
- ٣١٠ - لا يشكر الله من لا يشكر الناس
- ٢٤٣ - لا يموت أحدكم إلا وهو يحسّر، انظر بالله
- ٣٢٤ - لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من أهله
- ٢٩٥ - لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده
- ١٨٣ - لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه

حرف الميم

- ١٧٣ - ما أجلسكم ؟ نالوا جلساً نذكركم الله
- ١٦١-١٤٤ - ما أدري بأيهما أنا أسير بقدم جعفر
- ٣٢٥ - ما أعددت لها ؟
- ٢٦٨ - ما أعطي أحد من عطية خيراً وأوسع من العسير

- ٤٣١ - ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده
- ٢٨٣ - ما تركت لأهلث ؟
- ١٥٦ - ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه
- ١٥٧ - ماذا يقولون ؟ فقيل : ' إنهم يقولون ' محمد عبد صالح
- ٢٨٤ - ما ضر عثمان من عمل بعد اليوم
- ١٧٦ - ما عمل آدمي عملاً أنجى له من عذاب الله
- ١٧٤ - ما كنتم تقولون ؟ فدا : بذكر الله
- ٢٨٣ - ما بي وللدي ؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب
- ٢٣٦ - ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله
- ١٨٦ - ما من عبد يصلي صلاة الصبح ثم يجلس يذكر الله
- ١٧٣-١٢١ - ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله إلا ناداهم
- ١٧٣-١٣٦ - ما من قوم يذكرون الله إلا أحسنهم الملائكة
- ١٥٥ - ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون فيه الله
- ٣٥١ - ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة ثم يخفض بصره
- ٦٥ - ما نقصا لتراب عن أيديهما من دونه ﷺ (موقوف على أمير)
- ١٣٦ - ما يجلسكم ؟ قالوا جلسنا نذكر الله ونحمده
- ٢٦٦ - ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب
- ٣٥٩-١١٨ - مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه
- ٥١٦ - مثل أمتي مثل المطر
- ١٢٦ - مر أصحابك يرفعوا أصواتهم بالتكبير
- ١٤٥ - من أحب أن يمثل له الرجال قياماً
- ٣٢٧ - من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه
- ٣٦٧ - من أحد شبراً من الأرض ظلماً طوقه
- ٤٨ - من ذكركم الله رؤيته وراى في صميمكم معطيه
- ١٧٥ - من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي
- ١٤٨ - من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين
- ٢٩٤ - من سعادته ابن آدم رصده بما نسي الله له
- ٩٢ - من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً

- ١٧٧ - من شعبه قراءة القرآن وذكرني عن مسألتي
- ٢٥٤ - من صام يراي فقد أشرك
- ١٨٦ - من صلى صلاة الفجر ثم قعد يذكر الله تعالى
- ١٨٦ - من صلى صلاة العداة في جماعة
- ١٨٦ - من صلى صلاة النحر فقف في مقعد
- ١٨٨ - من صلى عني واحدة صلى الله عليه بها عشراً
- ١٨٨ - من صلى عني واحدة صلى الله عليه عشر صلوات
- ١٢٨ - من صلى منكم بالليل فليجهر بقراءته
- ٢٩٤ - من قال إذا أصبح وأمسى ، رضى الله به
- ٣١٢ - من قال حين يصبح : اللهم ما أصبح بي من نعمة
- ٣٠٦ - من قال حين يخرج من بيته ، بسم الله توكلت على الله
- ١٨٩ ١٧٨ ١٤٨ - من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له
- ١٧٨ - من قال سبحان الله وبحمده
- ١٥٥ - من قعد مقعداً لم يذكر الله فيه
- ٣٩٩ - من كذب علي متعمداً فاستوأ مقعده من النار
- ١٩٢ - من سمع من حربه أو عن شيء منه فقرأ **أعوذ بالله من الشيطان الرجيم** سبعاً
- ١٦٣ - من هذا نسائي ؟ قالوا : عامر بن لأكون
- ٩٩ - المجاهد من جاهد نفسه في الله
- ١٩٤ - المستشار مؤتمن
- ٢٦٩ - لمسلم الذي يخاف الناس ويصبر على أذاهم
- ٤٣ - لمؤمن مرة للمؤمن

حرف النون

- ١٠٩ - نعم : التجاني عن دار لمرور والإجابة إلى دار لخلود
- ٣٥١ - لنظرة سهم مسعوم من سهم بلس

حرف الهاء

- ٢٤ - هذا جبريل عليه السلام أتاكم يعلمكم دينكم

- ٢٣٦ - هذه من المعيم لذي نسالو عنه
١٤ - هن فيكم عريب ؟
٢٦٣ - هر احتلاس يحتلسه الشيطان من صلاة العبد
٣٦٩ - هي الماعة هي المعجزة نجهه من عذاب القبر

حرف الواو

- ٣٥٤ - وأمالمة لملك فريعاد بالخير وتصديق بالحق
٤٣١ - وما أنا قاسم والله يعضي
٤٩ - والذي نفسي بيده لو تعلمون عني ما تكونون عدي وفي الذكر
٢٤١ - والذي نفسي بيده لو لم تدنوا للهب الله بكم
٢٤٢ - والعاجر من أتبع نفسه هواها
١٨٧ - والله إني لأستعمر الله وأترب إليه بي ايوم
٤٣٢ - والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه
٣٣٥ - وما تقرب عبدي بشيء أحب إلي مما أفترضه عليه
١٨٤ - وأن يعقدن بالأامل، فإنهن مسؤولات

حرف الياء

- ٩٣ - يا أبا در لأن تعدر تتعلم نأباً من العلم
٢٧٥ - يا أبا هريرة كن ورعاً تكن أعبد الناس
٧١ - يا ابن عمر دينك دينك إنما هو بحمك ودمك
١٦٧ - يا أنجش وويلك لا تكسر انفوارير
٢٥٥ - يا أيها الناس إياكم وشرك السرك
٢٣٦ - ١٤٨ - يا أيها الناس ترووا إلى الله واستعفروا
٧٦ - يا بشير لا صدقة ولا جهاد فيم إذا تدخل الجنة
٤٢٩ - يا بلال أرحنا بالصلاة
٢٤٢ - يا يحيى يوم القيمة ناس من المسلمين يدور
٢٤٢ - يدمى المؤمن يوم القيمة من ربه
٩٣ - يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء

- يقول ابن آدم : مالي مالي ، ومل لك
 - يقول الله تعالى ، من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب
 يقول الله أن عند ظن عبدي بي وأن معي
 - يقول الله عز وجل يوم القيامة : سيعلم أهل الجمع
 - يقول الرب تبارك وتعالى : من شعثه قراءة القرآن
 - يقول الرب يوم القيامة سيعلم أهل الجمع
 - ينزل الله إلى السماء الدني



فهرس الاعلام

حرف الألف

ابن الأثير ١٦٣ - ٢٨٦ - ٣٤٢ - ٣٤٣ - ٣٥٨
٤٠٠

ابن الأدرع ١٢٦٠

ابن أبي أوفى ١٤١

ابن أبي بكر الأهراري ١٨١٠

ابن أبي حمزة (عبد الله) ٥٢

ابن أبي الدنيا ١٥٦ - ٣٥٩

ابن أبي شريف ٢٤٥٠

ابن إسحاق ٢٠٤

ابن أمير حاج ١٥٢٠

ابن بطلال ١٦٦ - ١٦٧ - ١٦٨

ابن تيمية ١٧٦٠ ٣٨٨ ٢٨٩ ٤١٣ ٤٤٢

٤٤٣ - ٤٦٦

ابن جريح ١٦٧

ابن جرير الطبري ١٠٧ - ١٢٨ - ١٦٨ - ٤٠٠

ابن جري - الممر ٩٩٠

ابن الجلاء ٢٨٠

ابن الجوزي ١٤٢ ١٤٩ ١٨٤ ٢٨٤ ٤٠٣

ابن حبان ١١٥ - ١٢٠ - ١٥٢ - ١٥٦

ابن حجر المقلاسي ١٢٦ - ١٣٠ - ١٤١

١٤٢ - ١٦٦ - ١٦٧ - ١٦٨ - ١٨٤ - ٢٠٣

٣٤٤ - ٣٩٩ - ٥١٣ - ٥١٥

ابن حجر المكي الهيثمي ٥٠ ٧٨ ٨٢ ٨٥

٨٨ - ١٣٦ - ٣٤٨ - ٣٧٥ - ٤٠٣ - ٤٠٨ - ٤١٦ -

٤١٧ - ٤٢٣ - ٤٢٤ - ٥١٢ - ٥١٥ - ٥١٦

ابن خلدون ٢٥ - ٢٦ - ٣٣٩ - ٣٤٠ - ٤٦٩

ابن خلكان ٤٧٧

ابن دقيق العيد ٤٩٤

ابن الراوندي ٤٠٥

ابن زكوان ٣٣

ابن سعد ١٨٥ ٣٤٣ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨

ابن سيرين ٦٤ - ٧١

ابن شاهين ٧٨

ابن شهره ٢٧٠

ابن شرف ١٤٣

ابن عبد البر ١٦٧ - ٣٨٦

ابن عبد الحكم ٢٧٨

ابن عدي ٧١

ابن حجر الهيثمي ٤٠٧ - ٤٠٨

ابن عساكر ٧٥٠ - ٣٤٥

ابن عطاء الله السكتري ٦٠ ٦١ ٦٦ ٦٧

١٢٢ - ١٣٩ - ١٨٢ - ١٨٣ - ١٩٠ - ١٩١ -

٢١٢ ٢٢١ ٢٢٦ ٢٥٦ ٢٦٦ ٢٧٥ -

٢٩٢ - ٣١٦ - ٤٨١ - ٤٨٢

ابن علان الصدقي ٣٥ ١٣٧ ١٤٩ ١٨٤ -

أبو الياس : ٢٨٩ - ٤٦٧	١٨٥ - ١٨٩ - ٢٤٦ - ٢٥٠ - ٢٦٤ - ٢٦٣
أبو الحسن الدراج : ١٩١	٣٥٦ - ٣٠٨ - ٣٠٢
أبو الحسن الرملي : ٢٢٣	أين الفارص : ١١٦ - ٢١٥ - ٢٥٧ - ٢٦١ - ٤٢٣
أبو الحسن الشاذلي : ١٨ - ٢٥ - ٦٣ - ٩٥	أين الفراء : ٤٠٢
١٥٦ - ٢١٣ - ٢٦٢ - ٣٧٦ - ٣٨٩ - ٤٢٩	أين قيم الجورية : ٥٢ - ١٢٣ - ١٧٤ - ١٨٢
٤٣٧ - ٤٦٦ - ٤٧٨ - ٤٩٣	١٨٣ - ٢٢٢ - ٢٢٣ - ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٢٧
أبو الحسن القرامي : ١٦٥	٢٢٨ - ٢٤٦ - ٢٦٣ - ٢٦٥ - ٣١٢ - ٤٤٢
أبو الحسن النوري : ٢٩ - ٤٨٦ - ٤٨٨ - ٤٨٩	أين كثير : ١٢٨ - ١٤١ - ١٥٨ - ٢٧٨ - ٤٠٠
أبو الحسين الوراق : ٣٩٠	أين كمال باشا : ١٥٩ - ٤٧١
أبو الحسين النوري : ١٧	أين لهجة : ٣٤٥
أبو حفص اليسانوري : ٩٠ - ٥٢	أين هشام : ٤٠٠
أبو حكيم الصوفي : ١٧١	أين وهبان : ١٤٤
أبو حمزة البغدادي : ٦٣ - ٣١٧ - ٤٥٧	أبو أراكة : ١٥٧
أبو حيفة : ١٥٢ - ٣٩٥ - ٣٩٦ - ٣٩٧ - ٤٠٧	أبو الأعلى المودودي : ٤٨٩ - ٤٩١ - ٤٩٢
٤٦٢ - ٤٥٥	أبو أمانة : ١٨٦ - ٢٥٤ - ٣١١ - ٣٥١
أبو الدرداء : ٨١ - ٩٢ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٨٢	أبو بكر الأشعري : ٣٧٠
٣٦٩ - ٣٢٤	أبو بكر الباقلائي : ٣٧٠
أبو ذر العقاري : ٤٩ - ٩٣ - ٢٣٤ - ٢٨٥	أبو بكر بن الأبياري : ١٦٤
أبو الزبير : ١٣٠	أبو بكر بن العربي : ١٦٦ - ٣٥٨
أبو زرعة : ٥١٤	أبو بكر اشادلي : ٨٦
أبو السمود : ٢٠٠	أبو بكر الخطيب : ٣٨٦
أبو سعيد بن أبي فضالة : ٢٥٥	أبو بكر الصديق : ٤٩ - ٧٩ - ٢٣٠ - ٢٤٩ - ٢٧٧
أبو سعيد الحنلي : ١٢٠ - ١٢١ - ١٣٦ - ٤٥	٢٨٣ - ٢٨٤ - ٣٤٠ - ٣٤٢ - ٣٤٣ - ٣٦٥
١٧٣ - ٢٢٢ - ٢٦٦ - ٢٦٨ - ٢٨٢ - ٣٠١	٤٠٤ - ٤٦٢ - ٤٩٦
٣٤٨ - ٣٣٨	أبو بكر من قورك : ٣٧٠
أبو سعيد الحراز : ١٨٢ - ٢٢٣ - ٣٠٢ - ٣٤٧	أبو بكر انكابي : ٢٢٢ - ٢٢٣
٣٩٠	أبو بكر المروزي : ٤٠٢
	أبو بكر الوراق : ٤٨١
	أبو بكر : ٩٣٠

- أبو سليمان الخطابي : ١٤٤ - ١٤٥ - ٢٠٣ .
 أبو قتادة : ٨٩
 أبو قتادة : ١٦٧
 أبو سليمان الداراني : ٢٤٠ - ٢٥٦ - ٣٨٨ - ٤٦٧
 أبو طاهر المغربي : ٤٠٨
 أبو طالب المكي : ٢٢ - ٢١٤ - ٢٦٥ - ٤٢٦
 أبو العباس المصفي : ٣٢١
 أبو العباس المرسي : ٨٦ - ١٥٣ - ٢١١ - ٤٣٧
 أبو عبد الله الحارث المحاسبي : ٤٦١
 أبو عبد الله القرشي : ٣٧٤
 أبو عبد الرحمن السلمي : ٦٤ - ٩٠ - ١٧٠
 ٢٤٨ - ٢٧٩ - ٢٨٦ - ٣١٧ - ٣٣٦ - ٣٩٠
 ٣٩٥ - ٣٩٤ - ٣٩١
 أبو عسده بن الحجاج : ١٤٢ - ١٤٣ - ٢٠٠
 أبو عثمان المغربي : ١٠٤ - ١٠٥
 أبو عثمان السيابوري : ١٧٠
 أبو علي الثقي : ٦٤
 أبو علي الدقاق : ١٠٥ - ٢٥٢ - ٢٩٧ - ٣٩٥
 أبو عمرو بن العلاء : ٤٦٢ - أبو هريرة : ١٠٧
 أبو الفتح السني : ٢٠
 أبو انقاسم (الجنيد) : ١٧٠ - ٦٣ - ١٠٤ - ١٥٣
 ١٥٩ - ١٧٠ - ١٧٢ - ١٨٤ - ١٩١ - ٢١٠
 ٢١٣ - ٢٣٧ - ٢٥٢ - ٢٨٠ - ٢٨٩ - ٣٢٢
 ٣٤٧ - ٣٤٨ - ٣٦٢ - ٣٨٨ - ٣٩٤ - ٤٢١
 ٤٢٢ ٤٦٧ ٤٧١
 أبو القاسم القشيري : ٢٠ - ٢٦ - ٦٢ - ١٢٢
 ٢٤٧ - ٢٤٩ - ٢٥٢ - ٣٠٣ - ٣٧٠ - ٣٧٦
 ٢٧٨ - ٢٦٢ - ٤٦٤ - ٤٦٨ - ٤٨١ - ٤٩٣
 أبو انقاسم الصراياذي : ٣٩٥
 أبو قتادة : ٨٩
 أبو قتادة : ١٦٧
 أبو ليابة : ١٤١
 أبو مالك الأشعري : ١٤١
 أبو محمد الجويني : ٣٧٠ - ٤٦٩
 أبو مدين : ٦٤ - ١٠٢ - ١٦٢ - ٤٧٦
 أبو المعالي : ١٤٢
 أبو المواهب الشاذلي : ٢٩٠ - ٤٢٩
 أبو موسى الأشعري : ٤٨ - ١١٨ - ٢٤٢ - ٢٦٩
 ٣١٣ - ٣٥٠ - ٣٦١
 أبو نعام : ١٢٩
 أبو نعيم (الأصمغاني) : ٧٥ - ١٥٨ - ١٨٣
 ٢٢٤ - ٣٦٦ - ٣٦٨ - ٣٦٩ - ٣٧٨ - ٣٩١
 ٤٩٣ - ٥١٢ - ٥١٦
 أبو هاشم الصوفي : ٢٦
 أبو محمد الحمصي : ٣٤٥
 أبو هريرة : ٢٩ - ٣٠ - ٤٣ - ٤٨ - ٦٤ - ١٠٧
 ١١٥ - ١١٨ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢٥ - ١٣٥
 ١٣٦ - ١٣٨ - ١٤٤ - ١٤٨ - ١٥٢ - ١٥٥
 ١٥٦ - ١٦٤ - ١٧٣ - ١٧٥ - ١٧٨ - ١٨٥
 ١٨٧ - ١٨٩ - ١٩٤ - ٢١٤ - ٢١٦ - ٢٢٨
 ٢٢٩ - ٢٤١ - ٢٤٣ - ٢٤٧ - ٢٥٠ - ٢٥٤
 ٢٦٧ - ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٢٩٣ - ٢٩٥ - ٣٠٩
 ٣١١ - ٣٢٣ - ٣٣٥ - ٣٤٣ - ٣٥٥ - ٣٥٩
 ٣٦٣ - ٣٦٤ - ٣٦٥ - ٣٦٦ - ٣٦٧ - ٣٩٩
 ٤١٦ - ٤١٨ - ٤٣٢ - ٤٦٠ - ٤٧٧ - ٤٩٦
 أبو وائل : ١٢٩
 أبو يزيد السطامي : ٣٧٣ - ٣٩٠ - ٣٩١ - ٣٩٤
 ٤٢٩ - ٤٣٩

٦٨-٦٩-٩٠-١٠٦-١٢٤-١٢٥-٢٩-١٥٣-	أبو يعلى : ٤٨-٧٧-١٢٠-١٨٦-٣٥٩
١٨٧-١٩٠-٢١٢-٢١٤-٢٤٠-٢٥٦-	آدم (عليه السلام) : ٣١٢-٤١٦-٤١٧
٢٧١-٢٧٣-٢٨٦-٢٩٠-٢٩١-٣٠٢-	آدم بن إبليس : ٤٢٠
٣٠٦-٣٠٨-٣١٦-٣٢٨-٣٩٣-	آسية : ٢٥٨
أحمد بن محمد النجيبى (بن أسا) : ٦٥-٦٦-	أصف بن برخيا : ٣٦٣
أحمد بن مصطفى العلوي : ٥٠٠-٥٠٨-٥١٦-	إبراهيم (عليه السلام) : ١٧٨-٣٠٥-٣١٤-
٥١٧	٢٣٠-٢٤١-٢٧٤-٣٧٥-
أحمد خليل (أبو التقي) : ٤٦٨٠-	إبراهيم بن آدم : ٢١١-٢٨٠-٣٨٨-٤٦٧-
أحمد الرفاعي : ٢٣٥-٣٠٠-٣١٤-٣٣٦-	إبراهيم الباجرري : ٣١-٥١-٤١٢-
٣٩٣	إبراهيم بن شيبان الترميضي : ٨٦٠-
أحمد رونق : ١٧-١٩-٦٤-٦٥-٩٠-٧٤-	إبراهيم بن عبد الله القلانسي : ٤٥٧-
١٩٧-٢٢٤-٢٣٧-٢٣٩-٢٤١-٢٥٩-	إبراهيم بن محمد النصر آبادي : ٣٩٤-
٣٨٣-٣٩٢-٣٩٣-٤٢٠-٤٢١-٤٤٩-	إبراهيم بن موسى النحوي الشاطبي : ١٦٨-
٤٥٦-٤٩٣-	١٦٦-٤٦٨-٤٩٧-
أحمد ربي دحلان : ٤٥-١٦١-٢٩٣-	إبراهيم بن المنتشر : ٧٨-
أحمد الشيرازي : ٤٨٩-	إبراهيم الخواص : ٣٤٨-
أحمد الشرباصي : ٤٨٠-٤٨٣-	إبراهيم الدسوقي : ٤١٣٠-
أحمد الشهيد : ٤٨٦-	إبراهيم الشرحتي : ٢٨٠-
أحمد علوش : ٢٢-٢٤-	إبراهيم الكوراني : ١٣٠-
أوسلان الدمشقي : ٢٦٠-٢٦١-	إبراهيم اللقاني : ٥١-
أروى بنت أويس : ٣٦٧-	أبي بن كعب : ٤٥-١٦٣-
أسماء بنت أبي بكر : ٣٤٣-	أحمد بن حبل : ٦٣-٦٥-٧٤-٧٧-٧٩-١١٤-
إسماعيل بن إسحاق : ١٥٢-	١١٥-١٢١-١٢٦-١٢٩-١٣٠-١٤١-
إسماعيل حقي : ١٠٤-	١٤٣-١٤٥-١٥٠-١٥١-١٥٢-١٥٧-
أسيد بن حصير : ٣٦٦-	١٨٩-٣٧٠-٣٩٦-٣٩٧-٤٠٢-٤٠٣-
أصل الدين : ١٣٣-	٤٠٦-٤٥٧-٤٦٢-
الإسكافي : ٤٩٣-	أحمد بن مريع : ٦٣-٤٢٢-
أم أبان بنت الوارث بن رابع : ١٤١-	أحمد بن عجيبة : ١٨-٢٠-٣٤-٣٥-٥٥-٦١-

البركوي : ٩٦٠ - ١٠٥ - ٢٩٢	أم آيخ : ٣٦٨
البرار : ٧٤ - ٧٥ - ٩٣ - ١٢٨	أم سلمة : ٥١٥
البكري : ٢٤٨ - ٤٩٢	أم كثر بن أبي بكر : ٣٤٣
الوصيري : ٢٠٤ - ٢١٥	أمين سويد : ٥٠٠
السيهي : ٧٥ - ٩٩ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٢٦ - ١٤١	أمين الكردي : ٥٥ - ٤٥٧
١٥٦ - ٣٤٥ - ٢٥٩ - ٣٦٦ - ٣٦٨	أميمة بنت رقيقة : ٧٧
	أنجلة : ١٦٧
حرف التاء	أسير بن مالك : ٥٣ - ٦٥ - ٦٩ - ١٠٧ - ١١٩
التريزي : ٩٩	١٢١ - ١٣٥ - ١٣٦ - ١٥٠ - ١٥٧ - ١٦٣
موفق الأيوبي : ٥٠٠	١٦٧ - ١٧٣ - ٨٦ - ١٨٨ - ٢٣٢ - ٢٢٣
	٢٧٦ - ٢٩٤ - ٢٩٥ - ٣٠٦ - ٣٢٣ - ٣٢٤
حرف الياء	٣٢٥ - ٣٤٠ - ٣٤١ - ٣٤٨ - ٣٤٩ - ٣٥٩
ثابت الساني : ١٢٩	٣٨٦ - ٤٨١
ثمة بن عبيدة : ٥١٤	أيوب (عنه السلام) : ٣٩٨
	الأعرج : ٦٤
حرف الجيم	الأعر بن يسار المزني : ١٤٨
جابر بن عبد الله : ١٨٥ - ١٩٥ - ٢٤٣ - ٣٦٧	الأصم : ٢٤٦
٤٩٦	الأوزاعي : ١٨٢
جبريل (عنه السلام) : ٢٤ - ٦٤ - ٣٥٥	
٣٨١ - ٣٨٤ - ٤٨٠	حرف الباء
جحا : ٤٠٥	بدر الدين بن جماعة : ٤٠٨
الحرجاني (الشريف) : ٢٦٤ - ٢٧٣ - ٢٩٢	بدر الدين الحسيني : ٥٠٠
٣٠٢ - ٣٠٨ - ٣٣٨ - ٣٥٣ - ٣١٢	بريلة : ٢٥٠
جرج العابد : ٣٦٣	بشر الحافي : ٢٧٩ - ٣٠٥
جرير بن عبد الله الجني : ٧٦	بشير بن الحصاصية : ١٥
جعفر بن أبي طالب : ١٤٣ - ١٦٦ - ٣٤١	بلال بن رباح : ٢٩٣ - ٣٣١ - ٤٢٩
جعفر الصادق : ٤٠٣	بلقيس : ٣٦٣
	بدر العسي : ١٤٢

جعفر الكتاني : ٥٠٠ حفصة بنت عمر بن الخطاب : ٢٨٤

جلال الدين السيوطي : ٢٩-١٢٦-١٣٠ حماد : ٣٨٩-٤٦٧

١٨٣-١٨٥-٢٥٨-٣٤٥-٣٥٨-٣٥٩ حماد بن زيد : ١٨١

٢٩٩-٣٩٩-٤٢٢-٤٣٨-٤٤٠-٤٥٦-٤٧٠ حمزة لأسلمي : ٣٦٨

٥١٢-٥١٥ الحسلي (شيخ الإسلام) : ٤٠٥

حظنة : ٤٩ جمال الدين بن الحياض، ليمني : ٤٠٧

الحوت البيروني : ٣٩٩ الحفيد انظر (أبو القاسم)

حولد زهير : ٤٠١-٤٥٢

حرف الحاء

الحادمي : ١٥٢

خالد بن الوليد : ١٤٢-٣٤١-٣٦٨

خبيب بن عدي : ٣٦٦-٣٦٧

حديجة (أم المؤمنين) : ٢٠٠

محرمة بن ثابت : ٢٧٨

نحضر عليه السلام : ٤٧-٥٧-٥٨-٦٣-٢٩٨

٣٤١

لخعايي : انظر أبو سليمان

الحذل بن أحمد : ٤٦٢

نحيل النحلاري نحيل بن عبد القادر الشيباني :

١٦٨

خير السج : ٣٤٧

حيرة مولاة أم سلمة : ٥١٥

حرف الدال

دارد عليه السلام : ٣١٢-٣٢٤-٣٩٨

دارد الطائي : ٣٩٥

الدارمي : ١٠٦-١٢١

الديلمي : ٤٢١

حرف الحاء

حاجي خليفة : ١٨-٢٦-٣٨٦

الحارث لمحاسبي : ١٧٠-٢٩٢-٣٩١-٤٥٧

٤٦١

حافظ الدين السفي : ٣٧٠

الحاكم : ٥٣-٧٥-١١٥-١٢٦-١٢٩-١٤٦

حامد صفر : ١٨-٣٧٢-٤١٦-٤٨٥

الحجاج بن يوسف الثقفي : ٣٤٥-٥١٤-٥١٦

حديفة بن اليمان : ٢٧٦-٣٥١

حرب : ٤٠٢

حسان بن ثابت : ١٦٤

حسان بن عطية : ١٨٢

الحسن البصري : ٣٢-١٦٥-١٨١-١٨٣

٢٧٤-٤٨٢-٥١٢-٥١٣-٥١٥-٥١٦

حسن بن عبد العزيز : ٥١٧

حسين بن علي : ٧٨-٣٤٦

الحسين بن علي الجمعي : ١٤٢

حسين بن محمد : ١٢٩

الحموي : ١٢٣

حرف الذال

الدهبي ٣١٢ ٣١٥ ٣٩٩-٤٠٠-٤٠٤
ذو النور المصري : ١٧٠-١٨٢-٢٣٣-٢٦٠-٢٨٣-٣٣٦

حرف الراء

رابعة العلوية : ٢٣٩-٢٥٧-٢٥٨-٣٠١-٤١٣-٣٣٥
الراغب، الأصمعياني ٩٨ ٢٦٤
رشيد رضا : ٤٧٦

حرف الزاي

الزبيدي : ٤٧٧
الزبير بن العوام ٥١٤
الزرقاني ٣٣٤-٤٥٠
زكريا عليه السلام : ٢٦٣
زكريا الأنصاري : ١٧-١٠٥-٢٤٥-٢٥٣-٤٧٨
الزهرى : ٢٠٣-٢٨٦
الزين العراقي : ٤٣-٣٩٩-٥١٤
زيد بن أسلم : ١٢٦
زيد بن ثابت : ١٤١
زيد بن حنيفة : ١٤٤-٣٤١-٤٣٢

حرف السين

السائب ١٢٦٠
سارية بن زئيم الحلبي : ٣٤٤-٣٤٥-٣٦٥

سالم بن أبي الجعد : ٤٢٩

السري السقطي : ١٢٠-٣٨٨-٣٩٥-٤٦٧-٤٧٨

سعد بن أبي وقاص : ١٤٨-١٨٥-٢٩٤-٣٤٦-٣٦٧

سعد بن معاذ : ١٤٥

سعيد بن زيد : ٣٦٧

سعيد بن المسيب : ٦٤-١٦٤-٣٦٥-٣٦٦

سفيان بن عتبة : ٤٢

سفيان الثوري : ٢٧٤-٣٩٧

سلمان الفارسي : ١٧٤-٣٦٩

سلمى بنت قيس : ٧٦

سليمة بن لأكوع : ١٤١-١٦٣

سليم بن عبد السلام : ٣٦٣

سليمان الجمل : ٢٠٥

سليم بن عامر : ٧٩

اسوسى : ٤٩٥-٥٠٢

السهروردي : ٩٠٠-٩٦٦

سهل التستري : ١٥٦-٢٥٥-٣٦٢-٣٧٦-٣٩٣-٣٨٩

سهل بن سعد الساعدي : ٢٨١-٢٨٣

سيويه : ٤٦٢

حرف الشين

انشاطي : ١٦٥-١٦٦-٤٦٨
انشاقسي : ١٣٠-١٦٦-٢٠٨-٢٩٠-٣٤٧
٢٩٧-٤١٢-٤٥٦-٤٦٢
شاه الكرمانى : ٢٧٩

طه عبد الباقي سرور : ٥٦-٤٨٧-٤٩٠-٤٩٣-٤٩٤-٤٩٦

الطوسي : ٢٧٠-٢٧٩-٣٧٢-٣٧٦-٣٩١

الطبي . ٥٤-١٥٦

لجحاوي ١٥٢

لطيري ١٠٧-١٢٨-١٦٨-٤٠٠

حرف العين

عامر بن الأكوع ١٦٣

عامر بن شقيق : ١٢٩

عامر بن قيس ٢٩٨

عائشة : ١٤٤-١٤٧-١٦٤-١٨٦-٢٠٠

٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٦٣ ٣١١ ٣٤٢

٣٤٧-٤١٧-٤٩٦

عبد بن بشر : ٣٦٦

عبد بن الصامت ٧٤

العاصم بن عبد المطلب ٢٤٧-٢٩٦

عبد الحي بن العماد الحسلي . ٤٠٦

عبد الرحمن الدري ٣٩١

عبد الرحمن بن دزين . ١٤١

عبد الرحمن بن زيد بن أسلم . ١٢٨

عبد الرحمن محمد الأنصاري المعروف (بانن

اندباع) ٣٢٢-٣٣٦-٣٣٧

عبد السلام بن مشيش ٤٧٦

عبد العزيز الميمني الراجفوني ٤٦٦

عبد الحي النابلسي . ٩٩-١٠٠-١٥٨-٢٦٠

٢٦١-٢٩٢

عبد لقادر الجرائري . ٥٧-٥٩-٥٠٢

الشهبي : ٢٧٤-٢٩٥-٣١٣

شداد بن أوس ٧٤ ١٢٦ ٢٣٥ ٢٤٧ ٢٥٤

الشرسلاوي : ١٤٢

الشمي ١٤١-١٥٢

شكيب أرسلان . ٤٧٦-٥٧٣

شمس الدين لشريف : ٤١١

شهاب الدين بن الحلبي . ٤٠٥

شهاب الدين السهروردي : ٩٠-٤٦٦

شهاب الدين العوري ٤٦٥

حرف الصاد

صالح المري : ١٦٩

صبري عيلدين : ٤٩٢

صفوان بن أمية : ١٦١

صفوان بن عسال : ١٤١

صفية ١٨٤

صهيب بن سنان : ٢٦٨

حرف الضاد

صاء ابيد بن المقدسي : ٥١٤-٥١٥

حرف الظاء

طارق بن شهاب : ٣٤٥

طاروس : ٦٤

الظيراني : ٧٥-٧٧-٧٨-٩٣-١١٩-١٤١

١٥٦-١٦٥-١٨٦-٣٦٨

الظحدوي : ٣٢-١٣٠-١٣٧-١٤٢-٢٠٣

- عبد القادر الجيلاني : ٦١ - ٧٩ - ٨٦ - ١٠١ -
 ٢٨٦ - ٢٨٩ - ٣٨٨ - ٣٨٩ - ٣٩٣ - ٣٩٤ -
 ٤٠٧ - ٤٦٧ - ٤٧٤ - ٤٨٨ -
 عبد القادر عيسى : ٣ - ٥ - ٧ - ١٠ - ١٣ - ٥٠٨ -
 عبد المعاصر ابي عبد ذي : ٤٦٦ - ٤٦٣ -
 عبد الكريم الجيلي : ٤٢٤ - ٤٢٥ - ٤٢٦ -
 عبد الله بن أبي حمزة : ٢٠٠ - ٢٠١ -
 عبد الله بن أحمد بن حنبل : ١٨٥ - ٤٥٧ -
 عبد الله بن بسر : : ١١٥ - ١٤٧ - ١٨٧ -
 عبد الله بن جعفر : ٧٨٠ -
 عبد الله بن داود : ٤٢٠ -
 عبد الله بن رواحة : ٣٤١ -
 عبد الله بن الربيع : ٧٨٠ - ١٣٠ - ١٣١ -
 عبد الله بن الشخير : ٢٨٩ -
 عبد الله بن عيسى : ٤٨٠ - ٦٤ - ٧٨ - ١٣٠ - ١١٧ -
 ١٢١ - ١٢٦ - ١٤١ - ١٤٧ - ٣٠١ - ٣٠٥ -
 ٣٦٨ - ٤٢١ - ٤٣٠ -
 عبد الله بن عمر : ٥٢٠ - ٦١ - ٧٦ - ١٣١ - ١٤٢ -
 ١٦١ - ٢٤٢ - ٢٧٧ - ٢٨٢ - ٢٨٤ - ٣١١ -
 ٣٦٤ - ٣٤٦ -
 عبد الله بن عمرو : ١٦٦ -
 عبد الله بن المبارك : ٧١ - ٢٧٩ - ٣٢٧ - ٢٩٦ -
 عبد الله بن مسعود : ٢٢ - ٣٣ - ٩٢ - ١٢٩ -
 ١٦٨ - ٢٤٩ - ٢٦٩ - ٢٨٢ - ٣٥٠ - ٣٥٥ - ٤٢٠ -
 عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي : ٣١٧ -
 عبد الله بن مفضل : ١٢٩ -
 عبد الله التميمي : ٢٣٣ -
 عبد الله الياضي : ٣٦٢ - ٣٧٠ - ٣٧٧ - ٣٨٥ -
 عبد الملك بن عمير : ٣٦٧ -
 عبد الواحد بن زيد : ١٦٩٠ -
 عبد الواحد بن عاشر : ٥٣ -
 عبد الوهاب تاج الدين لبي : ٣٤٣ - ٣٤٤ -
 ٣٤٦ - ٣٤٩ - ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٤٦٩ - ٤٧٠ -
 عبد الوهاب الشعراني : ٣٦ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٤ -
 ٦٥ - ٩ - ١٢٢ - ١٢٣ - ١٢٧ - ٢٣٩ - ٣٧٤ -
 ٣٨٧ - ٣٩٠ - ٣٩٧ - ٤٠١ - ٤٠٣ -
 ٤٠٤ - ٤٠٦ - ٤٠٧ - ٤٠٨ - ٤٠٩ - ٤١٠ -
 ٤١١ - ٤١٢ - ٤١٦ - ٤١٩ - ٤٢٢ - ٤٢٤ -
 ٤٢٦ - ٤٢٧ - ٤٢٨ - ٤٢٩ - ٤٣٧ - ٤٤٠ -
 عبيد الله بن موسى : ١٨٥ -
 عتبة العلام : ١٦٩٠ - ١٧٠ -
 عثمان بن عفان : ٩٣ - ٢٨٣ - ٢٨٤ - ٣٤٠ -
 ٣٤٦ - ٣٥٠ - ٣٦٥ - ٤٦٢ - ٥١٣ - ٥١٥ -
 عثمان بن القاسم : ٣٦٨ -
 المعنوني : ٣٤٤ - ٣٩٩ - ٤٥٧ - ٤٩٦ -
 علي بن حاتم : ١٦١ - ٢٣٦ -
 علة بن تروس : ٥١٧ -
 عروة بن الربيع : ١٦١ - ٣٠٠ - ٣٤٢ - ٣٦٧ -
 العربي المرقاوي : ٤٧٦ -
 عز الدين بن عبد السلام : ١٣ - ٤٦٦ - ٤٩٣ -
 عوه بنت خايل : ٧٧ -
 العسكري : ٥١٣ - ٥١٦ -
 عطاء : ٩٣ - ١٦٨ -
 عطية بن حروة السعدي : ٢٧٦ -
 عطية بن محارب : ٥١٤ -
 عكرمة بن أبي جهل : ١٤٤ -

علمة ٣٥٠٠	عسى (عليه السلام) ٣٣٢-٣١٣-٤٢٨-٤٣٩
اعلاء بن الحضرمي ٣٦٧	
علاء الدين عابدين : ٢٢	
علاء الدين (شيخ الإسلام) ٤٨٢	
علي بن أبي طالب : ٧٥-٨٨-١٤١-١٥٧	الغزالي ٣٥-٥٥-٥٦-٥٧-٦٣-٩٦-١٣٤
١٥٨-١٨٥-٢٧٥-٣٢٩-٣٣٢-٣٤٠	١٣٥-١٣٧-١٦٧-١٩٦-١٩٨-٢٠٨
٣٤٦-٣٦٦-٤٠٤-٤٢٠-٤٢١-٤٦٢	٢٢١-٢٣٨-٢٤٤-٢٦٥-٣٠١-٣٠٣
٤٨٢-٥١٢-٥١٤-٥١٦	٣٠٦-٣٢١-٣٢٩-٣٣٨-٣٣٩-٣٤٧
علي بن برهان الدين الحلبي . ١٤٥	٣٥٩-٣٦٠-٣٧٠-٣٩١-٤٠٨-٤٢٣
علي بن الحسين الشريف المرتضى . ٤٠٤	٤٢٦-٤٢٨-٤٦٤-٤٦٥-٤٩٣
علي بن صالح الحاجب . ٢٦	
علي بن المديني ٥١٤-٥١٥	
علي بن وه . ٤١٩٠-٤٤٠-٥١٨	
علي الحواص ٦٥-٣٧٤-٤٢٦	
علي سامي الشر . ٤٦٥	
علي العلوي . ١٥٦	
علي محفوظ . ٤٧٢	
عماد الدين الراسطي . ٢٠١	
عمران بن الحصين ٣٥٨	
عمر بن الخطاب . ٢٤-٤٨-٧٩-١٤٢-١٤٣	
١٦٤-١٦٥-١٦٦-١٧٧-١٩٢-٢٣٦	
٢٦٨-٢٦٣-٢٨٤-٢٨٥-٢٩٥-٢٩٧	
٣٠٠-٣٠٥-٣٤٠-٣٤٣-٣٤٤-٣٤٥	
٣٦٥-٣٦٧-٣٨١-٤٠٤-٤٨٠-٤٩٤-٥١٥	
عمر بن عبد العزيز ٢٧٠-٢٧٧-٢٧٨-٣٠١	
عمر بن حيان المكي ٢٨٦	
عمر المختار . ٥٠٢	
عمرة ١٨٦	
	حرف الغين
	الغزالي ٣٥-٥٥-٥٦-٥٧-٦٣-٩٦-١٣٤
	١٣٥-١٣٧-١٦٧-١٩٦-١٩٨-٢٠٨
	٢٢١-٢٣٨-٢٤٤-٢٦٥-٣٠١-٣٠٣
	٣٠٦-٣٢١-٣٢٩-٣٣٨-٣٣٩-٣٤٧
	٣٥٩-٣٦٠-٣٧٠-٣٩١-٤٠٨-٤٢٣
	٤٢٦-٤٢٨-٤٦٤-٤٦٥-٤٩٣
	حرف الفاء
	الفارسي ٣٣-٣٥-٣٦
	فاطمة بنت الحسين بن علي : ١٨٥
	فخر الدين الرازي . ٥٠-٥١-١٢٣-٢٠٠
	٢٥٣-٣٥٥-٣٥٧-٣٦٢-٣٧٠-٣٧٢
	٤٦٦-٤٦٥
	فضاله بن عبد : ٩٩
	الفضيل بن عياض : ٣٥-١٣٣-١٤٢-٢٥٢
	٢٨٨-٤٦٧
	حرف القاف
	القاصحان . ١٣٠
	القاضي عياض : ١٤٩-٣٠٤-٤٠٨
	قناة : ١٦٧-٢٨٥
	القريطي . ٩٩-١٦٦-٢٥٠-٣٤٧-٣٥٨
	القسطلاوي ٢٠٢

قيس بن فروخ (سنة) ٣٦٩٠

حرف الكاف

كامل بن حسين العربي : ٢٣٤

الكرمانى : ٢٠٤-٣٥١

الكسالى : ١٥٢

الكشميري : ٢٠٢

كعب بن زهير : ١٦٤-١٦٥

كعب بن مالك : ١٤١

الكلاباذي : ٣٩١-٤٧٨

كمان الدين المراضى : ٤٣٧

الكندي : ٢٦

كنعان بن يعقوب عليه السلام . ٣٣٤

حرف الميم

ماسينيون : ٤٠١-٤٥٢

مالك : ٥٧-١٢٨-١٣٠-١٤٤-١٤٥-٢٧٠

٢٨٣-٣٩٧-٤٥٦-٤٦٢

امامون : ٢٦

مجاهد : ٦٤-١١٧

مجد الدين لفيروز آبادي : ٢٠٦-٢٠٨-٢٠٧

مخارب : ٤٠٧

المحب الطبري : ٢٤٦

محرز بن أبي هريرة : ١٨٥

محمد أبو بكر البنانى : ٤٤٦

محمد أبو زهرة : ٤٩٤

محمد أسد : ٤٥١

محمد أمين بن عابدين : ٣١-١٣٢-١٣٧

١٤٢-١٤٤-١٥٢-١٥٩-١٦٠-١٨٥

١٨٧-٣٨٤-٣٩٦-٣٩٧-٤١٠-٤٢٢

٤٢٣-٤٥٦-٤٧٠-٤٧٢

محمد بن أحمد بنيس . ٢٠٤

محمد بن حبيب البوريدي : ٥١٦-٥١٧

محمد بن حامد الترمذي : ٨٦٠-١٢٨

محمد بن الحسن الشيباني : ١٥٢-٣٤٧

محمد بن خالد السلمى : ٢٦٧

محمد بن صفية لوامطى : ٥١٤

محمد بن علي التومدي (الحكيم) : ١٠٨-

١٠٩-٢٣٦

محمد بن علي الحسين . ٧٨

محمد بن المنكد : ٣٦٩

محمد بن موسى الحرشي : ٥١٤

محمد بن يلس . ٤٩٩-٥٠٠-٥١٦

محمد بن يوسف الكامي : ٥٣-٤١٢-٥٠٠

محمد راعب الطباخ : ٤٧٢-٤٨٠

محمد السفاريني الحبلى : ١٤٢-١٤٣-١١٥-

١٦٤-١٦٨-١٧١-٢١٠-٤٥٧

محمد لشربى : ١٤٣

محمد لشريف : ٤٧٥

محمد صديق العنابى : ٢٤-٢٥-٢٦

محمد طاهر المدي : ٥١٧

محمد عبد الرؤوف المناوي = انظر المناوي

محمد عده . ٤٧٢-٤٧٣

محمد علاء الدين انحصكمي : ١٨٦-٣٩٥-

٤١٠

محمد المهدي : ٤٧٥

٣٨٧-٣٨٦-٣١٥-٣١٤-٢٣٤	محمد الهاشمي . ٥-٢٦-٦٧-١٩٠-٢١٧
معوية بن أبي سفيان : ١٣٦-١٤٥-١٦٤	٣١٧-٢١٨-٤٩٩-٥٠٣-٥٠٤-٥٠٩-٥١٦
١٦٥-١٧٣-٤٣١	محمود بن لبيد : ٢٥٥
معروف الكرخي : ٢٤٨-٣٦٢-٣٨٨-٣٩٥	محمود الألوسي : ١٣٠-١٣١-١٦١-٣٥٠
٤٦٧	٣٥٤-٣٥٦-٣٥٧
امغيرة بن شعيب : ٢٦٩	محمود العمار : ٥٠٠
المقدام بن معد يكرب : ٤٣١	محمود العيني : ٢٠٣-٤٢٠
المقدسي . ١٥٧	محي الدين أورنگ زيب : ٤٨٩
مكحول : ١٨١-٢٥٥	محي الدين بن عربي : ٦٠-١٠٦-٢٠٩-٢٢٤
ملا علي القاري : ١٥١-٣٨٤-٤٥٦	٢٢٥-٣١٩-٣٢٩-٣٧٤-٣٧٥-٣٧٧
المنساوي . ٨٩-١٥٢-١٥٢-١٩٦-٢٠٤	٣٩١-٤٠٩-٤١٠-٤١١-٤١٢-٤٢١
٢٥٠-٢٧٩-٢٨٦-٢٨٧-٢٨٨-٣٤٥	٤٢٢-٤٢٦-٤٢٨-٤٣٦-٤٣٧-٤٥٤
٣٤٦-٣٤٩-٣٥١-٣٥٢-٤١٧-٤١٨	٤٦٥-٤٦٦-٥٠٤
المسكوري : ٣٢٠	مريم : ٣٥٣-٣٥٤-٣٥٥-٣٦٢-٣٦٣
موسى عليه السلام : ٤٧-٥٧-٥٨-٦٣-١٩٧	مروان بن الحكم : ٣٦٧
٢٩٨-٣١٢-٣٤١-٣٥٣-٣٦٢	المروري : ١٤٣٠
المير عبي : ٤٩٢	مراجع : ٢٧٨
حرف النون	المرعي . ٣٩٩-٥١٤-٥١٦
ناصر الدين البضاوي : ٣٦٠	مسدد : ٤٠٢٠
ناصر الدين اللقاني : ٤٠٥	المسعودي : ٢٦-١٢٩
نافع (مولى ابن عمر) : ٢٨٤	مسلم الأسواري : ١٦٩
نحيب كيوان : ٥٢٠	مسلم العبداني : ١٦٩
النعمان بن بشر : ٢٩-٢٧٤-٣٠	مصطفى إسماعيل المليبي : ١٧-١٨-٣٣
النوايس بن سيمان : ٢٧٤	٢٢٥
نوح عليه السلام : ٣١٤	مصطفى السباعي : ٢١٠-٢١١
نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي : ٧٦-٧٨	مصطفى كمال الشريف : ٤٤٤-٤٤٥
النووي : ١١٧-١٢٧-١٣٠-١٤٣-١٦٥-١٦٦	معاد بن أسد : ١٨٦٠
	معاذ بن جبل : ١٢٠-١٢٨-١٥٦-١٧٦

حرف الياء

١٨٣ - ١٩٢ - ١٩٤ - ٢٠٣ - ٢٠٨ - ٢٠٩ -

٢٣١ - ٢٩٠ - ٣٥٨ - ٣٧٠ - ٤٣٣ - ٤٦٧ -

يحيى بن أكثم : ٢٦

يحيى بن معد : ٢٢٥

يحيى بن وثاب : ٢٦٨

يزيد بن أبي سفيان : ١٤٢

يعقوب عليه السلام : ٢٩٦ - ٣٣٤

يعلو بن شداد : ٧٤

يهرذا بن يعقوب عليه السلام : ٣٣٤

يوسف (عليه اسلام) : ٣٣٤ - ٣٩٨

يوسفه النيهاني : ٣٤٣ - ٣٤٤ - ٣٤٦ - ٣٥١ -

٣٧٠

يوسف النساج : ٥٥٠ - ٥٦

يونس بن عبيد : ٥١٤

حرف الهاء

هارون الرشيد : ٤٠٢

هشيم : ٥١٤

حرف الواو

ولي الله المدهلوي : ٤٨٩

وهب بن منه : ٦٤

مصادر الكتاب

- انقراء الكريم بانرسم لعثمان الشهير بمصحف مصطفى الحلبي
- اسمعجم اسعهر من لألفاظ لقرآن انكريم - لقؤد عبد الب في مطبع اشعب بالقاهرة ١٣٧٨هـ

(التفسير)

- المحر امديد في تفسير القرآن المجيد - لأحمد م عجية مطبعة قاصد حير بالقاهرة ١٣٧٥هـ
- تفسير ابن جزري مطبعة مصطفى محمد بالقاهرة ١٣٥٥هـ
- تفسير ابن كثير مطبعة مصطفى محمد بالقاهرة ١٣٥٦هـ
- التفسير الكبير - لفخر الدين الرازي مطبعة استانبول ١٣٠٧هـ
- تفسير أبي اسعود على هامش التفسير الكبير مطبعة استانبول ١٣٠٧هـ
- تفسير القرطبي دار الكائنات العربي بالقاهرة ١٣٨٧هـ
- روح البيان - للشيخ اسماعيل حقي مطبعة
- روح المعاني - للعلامة الأتومي إدارة انطباعة الميرية

(الحديث)

- صحيح البخاري مطبعة بولاق بمصر ١٣١٤هـ
- صحيح مسلم مطبعة دار الطباعة لعامة ١٣٢٩هـ
- سنن ابن ماجه مطبعة عيسى لباني الحلبي بالقاهرة ١٣٧٢هـ
- سنن الترمذي مطبعة مصطفى البياي الحلبي بالقاهرة ١٣٥٦هـ
- مسند الإمام أحمد بن حنبل مطبعة دار صادر بيروت ١٣٨٩هـ
- كنز العمال - لعلاء الدين الهندي مطبعة الملافة بحلب ١٣٩٠هـ
- الترغيب والترهيب - للمنذري مطبعة مصطفى بياي الحلبي بالقاهرة ١٣٤٢هـ
- رياض الصالحين - للنووي مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٥٧هـ
- مشكاة المصابيح - للبرزلي مطبعة المكتب الإسلامي بدمشق ١٣٨٠هـ

- مجمع الروائد - لمور الدين الهنلي مكتبة القدسي بالقاهرة
- هداية الدري إلى ترتيب أحاديث البخري - لمحمد الرحيم لطهطوي مطبعة لاستقامة بمصر ١٣٥٣هـ
- الأذكار - لموري مطبعة مصطفى البابي الحبي بالقاهرة ١٣٦٥هـ
- انتهاء لي غريب الحديث لابن الأثير المطبعة الخيرية بالقاهرة ١٣٠٨هـ
- كشف الحفاء - لمعجلوني مكتبة القدسي بالقاهرة ١٣٥١هـ
- إرشاد الساري شرح صحيح البخاري - لقطلاني مطبعة بولاق بمصر ١٣٢٣هـ
- فتح الساري شرح صحيح البخاري - لابن حجر العسقلاني لمطبعة البهية بمصر ١٣٥٨هـ
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري - لعبيي إدارة الطاعة الميرية ١٣٤٨هـ
- شرح البخاري - للكرماني لمطبعة البهية بمصر ١٣٥٨هـ
- قبض الساري على صحيح البخاري - للكشميري لديوسدي المطبعة البهية بمصر ١٣٤٨هـ
- بهجة النفوس شرح محضر البخاري - لابن أبي جمر مطبعة الصدق الخيرية بمصر ١٣٤٨هـ
- شرح النوري على صحيح مسلم المطبعة المصرية بالأهر ١٣٤٩هـ
- عارضة الأحودي شرح صحيح الترمذي - لأبي العربي المالكي المطبعة المصرية بالأهر ١٣٥١هـ
- تحفة الأحودي شرح صحيح الترمذي - للمباركفوري مطبعة الأعداد بالقاهرة ١٣٨٦هـ
- معالم السنن شرح سنن أبي داود - للحصاني المطبعة العلمية بحلب ١٣٥١هـ
- شرح الرقابي على موطأ الإمام مالك مطبعة مصطفى محمد بالقاهرة ٢٥٥هـ
- مرآة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح - لملا علي الفاري المطبعة الميمية بمصر ١٣٠٩هـ
- قصص القدير شرح الجامع الصغير - للمناوي مطبعة مصطفى محمد بالقاهرة ٢٥٦هـ
- دليل الفالحين لطرق الصالحين - لابن علان الصديقي مطبعة حجازي
- مفتوحات الربانية على الأذكار النورية - لابن علان الصديقي مطبعة السعادة بمصر ١٣٤٧هـ
- الرياض الوهية شرح الأربعين النورية - للشبرحيني

(السيرة والتاريخ وتراجم الرجال)

- حياة الصحابة - لمحمد يوسف مطبعة دائرة المعارف العثمانية بالهند ١٣٦٩هـ
- مذكرات في فقه السيرة - للدكتور السباعي
- السيرة الحبيبة المطبعة البهية بمصر ١٣٢٠هـ

- السيرة النبوية - لزيدي دحلان المطبعة البهية بمصر ١٣٢٠هـ
- تاريخ الحلفاء - للسيوطي مطبعة المدني بالقاهرة ١٣٨٣هـ
- الصبغات الكبرى - لأبي سعد مطبعة دار صادر بيروت ١٩٥٧م
- تاريخ عمر بن الخطاب - لأبي الجوزي مطبعة محمد علي صبيح - الأزهر
- طبقات الشافعية - للسبكي
- ميزان الاعتدال - للذهبي مطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة ١٣٨٢هـ
- تهذيب التهذيب - لأبن حجر العسقلاني مطبعة دائرة المعارف النظامية بالهد ١٣٢٧هـ
- الفتوحات الأحمدية على همزية الوصيري - لسليمان الجمل لمطبعة الحيرية بالقاهرة ١٣٠٢هـ
- سيرة عمر بن عبد العزيز - لأبن عبد الحكم
- حية الأولياء - لأبي نعيم لأصفهاني مطبعة السعادة بمصر ١٣٥٠هـ
- طبقات الصوفية - لسلمي مطبعة دار الكتاب العربي بمصر ١٣٧٢هـ
- البداية والنهاية - لأبن كثير مطبعة كردستان العلمية بمصر ١٣٤٨هـ
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب - لعبد المحي الخليلي مطبعة القدسي بمصر ١٣٥١هـ
- بهر الذهب في تاريخ حلب - للغزي لمطبعة المارونية بحلب ١٣٤٥هـ
- الرياض لنصرة في مناقب العشرة - بلحمي نظري مطبعة دار السالك بالقاهرة ١٣٧٢هـ
- لفرق بين الفرق - لعبد لظاهر العدادي مكتبة نشر الثقافات الإسلامية بمصر ١٣٦٧هـ
- شرح شمائل الترمذي - لمحمد بن قاسم جوسس مطبعة محمد علي صبيح بمصر ١٣٤٦هـ
- لوامع أنوار الكوكب الدرري في شرح همزية الوصيري - لمحمد بييس مطبعة محمد علي صبيح بمصر ١٣٤٦هـ
- بطل الكفاح الأمير عبد القادر الجرائري - بيحيى بوعزيز مطبعة دار الكتب الشرقية ١٩٥٧م
- جامع كرامات الأولياء - ليوسف الشهابي مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر

(الفقه والتوحيد والأصول)

- حاشية ابن عابدين مطبعة بولاق بمصر ١٣٢٣هـ
- حاشية انطحتاوي على مراقبي الفلاح مطبعة بولاق بمصر ١٢٩٠هـ
- الهدية العلائية - لعلاء الدين عابدين مطابع دار المكر بدمشق ١٣٨٠هـ
- الدور المباهة في انحطار والإباحة - لسحلاوي مطبعة الاعتدال بدمشق ١٣٦٦هـ
- حاشية اعدوي على شرح الرقاني على العروة في الفقه المالكي لمطبعة الشرقية بمصر ١٢٩٩هـ

- الأبناء والمقاتل - للسيوطي مصطفي الباني الحلبي ١٣٥٦هـ
- أسرار الميراث علي المرشد السعدي - محمد بن يوسف الكافي - مطبعة العمومية بدمشق ١٣٥٧هـ
- معني المحتج - لشربيني
- أنموذج - بلشعري
- مجموعة رسائل ابن عبد البر طبعة استانبول ١٣٢٥هـ
- حاشية الباجوري على جواهر التوحيد المطبعة الأهلية بالقاهرة ١٣٥٢هـ
- الاعتصام - لساطي
- الرحبص بأعلاء لدوي الفصل والحزبة - للزوي مطبعة المعاهد بمصر
- الفتاوى الحديثة - لابن حجر الهيتمي المطبعة الممسية بمصر ١٣٠٧هـ
- الحاوي للفتاوى - للسيوطي المطبعة الميمنية بمصر ١٣٥٢هـ
- مجموع فتاوى ابن تيمية مطابع الرياض ١٣٨٢هـ

(التصوف)

- الرسالة القشيرية - لنتشيري مطبعة مصطفى السبي الحلبي ١٣٣٠هـ
- حياء علوم الدين - للبرالي مطبعة مصطفى الباني الحلبي ١٣٤٦هـ
- النسخة السيرة - لمصطفى المدني مطبعة العامرية بمصر ١٣١٦هـ
- الحواف - للأمير عبد القادر الجزائري مطبعة الشهاب ١٣٤٤هـ
- فروع الغيب - للشيخ عبد القادر الجيلاني مطبعة شركة التمدن للصناعة بمصر ١٣٢٠هـ
- واقع لأوار إقدسية في باب العهود المحمدية - لشعراي مطبعة العامرية لعثمان ١٣١١هـ
- الفتوحات المكية - لمحي الدين بن عربي مطبعة الميمنية بمصر ١٣٢٩هـ
- المنهج الرباني - للشيخ عبد القادر الجيلاني مطبعة بولاق بمصر ١٣٠٢هـ
- المنقذ من الضلال - للبرالي مصطفي صبيح وأولاده بمصر ١٣٧هـ
- الأرمين هي أصول الدين - للبرالي مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٢٤هـ
- نشر المحاسن العالية - للياقوت مطبعة دار الكتب العربية بمصر ١٣٢٩هـ
- اليواقيت والجواهر - للشعراي مطبعة الأهرام المصرية ١٣٠٥هـ
- مدارج السالكين شرح منازل السائرين - لابن قيم الجوزية مطبعة المدر ٣٣٢هـ
- الفتوحات الإلهية شرح المباحث الأصبية - لابن عجيبة لطبعة الجمالية ١٣٣١هـ
- حصر المحال ودرية الألفاظ - لعلي البابسي مطبعة التمام لأخوي ١٣٥١هـ

- اسعوف لمذهب أهل التصوف - للكلاسيكي مصبعة عيسى البابي الحلبي ١٣٨٠هـ
- البرهان المزيد - لسيد ابراهيم مطبعة العلمية بحسب ١٣٥١هـ
- الإنسان الكامل - بلجيلي مطبعة بولاق ١٢٩٣هـ
- قوانين حكم الإشراف لكافة الصوفية في جميع الأقاليم - لأبي المراهب لشاذلي مطبعة مصر
- توير القلوب - لأمين الكردي مطبعة السعادة بمصر ١٣٥٨هـ
- التصوف الإسلامي والإمام الشيرازي - لطفه عبد الباقي سرور مطبعة بهمن مصر ١٣٧٢هـ
- مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح - لابن عطاء الله السكندري مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٨١هـ
- شرح شطرنج العارفين - للشيخ محمد الهاشمي مطبعة أنترقي دمشق ١٣٥٧هـ
- بسنن العارفين - للثوري مطبعة إدارة الطباعة الميرية ١٣٤٨هـ
- مشارق أنوار القلوب ومفاتيح أسرار العيوب - لعبد الرحمن لانصاري المعروف بالذبح مطبعة دار صادر بيروت ١٣٧٩هـ
- فواعل التصوف - لأحمد زروق الفاسي مطبعة مصر ١٣١٨هـ
- الرياضة وأرباب النفس - بلحكيم لترنيزي مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٦٦هـ
- خلاصة التكميل في التصوف - لبغراي مطبعة السعدية بمصر ١٣٢٧هـ
- معراج النشوف إلى حقايق التصوف - لابن عجيبة مطبعة لاعندال ١٣٥٥هـ
- تجريد شرح سنن الأخرومية - لابن عجيبة المطبعة المحمودية بمصر ١٣١٩هـ
- الحديث لندية شرح - مطبعة المحمودية لمطبعة دار العامرة ١٢٩٠هـ
- نظم النفس والأخلاق المعروف باسم الكبير - للشيرازي لمطبعة السعدية بمصر ٢٢١هـ
- نور التحقيق - لحامد صقر مطبعة دار التأليف بمصر ١٣٦٩هـ
- الجمع - لعبد الله السراج المطبعة دار الكتب الحديثة بمصر ١٢٨٠هـ
- إيقاظ لهما في شرح الحكم - لابن عجيبة مطبعة انجمنية ١٣٣١هـ
- الانتصار لطريق الصوفية - لأحمد صديق العمري مطبعة دار المؤلف بمصر
- روضة الناظرين - لأحمد الوترى مطبعة الحيرية بمصر ١٣٠٦هـ
- رسالة المقاصد - لسوي مطبعة ابن زبون بدمشق ٢٤٩هـ
- فرائد اللالي مر - مائل الغرالي - عي نصحيحها محمد بحيث ١٣٤٤هـ
- لمحات عن التصوف - لحامد المير عي مطبعة شبيب محمد ١٣٦٩هـ
- شخصيات صوفية - لطفه عبد الباقي سرور مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٦٨هـ

- الوصايا - للحارث المحمدي مطبعة محمد علي صبيح بالقاهرة ١٣٨٤ هـ
- الطريق إلى الله - لأبي سعيد الخوازمي مطبعة السعادة بمصر
- مدارج السلوك إلى ملك الملوك - لأبي بكر ماضي الشاذلي مطبعة الجمالية بمصر ١٣٣٠ هـ
- إرشاد الرغبين - للشيخ حسن بن عبد العزيز مخطوط
- الأنوار القدسية - للشيخ محمد ظاهر المدني مخطوط
- أورد السادة اشاذلة الدرقاوية التلمسانية مخطوط
- الدرة الالهية في أورد الطائفة العلوية - لعمدة بن توس المسعاني مطبعة التوفي بدمشق ١٣٥٠ هـ

(كتب متنوعة ومجلات)

- الفاموس المحيط للفيروز أبادي المطبعة المصرية ١٣٥٠ هـ
- رجال الفكر والدعوة في الإسلام - لأبي الحسن لندري مطبعة جامعه دمشق ١٣٧٩ هـ
- المسلمون في الهند - لأبي الحسن لندري مكتبة دار الفتح بدمشق ١٣٨١ هـ
- مبادئ الإسلام - للمودودي مطبعة مكتبة الشباب المسلم بدمشق ٢٨١ هـ
- ديوان الأمير عبد القادر الجرائري مطبعة دار البقعة العربية ١٩٦٠ م
- مجلة نواء الإسلام - صاحب الامتياز - أبو عبد حمزة
- مجموعة رسائل ابن تيمية - لابن تيمية مطبعة العمارة الشرقية بمصر ١٣٢٢ هـ
- عداة الأبواب شرح منظومة الآداب - لمحمد لسفاري الحسني مطبعة النجاح بمصر ١٣٢٤ هـ
- حجة الله على العالمين - ليوسف النبهاني مطبعة لادبية بيروت ١٣١٦ هـ
- شرح عين العلم ودين الحلم - لملا علي الفاري إدارة الطباعة المبرية ١٣٥١ هـ
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والعنون لحاجي خليفة مطبعة المعارف التركية ٣٦٠ هـ
- الثمينة الإسلامية - لمحمد راجب الطياح مطبعة مكتبة طباح حواري بحلب ١٣٦٩ هـ
- مقالات الكونري - محمد زاهد الكونري مطبعة أنوار بالقاهرة ١٣٧٢ هـ
- مقدمة ابن خلدون - لعبد الرحمن بن خلدون مطبعة الهبة بمصر
- مجلة المسلم - محمد زكي إبراهيم مصر
- مجلة الإصلاح الاجتماعي - محمد زهير حانكا حلب
- معبد العلم وميدان العلم - لعبد الوهاب السبيكي مطبعة دار الكتاب العربي بمصر ١٣٦٦ هـ
- الواسع الصبيح من لكلم الطيب - لابن قيم الجوزية مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالقاهرة ١٣٧٢ هـ

- اليهودية - لابن تيمية الحارثي مطبعة منشورات المكتب الإسلامي بدمشق
- اعتقادات فرو المسلمين والمشركيين - لعمر الدين الرازي مطبعة حجة المؤلف والترجمة والنشر بمصر ١٣٥٦هـ
- تقرير الحديث في رؤية السي والنسك - لجلال الدين السيوطي مطبعة إدارة الطباعة الميرية ١٣٥٢هـ
- سفر السعادة - لتفسير أبي مطبعة دار المنصور والشر ١٣٥٢هـ
- المسائل الكاوية - لمحمد يوسف الكافي التونسي مطبعة حجي بالماهرة ١٣٥٢هـ
- تأييد الحققة العلة - لجلال الدين السيوطي مطبعة الإسلامية بمصر ١٣٥٢هـ
- شفاء اسائل تهذيب المسائل - لابن خلدون مطبعة بيروت ١٩٥٩م
- حاضر العالم الإسلامي - الأمير شكيب أرسلان مطبعة عيسى الديني الحلبي وشركاه بمصر ١٣٥٢هـ
- طريق الهجرتين - لابن قيم الجوزية إدارة الطاعة المنشيرة ١٣٥٧هـ
- الإسلام على مفترق الطرق - لمحمد أحمد - ترجمة الدكتور عمر فروخ مطبعة دار العلم للملايين ١٩٦٢م
- المهرودات في غريب القرآن - للرابع الأصمعي المطبعة الحيرية ١٣٠٦هـ
- تعريفات السد الجرجاني المطبعة الوهمية بمصر ١٢٨٣هـ
- شطحات الصوفية - لعبد الرحمن بندي
- وحدة لوجود - لمصطفى كمال الشريف مطبعة انعم بدمشق ١٣٩٠هـ
- مجلة المنار - لرشد رضا السنة الأولى
- روائع إقبال للنسوي دار الفكر للطباعة والنشر بدمشق ١٣٧٩هـ
- روض الرياحين لنياعني المطبعة الميمية بمصر ١٣٧٧هـ



فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٥
مقدمه لطبعه لخدمه	٧
مقدمه لطبعه لرابعه	٩
مقدمه لكتاب	١١

الباب الأول

لتعريف بالتصوف

تعريف بالتصوف	١٧
اشتقاق التصوف	٢١
مبدأ علم التصوف	٢٢
أهمية التصوف	٢٨

الباب الثاني

المهج لعملي في التصوف

مقدمه	٣٩
الصحة	٤
أهميته وفائدها وآثارها	٤
الدليل على أهمية الصحة من كتاب الله تعالى	٤٧
الدليل على أهمية الصحة من الأحاديث لشرية	٤٨
أقوال الفقهاء والمحدثين في أهمية الصحة وآدابها	٥
أمن حجر الهيتمي	٥٠

الموضوع	الصفحة
الإمام فخر الدين الرازي	٥٠
الشيخ إبراهيم السجوري	٥١
ابن أبي جمرة	٥٢
ابن قيم لجوريه	٥٢
عبد لوأحد بن عشر	٥٣
الطبيبي صاحب حاشية، لكشاف	٥٤
أنوال لمارفيس بالله من رجال لنصوف في فائدة الصحة وآدابها	٥٥
أبو حامد الغزالي	٥٥
الأمير عبد القادر الجرائري	٥٧
ابن عطاء الله السكندري	٦٠
الشيخ عبد القادر الجبلاني	٦١
الشيخ عبد الوهاب الشعراني	٦٢
أبو علي الثقفي	٦٤
أبو مدين	٦٤
الشيخ أحمد زروق	٦٤
علي الخواص	٦٥
الشيخ محمد الهاشمي	٦٦
الحث عن الوارث المحمدي	٦٨
أخذ العهد	٧٣
بيعة الرجاء	٧٤
اللقين جماعة	٧٤
اللقين الإفرادي	٧٥
بيعة النساء	٧٦
بيعة من سم يحتلم	٧٨
بيعة الصحابة رضي الله عنهم	٧٨

الموضوع	الصفحة
تنقل الإذن	٨١
أدب المريد مع شيوخه وإخوانه	٨٣
آداب المريد مع شيوخه	٨٣
آداب المريد مع إخوانه	٨٨
للمعلم	٩١
مجاهدة النفس وتركيتها	٩٨
تمهيد	٩٨
تعريف المجاهدة	٩٨
دليلها من الكتب والسنة	٩٩
حكمها	٩٩
قابلية صفات النفس لتغيير	١٠٠
طريقة المجاهدة	١٠١
أقوال العارفين والمرس المرشدين في المجاهدة	١٠٤
رد الشبهات حول المجاهدة	١٠٨
الذكر	١١٣
تمهيد	١١٣
معاني كلمة لذكر	١١٤
دليله من الكتاب والسنة	١١٥
أقوال العلماء بالله في فصل الذكر	١٢١
عبد الله بن عباس	١٢١
ابن عطاء الله اسكندري	١٢٢
الإمام أبو القاسم القشيري	١٢٢
ابن قيم الجوزية	١٢٣
فخر الدين الرازي	١٢٣
أحمد دروق	١٢٤

الموضوع	الصفحة
أحمد بن عجيبة	١٢٤
الحلاصة	١٢٥
أقسام الذكر	٢٥
ذكر السر وذكر الجهر	٢٥
أفضلية ذكر الجهر	٣١
ذكر اللسان وذكر القلب	١٣٣
الذكر المنفرد والذكر مع الجماعة	١٣٥
آداب الذكر المنفرد	١٣٨
آداب الذكر الجهرى مع الجماعة	١٣٥
حكم تعجيل البدء	١٤٠
حكم القيام للعلماء ولصالحين والوالدين	١٤٢
الذكر اسبق والذكر المطلق	١٤٦
ألفاظ الذكر وصيغته	١٥٠
حكم الذكر بالاسم المنفرد [الله]	١٥٠
التحذير من ترك الذكر	١٥٥
الحركة في الذكر	١٥٦
الإشهاد والسمع في المسجد	٦٣
قوائد الذكر جملاً	٧٣
دليل السحرة	٨٢
ورد الصوفية وديله من الكتاب والسنة	٨٥
حكم ذكر الله بعد صلاة الصبح	١٨٦
المداكرة	١٩٣
الفرق بين المداكرة وبين الاعتراف عند انتصارى	١٩٥
الفرق بين المداكرة وبين المحاضرة بالمعصية	١٩٥
الحلوة	١٩٦

الموضوع	الصفحة
تعريفها	١٩٧
طريقتها	١٩٩
مشروعيتها	١٩٩
الدليل عنها من القرآن الكريم	٢٠٠
الدليل عنها من السنة	٢٠٠
إشكالات	٢٠٢
أقول العلماء في أهمية الحلوة وفوائدها	٢٠٥
الفيروز أباذي صاحب لقاموس	٢٠٦
الإمام الشافعي	٢٠٨
الإمام النووي	٢٠٨
الشيخ الأكبر	٢٠٩
محمد السماريني	٢١٠
الدكتور مصطفى لسباعي	٢١٠
عماد الدين لواسطي	٢١١
ابن حجية	٢١٢
الخلاصة	٢١٨

لباب ثالث

طريق الوصول إلى الله

طريق الوصول إلى الله	٢٢١
اتوبة	٢٣١
المحاسبة	٢٣٥
الحواف	٢٣٨
الرجاء	٢٤١
الصدق	٢٤٤

الموضوع	الصفحة
الإخلاص	٢٥٢
تعريفه	٢٥٢
أهميته في الكتاب والسنة	٢٥٣
أقوال العلماء في أهمية الإخلاص	٢٥٥
مراتب الإخلاص	٢٥٦
شوائب الإخلاص في أعمال السالك إلى الله	٢٥٩
المخلاصة	٢٦٣
الصبر	٢٦٤
تعريفه	٢٦٤
أقسامه	٢٦٥
أهميته وبعض ما ورد في فصله	٢٦٧
تحقق الصالحين بالصبر ردعونهم إلى الله	٢٦٩
المخلاصة	٢٧١
الورع	٢٧٣
تعريفه ومراتبه	٢٧٣
فصله	٢٧٥
الزهد	٢٨٠
تعريف الزهد	٢٨٠
مشروعيه الزهد	٢٨١
تصحیح مفهوم لزهد	٢٨٥
طريق الوصول للزهد	٢٨٧
المخلاصة	٢٩٠
الرضا	٢٩٢
تعريفه	٢٩٢
تصحیح الأفكار في موضوع الرضا	٢٩٦

الموضوع	الصفحة
التوكل	٣٠٢
تعريفه	٣٠٢
فضله وآثاره	٣٠٤
الخلاصة	٣٠٧
الشكر	٣٠٨
تعريفه	٣٠٨
أقسامه	٣١٠
مراتب الشاكرين	٣١٣
فضله	٣١٤
تنبيه	٣١٧



الباب الرابع من ثمرات التصوف

الحب الإلهي	٣٢١
دليل المحبة وفضلها	٣٢٣
الأسباب المورثة للمحبة	٣٢٥
علامات المحبة	٣٢٧
مراتب المحبة	٣٢٩
الكشف	٣٣٨
تعريفه	٣٣٨
الكشف عند رسول الله ﷺ	٣٤٠
الكشف عند الصحابة	٣٤٢
الكشف عند أبي بكر الصديق	٣٤٢
الكشف عند عمر بن الخطاب	٣٤٣
الكشف عند عثمان بن عفان	٣٤٦

الموضوع	الصفحة
الكشف عند علي بن أبي طالب	٣٤٦
كشف العارفين	٣٤٧
الإلهام	٣٥٣
الإلهام من قبل الله تعالى	٣٥٣
الإلهام من قبل الملائكة	٣٥٤
كرامات الأولياء	٣٦١
إثبات الكرامات	٣٦١
الدليل عليها من كتاب الله تعالى	٣٦٢
الدليل عليها من السنة الصحيحة	٣٦٣
الدليل عليها من آثار الصحابة	٣٦٥
الحكمة من إجراء الكرامات على يد الأولياء	٣٧٠
الفرق بين الكرامة والاستدراج	٣٧١
موقف الصوفية من الكرامات	٣٧٣

الباب الخامس

تصحيح الأفكار عن التصوف

بين الحقيقة والشرعية	٣٨١
تمهيد وتعريف	٣٨١
مناقشة المتحاملين على الصوفية	٣٨٤
تمسك الصوفية بالكتاب والسنة	٣٨٩
التحذير من الفصل بين الحقيقة والشرعية	٣٩٢
الفقهاء الصوفية	٣٩٥
الدرس على العلوم الإسلامية	٣٩٨
التفسير	٣٩٨
الحديث	٣٩٩

الموضوع	الصفحة
التاريخ	٣٩٩
التصوف	٤٠٠
تأويل كلام السادة الصوفية	٤١٥
وحدة الوجود والحلول والاتحاد	٤٢٤
الحلول والاتحاد	٤٣٤
وحدة الوجود	٤٤٤
بين الصوفية وأدعياء التصوف	٤٤٩
أعداء التصوف	٤٥١
شهادات علماء الأمة الإسلامية	٤٥٥
١- الإمام أبو حنيفة	٤٥٥
٢- الإمام مالك	٤٥٦
٣- الإمام الشافعي	٤٥٦
٤- الإمام أحمد	٤٥٧
٥- الإمام المحاسبي	٤٥٧
٦- عبد القاهر البغدادي	٤٦١
٧- الإمام القشيري	٤٦٣
٨- الإمام الغزالي	٤٦٤
٩- الإمام فخر الدين الرازي	٤٦٥
١٠- العزيز عبد السلام	٤٦٦
١١- الإمام النووي	٤٦٦
١٢- ابن تيمية	٤٦٧
١٣- الإمام الشاطبي	٤٦٨
١٤- ابن خلدون	٤٦٩
١٥- تاج الدين السبكي	٤٦٩
١٦- جلال الدين السيوطي	٤٧٠

الموضوع	الصفحة
١٧- ابن هابدين	٤٧٠
١٨- الشيخ محمد عبده	٤٧٢
١٩- الأمير شكيب أرسلان	٤٧٣
٢٠- الشيخ رشيد رضا	٤٧٦
٢١- الشيخ محمد راغب الطباخ	٤٧٧
٢٢- أحمد الشرباصي	٤٨٠
٢٣- أبو الحسن الندوي	٤٨٦
٢٤- أبو الأعلى المودودي	٤٨٩
٢٥- صبري عابدين	٤٩٢
٢٦- محمد أبو زهرة	٤٩٤
شيخنا محمد الهاشمي رحمه الله تعالى	٤٩٩
ولادته ونشأته	٤٩٩
أخلاقه وسيرته	٥٠١
نشاطه في الدعوة والإرشاد	٥٠٣
مؤلفاته	٥١٤
الإجازة	٥١٧
سند الطريقة الشاذلية	٥١٢
شجرة السند	٥١٨
الختم	٥١٩
الفهارس	٥٢١
فهرس الأحاديث	٥٢٣
فهرس الأعلام	٥٣٥
مصادر الكتاب	٥٤٩
فهرس الكتاب	٥٥٧